



المؤتمر الدولي العاشر
دور العلوم العربية والإسلامية
في تكريس الأمن الفكري وتحقيق السلام المجتمعي
في الفترة من ٨ - ٩ يونيو ٢٠٢١ م

تحت رعاية

الأستاذ الدكتور/ خالد عبد الغفار وزير التعليم العالي والبحث العلمي
الأستاذ الدكتور/ مصطفى عبد النبي رئيس جامعة المنيا

الأستاذ الدكتور/ عصام الدين صادق فرحات
نائب رئيس الجامعة لشؤون التعليم والطلاب
والمشرف على الكلية

رئيس المؤتمر

الأستاذ الدكتور/ محمد عبد الرحمن الريحاني

المجلد الأول

التقييم الدولي

ISSN (2735- 4369)

لجنة التحكيم:

النحو والصرف والعروض

أ.د/ محمد عبد الرحمن الريحاني
أ.د/ ممدوح محمد عبد الرحمن
أ.د/ رجب محمود سليمان

الدراسات الأدبية

أ.د/ محمد عبد الله حسين
أ.د/ عبد الجواد شعبان الفحام
أ.د/ سعيد الطواب محمد
أ.د/ عصام خلف كامل
أ.د/ سوسن ناجي رضوان
أ.د/ شهير أحمد دكروري

البلاغة والنقد الأدبي

أ.د/ حافظ محمد جمال الدين
أ.د/ مصطفى بيومي عبد السلام

الشريعة الإسلامية

أ.د/ محمد عبد الرحيم محمد
أ.د/ عزت شحاتة كرار
أ.د/ زاهر فؤاد محمد

الفلسفة الإسلامية

أ.د/ محمد علي الجندي
أ.د/ سيد عبد الستار ميهوب
أ.د/ السيد محمد سيد
أ.د/ محمد سلامة عبدالعزيز

علم اللغة

أ.د/ أحمد عارف حجازي
أ.د/ عيسى شحاتة عيسى
أ.د/ أشرف عبد البديع عبد الكريم

اللجنة المنسقة للمؤتمر:

د/ محمدي صالح عطية
أ/ وائل نبيل أنس

المحتوى

الصفحة	الموضوع	م
		أولاً: المفاهيم النظرية « مفهوم الأمن الفكري، أهميته، أهدافه »:
٢٦-٥	مفهوم الأمن الفكري في ضوء الإسلام الدكتور/ سعود مقبل العصيمي	١.
٦٠-٢٧	ضوابط الأمن الفكري رؤية أصولية أصلة الدكتورة/ حنان متولي توفيق يوسف مختار	٢.
٨٨-٦١	الأمن الفكري أهميته ووسائل تحقيقه الدكتورة/ مريم طاهر أحمد طالبي مدخلي	٣.
١١٢-٨٩	الأمن الفكري وتحديات وحدة الأمة الدكتورة/ حدة عاشوري	٤.
١٥٠-١١٣	وسطية الإسلام في فقه الائتلاف والاختلاف وأثره في تحقيق الأمن الفكري والسلام المجتمعي الدكتور/ مبروك بهي الدين رمضان الدعدر	٥.
		ثانياً: الدراسات العقديّة:
١٨٦-١٥٣	التوجيهات النبوية العقدية في تحقيق الأمن الفكري والسلام المجتمعي الأستاذ الدكتور/ سليمان بن قاسم العيد	٦.
٢٢٢-١٨٧	سلامة العقيدة الإسلامية الدكتورة/ مها عبد الرحمن أحمد نتو	٧.
٢٤٤-٢٢٣	دور العقيدة الأشعرية في تحقيق الأمن الفكري في المجتمعات الإسلامية الباحث/ محمد مزيان	٨.
٢٦٨-٢٤٥	دور العقيدة في تحقيق الأمن الفكري والسلام المجتمعي الدكتور/ طالب بن أحمد الهمامي	٩.

م	الموضوع	الصفحة
١٠ .	دور العقيدة الإسلامية في تحقيق الأمن الفكري والسلم المجتمعي أ.د. فرمان إسماعيل إبراهيم	٢٦٩ - ٢٩٢
١١ .	دور العقيدة في تحقيق الأمن الفكري والسلم المجتمعي "ملخص البحث" الأستاذ الدكتور/ إبراهيم خليفة عبد اللطيف خليفة ثالثاً: الدراسات العامة :	٢٩٣ - ٢٩٤
١٢ .	القيم الإنسانية في مؤسسات التعليم العالي ودورها في تحقيق السلام المجتمعي الدكتور/ محروس محمد محروس بسيوني	٢٩٧ - ٣٣٠
١٣ .	الإعلام العربي ودوره في مواجهة "التشوهات الداخلية والتحديات الخارجية" "رؤية نقدية" المستشار الإعلامي/ سليمان عبد الغفار سليمان	٣٣١ - ٣٥٦
١٤ .	دور الشرطة المجتمعية في تحقيق الأمن الفكري والسلم المجتمعي النقيب/ محمد أبو النجا	٣٥٧ - ٣٩٦
١٥ .	العمق الأخلاقي للسلم المجتمعي، من خلال المقاربة الأخلاقية للعلاقة بين المنتج والمستهلك الدكتور/ مصطفى داحسو	٣٩٧ - ٤٤٤
١٦ .	الأمن الفكري في المدينة الفاضلة عند الفارابي الدكتور/ محمد عبد الصبور عبد الجليل	٤٤٥ - ٤٦٨
١٧ .	الإحباط المجتمعي وصفه وأسبابه وأساليب علاجه في سورة الحج (دراسة قرآنية تحليلية) أ.م.د. بتول محمد حسين	٤٦٩ - ٥٠٢

أولاً:

المفاهيم النظرية

« مفهوم الأمن الفكري، أهميته، أهدافه »

مفهوم الأمن الفكري

في ضوء الإسلام

دكتور / سعود بن مقبل العصيمي

عضو هيئة التدريس بكلية العلوم والدراسات النظرية

بالجامعة السعودية الإلكترونية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي عمّر أوطاننا بالإيمان، وأكرمنا بالخير والأمن والأمان،
والصلاة والسلام على النبي محمد الذي كمل الله به الدين، وأرسله رحمة للعالمين،
وآلة وصحبه أجمعين، أما بعد:

فإن الأمن هاجس فطري؛ فلا مجال للاستقرار ولا نهضة أو تطور بلا أمن؛
والأمن له صور متعددة، منها الأمن الاقتصادي والأمن السياسي والأمن السيبراني
والأمن الغذائي والأمن الفكري.

ويعتبر الأمن الفكري من المصطلحات الحادثة التي لم يُتطرق لها في كتب
التراث؛ إلا أن الشريعة الإسلامية قد جاءت بالدعوة إلى مضمونه، وحماية الإنسان
من كل ما يدعو إلى فساد العقل والفكر، وحماية المجتمع مما يهدد أمنه.

ويعتبر الأمن الفكري جزءاً مهماً في منظومة الأمن الشامل فلا يمكن أن
يُحقّق الأمن الشامل إن لم يكن ثمة أمن فكري، وما تعانیه الأمة الإسلامية في هذه
الأيام من شقاق ونزاع كان من أهم أسباب الانحراف الفكري، فالانحراف الفكري
عبارة عن خلل مفاهيمي في العقائد أو القيم يتطور إلى أن يحدث نزاع وشتاق؛ لذا
حذر الرسول ﷺ من هذا الانحراف في الأمن فقال: (يخرج فيكم قوم تحقرون صلاتكم
مع صلاتهم وصيامكم مع صيامهم وعملكم مع عملهم ويقرؤون القرآن لا يجاوز
حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية)^(١)؛ وأمر بحماية

(١) رواه البخاري في الصحيح (٤/ ١٩٢٨) ح (٤٧٧١).

المجتمع منهم حتى إن وصل الأمر إلى القتال، قال: (إِنَّ مِنْ ضَيْضِيءٍ^(١) هَذَا قَوْمًا يَقرءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ حَنَا جَرَهُمْ يَقْتُلُونَ أَهْلَ الْإِسْلَامِ وَيَدْعُونَ أَهْلَ الْأَوْثَانِ يَمْرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ لَئِنْ أَدْرَكْتَهُمْ لَأَقْتُلَنَّهْمُ قَتْلَ عَادٍ)^(٢).

وبناءً على ما سبق فإن الأمن الفكري ضرورة دينية مجتمعية سياسية، لا بد من العناية به بشتى الطرق سواء العلمية أو الاجتماعية أو السياسية؛ فلا بد من حماية المجتمع بشتى الطرق، ولا شك بأن الجهد الأكبر في ذلك يقع على عائق مؤسسات التعليم وبالأخص الجامعات؛ ولذا فإن ما تقدمه جامعة المنيا - مشكورة - من جهود في تنظيم مثل هذا الملتقى العلمي هو أحد الروافد لتصحيح المسار الفكري ولتنقل للعالم أجمع أن الإسلام دينٌ وَسَطِي جاء لصالح البشرية وهداية الناس وعمارة الأرض.

وفي هذا الإطار بأن هذا البحث لبيان مفهوم الأمن الفكري؛ إيضاحاً للمفهوم الذي يسهم في تصحيح المسار وإيضاح خارطة الطريق في هذا المجال؛ فلا يمكن للباحث دراسة الأمن الفكري دون تحديد المفهوم؛ إذ بالمفهوم تتحدد مبادئ الموضوع، وأقسامه، وحدوده.

إن الناس يختلفون تبعاً لاختلاف مفاهيمهم، وبهذا يعد العلم بحقائق الأشياء والوعي بالمفاهيم مدخلاً رئيساً؛ لتضييق دائرة الخلاف، أو إزالته.

والأمن الفكري مفهوم مركب من شقين: أمن وفكر، فلا بد من بيان المراد بالأمن والمراد بالفكر ثم بيان المفهوم بصفته مصطلحاً، لإيضاح ذلك وتأصيله لا بد من استقراء نصوص الشريعة وأطروحات العلماء.

وسأتناول موضع الدراسة وفق المحاور التالية:

أولاً: الدلالات اللغوية والشرعية للمفهوم.

ثانياً: الدلالات الاصطلاحية للمفهوم.

ثالثاً: نشأة المفهوم وتطوره.

رابعاً: علاقة مفهوم الأمن الفكري بالمصطلحات ذات الصلة.

(١) من نسله وعقبه. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: ابن الأثير (٣/ ٦٩).

(٢) رواه البخاري في الصحيح (٣/ ١٢١٩) ح (٣١٦٦)، ومسلم في الصحيح واللفظ لمسلم (٣/ ١١٠) ح (٢٤٩٩).

- أهداف الموضوع:

- ١- بيان المراد بالأمن الفكري وتأصيله.
- ٢- بيان تطور مفهوم الأمن الفكري.
- ٣- بيان المصطلحات المقاربة لمفهوم الأمن الفكري وتحريرها.

- منهج البحث:

- سأستخدم المنهج الوصفي التأصيلي، أما المنهج الفني فالتزم بما يلي:
١. عزو الآيات إلى مواضعها في القرآن الكريم بذكر اسم السورة ورقم الآية، مع كتابة الآية بالرسم العثماني، وسيكون عزو الآيات في صلب البحث حتى لا يثقل الحاشية.
 ٢. تخريج الأحاديث والآثار الواردة من مصادرها الأصلية بطريقة مختصرة؛ فإن كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت بتخريجه منهما بذكر الكتاب والباب أو الكتاب والحديث، وإن كان في غيرهما بىنت درجته من كتب التخريج المعتمدة.
 ٣. عزو الأشعار لقائلها، وذكر مصادرها من دواوين الشعر المعتمدة.
 ٤. الاقتباس: يراعى في الاقتباس ما يلي:
 - أ- يتبع في اقتباس النصوص المنقولة ما يلي:
 - وضع الآيات القرآنية بين قوسين مزهرين (....).
 - وضع الأحاديث النبوية والآثار بين قوسين كبيرين هلالين (.....)
 - النقول الأخرى المنقولة بالنص بين قوسين مزدوجين "....."
 - ب- اتبعت في توثيق الاقتباس في الحاشية ما يلي:
 - تكون الإحالة على المصادر في حال النقل بالنص: بذكر اسم الكتاب والمؤلف والجزء والصفحة، وفي حال النقل بالمعنى: بذكر ذلك مسبوقه بكلمة (انظر).
 - في حال تكرار الإحالة على المرجع بدون فاصل يكتفى بذكر كلمة: المرجع السابق
 - والصفحة. - المعلومات المتعلقة بالمراجع (الناشر - رقم الطبعة - مكانها - تاريخها) يكتفى بذكرها في قائمة المصادر والمراجع.

مفهوم الأمن الفكري في ضوء الإسلام

- تقسيمات البحث:

يتضمن البحث، مقدمة وخمسة مباحث:

المقدمة.

المبحث الأول: مفهوم الأمن في اللغة والاصطلاح.

المبحث الثاني: مفهوم الفكر في اللغة والاصطلاح.

المبحث الثالث: تعريف مصطلح الأمن الفكري.

المبحث الرابع: نشأة مفهوم الأمن الفكري وتطوره.

المبحث الخامس: المصطلحات ذات الصلة.

الخاتمة وفيها: النتائج والتوصيات

المبحث الأول: مفهوم الأمن في اللغة والاصطلاح، ويشتمل على مطلبين.

المطلب الأول: مفهوم الأمن لغة:

قال ابن فارس: "الهمزة والميم والنون أصلان متقاربان:

أحدهما: الأمانة التي هي ضد الخيانة، ومعناها سكون القلب

الآخر: التصديق

والمعنيان متدانيان.

قال الخليل: الأمانة من الأمن. والأمان إعطاء الأمانة. والأمانة ضد الخيانة،

يقال أمنت الرجل أمناً وأمنة وأماناً، وآمني يؤمّني إيماناً. والعرب تقول: رجل أمان، إذا كان أميناً^(١).

والأمن: ضد الخوف. والأمانة: ضد الخيانة^(٢).

وفي القرآن: {وَلْيَبْدُوا لِنَفْسِهِمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا} [النور: ٥٥] فالأمن خلاف الخوف

فكأنه جعل مكان الخوف أمناً أي ذهب بالخوف وجاء بالأمن^(٣).

وقال الراغب: "أصل الأمن: طمأنينة النفس وزوال الخوف"^(٤).

ويظهر من خلال ما سبق أن الأمن في اللغة يدور حول أمرين:

أولاً: الطمأنينة والشعور بالرضاء.

ثانياً: التصديق والثقة وعدم الخوف.

ويمكن القول بأن الأمن في اللغة يعني: سكون القلب واطمئنانه بعدم وجود مكروه أو توقعه.

المطلب الثاني مفهوم الأمن اصطلاحاً:

تعددت التعريفات الاصطلاحية للأمن باختلاف المنظور الذي ينظر منه الباحثون

عند تعريفهم للأمن، والتعريف اصطلاحاً مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالتعريف اللغوي،

ومن أهم التعريفات:

(١) مقاييس اللغة: ابن فارس (١/ ١٣٣)

(٢) انظر: الصحاح للجوهري (٦/ ٣٤٩)، ولسان العرب (١٣/ ٢١)

(٣) انظر: معاني القرآن للفراء (٢/ ٢٥٩).

(٤) المفردات في غريب القرآن (ص: ٩٠).

تعريف الجرجاني، حيث عرفه بأنه: "عدم توقع مكروه في الزمان الآتي"^(١)، وزاد المناوي بأنه: "عدم توقع مكروه في الزمن الآتي وطمأنينة النفس وزوال الخوف"^(٢).
إن هذا التعريف للأمن يشمل جميع أنواع الأمن سواء النفسي أو الجسدي أو الاقتصادي أو الفكري.

وبهذا يدخل مفهوم الأمن تحت مقاصد الشريعة الإسلامية التي جاء الشرع بحفظها: الدين والنفس والنسل والمال والعقل.

ولمصطلح الأمن تقسيم آخر بأنه يتكون من مفهومين أساسيين وهما:

- الأمن الجنائي وهو أمن الضرورات الخمس: الدين والنفس والنسل والمال والعقل.

وأمن المجتمع من أمن أفراده فبقدر ما يكون الأفراد أمنين بقدر ما يكون المجتمع آمناً.

- الأمن الوطني: هو مفهوم حديث بالرغم من أنه من حيث الممارسة موجود منذ استقرار الإنسان وتحضره.

ويقصد بالأمن الوطني: أمن الدولة في عناصرها الأساسية: الشعب والأرض والسيادة ونظام الحكم؛ من حيث حفظ حقوق المواطنين الخاصة والعامّة ومن حيث منع الاعتداءات على سيادة الدولة وكيانها من الضن الداخلية والاعتداءات الخارجية^(٣).

ولا مانع من تداخل المفهومين فكلاهما يؤثر في الآخر.

ففي ضوء هذه الاعتبارات يمكن تعريف الأمن بأنه: الاستقرار والاطمئنان في الأوطان، ولدى الأفراد في ذواتهم وعلاقاتهم، سالماً من كل ما ينتقص أو يهدد: دينه أو نفسه أو نسله أو ماله أو عقله.

(١) التعريفات: الجرجاني (ص ٣٧).

(٢) انظر: التوقيف على مهمات التعاريف (ص: ٩٤).

(٣) انظر: حديث عن مفهوم الأمن والوطن: حديث عن مفهوم الأمن والوطن: د. عبدالله السراتي، -

صحيفة المدينة ٢٠١٠/٠٦/٠٤م، عدد/ ١١٦٢٦ - <https://al.www/article/com.madina> - ١١٦٢٦.

المبحث الثاني: مفهوم الفكر، وفيه مطلبان.

المطلب الأول: مفهوم الفكر لغة.

قال ابن فارس: "الفاء والكاف والراء تردد القلب في الشيء، يقال تفكر إذا ردد قلبه معتبراً"^(١)، وقال ابن منظور: "إِعْمَالُ الْخَاطِرِ فِي الشَّيْءِ"^(٢).

والفكر: الإقبال على التفكير والفكرة، يقول: الفكر للفكرة والفكري على فعلي^(٣).

ويظهر من خلال التعريفات أن الفكر هو: نظر القلب أو العقل.

المطلب الثاني: مفهوم الفكر اصطلاحاً:

اعتماداً على ما جاء في التعريفات اللغوية اختلفت تعاريف المفسرين والعلماء لمصطلح التفكير على أن أغلبها لم تخرج عن إطار المعاني اللغوية، وفيما يأتي عرض لبعض التعريفات:

يقول الراغب الأصفهاني: "الفكرة: قوة مطرقة للعلم إلى المعلوم، والتفكر: جولان تلك القوة بحسب نظر العقل... لكن يستعمل الفكر في المعاني، وهو فرك الأمور وبحثها طلباً للوصول إلى حقيقتها"^(٤)؛ وهذا يدل على أن الفكر يدور حول المعاني. ويقول الجرجاني: "الفكر: ترتيب أمور معلومة لتؤدي إلى مجهول"^(٥)؛ وهذا يدل على أنه نوع من الترتيب الفكري.

وفي المعجم الفلسفي: "الفكر حركة النفس في المعقولات من المطالب إلى المبادئ تارة، ومن المبادئ إلى المطالب أخرى"^(٦).

ومن عرفه من خلال قصره على المصطلح الفكري والفلسفي يرى بأنه: "الفاعل الذي تقوم به النفس عند حركتها في المعقولات؛ أي النظر والتأمل والتدبر والاستنباط والحكم، ونحو ذلك. وهو كذلك المعقولات نفسها؛ أي الموضوعات التي

(١) مقاييس اللغة (٤/ ٤٤٦).

(٢) لسان العرب (٥/ ٦٥).

(٣) انظر: تهذيب اللغة: الأزهرى (١٠/ ١١٦).

(٤) المفردات في غريب القرآن (ص: ٦٤٣).

(٥) التعريفات (ص: ١٦٨).

(٦) المعجم الفلسفي: جميل صليبا (٢/ ٨٨).

أنتجها العقل البشري"^(١). وبناءً على هذا، فمفهوم الفكر يشمل النظر العقلي، وما ينتج عن ذلك النظر والتأمل من علوم ومعارف.

وخلاصة القول: أن هذه التعريفات اتفقت على ما يلي:

- الفكر قوة أو ملكة، والتفكير أعمال لتلك الملكة، فليس كل من يملك تلك القوة هو متفكر، بل يمكنه ذلك بحسب إرادته، والعوامل المساعدة.
- الفكر عملية يشترك فيها العقل مع القلب، فهي حالة ذهنية وجدانية.
- التفكير عملية هدفها استثمار المعارف للوصول إلى حقائق جديدة مطلوبة، ولا معنى للتفكير بدون تحقيق هذا الهدف.

ومن خلال هذه التعريفات يمكن استخراج تعريف عام للفكر بأنه: عمل العقل ونتاجه، والذي يشمل التفكير في مقوماته ومصادره ومناهجه، إضافة إلى قضايا الفكر والمذاهب الفكرية مما يمس الواقع الاجتماعي^(٢).

المبحث الثالث: مفهوم الأمن الفكري باعتباره مصطلحاً.

يعتبر مصطلح الأمن الفكري من المصطلحات الحادثة، وتختلف دلالة هذا المفهوم من مجتمع إلى آخر، وقد يتأثر هذا المفهوم بفكر أو عقيدة المجتمع ومثال ذلك: في الغرب الرأسمالي مثلاً يقتصر مفهوم الأمن الفكري على حماية الفكر السياسي (الديمقراطية) والفكر الاقتصادي (الرأسمالية)، دون الفكر الاجتماعي والعقيدة الدينية التي أُعتبرت - في الغرب الرأسمالي - من الحقوق الفردية الخالصة التي يجوز للفرد أن يستخدمها كيفما شاء دون تدخل من المجتمع، في حين أن الإسلام يضم هذه الأسباب الثلاثة إلى النفس والمال باعتبارها المصالح الخمس المعتبرة في الشريعة الإسلامية، والتي بدون حمايتها ينعدم الشعور بالأمن أو ينقص بحسب فقدانها كلها أو بعضها؛ وهذا الاختلاف يرجع - كما هو معروف - إلى التوسع المبالغ فيه في مفهوم الحرية الفردية في الغرب^(٣).

(١) حقيقة الفكر: عبدالرحمن الزبيدي، ص: ١٠.

(٢) انظر: "الثقافة الإسلامية: تخصصاً ومادة وقسمًا علمياً" ص: ١٤.

(٣) انظر: الأمن الفكري والعقائدي - مفاهيمه وخصائصه - أحمد المجدوب، ص: ٥٤.

أما في التراث الإسلامي، وبالرغم من حداثة المصطلح إلا أنه من حيث المضمون يدخل ضمن مقاصد الشريعة المأخوذة من الكتاب والسنة.

فالشريعة الإسلامية جاءت بحفظ الضروريات الخمس: (الدين، والنفس، والعقل، والمال، والنسل) وهذا يدل على أن مفهوم الأمن الفكري من المضامين الشرعية فحماية الدين والعقل من ضروريات الأمن الفكري^(١).

وقد اختلفت عبارات الباحثين ووجهات نظرهم في تحديده، وضبط مفهومه، بحسب الجهات التي نظر إليها، كل منهم:

- فمنهم من نظر إليه من حيث ارتباطه بالمجتمع المسلم فعرفه بقوله: "أن يعيش المسلمون في بلادهم آمنين على مكونات أصالتهم وثقافتهم النوعية ومنظومتهم الفكرية المنبثقة من الكتاب والسنة"^(٢). وهذا التعريف فيه توصيف الأمن الفكري، إلا أنه قيده بأمن المسلمين بال فكر المنبثق من الكتاب والسنة.

- ومنهم من وسع الدائرة؛ فنظر إليها باعتبار ارتباطه بالمجتمع الإنساني فقال: "الأمن الفكري هو أن يعيش الناس في بلدانهم وأوطانهم وبين مجتمعاتهم آمنين مطمئنين على مكونات أصالتهم، وثقافتهم النوعية ومنظومتهم الفكرية"^(٣). ويلاحظ أن هذا التعريف أوسع من السابق فينتج عنه توصيف الأمن الفكري؛ بأنه حالة من الطمأنينة على المكونات الثقافية والفكرية دون تقيده بدين.

- ومنهم من نظر إليه باعتبار الإنسان الفرد، فقال: "أنه سلامة فكر الإنسان وعقله وفهمه من الانحراف والخروج عن الوسطية، والاعتدال في فهمه الأمور الدينية والسياسية. وتصوره للكون بما يؤول به إلى الغلو والتنطع، أو

(١) انظر: الأمن الفكري في ضوء السنة النبوية: عبدالرحمن اللويحق، ص ١١٠.

(٢) مقال ضمن كتاب الأمن الفكري: عبدالرحمن السديس، ص ١٦.

(٣) الأمن الفكري وعناية المملكة العربية السعودية به: عبدالله التركي ص ٦٦.

إلى الإلحاد والعلمنة الشاملة"^(١). وفي هذا التعريف تركيز على الفرد بالحماية من الانحراف بشتى أنواعه.

- ومنهم من نظر إليه باعتبار الفكر على ما هو عليه، فقال: "الاطمئنان إلى سلامة الفكر من الانحراف الذي يشكل تهديداً للأمن الوطني أو أحد مقوماته الفكرية والعقدية والثقافية والأخلاقية والأمنية"^(٢). وفي هذا التعريف تركيز على قضية الأمن الوطني وأهمية الأمن الفكري بشتى مجالاته في حفظه.

ويلاحظ بعد هذه العرض أن الأمن الفكري قد تشعب الباحثون في تعريفه كل حسب اتجاه دراسته ورؤيته وفي الغالب أنه يدور في ثلاث اتجاهات:

- ١- الاتجاه السياسي؛ وذلك بتوفير المناخ الصحي للفرد أن يبدي ويفكر ويشارك في بناء المجتمع، ويكفل له حرية الرأي والتعبير المنضبط.
- ٢- الاتجاه الديني والثقافي؛ وذلك بتكريس الحوار والتسامح والتعايش السلمي بين الأديان والثقافات المتنوعة.
- ٣- الاتجاه الاقتصادي؛ ويرى أصحاب هذا الاتجاه أنه كلما توفرت أسباب الرقي الاقتصادي والتنمية الشاملة لكافة الشرائح قويت أسس الأمن الفكري^(٣).

ومن خلال التعريفات السابقة يتضح أن الأمن الفكري لا بد أن يتضمن ما يلي:

- حماية فكر الفرد من الانحراف أو الخروج عن منهج الوسطية والاعتدال.
- حماية المنظومة العقدية والفكرية والأخلاقية للمجتمع بعيداً عن الخلاف والشقاق.
- حماية الفكر من الانحراف - باعتباره منتجاً وطنياً - من التطرف والإرهاب وغيرها من نتائج الانحراف الفكري.

ويمكن تعريف الأمن الفكري من خلال ما سبق بأنه: الإجراءات التي تكفل الحفاظ على سلامة الفكر من كل ما يهدده على مستوى الفرد أو المجتمع أو الوطن.

(١) الأمن الفكري الإسلامي: سعيد الوادعي، ص ٥٠.

(٢) نحو مجتمع آمن فكرياً: د. عبد الحفيظ المالكي، ص ١٠٣.

(٣) انظر: واقع الأمن الفكري: محمد الحبيب حريز ضمن كتاب الأمن الفكري: ص ٨٢ - ٨٣.

المبحث الرابع: نشأة مفهوم الأمن الفكري وتطوره، وفيه مطلبان.

المطلب الأول: نشأة مفهوم الأمن الفكري.

المطلب الثاني: تطور مفهوم الأمن الفكري.

المطلب الأول: نشأة مفهوم الأمن الفكري.

من قَدَر الله الكوني وجود الخير والشر، ووجود الحق والباطل؛ ولذا لا عجب أن يحصل الانحراف عن المنهج السليم، ومن يتتبع آيات القرآن الكريم لا يعجزه أن يقف على حقيقة مفادها أن الصراع بين الحق والباطل هو سنة أقام الله عليها هذه الحياة، وأن الحياة لا يمكن أن يسودها الحق، بحيث تخلو من الانحراف، وبالمقابل لا يمكن أن تعاني من الضلال بحيث لا يكون فيها قائم بالحق، وهذا قدر الله بعدله وجود الخير والشر^(١)، وقد أمر الله عزوجل عباده بالعمل وفق الحق والمحافظة عليه واجتناب الباطل والحذر منه، فقال: {وَلَا تَلْبَسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ} [البقرة: ٤٢] والله خلق الباطل لتمييز الحق وأهله، قال تعالى: {لِيُمَيِّزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ} [الأنفال: ٣٧]^(٢).

وقد كان أول انحراف فكري ظهر في الكون هو انحراف إبليس حين رفض طاعة أمر الله له بالسجود لآدم، ففي الوقت الذي سجد فيه الملائكة كلهم، رفض إبليس الأمر الإلهي، محتجاً على الله تبارك وتعالى بتأويل منحرف بقوله: {أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ} [الأعراف: ١٢]^(٣)، واستمر هذا الانحراف بقدر الله على بني آدم، وسوف يستمر إلى يوم القيامة؛ فالانحراف السلوكي أو الفكري قائم منذ وضع الله الخليقة في الأرض، وليس حدثاً جديداً على البشرية، وإنما الاختلاف في توصيف هذا الانحراف ونوعه، وقوة تأثيره.

أما في تاريخ الإسلام فقد بدأ الانحراف الفكري من أواخر عهد النبي ﷺ حيث بدأت بعض بوادر الانحراف العقدي وحذر منه النبي ﷺ عندما جاءه رجل كثر اللحية مشرف الوجنتين غائر العينين نأتى الجبين مخلوق الرأس فقال اتق الله يا محمد،

(١) انظر: شرح الطحاوية: ابن أبي العز (٢ / ٦١٤).

(٢) انظر: روح المعاني: الألويسي (١ / ٢٤٦).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى: ابن تيمية (٥ / ١٥).

- قال - فقال رسول الله : (فَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَإِنِ عَصَيْتُهُ أَيَامُنُنِي عَلَى أَهْلِ الْأَرْضِ وَلَا تَأْمُنُونِي) ثم أدبر الرجل فاستأذن رجل من القوم في قتله - يرون أنه خالد بن الوليد - فقال رسول الله : (إِنَّ مِنْ ضَيْضِيَاءٍ ^(١) هَذَا قَوْمًا يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ يَقْتُلُونَ أَهْلَ الْإِسْلَامِ وَيَدْعُونَ أَهْلَ الْأَوْثَانِ يَمْرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ لَئِنْ أَدْرَكْتَهُمْ لَأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ عَادٍ) ^(٢). وهذه بذرة لم ينشأ عنها افتراق أو شقاق، وكان أول خلاف أدى إلى شقاق ونزاع هو في مقتل عثمان ؓ وما تبعه من مسألة التحكيم والحروب بعد ذلك ^(٣).

ونتج عن هذا الانحراف تكفير المسلمين واستباحة الدماء قال ابن تيمية: "وهم أول من كفر أهل القبلة بالذنوب بل بما يروونه هم من الذنوب واستحلوا دماء أهل القبلة" ^(٤).

وبالإضافة إلى الانحراف الذي بعثه سوء الفهم وغلبة الهوى، كان هناك انحراف فكري آخر يهاجم أهل الإسلام؛ فقد استمرت الحروب الفكرية ضد الإسلام بشتى المجالات، وكان هدفها القضاء على الإسلام باعتباره شريعة ونظام حكم وحياة، وتفتيت الوحدة بين أبناء الأمة الواحدة وإثارة الفتن بين المسلمين وإضعاف دولهم وتهديد أوطانهم، وقد بدأ أعداء الإسلام بعد فشل الاستعمار العسكري بالتركيز على الغزو الفكري باختلاف مجالاته من قبل مؤسسات وتيارات متعددة: كالاستشراق والتنصير والإلحاد وغيرها.

المطلب الثاني: تطور مفهوم الأمن الفكري.

ظهر مصطلح الأمن - كما هو متعارف عليه - بعد الحرب العالمية الثانية، ومع تطور الدراسات الأمنية أصبح فناً قائماً بذاته ^(٥).

وفي نهاية الحرب الباردة وسقوط الاتحاد السوفييتي وظهور النظام العالمي الجديد حدث تحول جذري في الساحة الدولية، وظهرت تحديات مختلفة، كالعولمة وغيرها؛

(١) سبق بيانه ص ١.

(٢) رواه البخاري في الصحيح (١٢١٩/٣) ح (٣١٦٦)، ومسلم في الصحيح واللفظ لمسلم (١١٠/٣) ح (٢٤٩٩).

(٣) انظر: الخوارج أول الفرق: ناصر العقل.

(٤) مجموع الفتاوى: ابن تيمية (٤٨١/٧).

(٥) انظر: المفهوم الأمني في الإسلام: علي بن فايز الجحني (ص ١١).

ونتيجة لذلك تعرضت قيم المجتمعات والدول إلى أنواع متعددة من الضغوط والأخطار الفكرية المؤثرة على استقلالها وتطلعاتها، ومن هذه التحديات تعرض مفهوم الأمن - باعتباره مفهوماً رئيسياً في العلاقات الدولية- إلى التحول والتغير؛ فهذه التطورات دفعت مفهوم الأمن من المفهوم الضيق وهو: الأمن العسكري إلى المفهوم الواسع، ومن ضمنه الأمن الفكري الذي سيقود حتماً إلى تحقيق الأمن الشامل^(١).

ويعتبر من أقدم من عرف الأمن الفكري الدكتور فهد الدعيج في كتابه: "الأمن والإعلام"، المنشور في عام ١٩٨٦م؛ حيث اجتهد في فهم الأمن بصورة ربطها بالضروريات الخمس، حيث رأى أن الأمن في الإسلام يشمل الجوانب التالية: الأمن الديني، والأمن النفسي والجسدي، والأمن العقلي والفكري، والأمن المالي أو الاقتصادي، والأمن الاجتماعي.

ويرى أن الأمن الفكري يتناول حماية عقل الإنسان، وكذلك يتناول حماية ابتكارات الإنسان، ومعارفه ومنتجاته الفكرية، ووجهات نظره، وحرية رأيه، ويعتبر الإسلام الاعتداء على تلك الجوانب لا يقل خطورة عن الاعتداء على ذات الإنسان^(٢).

وبعد هذه الدراسة توالت البحوث والدراسات، وتعتبر الثقافة الإسلامية رائدة في بحث قضايا الأمن الفكري عن غيرها من الثقافات، ومن أقدم من كتب دراسة خاصة في مفهوم الأمن الفكري الدكتور: أحمد المجذوب، في كتابه الأمن الفكري والعقائدي - مفاهيمه وخصائصه - ويرى أن الخلاف في الأمن الفكري يعود إلى الخلاف في توصيف الأمن^(٣).

ويمكن تلخيص أسباب الخلاف في فهم الأمن الفكري، إلى ثلاث اتجاهات في دراسة مفهوم الأمن وهي:

(١) انظر: الأمن الفكري: المفهوم، التطورات، الإشكالات. د. إبراهيم الفقي (ص٤).

(٢) انظر: الأمن والإعلام في الدولة الإسلامية: فهد الدعيج (ص١٠٤).

(٣) انظر: الأمن الفكري والعقائدي - مفاهيمه وخصائصه - أحمد المجذوب، ص٥٤ وما بعدها.

الاتجاه الأول: الاتجاه الغربي حيث تركزت دراسة الأمن على الاستراتيجية العسكرية بصفته وسيلة فعالة في مواجهة التهديدات الخارجية؛ ويتبع ذلك العناية بالأمن الاقتصادي.

الاتجاه الثاني: الاتجاه الوسط، ويسمى مفهوم الأمن الجماعي ويعتمد التركيز على المصلحة العليا للأسرة الدولية.

الاتجاه الثالث: ويتجه إلى الاهتمام بالأمن والاستقرار في العالم الثالث، ويرى أصحاب هذا الاتجاه أن مفهوم الأمن بالمدرسة الغربية يعد ضيقاً؛ فهو غير قادر على تحقيق الأمن بمفهومه الشامل؛ ولذلك يميلون في دراساتهم إلى أن العوامل الداخلية تمثل المصدر الحقيقي للتهديد فضلاً عن العوامل الخارجية؛ وذلك بسبب محدودية الأمن في العالم الثالث، وبسبب ذلك تنوعت الدراسات الأمنية لتكون حزمة الأمن الشامل^(١).

وبعد هذا يظهر تميز الثقافة الإسلامية في دراسة مفهوم الأمن الفكري؛ ويرجع ذلك إلى قرب هذا المصطلح من أصول شرعية كالمحافظة على الضروريات الخمس. المبحث الخامس: المصطلحات ذات الصلة.

ليتبين مصطلح الأمن الفكري جلياً؛ لأبد من بيان بعض المصطلحات ذات الصلة به، وسيكون الحديث في هذا المبحث عن هذه المصطلحات والتعريف بها، وعلاقة كل منها بالأمن الفكري، ومن أهم هذه المصطلحات ما يلي:

أولاً: الغزو الفكري:

يعتبر مصطلح الغزو الفكري من المصطلحات الحادثة التي لم تعرف من قبل كمصطلح الأمن الفكري، ويعرف بأنه: "إخضاع أمة لأخرى عن طريق تغيير أفكار الأمة المغزوة، لاعتناق أفكار الأمة الغازية حتى تكون تبعاً لها... وهو بمقابل الغزو العسكري"^(٢). ويظهر من هذا التعريف أن الغزو الفكري يكون بين دولتين: الدولة الغازية والدولة المغزوة، والسلاح المستخدم هو الفكر.

(١) انظر: المفهوم الأمني في الإسلام: علي بن فايز الجحني (ص ٢٠).

(٢) أضواء على الغزو الفكري: سهير مختار (ص ٤٥).

ومن التعريفات: "أن تتبنى أمة من الأمم معتقدات أو أخلاق غيرها من الأمم"^(١)، قد يكون هذا التعريف يحمل معنى نتائج الغزو الفكري، وليس الغزو بذاته؛ فتبني الفكر هو نتاج الغزو أما الغزو فهي حرب فكرية.

ولعل التعريف المختار أن الغزو الفكري هو: حرب فكرية موجهة من أمة أو جماعة تجاه أخرى للتأثير على منظومتها الفكرية ومبادئها وقيمتها.

وقد استخدم في الغزو الفكري عدة أساليب منها التبشير والاستشراق، وتتنوع هذه الوسائل بحسب الزمان والمكان المناسب^(٢).

والعلاقة بين الأمن الفكري والغزو الفكري: أن كليهما يتعلقان بفكر الضرد والمجتمع ويؤثران فيه، ويختلف الغزو الفكري عن الأمن الفكري: بأن الأمن الفكري احتراز من الآفات المؤثرة في الفكر إضراراً به أو انحرافاً به عن مساره، وبهذا فإن الأمن الفكري عكس الغزو الفكري.

والغزو الفكري غالباً يكون من خارج البلاد المغزوة، أما الأمن الفكري فهو تحصين ضد أي اختلال فكري إما من الداخل أو الخارج.

ثانياً: الوسطية.

تعتبر الوسطية من القيم المميزة في الإسلام، وهي أعظم ما يتميز به أهل السنة والجماعة، والوسطية معناً أصيل في القرآن قال تعالى: { وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا } [البقرة: ١٤٣]؛ فالله امتن على هذه الأمة بأن جعلها وسطاً في كل شيء؛ فهي وسط في العقائد والشرائع والأخلاق والمعاملات^(٣)، ومصطلح الوسطية من المصطلحات المهمة التي تحمل معانٍ قيمة ومن أبرزها ما يلي:

الوسطية هي: المنهج الذي اتبعه أهل السنة والجماعة باتباع ما جاء من الله وجاء من الرسول ' بلا إفراط ولا تفريط، وما اعتقدوه من عقائد بلا غلو ولا جفاء؛ حتى أصبح منهجاً وسطاً جانب الإفراط والتفريط^(٤).

(١) أضواء على مفهوم الغزو الفكري: فايز الربيع (ص ١٢٠).

(٢) انظر: المرجع السابق (ص ١٢٢).

(٣) انظر: تفسير ابن كثير (٤٥٢/١)، وانظر: تفسير السعدي (ص ٤٥٢).

(٤) انظر: مجموع الفتاوى: ابن تيمية (٣٧٣/٣). وانظر: موسوعة العقيدة والأديان: مجموعة من المؤلفين (٣١٠/٦).

العلاقة بين الأمن الفكري والوسطية: أن الوسطية منهدج يدعو إلى الاعتدال والاستقامة، ويتحقق بها الأمن الفكري؛ فغالبا الانشقاق والنزاع بين المسلمين حدث بسبب انحراف فكري، ولا يمكن تحقيق الاستقامة الفكرية إلا بمنهج وسطي عدل؛ لذا من التعريفات المهمة للأمن الفكري بأنه: حماية فكر الفرد من الانحراف أو الخروج عن منهج الوسطية والاعتدال.

وتختلف الوسطية عن الأمن الفكري أن الوسطية هي أحد الأسباب المهمة لتحقيق الأمن الفكري، وليست هي الأمن الفكري بذاته.

ثالثاً: الانحراف الفكري.

يعتبر الانحراف بشتى مجالاته سلوكاً مخالفاً عما عليه المجتمع، وخروجاً عن النظام بقواعده وتشريعاته، ومن التعريفات الجامعة له: "هو انحراف الأفكار أو المفاهيم أو المدركات عما هو متفق عليه من معايير وقيم ومعتقدات سائدة في المجتمع. أو بصيغة أخرى هو الفكر الذي لا يلتزم بالقواعد الدينية والتقاليد والأعراف والنظم الاجتماعية السائدة والملزمة لأفراد المجتمع"^(١)، ويتصف مفهوم الانحراف الفكري بأنه مفهوم نسبي متغير، فما يعد انحرافاً فكرياً في مجتمع ما، لا يعد كذلك في مجتمع آخر، وذلك لاختلاف القيم والمعايير الدينية والاجتماعية والثقافية لدى كل مجتمع.

ويمكن تعريفه من خلال الثقافة الإسلامية بأنه: "الميل إلى غير الحق في أصول الدين فيما ينتجه عقل الإنسان من رأي"^(٢).

العلاقة بين الانحراف الفكري والأمن الفكري: علاقة مواجهة؛ فالانحراف الفكري من أهم مهددات الأمن الفكري؛ فما حصل في العالم الإسلامي سابقاً من نزاع وانشقاق وحروب كان أحد أهم أسبابه الانحراف الفكري^(٣)، وما يحصل في

(١) الانحراف الفكري وأثره على الأمن الوطني في دول مجلس التعاون لدول الخليج العربي ص ٥.

(٢) حماية المجتمع المسلم، من الانحراف الفكري: عبد الله بن عبد العزيز الزايدى، مجلة البحوث الإسلامية (٧٧ / ٢٣٩).

(٣) انظر: ذكر ما كان من خير الخوارج: تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري (٧٢ / ٥).

هذه الأيام من انشقاق ودعوة إلى النزاع والشقاق بين المسلمين ما هو إلا بسبب الانحراف الفكري، وعلى هذا فالانحراف الفكري عكس الأمن الفكري الذي ينشده المسلمون.

ومن مظاهر الانحراف الفكري:

- التطرف: ويعتبر التطرف صيغة من المغالاة في الاتجاهات التي يعتنقها المتطرف، ويكون مصحوباً بشحنات انفعالية حادة يمكن من خلالها أن يسلك المتطرف سلوكاً عدوانياً.

والتطرف هو أحد المظاهر التي تبعد عن الوسطية أو الاعتدال، إفراطاً أو تفريطاً، أو بعبارة أخرى: سلبياً أو إيجابياً، زيادة أو نقصاً^(١).

- الإرهاب: وهو في الغالب: عنف منظم ومتصل بقصد تحقيق أهداف سياسية، ويندرج تحته كل فعل من أفعال العنف أو التهديد به، أيّاً كانت بواعثه وأغراضه، وقد يتجه الإرهاب نحو الفكر بالاعتداء على عقول الناس، أو حرياتهم التي كفلها الشرع، سوى بالإيذاء المادي أو المعنوي، دون مسوغ شرعي^(٢).

ويرى بعض الباحثين أن من أنواع الإرهاب، إرهاب الفكر وهو: "حالة من فرض الفكر الإرهابي إما بالاستدراج والخداع، وأحياناً بالقوة أو بأي أسلوب آخر من أساليب تطويع الأفكار وتغييرها، وسواء تم هذا التغيير بطريقة تدريجية، أم تم بطريقة سريعة"^(٣).

- الغلو: تدور معاني الغلو حول مجاوزة الحد والقدر^(٤). قال ابن تيمية: "والغلو:

(١) انظر: الجذور التاريخية لحقيقة الغلو والتطرف والإرهاب والعنف: علي بن عبد العزيز الشبل، ص ١٢، منشور في موقع مكتبة نور على الشبكة العنكبوتية <https://www.syawar.us/cutt/>

(٢) انظر: الإرهاب صناعة غير إسلامية نبيل لوقا بباوي، ص ٥٨، وانظر: الإرهاب والعنف السياسي: أحمد

جلال عز الدين، ص ٤٩.

(٣) نظرة في مفهوم الإرهاب والموقف منه في الإسلام: عبد الرحمن المطرودي (ص: ١٩).

(٤) انظر: معجم مقاييس اللغة: مادة: (غلوى) .

مجاوزه الحد بأن يزداد الشيء، في حمده، أو ذمه ما يستحق، ونحو ذلك" (١).
ويعتبر الغلو مخالفاً لما جاءت به الشريعة فالشريعة الإسلامية جاءت واسطة
بين الإفراط والتفريط (٢).

(١) اقتضاء الصراط المستقيم: ابن تيمية (٤ / ٢٣٧).

(٢) انظر: المحجة في سير الدلجة: ابن رجب (ص ١٨).

الخاتمة والتوصيات:

في ختام هذه الورقة يتبين كيف عانى المسلمون من جراء الانحراف الفكري، وأن هذا الانحراف لا بد أن يجد موقفاً من أصحاب الثقافة والفكر؛ يؤول به إلى ضعف واختلال، وإن كثرة البحوث والدراسات في مثل هذه الموضوعات مما يعين على تحقيق المراد والوصول إلى نتائج قيمة؛ إذ لا بد من مقارعة الفكر بالفكر والمناظرة والمدارسة وغيرها لبنني سداً منيعاً وسياجاً حامياً للأجيال القادمة من شتى أنواع الانحراف الفكري المتطرف إما بالغلو أو التفريط، ولا بد من منهج وسطي نقي تقوم عليه أمة الإسلام لتبني الأوطان وتحقق النهضة التي ينشدها العقلاء، ويمكن تلخيص التوصيات بما يلي:

- ١- التوسع في بحوث البناء المفاهيمي لنهضة الفكر وتضييق دائرة الخلاف.
- ٢- الحرص على الاعتناء بالأمن الفكري لأنه ضرورة إنسانية لا بد منها.
- ٣- تكثيف الدراسات والبحوث حول الأمن الفكري بشتى مجالاته.
- ٤- وضع الخطط الكفيلة بتحقيق التنمية الشاملة والمستدامة والنهوض بالأوطان.
- ٥- بناء منهج وسطي علمي يتحقق به العدل، والأمان، ويمكن تفعيله في الواقع.
- ٦- تطوير آليات الحوار، والتوسع في مقارعة الفكر بالفكر لتحقيق الأمن الفكري.
- ٧- إقامة الندوات والمؤتمرات والأنشطة العلمية التي تسهم في نشر مفهوم الأمن الفكري.

المصادر والمراجع

- أدب الدنيا والدين: الماوردى، ط ١، دار مكتبة الحياة.
- الإرهاب صناعة غير إسلامية: نبيل لوقا بباوي، القاهرة، دار البباوي للنشر، ٢٠٠١ م.
- الإرهاب والعنف السياسي: أحمد جلال عز الدين، القاهرة، دار الحرية، ١٩٨٩ م.
- الانحراف الفكري وأثره على الأمن الوطني في دول مجلس التعاون لدول الخليج العربي: محمد دغيم الدغيم، البحث الفائز بجائزة مجلس التعاون للبحوث الأمنية.
- أضواء على الغزو الفكري: سهير مختار، مجلة التوعية الإسلامية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، س ٩ - ٨٤.
- أضواء على مفهوم الغزو الفكري: فايز الربيع (ص ١٢٠)، المجلة الثقافية - الجامعة الأردنية - ع ٤، ١٩٨٤ م.
- اقتضاء الصراط المستقيم: ابن تيمية، ط ٧، دار عالم الكتب، بيروت، لبنان، ١٤١٩ هـ.
- الأمن الفكري الإسلامي: سعيد الوادعي، مجلة الأمن والحياة "الرياض: جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، مركز الدراسات والبحوث ع ١٨٧، ١٤١٨ ق.
- الأمن الفكري في ضوء السنة النبوية: عبدالرحمن اللويحق، ص ١١٠، ط ١، جائزة نايف.
- الأمن الفكري والعقائدي - مفاهيمه وخصائصه - : أحمد المجذوب، ط ١، جامعة نايف للعلوم الأمنية، ١٤٠٨ هـ.
- الأمن الفكري وعناية المملكة العربية السعودية به: عبدالله التركي، مكة المكرمة مطابع رابطة العالم الإسلامي ١٤٢٣ ق.
- الأمن الفكري: المفهوم، التطورات، الإشكالات. د. إبراهيم الفقي، بحث مقدم للمؤتمر الوطني الأول للأمن الفكري بتاريخ ٢٢ - ٢٥ جماد الأول ١٤٣٠ هـ. كرسي الأمير نايف لدراسات الأمن الفكري بجامعة الملك سعود.
- الأمن الفكري: عبدالرحمن السديس، ط ١، الرياض: جامعة نايف العربية، مركز الدراسات والبحوث ١٤٢٦ ق - ٢٠٠٥ م.
- الأمن والإعلام في الدولة الإسلامية: فهد الدعيج، المركز العربي للدراسات الأمنية، ١٩٨٦ م، الرياض.
- تاريخ الرسل والملوك - تاريخ الطبري - ، ط ٢، دار التراث - بيروت.
- التعريفات: الجرجاني، ط ١، دار الكتاب العربي - بيروت.

المؤتمر الدولي العاشر

[دور العلوم العربية والإسلامية في تكريس الأمن الفكري وتحقيق السلام المجتمعي]

- تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، ط١، دار طيبة، ط٢، ت: سامي السلامة.
- تيسير العزيز الرحمن في تفسير القرآن: عبدالرحمن السعدي، ط١، مؤسسة الرسالة، ت: عبدالرحمن اللويحق.
- تهذيب اللغة: الأزهري، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت - ٢٠٠١م.
- التوقيف على مهمات التعاريف: المناوي، ط١، ١٤١٠ هـ، عالم الكتب القاهرة.
- الثقافة الإسلامية: تخصصاً ومادة وقسماً علمياً: أعدتها مجموعة من أعضاء هيئة التدريس بقسم الثقافة الإسلامية بكلية الشريعة بالرياض، ط١، ١٤١٧ هـ.
- الجامع الصحيح: البخاري، ط٣، دار ابن كثير، اليمامة - بيروت، ت: د. مصطفى ديب البغا.
- حقيقة الفكر: عبدالرحمن الزنيدي، ط٢، ١٤٢٢ هـ، دار المسلم.
- حماية المجتمع المسلم، من الانحراف الفكري: عبد الله بن عبد العزيز الزايد، مجلة البحوث الإسلامية، مجلة دورية تصدر عن الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء.
- الخوارج أول الفرق: ناصر العقل، ص٣١، ط٢، مدار الوطن.
- ذخيرة علوم النفس: كمال دسوقي، الدار الدولية للنشر القاهرة.
- روح المعاني: الألويسي، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- شرح الطحاوية: ابن أبي العز، ط٢، دار عالم الكتب، ت: شعيب الأرنؤوط.
- الصحاح للجوهري، ط٤، ١٩٩٠م دار العلم للملايين - بيروت.
- صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ت: محمد فؤاد عبد الباقي.
- لسان العرب: ابن منظور، ط٣، دار صادر - بيروت.
- مجموع الفتاوى: ابن تيمية، ط١، مجمع الملك فهد.
- المحجة في سير الدلجة: ابن رجب، ط٢، دار البشائر الإسلامية.
- معاني القرآن: الفراء، ط١، دار المصرية للتأليف والترجمة - مصر.
- المعجم الفلسفي: جميل صليبا، ط١، دار الكتاب العربي، ١٩٨٢م.
- المفردات في غريب القرآن: الأصفهاني، ط١، دار القلم، بيروت، ت: صفوان عدنان الداودي.

- المفهوم الأمني في الإسلام: علي بن فايز الجحني، مجلة الأمن (عدد ٢) ذي الحجة ١٩٩٠م، كلية الملك فهد الأمنية.
- مقاييس اللغة: ابن فارس، ط١، دار الفكر ١٣٩٩ ق، ت: عبدالسلام هارون.
- موسوعة العقيدة والأديان: مجموعة من المؤلفين، ط١، دار التوحيد.
- نحو مجتمع آمن فكرياً: د. عبد الحفيظ المالكي، ص١٠٣ الطبعة الأولى (١٤٣١ ق - ٢٠١٠ م).
- نظرة في مفهوم الإرهاب والموقف منه في الإسلام: عبد الرحمن المطرودي، وزارة الأوقاف السعودية.
- النهاية في غريب الحديث والأثر: ابن الأثير، المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩ هـ.
- واقع الأمن الفكري: محمد الحبيب حريز ضمن كتاب الأمن الفكري، مركز الدراسات والبحوث، جامعة نايف، ١٤٢٦ هـ.

المراجع الالكترونية.

<https://www.al-madina.com/> صحيفة المدينة

<https://cutt.us/wR6SY> مكتبة نور على الشبكة العنكبوتية

ضوابط الأمن الفكري رؤية أصولية أصيلة

الدكتورة / حنان متولي توفيق يوسف مختار

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن اتبعه بإحسان إلى يوم الدين، ثم أما بعد .

فإن فكرة البحث تدور حول التعامل مع الأمن الفكري وربطه بالسلام المجتمعي كأحد أسبابه، بشكل استقرائي تحليلي يؤصل لأبعاد الأمن الفكري وضوابطه من وجهة نظر أصولية، مع ربط ذلك ببعض الشواهد التاريخية؛ إذ أن التأصيل الفقهي لا يكون بمعزل عن النفع المجتمعي، مع توضيح أهم التهديدات والمعوقات التي تحول دون ذلك.

كما أن ربط ذلك بما هو واقع من المعاهدات الدولية، فهو مؤشراً لاستعداد عالمي لتحقيق الأمن الفكري في المجتمعات المختلفة.

والأمن الفكري هو علامة أكيدة ركيزة في إعادة هيكلة الأمة الإسلامية بشكل يحقق وحدتها دونما أية عوائق وهذا هو المشروع النهضوي الكبير الذي تسعى له أطراف الأمة الإسلامية في كافة الأنحاء.

وإن قضية الأمن الفكري هي من الأهمية بمكان أن نتعامل معها بشكل تأصيلي مقاربي أصولي وحدوي؛ لما لتلك القضية من علاقة بمناح تاريخية (أصلية) وأصولية وفكرية ودولية

نطرحها في هذا البحث على شكل مجموعة من الأوراق النقاشية (المترابطة)، والتي تحدد معالم وضوابط الأمن الفكري.

أوراق تاريخية :التاريخ الإسلامي شاهد عيان على تحقيق الأمن الفكري (معالم حضارية ونماذج مقارنة).

هناك الكثير من الوقائع التاريخية في سيرته - صلى الله عليه وسلم - التي تؤكد مبدأ العمل على تحقيق الأمن الفكري. وتشير إلى إمكان تغيير القناعات في المسائل الاجتهادية في إطار تحقيق المصالح ودفع المفسد من باب تشجيع إبداء الرأي والأخذ بالمشورة وقبول النقاش حول معاني آيات الله وتفسيره ومراجعة بعض آراء الرسول - صلى الله عليه وسلم - وقراراته، ومثال ذلك الأمر بالاجتهاد في قصة إرسال معاذ إلى اليمن وإقراره - صلى الله عليه وسلم - لاجتهاد معاذ. وبهذا الإقرار أكد النبي - صلى الله عليه وسلم - على خصيصة عظيمة لهذا الدين، ألا وهي صلاحية الإسلام لكل زمان ومكان لكونه يعطي للعقل البشري مجالاً للاجتهاد في ضوء الشرع فيما لا نص فيه. فعندما أراد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن يبعث معاذاً إلى اليمن قال: "كيف تقضي إذا عرض لك قضاء؟ قال أقضي بكتاب الله، قال: فإن لم تجد في كتاب الله؟ قال فبسنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم، قال: فإن لم تجد في سنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولا في كتاب الله؟ قال اجتهد رأيي ولا آلو. فضرب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - صدره وقال: (الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضي رسول الله) (١).

ومن مظاهر مرونة الفكر الإسلامي والذي بدوره يحقق الأمن الفكري للمجتمع أيضاً، أنه يراعي طبيعة البشر فعن حنظلة الأسدي - وكان من كتاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال - لقيني أبو بكر فقال: كيف أنت يا حنظلة؟ قال: قلت: نافق حنظلة. قال: سبحان الله ما تقول! قال: قلت: نكون عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يذكرنا بالنار والجنة حتى كأننا رأى عين، فإذا خرجنا من عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عافسنا الأزواج والأولاد والضيقات، فنسينا كثيراً. قال: أبو بكر فوالله إنا لنلقي مثل هذا. فانطلقت أنا وأبو بكر حتى دخلنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت: نافق حنظلة يا رسول الله. فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم: وما ذاك؟ قلت: يا رسول الله، نكون عندك تذكرنا بالنار والجنة حتى كأننا رأى عين، فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد

والضيقات نسينا كثيراً. فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم: "والذي نفسي بيده إن لو تدومون على ما تكونون عندي وفي الذكر لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم، ولكن يا حنظلة، ساعة وساعة(قائلها) ثلاث مرات"(٢). وعن عروة أنه حدثه أن عائشة حدثته أن أبا بكر الصديق دخل عليها وعندها جاريتان تضربان بالدف وتغنيان، ورسول الله صلى الله عليه وسلم مسجى بثوبه، وقال مرة أخرى: مُتَسِّجِ ثوبه، فكشف عن وجهه فقال: دعهما يا أبا بكر، إنها أيام عيد وهن أيام مني، ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - يومئذ بالمدينة (٣). فمن الأمن الفكري إتاحة الترويح عن النفس بضوابط الدين.

أيضاً قبول أعمال العقل في العبادات بما لا يخرجنا عن ضوابطها، ومن ذلك ما ورد بالحديث

عَنْ مَالِكٍ، عَنْ نَعِيمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْمُجَمِّرِ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ يَحْيَى بْنِ خَلَادِ الزُّرْقِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ رِفَاعَةَ بْنِ رَافِعِ الزُّرْقِيِّ، قَالَ: " كُنَّا يَوْمًا نُصَلِّي وَرَاءَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرَّكْعَةِ قَالَ: سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمَدَهُ "، قَالَ رَجُلٌ وَرَاءَهُ: رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ، قَالَ: «مَنْ الْمُتَكَلِّمُ» قَالَ: أَنَا، قَالَ: «رَأَيْتُ بَضْعَةً وَثَلَاثِينَ مَلَكًا يَبْتَدِرُونَهَا أَيُّهُمْ يَكْتُبُهَا أَوَّلُ» (٤) وهي قصة من زاد من الدعاء بالصلاة حين الرفع من الركوع فأقره النبي - صلى الله عليه وسلم - ولم يقل فعلت ما لم أفعله، وذلك من الأمن الفكري وعدم الحجر على وجهات النظر.

وقد علم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أمته، بسنته الفعلية العملية، التشجيع على إبداء الرأي وإن كان يبدو مخالفاً، والإذن بالاعتراض إذا كان بقصد الاستيضاح والفهم، وعدم التبرم بمن يسأل إذا كان سؤاله بقصد التعلم لا التعنت؛ لأن التفاعل مع تساؤلات المخاطبين يعتبر أمراً مهماً في تحقيق الأمن الفكري. من ذلك: إذنه - صلى الله عليه وسلم - لعائشة لأن تبدي رأيها، كما في حديث ابن أبي مليكة: أن عائشة زوج النبي - صلى الله عليه وسلم - كانت لا تسمع شيئاً لا تعرفه إلا راجعت فيه حتى تعرفه وأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من حوسب

عُذِبَ" قالت عائشة: فقلت: أوليس يقول الله تعالى: (فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا) قالت: فقال: "إنما ذلك العرض، ولكن من نوقش الحساب يهلك" (٥).

ومن ذلك: إذن النبي - صلى الله عليه وسلم - لحفصة أن تبدي رأيها وتناقش في مسائل كتاب الله، كما في حديث أم مبشر عن حفصة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إني لأرجو أن لا يدخل النار أحد إن شاء الله ممن شهد بدراً والحديبية) قلت: يا رسول الله، أليس قد قال الله: (وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا) سورة مريم، الآية ٧١. قال: أولم تسمعيه يقول: (ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثًّا) سورة مريم، الآية ٧٢. (٦).

ومنها: إذن النبي صلى الله عليه وسلم للصحابة أن يراجعوه فيما لم يتضح لهم معناه. فعن عبد الله رضي الله عنه قال: لما نزلت: (الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبَسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ) قلنا: يا رسول الله، أين لا يظلم نفسه؟ قال: ليس كما تقولون، لم يلبسوا إيمانهم بظلم: بشرك، أولم تسمعوا إلي قول لقمان لابنه (يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ) (٧).

ومنها: إذن النبي صلى الله عليه وسلم لعمر رضي الله عنه أن يعبر عن رأيه وإن كان مخالفاً لرأيه ورأي أبي بكر. كما في أسرى بدر في حديث ابن عباس رضي الله عنهما (٨).

ومنها: إبداء عمر رأيه في مسألة اعتزال النبي نساءه، فوافق رأيه ما نزل به القرآن: ففي الحديث الذي يرويه عمر - رضي الله عنه - : "ودخلت عليه حين دخلت وأنا أرى في وجهه الغضب، فقلت: يا رسول الله ما يشق عليك من شأن النساء؟ فإن كنت طلقتهن فإن الله معك وملائكته وجبريل وميكائيل وأنا وأبو بكر والمؤمنون معك. وقلما تكلمت وأحمد الله بكلام إلا رجوت أن يكون الله يصدق قولي الذي أقول. ونزلت هذه الآية آية التخيير (عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكَ) (وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ) (٩).

وكذلك إشارة (الحباب بن المنذر) في موقعة بدر بمكان الغزوة (منزل بئر بدر) وبيان أفضليته بعد ما اختار النبي - صلى الله عليه وسلم، مكاناً آخر.

وما موقف السيدة أم سلمة منا ببعيد حيث أشارت عليه صلى الله عليه وسلم بالتحلل أمام الصحابة من إحرام العمرة حين اتفقا الحديبية (١٠) وإلا كان الأمر

سينقلب مهلكة للصحابة حال عدم طاعتهم لنبيهم ، فأنقذت الأمر بحكمتها، وأخذ الرسول برأيها .

كل ذلك من قبيل مظاهر الأمن الفكري عبر التاريخ الإسلامي .
وفي العصر الحديث، نجد أن في تجربة الشيخ شلتوت في التقريب بين المذاهب الإسلامية فهو واقع عملي لسبل تحقيق الأمن الفكري، فقد كان رحمه الله يتطلع لتحقيق الوحدة الإسلامية، بعد أن تفرق شمل المسلمين ومزقتهم العصبية (الجنسية ، والطائفية ، والمرجعية الفكرية ، وعصبية الأسماء والمسميات) وما أسسه من دار التقريب بين المذاهب الإسلامية عام ١٩٤٧م فهو دليل على إمكانية ذلك الأمر وعدم استحالته عملياً . وكان دعائم الأمن الفكري خاصة (الشورى والمناقشة والاتحاد وعدم الفرقة) هي أساس ما نريد . فحينما نتأمل أمر النبي صلى - الله عليه وسلم- للمسلمين بلزوم جماعة المسلمين وعدم الانشقاق عنها : "من رأي من أميره شيئاً يكرهه فليصبر عليه، فإنه من فارق الجماعة شبراً فمات إلامات ميتة جاهلية " (١١) حتى أنه اشترط لصلاح الجماعة صلاح الفرد أولاً ألا نرى بذلك أن المسلم أيضاً مطلوب منه أيضاً أن يكون صاحب فكر يدعو إلى الأمن والسلامة والاعتدال والذي لا يستطيع به أحد أن يفرقنا حتى أنه بدأ في الآية بالأمر بعدم النزاع قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَنَزَعُوا فَنَفْسُلُوا﴾ الأنفال: ٤٦ تلك اللفظة التي تعطيان طباعاً عن عدم الأمن (١٢)

وحدة البلد الواحد من دعائم الأمن الفكري وبناء الدول .

إنه من الأهمية بمكان أن ننوه على أن الأخوة الحقيقية بين أبناء الملة الواحدة لا بد وأن تتحقق أولاً لتحقيق الأمن الفكري فيما بينهم . قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ سورة الأنبياء آية ٩٢
نلاحظ الآن الصراعات بين أبناء الشعب الواحد :صراع الأهداف، صراع الرؤى، صراع الغايات، صراع المبادئ، صراع الأفكار والمعتقدات وأخيراً صراع التحيزات، وكل ذلك من التهديدات .

ومن تلك التحديات نضع أيدينا على البداية الصحيحة، فلا بد (لهم) من وحدة ثقافية وعلمية ومنهجية، ولن يتأتى ذلك إلا بوحدة الهدف والخلوص من التبعيات

الفكرية، ووحدة الثقافة. ولا أقول بالانغلاق ولكن أقول بوحدة روافد المعرفة وصحتها وجدتها؛ حتى لا نعطي لغيرنا فرصة للعبث بأفكارنا ومعتقداتنا ومن ثم العبث بمقدراتنا، ولا يجوز لنا أن نتجاهل الأجيال الحاضرة من أبناء الأمة لم يكن لها ذنب في الصراعات المذهبية التي حدثت في الماضي.

فلا بد ولا بد من الاستيعاب من جهة، ولا بد لا بد من طرح المسميات المفرقة والجدليات العقيمة.. جانباً. وجعل ذلك أولوية، سواء أكان على الجانب الفكري أم الفقهي التشريعي.

وللوحدة الفكرية صمام أمان وهو إتاحة الأمن الفكري لما له من أهمية في حماية تلك الأمة.

فإنما ينشأ التطرف عن الفراغ الثقافي أو الخوف من الخوض في ثقافة أو فكر، فعلياً أن نشغله بتحقيق الأمن الفكري. ذلك الأمن الذي من شأنه أن يعزز الوطنية لدى المواطن، ومن هنا ندرك أيضاً أن الأخوة الدينية والأخوة الوطنية لهما دور كبير في تعزيز حب الوطن والانتماء إليه.

فالفكر المتطرف يعالج بالفكر المستنير، ولكن لا بد من مواجهتها بإرساء خطاب بناء مستقيم، وليس خطاباً إنشائياً. فالدين هو حل للمشكلة وليس جزءاً منها، والجهل بالتعاليم الدينية هو العامل الرئيس في الآراء المتشددة والمتطرفة.

والحضارة هي حضور الإنسان وتعاونه وتفاعله مع أخيه الإنسان. وللمدنية الإسلامية طابع شمولي؛ لا يقوم فقط على الاهتمام بمظاهر الحياة المادية كغيرها ولكن بتماسك البناء المجتمعي والحفاظ على قيمه الروحية، والتزامه تجاه غيره من (الأمم) كان شرطاً لبناء حضارة مدنية بصبغة إسلامية واقية، فكان أول عمل قام به النبي (صلى الله عليه وسلم) هو بناء المسجد - الأساس الروحي - وموطن اتحاد المسلمين وتكافلهم، ثم ذهب النبي - صلى الله عليه وسلم - لبناء كيان المجتمع من الداخل والخارج أما من الداخل فكانت المؤاخاة بين أهل الملة الواحدة (أولاً) ثم الوثيقة المشهورة بين المسلمين وغيرهم من أبناء نفس الوطن فاللحمة الواحدة هي الصورة الصحيحة للإسلام أيًا كانت مكونات تلك اللحمة، وأما عن الخارج فالعاهدات وإطلاق الحريات بدءاً من الحديبية وحتى حماية دور العبادة. تلك الروح الكبيرة التي استطاعت أن تستوعب شتات القبائل العربية المتناحرة التي كان

شعارها الخوف والسيف. فلم يؤسس قصور مشيدة أو أعمدة معابد كمن سبق من الأمم بل أسس قواعد المحبة والمساواة والعدالة والحرية ومراعاة مصالح المجتمع بين البشر قال تعالى ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاهُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ سورة الحجرات آية ١٣

فهذه قومية عالمية ووحدة إنسانية متكاملة تكوّن جماعة دولية تُحمى فيها الامتيازات القائمة على الاختلاف والتنوع. ألا يكون ذلك من أكبر الفرص لتمكين الأمن الفكري ؟!

بل هي أساس الحضارة الإسلامية، ومن هنا شرع أدب يُعرف بأدب الاختلاف تأكيداً على التعددية البناءة والتنوع. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ آيَنِيهِ خَلَقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْلَفُ السِّنِينَ وَالْوَنُكْرِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ﴾ سورة الروم آية ٢٢ وَقَالَ تَعَالَى: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ سورة المائدة آية ٤٨

وكان من الطبيعي أيضاً أن تتطور القواعد القانونية الإسلامية (١٣) في البلدان التي فتحها المسلمون لتمكين سبل العيش المشترك وكسبيل لتحقيق الأمن الفكري والمجتمعي.

منهج الإسلام في ترسيخ قيم الأمن الفكري وضوابطه .

الأمن الفكري حق لكل مسلم وغير مسلم؛ إذ أنه طمأنينة النفس وعدم خوفها من التعبير عن مكنون العقل وتأملاته، ونظراً لأن بعض تلك المكنونات قد يسبب خروجها للمجتمع بدون ضوابط (الإضرار به)؛ لذا فثم ضوابط إسلامية تهيئ الظروف الملائمة لكي يجد الأمن الفكري أرضاً خصبة تميز بين الغث والسمين. ومن تلك الضوابط:

١- ألا يعارض ذلك الفكر القرآن والسنة بمفهومهما المتواكب مع مسجديات

العصر

قَالَ تَعَالَى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ سورة النساء: ٨٢

﴿سورة النساء: ٥٩﴾

٢- العمل بقاعدة كل إنسان يؤخذ منه ويرد على قوله إلا النبي محمد المعصوم - صلى الله عليه وسلم قَالَ تَعَالَى: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٢﴾ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤﴾ إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ النجم: ٣، ٤ ، بمعنى عدم تقديس الأشخاص والتي ينشأ عنها التعصب الفكري .

٣- عدم ازدراء الرأي المخالف سواء أكان فكر مخالف لمسلم أم غير مسلم قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِّ لَهُم بِآلَتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ النحل: ١٢٥

فالمسلمون حقاً الذين يكونون مستخلفين في الأرض لا بد من احتوائهم لغيرهم قال تعالى: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾ النور: ٥٥

وقد قال النبي - صلى الله عليه وسلم " لَأَ يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يُرَوِّعَ مُسْلِمًا" (١٣) ذلك بأن شعار المسلمون السلام، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالْمُؤْمِنُ مَنْ أَمِنَهُ النَّاسُ عَلَى دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ» (١٤)

٤- التثبت والتأني في إصدار الأحكام: أمر قرره القرآن الكريم في مواضع عدة، منها: قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْحِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ) سورة الحجرات: ٦. وقد علم النبي - صلى الله عليه وسلم - أصحابه التثبت في الأخبار وحذرهم من أن يظنوا ظن السوء قبل أن يتثبتوا من صحة وصدق الخبر. وذلك مناسبة قوله في حديث السيدة صفية - رضي الله عنها - "قال إن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم واني خشيت أن يقذف في قلوبكما سوءاً أو قال: شيئاً" (١٥).

ومنها: تثبت النبي صلى الله عليه وسلم في شأن ما وقع من حاطب بن أبي بلتعة من خطأ جسيم في مكاتبة قريشاً وبث أسرار المسلمين إلى عدوهم قبل الحكم عليه. وكان من الحوار الذي دار بينهما والذي يرويه علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم- لحاطب: "يا حاطب ما هذا! قال يا رسول الله، لا تعجل علي، إني كنت امرأ مخلصاً في قريش، ولم أكن من أنفسها،

وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات بمكة يحمون بها أهليهم وأموالهم، فأحبت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم أن أتخذ عندهم يداً يحمون بها قرابتي، وما فعلت كفرًا، ولا ارتدادًا، ولا رضا بالكفر بعد الإسلام. فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم- : "لقد صدقكم، قال عمر: يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق!" قال: إنه قد شهد بدرًا، وما يدريك لعل الله أن يكون قد اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم، فقد غفرت لكم" (١٦). فالنبي - صلى الله عليه وسلم- لم يعجل بالحكم على حاطب حتى استدعاه، وحاوره، وسأله، وتثبت من وقوع الحدث، وعن الأسباب التي دفعته إلى ارتكاب الخطأ. ثم بعد أن تأكد - عليه الصلاة والسلام - من وقوع الخطأ وعلم سببه قبل عذر حاطب، وأحسن الظن به، وذكر أفضل مناقبه، ألا وهي سبقه في الإسلام وشهوده بدرًا.

٥- حق المراجعة:

هناك فرق بين التشجيع على إبداء الرأي الذي يكون في قول ما يراه المسلم ابتداءً، وبين المراجعة في إبداء الرأي في أمر تقرر أو وجهة نظر مخالفة لما طرح من رأي من قبل الآخرين، خاصة إذا كانوا في منصب القيادة واتخاذ القرار. وفي كتاب ربنا تعالى وسنة نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم- أدلة تقرر أهمية الإذن بالمراجعة في شؤون الثقافة من المتلقي للأمر. وتمثل المراجعة لمناخ الثقافة صمام أمان للمجتمع. كما يعد وجود من يراجع أصحاب السلطة الثقافية، وقبول أصحابها بهذا المبدأ - أيضا - أمراً مهماً هو الآخر. ويدخل في ذلك دخولاً أولياً كل من له علاقة بالسلطة الثقافية يستوي في ذلك القادة والمعلمون والآباء والإعلام في زماننا هذا.

من تلك الأدلة : مراجعة عمر لرأي أبي بكر رضي الله عنهما في قتال مانعي الزكاة كما في حديث أبي هريرة، قال: لما توفي رسول الله - صلى الله عليه وسلم- واستخلف أبو بكر بعده وكفر من كفر من العرب قال عمر بن الخطاب لأبي بكر كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم- "أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله فمن قال: لا إله إلا الله فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله"، فقال أبو بكر: والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة،

فإن الزكاة حق المال، والله لو منعوني عقاباً كانوا يؤدونه إلي رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعه. فقال عمر بن الخطاب: فوالله ما هو إلا أن رأيت الله عز وجل قد شرح صدر أبي بكر للقتال فعرفت أنه الحق (١٧).

ومنها مراجعة زيد بن ثابت الشيخين حين كلفاه بجمع القرآن حيث قال رضي الله عنه: "فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل علي من ذلك، قال: قلت: كيف تفعلون شيئاً لم يفعله رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال أبو بكر: هو والله خير، فلم يزل يراجعني في ذلك أبو بكر وعمر حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدرهما (صدر أبي بكر وعمر) (١٨).

ويسري ذلك على قضايا الثقافة الاجتماعية، وشؤون الدنيا العامة من باب أولى. ومثال الأولى: ما أخرجه ابن ماجه والنسائي - واللفظ له - عن عائشة - رضي الله عنها- أن فتاة دخلت عليها فقالت: "إن أبي زوجني من ابن أخيه يرفع بي خسيسته (١٩) وأنا كارهة، قالت: اجلسي حتى يأتي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فلما جاء رسول الله فأخبرته، فأرسل إلى أبيها فدعاه فجعل الأمر إليها فقالت: يا رسول الله، قد أجزت ما صنع أبي، ولكن أردت أن أعلم النساء أن ليس للآباء من الأمر شيء".

ومثاله الثانية: مراجعة الصحابة- رضي الله عنهم- النبي - صلى الله عليه وسلم - في تأبير النخيل. كما في حديث أنس أن النبي - صلى الله عليه وسلم - مر بقوم يلقحون. فقال: لو لم تفعلوا لصلح. قال فخرج شيصاً فمر بهم فقال ما لنخلكم؟ قالوا: قلت، كذا وكذا قال أنتم أعلم بأمر دنياكم" (٢٠).

أوراق فكرية:

منزلة الأمن في الإسلام.

قال تعالى ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (١٠٧) الأنبياء: ١٠٧

وقال النبي صلى الله عليه وسلم "إن الله يحب الرفق في الأمر كله" (٢١)

والسنة مليئة بمواقف التسامح مع المخالف، ومن قرأ كتب التاريخ يجد أمثلة كثيرة لاختيار غير المسلمين للعيش في ظل الإسلام على الحياة تحت حكم غيره، والأندلس خير شاهد على عدالة الحكم الإسلامي وشعور مختلف الطوائف بالأمن .

ومن دلالات التعايش السلمي وتحقيق الأمن بكافة صورته وعلى رأسهم الأمن الفكري قوله تعالى: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَكَيْهِ فَفَنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهِهَا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ﴾ (٤١) الزمر: ٤١
فنحن كمسلمين لسنا رقبين على الناس وعلى ما بداخلهم من معتقدات وليعتقد أي إنسان ما شاء شريطة ألا يتعدى بما اعتقده على غيره، ولا يفرض ما اعتقده كذلك

حتى بين المسلمين أنفسهم مأمورون بالسلم فيما بينهم فقد قال تعالى: ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَدْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾ (٢٠٨) البقرة: ٢٠٨، كما أمروا بعدم تعكير ذلك الأمن بما يفسده، قال تعالى: ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ نَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (٤٤) البقرة: ٤٤

حتى وفي محاوراتنا الفكرية مع الغير لابد وأن نلزم متطلبات الأمن الفكري الموضوعية

قال تعالى: ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ﴾ آل عمران: ٦٤
بأن ننطلق من نقاط الاتفاق .

ويتوج كل ذلك ما أمرنا الله به من ضرورة الوحدة ونبذ الخلاف تحقيقاً للأمن بكل مستوياته وعلى رأسه الأمن الفكري كما في قوله تعالى ﴿ وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ عَلَيْهِمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ (١٠٣) آل عمران: ١٠٣

الإرهاب الفكري ومستوياته .

حينما نتحدث عن الإرهاب الفكري فإننا نتحدث عن موضوعات لها من الحيوية ما شغلت الفكر الإسلامي مثل الإسلاموفوبيا - خطاب الكراهية - تاريخ العنف والتطرف - القضية الفلسطينية

مع الأخذ في الاعتبار أن الغزو الفكري هو عكس الأمن الفكري، فهو مجموعة التدابير والإجراءات التي تقوم بها بعض الأمم للسيطرة على الأمم الأخرى، وهي تتجه إلى سلوك الأفراد وأفكارهم، وبالتالي فإنها تهدد استقرار الشعوب.

فحينما نجد أن اتحاد التعاون الإسلامي يدعو لإقرار مبادرة يوم عالمي لمناهضة "الإسلاموفوبيا" والتي اقترحتها المغرب في مؤتمر الأمانة العامة لدور وهيئات الإفتاء في العالم عام ٢٠١٩ والذي كان بعنوان " الإدارة الحضارية للخلاف الفقهي" مما يتيح الفرصة لتجديد التعبئة الجماعية بقصد تفكيك خطابات الحقد وكراهية الآخر ومحاصرتها، وقد جاء ذلك ضمن مبادرات أخرى بخصوص القضية الفلسطينية من قبيل مبدأ الديمقراطية بمبادرة " جائزة القدس للديمقراطية والعدالة الاجتماعية "

خاصة وأن القدس في الرؤية الإسلامية ليست مجرد أرض محتلة وإنما هي عقيدة دينية فضلاً عن الحضارة والتاريخ فاغتصابها اغتصاب للفكر، ولا يخفى علينا أن عزلة القدس هي درب من دروب الإرهاب الفكري، وما دبروا ذلك الأمر إلا بالأساطير و الفكر السائد لديهم، فعندما اقتحمت الجيوش الصليبية يوميئذٍ - مدينة القدس (٤٩٢هـ / ١٠٩٩م أبادوا جميع من بها من المسلمين ومعهم اليهود،" وحتى كبار رجال الدين شاركوا في ذلك تقريباً لربهم، فقد نقلت المستشرقة الألمانية الدكتورة سيجريد هونكه (١٩١٣/١٩٩٩) عن المؤرخ الأوروبي (ميشائيل درسيرز) " كيف كان البطريك نفسه يردد حين بلغ كنيسة القيامة المزمور "يضرح الأبرار حين يرون عقاب الأشرار، ويغسلون أقدامهم بدمهم، فيقول الناس: حقاً إن للصديق مكافأة، وإن في الأرض إلهاً يقضي (المزمور ١٠: ٥٨ - ١١) ثم أخذ في أداء القداس قائلاً: إنه لم يتقدم في حياته للرب بأي قربان أعظم من ذلك ليرضى الرب " (٢٢) ويا ثرى هل نظر المنافقون نفس نظرة مدعي الإسلاموفوبيا حينما خدعوا المسلمين في غزوة الأحزاب متعاونين مع كفار قريش ناقضين العهد من ذلك المنطلق ١٩

وما كان الإسلام بأي حال يساهم في (الفوبيا) لأي إنسان كائناً من كان . "وهو نهج جديد للعولمة يكمن في إحداث ما يسمى بالفوضى الخلاقة في البلدان الإسلامية" (٢٣)

ومن الأدلّة على ذلك شهادة عالم الاسشراق الألماني فريتس شتبيات Fritz Steppat " قائلًا : "إن الإسلام لا يشكل تهديدًا للعالم، ولكن الكثيرين من المسلمين يشعرون بأنهم مهددون في عالمنا" (٢٤) ولو تحدثنا عن الجذور لوجدنا أن جميع الأديان والشرائع والمواثيق الدولية اليوم تجرم العنصرية. إلا أنه للأسف لا تزال هناك كثير من الازدواجية في وصف العنف الديني (فقط)

وأما عن جذور الإسلام فويبيا في عمل الاسشراق:

- ما زعمه المستشرق الفرنسي إرنست رينان (ت ١٨٩٢) أن المجتمع الأوروبي هو الوحيد المنفتح المبدع وما عداه عاجز بليد .
- ما زعمه المستشرق المجري جولد تسيهر (ت ١٩٢١) بأن أئمة الإسلام كالغزالي والرازي وغيرهما كانوا تكفيريين ينشرون الإقصاء والكرهية، ويحرمون الاشتغال بالعلوم الطبيعية والرياضيات .
- ما قاله الأمريكي صمويل هنتنجتون، في كتابه (صدام الحضارات) والذي ادعى فيه أن الإسلام عقبة أمام للحضارات البشرية المعاصرة (٢٥)
- هناك من اعتمد على مقولات محرفة تُنسب للإسلام أو تصرفات مشينة لبعض جماعات الإسلام ممن انتموا إلى فكر الحداثة أكثر من انتمائهم للتراث الإسلامي، مع إغفال التفسيرات الصحيحة للدين، ولإنكار أي دور نهضوي للمسلمين في صناعة الحضارة .

مثل (برنارد لويس) الأستاذ الإنجيلزي الأمريكي المتخصص في دراسات الشرق الأوسط وقد زعم في مقال له في مجلة أتلانتيك ريفيو ١٩٩٠ بعنوان (جذور الغضب الإسلامي) بأن "الصراع بين الإسلام والغرب لا يعود لأسباب سياسية كقضية الصراع العربي الإسرائيلي؛ بل لأن الإسلام نفس غير قابل لفكرة الديمقراطية وقيم الحداثة" (٢٦) .

- حركة الأُلحاد الجديدة من نقد الأديان نجد (سام هارس) في كتابه نهاية الأديان قال فيه بضرورة قتل معتنقي العقائد الدينية فيقول "فإن تعذر القبض عليهم وغالبًا ما يتعذر، فهناك مبرر لأن يقدم ناس معروفون بالتسامح في غير

هذا الموقف بقتلهم دفاعاً عن النفس، هذا ما حاولت الولايات المتحدة أن تفعله في أفغانستان، وهذا ما ننوي أن نفعله" (٢٧).

- جريمة مسجد كرايستشرش في نيوزلاندا تثبت أن العنصرية وتنامي خطاب الكراهية تجاه الإسلام والمسلمين يمكن أن يشكل خطراً على حياة الأبرياء، كما أثبتت حالة التسامح والتعاطف من الشعب النيوزلاندي وحكومته مع الضحايا، والتعامل الراقى للجالية المسلمة بدوره يثبت أن الإسلام بريء من الإرهاب، وما نادى به فضيلة مفتي الجمهورية (الأستاذ الدكتور /شوقي علام، من أن يكون ذلك اليوم ٣/١٥ من كل عام يوماً عالمياً مناهضة التمييز ضد الإسلام.... ولم تتم تلبية ذلك النداء (٢٨).

ومن الناحية الأخرى نجد أن هناك من يدعون الانتماء إلى السلف الصالح يثون في الأمة تلك اللافتة حرفية الفهم ضيقة الرؤية شكلاية التصور، مستغلين التدين المغروس داخل الناس فيقنعونهم بأفكارهم المغلوطة حول التبديع والتكفير وما إلى ذلك من أفكار سامية مؤدية للعنف

فالمسلمون لم يكن العنف ثقافة لهم، بل السلم ثقافتهم والمحبة دينهم والتعايش مع الآخرين طبيعة في شريعتهم ومن يريد البحث عن تاريخ العنف فنجد ذلك في جد الخوارج "ذو الخويصرة ، حيث دخل على رسول الله وهو يقسم الغنائم فقال: "يَا رَسُولَ اللَّهِ اعْدِلْ، فَقَالَ: «وَيْلَكَ، وَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَعْدِلْ، قَدْ خَبِتَ وَخَسِرْتَ إِنْ لَمْ أَكُنْ أَعْدِلْ». فقال عمر: يَا رَسُولَ اللَّهِ، انْذَنْ لِي فِيهِ فَأَضْرِبْ عُنُقَهُ؟ فَقَالَ: «دَعْنَهُ، فَإِنَّ لَهُ أَصْحَابًا يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِمْ، وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ، يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيهِمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ» (٢٩)

ثم توالى سموم الخوارج بقتلهم الصحابة كعبد الرحمن بن ملجم قاتل علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - علاوة على أفكارهم المخالفة للكتاب والسنة، وعلى ذلك فهي أول فرقة تظهر بين المسلمين وتخرج على إجماع الأمة وتعادي الحاكم ولقد شاء الله أن لا يقبل جسد الأمة تلك الفرقة لكونها عضواً غريباً. وبذلك ذهبت مع الزمن، وليذهب من هم على شاكلتهم في عصرنا فلن يقبلهم المجتمع ولن يقبلهم سوى أعداء الإسلام .

وعلى الصعيد الآخر نجد من يرى في العقل نقيضاً للنقل وإحلال مبادئ العقلانية محل الأصولية النقلية مدعيًا التجديد وما هو إلا عين التبديد، فقد أغفل من قال بذلك أن لنا تراثًا نقلياً لا غنى عنه كما له تراثًا عقلياً أيضاً لا انفكاك له عن التراث النقلية وأن الأخذ بالاثنتين معاً هو عين مشروع النهضة لتلك الأمة، فذلك من نظر بعين الاعتبار الركيز مؤمناً بثوابت التراث ناظراً إلى متغيراته بعين الاحترام والتقدير في إطار تحولاتها التاريخية حسب تطور الظروف والعصور فذلك هو عين الأمن الفكري فإن مهمة التجديد مهمة ثقيلة تحتاج إلى أن يكون من يقوم عليها بقدر كبير من المسؤولية وهذا دور العلماء والمفكرين المعتدلين الذين توافرت لهم شروط التجديد.

ومن معالم الفكر الواسطي الأمن. أن لا يزال الأزهر الشريف متجهاً نحو قضية الجمع بين العقل والنقل، عاملاً بمقولة الإمام الغزالي: (لا معاداة بين مقتضيات الشرائع وموجبات العقول) و (العقل كالبصر السليم، والقرآن والسنة كالشمس المنتشرة الضياء، ولا غنى لأحدهما عن الآخر)

مع الأخذ في الاعتبار بعدم التحوصل حول مذهب معتبر واحد ورفض الآخر فإن فكرة المذهبية وما نتج عنها من مظاهر تعصب لهي من أمثلة واقعية للإرهاب الفكري. إنما الضرر كل الضرر في التعصب للأراء والمذاهب والفتاوى تعصباً يجعل أصحابها يظنون أنهم يحتكرون الحقيقة وحدهم .

ومن معالم الفكر الواسطي - ملء الفراغ الثقافي، البعد عن التعميمات - عدم قبول الدعاوى إلا بدليل - احترام التخصص - الاعتداد بالحقائق لا بالشائعات. فإنما الاعتدال يكون بين طرفين لا يعتدل ميزانه بتجاهل كفتيه أو الانفراد بدونهما، كما أنه لا يعتدل ميزانه بالانحياز إلى إحدى كفتيه.

ومن هنا خرج وجه الإرهاب الحقيقي، ونرى أنه لا يمت إلى الإسلام بصلة .

الحوار الرشيد بديل عن الصراع الثقافي وخطاب الكراهية .

كي يكون الحوار رشيداً لأبد وأن يكون من خلال قنوات معتدلة (أعني ممثلين معتدلين من الطرفين، أي طرفين تحت طائلة الحوار). كما أن هناك احترام للخصوصيات الثقافية، فلا بد من احترام الشعائر الدينية عند أهل كل دين، ولا

شك أن احترام التنوع الثقافي والإقرار به يقتضيان عدم تشويه صورة الآخر وتمييع حقائق دينه والمس برموزه. والتاريخ يبين لنا أن الحوار المستمر بين الثقافات هو الذي يُبقي عليها حية ويضمن تجديدها، فالتنوع الثقافي الإيجابي تأكيد على الارتباط بالهوية لا الانفصال عنها. «ومن الطبيعي أن يفضل الإنسان القيم التي صنعتها ثقافته، والتي نما في ظلها، وليس الغرب وحده هو المقتنع بسمو قيمه على ما عداها، ولكنه يميل للأسف نتيجة لوضعه السلطوي المتقدم إلى أن يفرض قيمه على الثقافات الأخرى، وذلك هو عين الإرهاب الفكري» (٣٢) .

لكن العالم الإسلامي لا يريد أن يفرض قيمه على الثقافات؛ لأنه لا يريد أن يتنازل عن هويته وخصوصيته، بل على العكس ملتزم باحترام الثقافات الأخرى. "ومن هنا فإن ما تسعى إليه العولمة الحالية من فرض قيم الحضارة الغربية بإيجابيتها وسلبياتها على بقية شعوب الأرض تعد محاولة ضد قيم التعددية الدينية والحضارية" (٣٠)

وعلينا أن نعي جميعاً بضرورة انتزاع خطاب الكراهية واعتبار ثقافة قبول الآخر واجب حضاري.

وقد قال الفيلسوف ابن رشد "بأن الاطلاع على ثقافات الآخرين واجب شرعاً، فإن كان فيها ما يتفق مع الحق أخذنا به وشكرناهم عليه، وإن كان فيها ما يتعارض مع الحق لم نأخذ به ونبهنا عليه وعذرناهم" (٣١) .

والتنوع الثقافي الإيجابي هو تأكيد على الارتباط بالهوية لا الانفصال عنها. فمناطق الأمن الفكري هنا أن يعيش الناس في بلدانهم وأوطانهم وبين مجتمعاتهم آمنين مطمئنين على مكونات أصالتهم وثقافتهم النوعية، ومنظومتهم الفكرية وأن يعيش المسلمون في بلدانهم آمنين كذلك، فإذا اطمأن المسلمون إلى ما عندهم من مبادئ وفكر وأمنوا شر غوائل الغزو الفكري، والتصنيف النوعي الفكري، والتعميم أو التعميم الفكري للمجترآت فقد صدق عليهم أنهم آمنون فكرياً. والأمن الفكري أيضاً هو حماية عقل الإنسان من التدمير المادي حتى ولو كان من ذات الإنسان، ويتناول حماية ابتكار الإنسان ومعارفه ومنتجاته الفكرية ووجهات نظره وحرية رأيه (٣٢) وهو حالة من صحة وسلامة الفكر ناجمة عن زوال جميع مهددات المنظومة العقديّة والفكرية والقيمية وكذا طرائق تفكير الجهة المقصودة (٣٣) .وكي يكون ذلك

تعزيزاً للأمن القومي الوطني لأبد وأن يكون من سمات ذلك الفكر المراد تأمينه أن يكون له طابع وحدوي لا يدعو إلى الفرقة مهما كانت النزاعات، وفي ذات الوقت يتطلب احتضاناً أمنياً متفهماً كي يصون استبقاء هوية أفراد المجتمع ولا يؤدي بهم إلى الهروب من تلك الهوية، أو اللجوء إلى هويات مشتتة تلعب بدورها أدواراً خطيرة ضد المجتمعات، فلا بد من الاحتواء من الداخل كي نأمن الاختراق من الخارج.

ولذلك علينا أن نميز في المذاهب التي نختلف معها بين (الفكر) - حتى ولو كان مغالياً - وبين تحول هذا الفكر إلى (فعل وعمل) يؤدي إلى شق وحدة الأمة.

إن الفكر المتطرف والمغالي إنما يُعالج بالحوار الفكري أولاً، بينما العمل الخياني الذي يسعى للطائفية عبر التحالف مع الأعداء على أنقاض الوطن والوطنية والمصالح العليا للأمة هو لون من الخيانة للدين والوطن على حد سواء. وتلك الرحى بكفتيها هي عين الأمن الفكري بساعديه.

ولا ننسى أن العولمة والفضوى الخلاقة لهما من الأثر الكبير على تزييف الوعي. ومن أكبر التحديات التي تواجه الهوية الإسلامية، فالهوية الإسلامية هي الإيمان بعقيدة هذه الأمة، والاعتزاز بالانتماء إليها، واحترام قيمها الحضارية والثقافية، وهي محصلة نتاج التجربة التاريخية للأمة، ومن مقوماتها العقيدة واللغة والتاريخ والتراث (٣٤). فإن كان هناك مساس بإحدى المقومات الأربعة كان مساساً بالفرد والمجتمع أي بالفكر ولتحول الأمر من أمن فكري إلى إرهاب فكري .

الحرية في الإسلام (حرية الفكر).

تعدد الحريات في الإسلام لتعدد احتوائه لأحوال الإنسان، كالحرية السياسية والفكرية والدينية والمدنية، فقد اتخذ الإسلام الحرية دعامة لجميع ما سنه من عقائد ونظم وتشريعات أما عن الحرية السياسية فهي التي يُمنح بمقتضاها الحق لكل فرد عاقل رشيد في أن يشترك في إدارة شؤون الدولة، وما مبدأ المشورة منا ببعيد. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ سورة آل عمران آية ١٥٩

ومن أهم المبادئ السياسية في الإسلام الحرية فقد قامت الحرية السياسية على دعامتين أولاهما: تأمين الإنسان من الجوع وثانيهما: تأمينه من الخوف، كما أن من أهم القيم السياسية في الإسلام العدالة، وللعادلة نوعان: العدالة التبادلية التي تقوم

على المساواة المطلقة، والثاني: العدالة التوزيعية التي تقوم على مبدأ الاستحقاق، ومنها أيضاً قيمة الانتماء فالبلد ليس مجرد وطن بل تاريخ وحضارة ولغة وإنتاج وعلم، وما خروج النبي من مكة كان نزعاً لها من قلبه، لا، بل ظل يحرص على تعزيز قيمة الوطنية ما دام حياً.

ومن ضمن تلك القيم الانخراط وهو قيمة وفن في ذات الوقت، ثمحى به أية حواجز بين طوائف المجتمع المختلفة؛ مما يعمل على تماسكه كالاشتراك في الأنشطة التطوعية.

وأما عن الحرية الفكرية والحرية العلمية وما يدخل في التفكير العلمي وهو أن يكون لكل فرد الحق في تقرير ما يراه بصدد ظواهر الطبيعة، وهو ما أمر به القرآن قَالَ تَعَالَى: ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ﴾ سورة الأعراف آية ١٨٥

وحرية الخطابة وحرية الصحافة (بمعناها العام) كل ذلك من الأمور التي تدعو إلى ديمقراطيات حديثة كان الإسلام أول من أمر بها. وحتى حرية الرأي والتي استخدمها المسلمون الأوائل بأسلوب علمي وبضوابطها كانت أحد العوامل الفعالة في انتشار الإسلام عن طريق الاستدلال والاقتناع، وكذلك في حفظ وحدة الأمة الإسلامية مع تعدد مذاهبها ومشاربها العقيدية والفكرية والمذهبية، فإن النزاع الطائفي والفتوي هو نزع لجوهر رسالة الإسلام. وذلك النزاع نفسه هو الذي يعوق دون التواصل الجيد والتعايش المثمر بين المسلمين وغيرهم.

أما عن الحرية الدينية فقد كفلها الإسلام قديماً وحديثاً على مبدأين، الأول: عدم إرغام أحد على ترك دين، قَالَ تَعَالَى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ بَيَّنَّ الرُّشْدَ مِنَ الْغَيِّ﴾ سورة البقرة آية ٢٥٦

ولنا في معاملة عمر بن الخطاب -رضي الله عنه - مثالاً رضي عنه الجميع وأشاد به. (٣٤)

المبدأ الثاني: حرية المناقشات الدينية، وما نصح به الله تعالى المسلمين من التزام جادة العقل والمنطق فهو واضح بكتابه يقول الله تعالى ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ سورة النحل آية ١٢٥
وقال تعالى ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ﴾ سورة العنكبوت آية ٤٦

وكان الخلفاء من بني العباس وغيرهم يعقدون المجالس للمناقشات الدينية، فيجتمع عندهم علماء كثيرون ينتمون إلى طوائف من شتى الأديان والفرق. ومن أمثلة هذا الزمان وغيره :

مناظرات واصل الدمشقي مع بشير البطريق والنصارى.

مناظرة العتابي الشاعر وأبي قررة الملكي النصراني.

مناظرة لإياس بن معاوية (ت ١٢٢هـ) ويهودي.

مناظرة أبي بكر الفهري الطرطوشي للتستري اليهودي ببيت المقدس.

مناظرة ابن قيم الجوزية لكبير الأحرار بمصر. (٣٥)

ألا نجد من تلك الحوارات ما يؤكد تعزيز الإسلام لنشر الأمن الفكري وتحقيقه ؟!

العلاقة بين الشرق والغرب وأثرها على الأمن الفكري المجتمعي الداخلي.

إن من الأهمية بمكان إعادة الثقة التي اهتزت بين العالم الإسلامي والغربي، ولا بد أن يجري في المقام الأول تحليل لما بين الحضارتين من مواقف وتاريخ .

إن ما يربط العالمين الإسلامي والغربي أقوى بكثير مما يفرق بينهما فعلى الغرب ألا ينسى أن الإسلام كان شريكاً له في تاريخ تطوره، علاوة على المشتركات القوية بين تعاليم الديانتين الإسلامية والمسيحية، وما ذكره فضيلة شيخ الأزهر من شواهد لذلك (إن الله حرم قتل النفس في جميع رسالاته الإلهية: صرح بذلك موسى عليه السلام في الوصايا العشر على جبل حوريب بسيناء وقال: " لا تقتل لا تزن لا تسرق" (٣٦))، ثم صدع به عيسى عليه السلام من فوق جبل من جبال الجليل بالقرب من كفر ناحوم بفلسطين، في كنزه الأخلاقي النضيس المسمى بموعظة الجبل وقد أكد السيد المسيح ما جاء به موسى وزاد عليه في قوله: "سمعتم أنه قيل للقدمات : لا تقتل ؛ فإن من يقتل يستوجب حكم القضاء، أما أنا فأقول لكم من غضب على أخيه استوجب حكم القضاء، ومن قال له : يا جاهل، استوجب نار جهنم" (٣٧)، (٣٨) فنلاحظ من ذلك وحدة الخطاب الإلهي ووحدة معناه. وما يحدث من أزمات في العالم المعاصر هو غياب الأخلاق الدينية.

وما أكده فضيلته هو أن المسيحية احتضنت الإسلام حين كان ديناً وليداً وحمته من طغيان الوثنية والشرك فما كانت الهجرة الأولى للحبشة إلا إيماناً من النبي

محمد - صلى الله عليه وسلم - أن ملك الحبشة ملك مسيحي عادل فقال (صلى الله عليه وسلم) : " اذهبوا إلى الحبشة فإن بها ملكاً لا يُظلم أحدٌ في جواره". (٣٩)، ومن المعروف أن النبي - صلى الله عليه وسلم - صور نفسه كالبينة بالنسبة للأديان السماوية . حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سِنَانَ، حَدَّثَنَا سَلِيمُ بْنُ حَيَّانَ، حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ مِيْنَاءَ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " مَثَلِي، وَمَثَلُ الْأَنْبِيَاءِ كَرَجُلٍ بَنَى دَارًا، فَأَكْمَلَهَا وَأَحْسَنَهَا إِلَّا مَوْضِعَ لَبْنَةٍ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَدْخُلُونَهَا وَيَتَعَجَّبُونَ وَيَقُولُونَ: لَوْلَا مَوْضِعُ اللَّبْنَةِ" (٤١) . إذن من أين جاءت المشكلة؟ الإجابة واضحة من الغزوة الاستعمارية الغربية (الحديثة) لوطن العروبة وعالم الإسلام؛ فقد اقترن التغريب الثقافي بالاحتلال العسكري فلم يكتف كسابقاتها (الصليبية) (٤٨٩ - ٦٩٠ هـ / ١٠٩٦ - ١٢٩١) باحتلال الأرض ونهب الثروة وإنما عملت على احتلال العقل وتحويل قبلة الشرق الإسلامي الفلسفية والثقافية نحو أوروبا، بقطع صلات العرب والمسلمين الفكرية بموروثهم الحضاري ومدنيتهم الإسلامية، علاوة على تغريب القانون وضرب الوحدة العربية والرابطة الإسلامية بهدم وحدتها القانونية وإحلال المرجعية الغربية محل الشريعة الإسلامية.

وذلك بالرغم من أن المدينة الإسلامية تعني مدينة الشرق بأكمله لا المسلمين فقط.

وقد قدم الغرب قديماً إلى الشرق نهلاً للعلوم في العصر الوسيط في القرن الحادي عشر الميلادي على شكل بعثات تعليمية إلى الأندلس وغيرها مثل صقلية. ومثال على ذلك الرسائل المتبادلة بين الخليفة الأموي المعتمد بالله هشام الثالث في الأندلس (٤١٨ - ٤٢٢ هـ / ١٠٢٩ - ١٠٣١ م) والملك جورج الثاني ملك إنجلترا والسويد والنرويج يقول: "فقد سمعنا عن الرقي العظيم الذي تتمتع بفيضه الصافي معاهد العلم والصناعات في بلادكم العامرة فأردنا لأبنائنا اقتباس نماذج هذه الفضائل لتكون بداية حسنة في اقتفاء أثركم؛ لنشر أنوار العلم في بلادنا التي يحيط بها الجهل في أركانها الأربعة " وكان رد الخليفة الأموي "اطلعت على التماسكم فوافقت على طلبكم بعد استشارة من يعينهم الأمر من أرباب الشأن، وعليه نعلمكم أنه سوف ينفق على هذه البعثة من بيت مال المسلمين؛ دلالة على مودتنا لشخصكم

الملكى، أما هديتكم فقد تلقيناها بسرور زائد، وبالمقابل أبعث إليكم بغالي الطنافس الأندلسية" (٤٢).

وبعدما نهضت الحضارة الأوروبية في القرنى الثامن عشر والتاسع عشر وحدث إجهاض للنهضة العربية؛ وذلك لانقطاع الموارد التجارية التي ذهبت للخارج بعد كشف طريق رأس الرجاء الصالح، وإحكام غلق المداخل البحرية العربية، ولما لم تجد الكيانات الإسلامية سبيلاً لدفع رواتب الجند، مع الحروب ضد الصليبيين واليهود، مع ظهور التفكك السياسى باستقلال أمراء الجند عن الخليفة العباسى، إلى حد استعانة بعض العرب بالصليبيين ضد بعضهما البعض.

وبهذا فان رؤية الغرب المعاصرين للعرب بأنهم في مرحلة ما قبل الحداثة وأن الدين الإسلامى دين قوة وعنق، وأن الشرق يمثل منبع الخيرات وأرضه تحتاج إلى استثمار، ولا يوجد مستثمر سواه، فهو الذى يمتلك العقل والعلم، كما نظر العرب والمسلمون إلى الآخر الغربى بأنه المستعمر الذى يعمل كل محاولة لاستغلال واحتلال.

يقول جوستاف لوبون " حضارة أوروبا مدينة للعرب بحضارتهم، فالعرب هم الذين فتحوا لها ما كانت تجهله من المعارف الفلسفية والعلمية والأدبية، وعن طريقهم اهتدى الغرب إلى تراث الإغريق وكشف ماضيه" (٤٣)

فلا يمكن حل مشكلاتنا المشتركة إلا إذا كنا مستعدين للتخلي عن الأحكام السابقة القديمة، واللقاء مع الآخر وثقافته، لقاء أساسه الاحترام والتسامح، ولم أوجه هذا النداء إلى الجانب الإسلامى فقط بل إلى الجانب المسيحى أيضاً.

فكما قال فريتس " كل ما يحدث هو رد فعل حيال موقف تاريخى فلا ينبغى لنا أن نتوقع أنها ستفقد شيئاً من أهميتها قبل أن يتغير هذا الموقف التاريخى من أساسه" (٤٤)

- الأمن الفكرى وحقوق الإنسان.

يستخدم مصطلح الثقافة للإشارة إلى ثقافة المجتمعات الإنسانية، وهي طريقة حياة تميز كل مجموعة بشرية عن أخرى وتتناقل تلك الثقافة من جيل إلى جيل

وتتحول إلى مظاهر سلوكية وبذلك تطلق على التراث الحضاري الفكري لذلك المجتمع.

ويطلق البعض كلمة الثقافة على الحضارة فيقولون إنسان مثقف أي متحضر، لكن مع مرور الوقت ومع إصاق الجملة بمستخدميها، أية ثقافة يعنون كي يكون متحضرًا ؟

ثقافة الأمة الأصيلة أم ثقافة التقليد البديلة.. يقصدون ؟
والفكر والعلم والكتابة والثقافة من أعمال العقل الإنساني فأى منهم يا ترى يسبق الآخر ؟

منطقيًا، بالطبع الفكر أولاً ولذلك اهتم الإسلام بأعمال الفكر في كل ما حولنا وصولًا لصفات الله عز وجل ولحكيمته جل وعلا قَالَ تَعَالَى: ﴿ قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُعْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ ﴿١١١﴾ يونس: ١٠١

فالفكر في الإسلام محور الحياة الإنسانية، لذا كان محط اهتمام التراث الإسلامي وما يتوج ذلك من علم العلل والمقاصد لإعمال العقل واحترام أبعاده ومراميه حتى في الشريعة والتشريع.

فالشريعة والأصول إنما نزلت من السماء استجابة للواقع دون أن يفرضها الواقع. فهل يجوز اغتصاب ذلك الفكر وسلب إرادته ؟ بالطبع لا فلا يأمر الدين بالشيء ونقيضه، فإن أقر إعمال العقل فلا يقر بإيقافه أو جموده أو الاستسلام لأفكار مهجنة غريبة تسلبه هويته لا أصل لها ولا مرمى سوى الهدم والشتات.

فمن حق الإنسان حرية العقيدة إذن حرية فكره، ومن حق الإنسان حرية إعمال العقل إذن حرية الإنتاج الفكري شريطة أن يكون نافعاً، ومن حق الإنسان التعبير عن فكره شريطة أن يلتزم بضوابط ذلك التعبير المعبر عن رأي فكر صاحبه. حتى أن هناك إثابة في الإسلام لإعمال فكر ألا نرى قول رسول الله - صلى الله عليه وسلم لعمر بن العاص " إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر ". المهم أن يعمل عقله ويجتهد.

فلا مجال في الدين لإكراه، ولا تبعية عمياء، ولا تعطيل لفكر إلا أن تكون نتائجه هدامة

فالتفكير هو حق الإنسان الأول كي يعيش عيشة سوية كما خلقه الله كائن مفكر نافع.

ومن الجهود والمواثيق الدولية التي تحمي حقوق الإنسان الفكرية ما نصه:

منها ما يخص الملكية الفكرية

- ميثاق بيرن لحماية الحقوق الأدبية والفنية (١٨٨٦ ثم وثيقة باريس ١٩٧١).
 - اتفاقية مدريد للحد من الاستخدام غير المشروع للمؤشرات الجغرافية (١٨٩١).
 - اتفاقية لاهاي بشأن الإيداع الدولي للتصاميم الصناعية (١٩٢٥) وتعديلاتها (١٩٣٤) والقرار المكمل لها (١٩٦٠).
 - الاتفاقية العالمية لحقوق المؤلف (اليونسكو- ١٩٥٢).
 - ميثاق روما لحماية المؤدين ومنتجات التسجيلات الصوتية والهيئات الإذاعية (١٩٦١).
 - المعاهدة الدولية للتعاون بشأن براءات الاختراع (وايبو- ١٩٧٠).
 - ميثاق جنيف لحماية منتجي الفونوغراف ضد النسخ غير الشرعي (١٩٧١).
 - اتفاقية التدابير المتعلقة بأثر التجارة على حقوق الملكية الفكرية (تريس ١٩٩٤).
 - معاهدة حماية حقوق المؤلف (وايبو - ١٩٩٦).
 - معاهدة حماية الأداء والتسجيل الصوتي (وايبو - ١٩٩٦).
 - معاهدة بودابست الدولية لمكافحة جرائم المعلوماتية والاتصالات (٢٠٠١) (٤٥)
- منها ما يخص حق الإنسان في التفكير بشكل عام، مثل الإعلان العالمي لحقوق الإنسان
- واعتمدت الجمعية العامة الإعلان العالمي لحقوق الإنسان في باريس في ١٠ كانون الأول/ ديسمبر ١٩٤٨ بموجب القرار ٢١٧ ألف (٤٦)
- اتفاقية فينا لقانون المعاهدات ودخلت حيز النفاذ في ٢٧ كانون الثاني/يناير ١٩٨٠ وتنص على أن مبادئ حرية الإرادة، وحسن النية، وقاعدة العقد شريعة المتعاقدين معترف بها عالمياً، وتأكيداً منها بأن المنازعات المتعلقة بالمعاهدات، كبقية المنازعات الدولية، يجب أن تسوى بالطرق السلمية ووفق مبادئ العدالة والقانون الدولي (٤٧) وغيرها من الاتفاقيات.

ولا شك أن للحضارة العربية الإسلامية الدور السامي والمهم في تطور العلوم المختلفة نتيجة لجهد العلماء المسلمين المتظافر على مر التاريخ خصوصا في العصر الذهبي الإسلامي. حيث خلق الفلاسفة والشعراء والفنانون والعلماء والأمراء المسلمون ثقافة فريدة من نوعها أثرت بدورها على المجتمعات في كل القارات. وكانت حركة النقل والترجمة في العصور الذهبية تتميز بالأمانة التامة والتحقيق العلمي المتين. ومن المصنفات القديمة التي تناولت أهمية الأمانة العلمية في النقل والترجمة والبحث والابتكار وغيرها ما كتبه العالم جلال الدين السيوطي وعنوانه "الفارق بين المصنف والسارق" (٤٨)

أوراق أصولية :

المقاصد العامة للشريعة وأثرها في تحقيق الأمن الفكري .

"إن الشريعة الباهرة مبناها على الحكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد وهي عدل كلها ورحمة كلها ومصالح كلها" (٤٩) ، كما قال الغزالي عن المصلحة " هي عبارة في الأصل عن جلب منفعة أو دفع مضرة" (٥٠)

والمراد بالمصلحة المرسله: "هي كل منفعة لم يشهد لها نص خاص بالاعتبار أو الإلغاء، وكانت ملائمة لمقصود الشارع وما تفرع عنه من قواعد كلية استقرت من مجموع نصوص شرعية (٥١)

ومن ضوابطها أن لا تخالف دليلاً قطعياً، وأن تكون المصلحة محققة، وأن تكون المصلحة عامة، وأن تكون معقولة في ذاتها.

وما يتعلق بالمصلحة أمور كثيرة منها تخصيص العام بالمصلحة المرسله (أي التخصيص يكون بسبب مصلحة مرسله) كتخصيص رؤيا هلال رمضان مع كون اللفظ عام في قوله تعالى: "فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ البقرة: ١٨٥" فلفظ (من) اسم موصول من صيغ العموم يدل على التكليف العام، ولكن العقل خصصه؛ إذ يقضي بإخراج من ليس أهلاً للتكليف، كالصبيان والمجانين؛ لاستحالة تكليف من يفهم الخطاب، ونشير انطلاقاً من ذلك إلى قضايا عدة منها الحديث عن الشأن العام، وتصحيح بعض المفاهيم المغلوطة المتعلقة بمسائل التكفير في أفكار المتطرفين، وعدم السماح لغير المتخصصين بالإفتاء ولو كان من وازع غيرته على الدين.

رداً على من يحتكم بأحقيته في ذلك من منطلق الحديث " كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته " و" الدين النصيحة " و " من رأي منكم منكراً فليغيره "، نعم الكل راع والكل مسؤول، ولكن من له الكلمة الفصل خاصة في الأمور الفقهية من هم أهل للاختصاص.

فلعدم تشتيت أذهان الخلق في أمور دينهم أيضاً نجد أن هذا المنع هو أمن الفكري. والضرورة تقام بها مصالح الدين والدنيا بحيث إذا فقدت لم تجر مصالح الدنيا على استقامة بل على فساد " (٥٢) وإن الأمن الفكري لمن الضرورات التي تُتضمن من ضرورات الحياة الخمس المعهودة بالشريعة وهي (الدين، النفس، العقل، النسل، المال) - خاصة العقل - فهو مناط التفكير، كما أن استخلاف الإنسان في الأرض بوصفه مقصداً عاماً للقرآن والشريعة والحضارة هو أدل دليل على مقاصدية الشريعة في تأكيد الأمن الفكري. قس على ما تقدم ضرورة تطبيق القواعد التالية كي يصبح تحقيق الأمن الفكري ممكناً في شتى جوانب حياة الإنسان.

فيما يخص الضرر وضرورة دفعه كي نهيء الأرض للأمن والأمان من جهة، وما هو حق للسلطة أن تتقلده من مقادير الإطاحة بما يهدد الأمن الفكري للإنسان:

- الضرر يزال.
- الأصل في المنافع الإباحة وفي المضار التحريم.
- تسكين الفتنة لازم شرعاً. (٥٣)
- طاعة ولي الأمر واجبة في غير معصية.
- قطع المنازعة واجب.
- يتحمل الضرر الخاص لدفع الضرر العام.
- إذا تعارض مفسدتان روعي أعظمهما ضرراً بارتكاب أخفهما.
- تصرف الإمام على الرعية منوط بالمصلحة.
- الضرورات تبيح المحظورات.
- الضرر لا يُزال بالضرر.
- درء المفسدة أولى من جلب المصلحة.
- الحاجة تنزل منزلة الضرورة.

- العبرة في الحدود بحال وجوبها لا بحال استيفائها.
- ما جاز للإمام أخذه بالطلب والتضييق جاز أخذه قهراً.
- الحقان المختلفان لا يتداخلان.
- أخذ الحق لا يتوقف إلا بدليل.
- ما كان حقاً للإنسان لم يكن محلاً لوجوب حق عليه.
- من أمور التعايش السلمي وتحقيق الحريات:
- الأصل في العلاقات السلم .
- فيما يخص الأمن الفكري كجانب من جوانب الحريات المكفولة في الإسلام :
- الأصل أن الشورى ملزمة .
- فيما يخص ذات الإنسان واعتزازه بقيمته كمفكر:
- حفظ العقل واجب .
- الاحتكار يجري في كل ما يضر بالعامّة (احتكار الأفكار) .
- الاجتهاد لا ينقض بالاجتهاد. (٥٤)

فقه الوحدة ومستوياته.

تدعو تلكم الجزئية من البحث إلى أولوية طرح المسميات المفرقة والجدليات العقيمة ..جانباً

فحينما عرض فضيلة الشيخ محمد الغزالي رؤية جوهرية حول التفريق بين الحد والقصاص مستشهداً بالأمر في الآيتين " قَالَ تَعَالَى: كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ الْبَقْرَةَ: ١٨٣ وَكُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقَصَاصُ الْبَقْرَةَ: ١٧٨

فالأمر الأول يتعلق بحق الله ولذا فالأمر الأول فيه حد في حالة عدم الانقياد له والأمر الثاني يتعلق بحق العباد فالأمر فيه قصاص .

فزنا الزوجة مثلاً لا يهتم المجتمع إذا لم يقدم الزوج شكوى بذلك... وإن موقف القضاء من الزوجة المتلبسة بجريمة الزنا يعتمد على موقف الزوج، أما القتل (وهو الاعتداء على المجتمع بشكل صارخ) فعقوبته القصاص " (٥٥)

هذا عرض بسيط للمفهوم من مسألة الفرضية والأمرية في الشريعة، فحينما يأمرنا ربنا بأن نكون يداً واحدة وصفاً واحداً وأن لا نتفرق فهنا ستوقفنا القاعدة (الأمر

بالشيء نهي عن ضده) أيأمرنا الله بالاتحاد ونهانا عن التفرق، بخلاف العديد من القواعد التي تؤصل لذلك المطلوب

- إذا زالت العلة زال الحكم (فما دام استمرت تباعات التفرق فينا استتبع ذلك ضرورة وجوب وحدة أمتنا).

- الاعتصام بالجماعة والائتلاف من أصول الدين (٥٦) .

- الأصل بقاء ما كان على ما كان (أصلنا واحد فلا بد أن نحافظ على وحدتنا).

- النهي يقتضي الفساد (النهي عن التفرق) .

- الأمر المطلق محمول على الفور والوجوب (أمر الله بالاعتصام بحبله تعالى) .
على أن نعتبر ذلك من فقه أولوياتنا .

إن جوهر الدين هو التوحيد، ومن ذلك المسمى نجد مهمة الأمة الكبرى والتي بها تحقق مآربها ألا وهي (الوحدّة) ووحدة الدين أزلًا وأبدًا، ووحدة العقيدة، ووحدة الشريعة، ووحدة الحضارة، ووحدة التاريخ، ووحدة الفلسفة.

ولقد وسعت الشريعة الإسلامية اجتهادات المذاهب الفقهية، وكان هؤلاء المجتهدون على بينة من أنهم جميعاً (عن رسول الله ملتمس) فتعاملوا مع تلك الاختلافات بسعة الأفق التي تجعلها سبيلاً للرحمة والسعة لا للتفرق وتمزيق الوحدة في إطار التنوع والتكامل لا الانغلاق والتشدد؛ فكان كل منهم إماماً لغيره ومأموماً لسواه، "فالإمام أحمد بن حنبل من أعلام صناعة الرواية للأحاديث، وعليه تتلمذ الإمام الشافعي ويقول له: أنتم أعلم بالأخبار الصحيحة منا، فإذا كان خبر صحيح فأعلموني حتى أذهب إليه، كوفياً كان أو بصرياً أو شامياً" (٥٧)

إذن لا مجال لمن يقول أن اختلافاتهم بسبب عدم اتصاتهم أو لعدم وصول دليل لأحدهم فالكل يبحث عن التكامل ولو في أقصى الشرق أو الغرب وإن كانت نسبة سببته ضئيلة فالخلاف يذهب عند التحقيق.

ولم يقف هذا المنهج عند الأئمة المؤسسين للمذاهب بل لدى أتباعهم؛ "فالقراي (أحمد بن إدريس) المالكي تتلمذ على علماء الشافعية ولا يقف في كتبه عند آراء المالكية وحدهم وينبه على هذا المنهاج في تأليفه فيقول "وقد آثرت التنبيه على مذاهب المخالفين لنا من الأئمة الثلاثة ومآخذهم في كثير من المسائل، تكميلاً

للفائدة ومزيداً في الاطلاع؛ فإن الحق ليس محصوراً على جهة، فيعلم الفقيه أي المذهبين أعلق بالسبب وأقوى" (٥٨) ، حتى لقد سنوا سنة الإفتاء وفق مذهب المستفتي لا مذهب المفتي" . (٥٩) ، ولم يدع الأربعة وجوب تقليدهم " كما تعايشت التعددية الفقهية في إطار الشريعة الواحدة في المدارس (بدلاً عن الفصل المذهبي) التي ضمت أجنحتها دروس المذاهب الفقهية المتعددة لتفتح أبواب الاختيار المذهبي أمام طلاب العلم الديني. (٦٠)

إن وحدة الأمة فريضة مؤكدة، وليس مطلوب لتحقيق الوحدة إلغاء الفروق وإنما المطلوب تقرير حقيقة أن كل تلك الفروق جميعها مثبتة في الشريعة، هنا يصبح الاختلاف طريقاً للوحدة. ألا نجد من ذلك أن هذا الثراء الفكري بتلك النظرة هو عين الأمن الفكري لمجتمعاتنا الإسلامية؟

ومن زاوية مجتمعية نجد أن من أصول تلك الوحدة المحققة للأمن الفكري باعتبارها عامل بشري لقيام الحضارة:

- لا بد بالتحلي بثقافة التجرد.
- وحدة المنهجية عن طريق فهم حدود الدور الإنساني في التغيير في ضوء العلاقة بين تنفيذ أوامر الله والاستقرار.
- التوفيق بين صريح المعقول وصحيح المنقول.
- أولوية المنهج يقوم على أساس المصلحة العامة .
- الخلوص من التبعات الفكرية واعتبار أن التعصب خيانة.
- المتفق عليه أكثر من المختلف فيه لأن الخلاف يذهب عند التحقيق .
- فالتنوع للحالات وليس للأخذ والترك.
- من المقاصد العامة التنازل عن المسميات.
- من تستوجب لهم حقوق المواطنة هم شريك في بناء وحدة الأمة والمجتمع فالفكر السياسي الإسلامي يقوم على أن الإسلام جنسية ووطن ودار واحدة لأمة واحدة لا تميزها جنسيات ولا امتيازات . (٦١)

توصيات البحث:

- ضرورة انبعاث فكرة الأمن الفكري من منظور وحدوي يحافظ على هوية الأمة من جهة، في جو من التعايش السلمي.
- السلام الداخلي أساس للأمن الفكري.
- ضرورة تصحيح بعض المفاهيم فذلك يزيد من صلابة أرضية السلام المجتمعي.
- لا بد من انتزاع خطاب الكراهية وبناء ثقافة قبول الآخر.
- لا بد من تعزيز الأمن الفكري في المجتمعات قاطبة؛ لأنه من شأنه علامة على التحضر والتقدم ووسيلة من وسائل السلام المجتمعي.
- ضرورة الربط بين أصول الفقه وبين القضايا الفكرية لما لارتباطهما من تاريخ النشأة والتطور.
- توثيق روافد المعرفة ووحدة الهدف والمنهجية تفرزان حتماً بالأمن الفكري .

المراجع

- (١) سنن أبي داود ، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني (المتوفى: ٢٧٥هـ)، بيروت: دار الكتاب العربي، كتاب الأفضية، باب اجتهاد الرأي في القضاء، رقم الحديث ٣٥٩٤، ج ٣، ص ٣٣٠.
- (٢) صحيح مسلم، مسلم، كتاب التوبة، باب فضل دوام الذكر والفكر في أمور الآخرة والمراقبة، رقم الحديث ٧١٤٢ ج ٨ ص ٩٤.
- (٣) سنن النسائي، النسائي، كتاب صلاة العيدين، باب الرخصة في الاستماع إلى الغناء وضرب الدف يوم العيد، رقم الحديث، ١٥٩٦، ج ٣، ٢١٨.
- (٤) الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ حديث رقم ٧٩٩ ج ١ ص ١٥٩ باب فضل اللهم ربنا لك الحمد
- (٥) السابق، كتاب العلم، باب من سمع شيئاً فراجع حتى يعرفه، رقم الحديث ١٠٣، ج ١، ص ١٩٦ - ١٩٧.
- (٦) سنن ابن ماجه، ابن ماجه (بيروت: دار الفكر، دت) كتاب الزهد، باب ذكر البعث ، ح : ٤٢٨١، ج ٢، ص ١٤٣١. والطبراني ، سليمان بن أحمد، المعجم الكبير (الموصل: مكتبة العلوم والحكم ، ط ٢، ١٩٨٣ م)، ذكر أزواج الرسول صلى الله عليه وسلم منهن ، حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنه من أخبارها، رقم الحديث ٣٥٨، ج ٢٣، ص ٢٠٦.
- (٧) صحيح البخاري مع فتح الباري، البخاري ، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قوله تعالى: (واتخذ الله إبراهيم خليلاً)، رقم الحديث ٣٣٦٠، ج ٦، ٣٨٩. ومسلم ، صحيح مسلم، كتاب الايمان ، باب صدق الايمان واخلاصه ، رقم الحديث ٣٤٢، ج ١، ص ٨٠. والترمذي ، سنن الترمذي (بيروت: دار الجيل ، ط ٢ ن ١٩٩٨ م)، كتاب تفسير القرآن، باب سورة الأنعام، رقم الحديث ٣٠٦٧، ج ٥ ، ص ١٥٢. وأحمد، المسند، رقم الحديث ٤٠٣١، ج ٧، ص ١٢٩.
- (٨) صحيح مسلم، مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر، رقم الحديث ٦٨٧ ج ٥ ص ١٥٦.
- (٩) السابق، كتاب الطلاق، باب في الإيلاء واعتزال النساء وتخييرهن، رقم الحديث ٣٧٦٤، ج ٤، ص ١٨٨.
- (١٠) مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة حديث رقم ١٨٩١٠
- (١١) البخاري في كتاب الفتن باب (سترون بعدي أموراً تنكرونها) (٢٥٨٨/٦) رقم ٦٦٤٦

المؤتمر الدولي العاشر

[دور العلوم العربية والإسلامية في تكريس الأمن الفكري وتحقيق السلام المجتمعي]

- (٤٠) تقرير قاعدة أخلاق الجماعة المسلمة في القرآن الكريم، د. علي بن عبد الله بن سعيد الشهري، مقال مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية عدد ٧٦ سنة ٢٤ ربيع أول ١٤٣٠هـ - مارس ٢٠٠٩م، ص ١٤٥ - ١٩٠
- (١٢) بين الشريعة الإسلامية والقانون الروماني، أ. د. د. صوفي أبو طالب تقديم أ. د. محمد عمارة، ملحق مجلة الأزهر عدد ذي الحجة ١٤٣٤هـ، ج ٢ ص ٢٤
- (١٣) سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السُّجِسْتَانِي (المتوفى: ٢٧٥هـ)، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، حديث ٥٠٠٤
- (١٤) سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سُوْرَة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ) تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (ج ١، ٢) ومحمد فؤاد عبد الباقي (ج ٣) وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (ج ٤، ٥)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م، حديث رقم ٢٦٢٧
- (١٥) صحيح البخاري، مع فتح الباري، البخاري، كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده، رقم الحديث ٣٢٨١، ج ٦، ص ٣٣٦ - ٣٣٧. ومسلم، صحيح مسلم، كتاب السلام، باب أنه يستحب لمن رُوي خالياً بامرأة وكانت زوجة أو محرماً، رقم الحديث ٥٨٠٨، ج ٧، ص ٨. وأبو داود، سنن أبي داود، كتاب الصوم، باب المعتكف يدخل البيت لحاجته، رقم الحديث ٢٤٧٢، ج ٢، ص ٣٠٩.
- (١٦) السابق، كتاب الجهاد والسير، باب الجاسوس، رقم الحديث ٣٠٠٧، ج ٦، ص ١٤٣. ومسلم، صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أهل البدر، رقم الحديث ٦٥٥٧، ج ٧، ص ١٦٧. وأبو داود، سنن أبي داود، كتاب الجهاد، باب حكم الجاسوس، إذا كان مسلماً، رقم الحديث ٢٦٥٢، ج ٣، ص ١.
- (١٧) صحيح مسلم، مسلم، كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، رقم الحديث ١٣٣، ج ١، ص ٣٨.
- (١٨) سنن الترمذي، الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب سورة التوبة، رقم الحديث ٣١٠٣، ج ٥، ص ١٨٠. وقال: هذا حديث حسن صحيح.
- (١٩) قولها: "ليرفع بي خسيسته" قال الأزهرى: "يقال رفع الله خسيسته فلان إذا رفع حاله بعد انحطاطها".
- (٢٠) مسلم، صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب وجوب الامتثال ما قاله شرعاً دون ما ذكره من معاش الدنيا، رقم الحديث ٦٢٧٧، ج ٧، ص ٩٥.
- (٢١) أخرجه البخاري (سبق تقديمه) باب الرفق في الأمر رقم ٦٠٢٤
- (٢٢) الله ليس كذلك، سيجريد هونكه، ص ٢٥، ترجمة د. غريب محمد غريب. طبعة دار الشروق - القاهرة ١٩٩٥م، مجلة الأزهر ربيع الآخر ١٤٣٦هـ / فبراير ٢٠١٥م ج ٤ سنة ٨٨ ص ٦٧٧

- (٢٣) الإسلام والغرب لا مستقبل بدون تعاون أ.د. محمود حمدي زقزوق، - طبعة المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م
- (٢٤) Islam als, Partner Fritz Steppat, Beirut ٢٠٠١, S٣٩٦
- (٢٥) صدام الحضارات إعادة صنع النظام العالمي، صمويل هنتنجتون، ص: ٣٤٢
- (٢٦) جذور الغضب الإسلامي، برنارد لويس، مجلة أتلانتيك ريفيو ١٩٩٠
- (٢٧) نهاية الإيمان، سام هارس، ص: ٥٣
- (٢٨) الإسلاموفوبيا وجذور التعصب ضد الآخر أ.د. شوقي علام مفتي الديار المصرية، مجلة الأزهر شعبان ١٤٤٠هـ / إبريل ٢٠١٩م جزء ٨ سنة ٩٢، ص: ١٤٢٩
- (٢٩) (الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ باب علامات النبوة في الإسلام، حديث رقم ٣٦١٠
- (٣٠) الإسلام والغرب لا مستقبل بدون تعاون أ.د. محمود حمدي زقزوق - طبعة المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م ص: ٣٣
- (٣١) الحوار الحضاري واستعادة الثقة بين الإسلام والغرب، أ.د. محمود حمدي زقزوق، افتتاحية عدد الأزهر جمادى أولى ١٤٤٠هـ / يناير ٢٠١٩م مجه سنة ٩٢
- (٣٢) الأمن والإعلام في الدولة الإسلامية، فهد عبد العزيز حمد الدعيج ص: ١٠٣
- (٣٣) (الأمن الفكري، كمال محمد تريان، أكاديمية فلسطين للعلوم الامنية ٢٠١٢م ص: ١٥
- (٣٤) حقوق الإنسان في الإسلام، د. علي عبد الواحد وا.ج. ص: ٩٣
- (٣٥) الهوية الإسلامية بين مأزق الانغلاق ومطلب الانفتاح، أ.د. عماد الدين إبراهيم عبد الوازق، مقال، مجلة الأزهر ربيع الاول ١٤٤١هـ / نوفمبر ٢٠١٩م ج٣ سنة ٩٣ من مقال تجديد الفكر الإسلامي، محمد عبد الحميد، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فيرجينيا الولايات المتحدة ١٩٩٥، ص: ٢٦ و مجلة الأزهر ربيع الأول ١٤٤٠هـ / نوفمبر ٢٠١٨ جزء ٣ سنة ٩٢، ص: ٣٩٨
- (٣٦) سفر التكوين إصحاح ٥/٤ - والعدد ٣٦/ والقضاة ٤٢- المسألة اليهودية لغسان سميح الزين ص ٩٤ - بيسان للنشر والتوزيع - بيروت
- (٣٧) سفر الخروج الفصل ٢٠
- (٣٨) إنجيل متى ٢١- ٢٥، مجلة الأزهر رجب ١٤٤٠هـ / مارس ٢٠١٩م دزه ٧ سنة ٩٢ ص: ١١٦٦ - ١١٦٨ الكلمة في اللقاء العالمي للأخوة الإنسانية بالإمارات، ٢٠١٩

المؤتمر الدولي العاشر

[دور العلوم العربية والإسلامية في تكريس الأمن الفكري وتحقيق السلام المجتمعي]

(٣٩) مجلة الأزهر رجب ١٤٤٠هـ مارس ٢٠١٩ دزه ٧ سنة ٩٢ ص ١١٦٦ - ١١٦٨ الكلمة في اللقاء العالمي للأخوة

الإنسانية بالإمارات ٢٠١٩

(٤١) الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح

البخاري ، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق

النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) ط ١٤٢٢هـ، ج ٤ ص ١٨٦

حديث رقم ٣٥٣٤

(٤٢) الحوار الثقافي بين الشرق والغرب أ.د. محمد مختار جمعة وزير الأوقاف، المجلس الأعلى للشؤون

الإسلامية، ٢٠١٩ ص ٣٩/٤٠

(٤٣) حضارة العرب ، جوستاف لوبون ، ترجمة عادل زعيتر ، مؤسسة هنداوي ، ص ٥٨٦

، S٣٩٢، ٢٠٠١، Islam als, Partner Fritz Steppat, Beirut (٤٤)

(٤٥) الحجات والتبعية الثقافية، مصطفى عبد الغني، مركز الحضارة العربية، ١٩٩٨، ص ١٧.

(٤٦) <https://www.un.org/ar/universal-declaration-human-rights/index.html>

(٤٧) <http://hrlibrary.umn.edu/arabic/viennaLawTreatyCONV.html>

^Howard R. Turner, Science in Medieval Islam, University of Texas Press, November ١, ١٩٩٧,

ISBN ٠-٧٨١٤٩-٢٩٢-٠, pg. ٢٧٠ (٤٨)

(٤٩) أعلام الموقعين ٥/٣

(٥٠) المستصفى ٢٨٦/١

(٥١) تقريب الوصول إلى علم الأصول لابن جزى ص ١٤٨

(٥٢) مجلة الأزهر ربيع الآخر ١٤٣٦هـ فبراير ٢٠١٥ جزء ٤ سنة ٨٨ ص ٧٨٤ - ٧٨٦

(٥٣) القواعد الفقهية المتعلقة بالأمن وتطبيقاتها في الفقه الإسلامي ، د. حوامدي حميدة ، رسالة علمية

(دكتوراه)، إشراف أ.د. أبو بكر لشهب الجزائر، ص ٢٢٨

(٥٤) أصول الكرخي والإشراف في مسائل الخلاف ، القاضي عبد الوهاب البغدادي المالكي، دار القلم

دمشق ، مجمع الفقه الإسلامي (جدة) ط ١٩١١هـ / ١٩٩٨ م. دراسة د. محمد الروكي، (كل ما تقدم من

قواعد)

(٥٥) الاستعمار التشريعي في بلادنا ، الشيخ محمد الغزالي ن مقال مجلة الأزهر جمادى الآخرة ١٤٣٣هـ

مايو ٢٠١٢، وإذا نظرنا إلى الأمن الفكري وهو حق يتعلق بالعباد خالصاً فلنعطه المكانة المناسبة أصولياً

وفقهياً بين الأحكام

- (٥٦) القواعد الفقهية المتعلقة بالأمن وتطبيقاتها في الفقه الإسلامي، د. حوامدي حميدة، رسالة علمية (دكتوراه)، إشراف أ.د. أبو بكر لشهب الجزائر، ص ٢٢٩
- (٥٧) الرسالة، الشافعي، مقدمة التحقيق، ص ١، المكتبة العلمية بيروت
- (٥٨) الإمام شهاب الدين القرافي وأثره في الفقه الإسلامي، عبد الله إبراهيم صلاح ص ١٦٩، ١٦٢، ط مالطا ١٩٩١
- (٥٩) حجة الله البالغة، ولي الله الدهلوي، ج ١ ص ١٥٩، ١٦٠، القاهرة ١٣٥٢هـ
- (٦٠) التعليم في مصر، أمين سامي باشا، القسم الخامس من الملحقات، ط القاهرة ١٩١٧هـ
- (٦١) مفهوم الأمة الإسلامية، أ.د. محمد عمارة، مقال، مجلة الأزهر ربيع الأول ١٤٣٥هـ/يناير ٢٠١٤م ج ٣
- سنة ٨٧

هذا وبالله التوفيق

بقلم د. حنان مختار

الأمن الفكري أهميته ووسائل تحقيقه

دكتورة/ مريم طاهر أحمد طالبي مدخلي

الأستاذ المشارك بكلية الشريعة والقانون - جامعة جازان

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.... وبعد

إن الأمن بمعناه العام مطلب أساسي، وضرورة قصوى لجميع البشر على اختلاف فئاتهم وأجناسهم وأهوائهم وأفكارهم ومعتقداتهم، فكل البشر بلا استثناء بحاجة إلى الأمن الذي هو ضد الخوف إذ يحقق لهم نوعاً من الاطمئنان والسكينة التي تريح قلوبهم وعقولهم.

فبالأمن يعيش الناس في راحة وهدوء ورغد من العيش، وبالأمن تتطور الأمم والشعوب وترتقي، وعلى العكس من ذلك فبانعدام الأمن يحل الخوف مكانه وتعم الفوضى وتزداد المشاكل، ويضطرب حال الناس ويتحول إلى ضيق ونكد وتنتشر الجرائم.

من أجل ذلك فقد اعتنى ديننا الإسلامي الحنيف بموضوع الأمن عناية فائقة ودعا إلى تحقيقه في مختلف المجالات.

قال تعالى: (وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنَاً وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ) البقرة ١٢٥

فالله تعالى في هذه الآية يمتن على أهل الحرم بأن جعل البيت آمناً يأمن إليه كل أحد، ولهذا كانوا في الجاهلية على شركهم يحترمونه أشد الاحترام ويجد أحدهم

قاتل أبيه في الحرم فلا يهجيه، فلما جاء الإسلام زاده حرمة وتعظيمًا وتكريمًا وتشريفًا. (١)

وقال تعالى : (وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعَمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ) النحل ١١٢

بيّن الله تعالى في هذه الآية أن كفران النعم وعدم شكر الله عليها سبب من أسباب حلول النقم مثل الجوع والخوف.

وقال تعالى ممتنًا على أهل مكة بأن أطعمهم بعد جوع وآمنهم بعد خوف : (فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ * الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ) قريش ٣- ٤

وقد وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالتمكين في الأرض واستبدال خوفهم بالأمن قال تعالى : (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا * يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا * وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) النور ٥٥

مما سبق يتضح لنا أهمية الأمن لكل البشر وكيف أن الإسلام اهتم به ودعا إلى تحقيقه.

والذي يعنينا ويهمنا في هذا البحث هو نوع من أنواع الأمن ولعله أهم الأنواع وهو الأمن الفكري؛ إذ بتحقيقه يسهل تحقيق بقية أنواع الأمن كالأمن النفسي والسياسي والاجتماعي والوطني وغيرها من أنواع الأمن.

من أجل ذلك فسوف أقتصر في هذا البحث على الحديث عن الأمن الفكري أهميته ووسائل تحقيقه .

مشكلة البحث :

تكمن مشكلة البحث في كونه يناقش قضية من أهم القضايا العقدية وهي قضية الأمن الفكري أهميته ووسائل تحقيقه، هذه القضية التي غفل عنها كثير من المسلمين غير مدركين لأهميتها ودورها الفاعل في الحفاظ على فكر ومعتقد الأمة

(١) / تيسير الكريم الرحمن في كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي ، مؤسسة الرسالة :بيروت ،

من الغزو والانحراف، مما يتطلب كتابة مثل هذا البحث لتوضيح هذه القضية وبيان أهميتها ووسائل تحقيقها .

أسباب اختيار الموضوع :

من أهم الأسباب التي دفعتني للكتابة في هذا الموضوع ما يلي :

١/ أهمية الأمن الفكري كونه أهم دعائم الأمن في المجتمع، والسبيل إلى تحقيق أنواع الأمن الأخرى.

٢/ تكالب أعداء الإسلام على الأمة الإسلامية وحرصهم الشديد على زعزعة أمنها الفكري بشتى السبل والوسائل، إدراكاً منهم لأهميته في إضعاف الأمة الإسلامية وتمكينهم من السيطرة عليها .

٣/ التطور التكنولوجي والتقني وسهولة التعامل مع وسائل الاتصال المختلفة والتأثر بما تحمله من سموم مدموسة تؤثر على الأفكار والمعتقدات وخاصة لدى الشباب مما يؤدي إلى زعزعة أمنهم الفكري.

٤/ إدراكاً مني لأهمية الأمن الفكري وضرورة الحفاظ عليه والدفاع عنه ضد كل فكر منحرف ومعتقد ضال وذلك من خلال توضيح بعض الوسائل التي تساهم في تحقيقه بين أفراد المجتمع .

لذا رأيت من الواجب علي أن أكتب في هذا الموضوع إظهاراً لأهمية الأمن الفكري ووسائل تحقيقه في المجتمع عله يجد آذاناً صاغية وقلوباً واعية للحرص عليه والاهتمام بوسائل تحقيقه .

أهمية الموضوع :

ترجع أهمية الموضوع لكونه يناقش قضية من أهم القضايا العقدية والفكرية، وهي قضية الأمن الفكري الذي يعد أهم أنواع الأمن إذ بتحقيقه تتحقق الأنواع الأخرى . هذه القضية التي شغلت أعداء الإسلام وحرصوا على غزو المسلمين من خلالها أشد الحرص للنيل من الدين الإسلامي وتشكيك المسلمين في أفكارهم ومعتقداتهم ليكونوا صيداً سائغاً لهم .

في حين غفل عن هذه القضية كثير من المسلمين، وانشغلوا بما دونها غير مدركين لأهمية الأمن الفكري في الحفاظ على كيان وهوية الأمة الإسلامية .

هدف البحث :

يهدف البحث إلى بيان مفهوم الأمن الفكري، وأهميته في واقعنا المعاصر، وأهم وسائل تحقيقه في المجتمع.

أسئلة البحث :

١/ ما تعريف الفكر لغة واصطلاحاً ؟

٢/ ما تعريف الأمن لغة واصطلاحاً ؟

٣/ ما معنى الأمن الفكري ؟

٤/ ما معنى الأمن الفكري الإسلامي ؟

٥/ ما أهمية الأمن الفكري ؟

٦/ ما وسائل تحقيق الأمن الفكري ؟

منهج البحث :

المنهج المتبع في هذا البحث هو المنهج الوصفي القائم على جمع المعلومات حول قضية الأمن الفكري وتفسيرها وتحليلها والوقوف على جوانبها المختلفة لتحديد مفهوم الأمن الفكري وأهميته ووسائل تحقيقه في المجتمع.

خطوات سير البحث:

يشتمل هذا البحث على مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة.

المقدمة وتتضمن: مشكلة البحث وأسباب اختيار الموضوع وأهميته وأسئلة البحث، ومنهج البحث وخطوات سير البحث.

المبحث الأول: تعريف الأمن الفكري.

المبحث الثاني: أهمية الأمن الفكري.

المبحث الثالث: وسائل تحقيق الأمن الفكري.

الخاتمة: وتتضمن أهم النتائج التي توصلت إليها الباحثة، وبعض التوصيات الهامة في هذا المجال.

وأسأل الله تعالى العون والتوفيق.

المبحث الأول

تعريف الأمن الفكري

قبل أن نبين معنى الأمن الفكري لابد لنا من بيان معنى الأمن والفكر لنتوصل من خلالهما لتعريف مناسب للأمن الفكري.

تعريف الأمن في اللغة :

الأمن في اللغة ضد الخوف ونقيضه، قال تعالى : (وآمنهم من خوف) قریش ٤
الأمانُ والأمانةُ بمعنًى. وَقَدْ أَمِنْتُ فَأَنَا أَمِينٌ، وَأَمِنْتُ غَيْرِي مِنَ الأَمْنِ والأمان. والأمنُ:
ضدُّ الخَوْفِ. والأمانةُ: ضدُّ الخِيَانَةِ. والإيمانُ: ضدُّ الكُفْرِ. والإيمانُ: بمعنًى التصديقِ،
ضدُّ التَّكْذِيبِ.

والأصل أن يستعمل في سكون القلب الذي يعني الراحة النفسية والطمأنينة والاستقرار وعدم الخوف. (١)

وقال ابن الفارس: الهمزة والميم والنون، أصلان متقاربان: أحدهما الأمانة وهي ضد الخيانة، ومعناها سكون القلب، والآخر التصديق، وأصل الأمان: طمأنينة النفس وزوال الخوف، والأمنُ والأمانةُ والأمانُ في الأصل مصادر، ويجعل الأمان تارة اسماً للحالة التي يكون عليها الإنسان في الأمن، وتارة اسماً لما يؤمن عليه الإنسان. (٢)

(١) / لسان العرب ، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منطور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (المتوفى: ٧١١هـ)

الناشر: دار صادر - بيروت الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ ، ٢١ / ١٣ ، والقاموس المحيط لمجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزي (المتوفى: ٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي

الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان ، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م، ١١٧٦ / ١

(٢) / المفردات في غريب القرآن ، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (المتوفى: ٥٠٢هـ)، المحقق: صفوان عدنان الداودي ، الناشر: دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت ، الطبعة: الأولى ١٤١٢ هـ ، ص ٩٠ - ٩١.

ويقال : أمن أماناً : اطمأن ولم يخف، وأمن الشرائي سلم منه، وأمن فلان على كذا أي وثق به، واطمأن إليه وجعله أميناً عليه. (١)

ويقال: أمن زيد الأسد أمناً وأمن منه مثل سلم منه وزناً ومعنى، والأصل أن يستعمل في سكون القلب، يتعدى بنفسه وبالحرّف، ويعدى إلى ثان بالهمزة فيقال أمّنته منه وأمّنته عليه بالكسر، واتّمنتته عليه فهو أمين، وأمن البلد اطمأن به أهله فهو آمن وأمين، وهو مأمون الغائلة أي ليس له غور ولا مكر، يخشى، وأمّنت الأسير بالمد أعطيته الأمان، فأمن هو بالكسر، وأمّنت بالله إيماناً أسلمت له، وأمن بالكسر أمانة فهو أمين، ثم استعمل المصدر في الأعيان مجازاً، فقبل الوديعه أمانة ونحوه، والجمع أمانات. (٢)

من خلال التعاريف اللغوية السابقة للأمن يتضح لنا أنه يدور حول معنيين متقاربين في اللغة وهما:

١/ الطمأنينة والاستقرار والشعور بالرضا.

٢/ التصديق وعدم الخوف والثقة. (٣)

تعريف الأمن في الاصطلاح :

عرفه الجرجاني بأنه: (عدم توقع مكروه في الزمن الآتي) (٤)

وإذا نظرنا إلى تعريفات العلماء المختلفة للأمن نجد أن تعريف الأمن يختلف بحسب اختلاف المجالات والتخصصات التي يتناولها موضوع الأمن، ومن الممكن توضيح ذلك على النحو التالي:

(١) / معجم اللغة العربية المعاصرة، المؤلف: د أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق

عمل، الناشر: عالم الكتب، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م، ١/ ٢٢.

(٢) / المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، حمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (المتوفى: نحو

٧٧٠هـ) الناشر: المكتبة العلمية - بيروت، ٣٤/١.

(٣) / أنظر: مفهوم الأمن الفكري دراسة تأصيلية في ضوء الإسلام، بحث تكميلي مقدم لنيل درجة الماجستير في

الثقافة الإسلامية، إعداد ماجد بن محمد الهذلي، إشراف د محمد بن حسن أحمد، ١٤٢٣ - ١٤٣٣هـ، ص ٢٠، والأمن

الفكري في مقررات التربية الإسلامية في المرحلة الثانوية، دراسة ميدانية، لسعد بن صالح بن رايل العتيبي، إشراف

الأستاذ الدكتور / محمود بن محمد كساوي، ١٤٢٩ - ١٤٣٠هـ، ص ٢٢.

(٤) / التعريفات، المؤلف: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ)، المحقق: ضبطه وصححه

جماعة من العلماء بإشراف الناشر الناشر: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م،

المؤتمر الدولي العاشر

[دور العلوم العربية والإسلامية في تكريس الأمن الفكري وتحقيق السلام المجتمعي]

- ١/ الأمن من الناحية الشرعية: (هو الاستعداد والأمان بحفظ الضروريات الخمس من أي عدوان عليها، فكل ما دل على معنى الراحة والسكينة وتوفير السعادة والرفق في شأن من شؤون الحياة فهو آمن).^(١)
- ٢/ الأمن النفسي: (الحالة التي يسود فيها الشعور بالطمأنينة، والهدوء والاستقرار، والبعد عن القلق والاضطراب وهذا الشعور ضروري لحماية الفرد والمجتمع وهو لا يتوفر إلا إذا توفرت أسبابه، وهي اطمئنان الفرد على أمور معينة كالنفس والمال والعرض والشرف).^(٢)
- ٣/ الأمن الجنائي: (هو قدرة المجتمع على مواجهة ليس فقط الأحداث والوقائع الفردية للعنف، بل جميع المظاهر المتعلقة بالطبيعة المركبة والمؤدية للعنف).^(٣)
- ٤/ الأمن السياسي: (هو تحقيق كيان الدولة والمجتمع ضد الأخطار التي تهددها داخلياً وخارجياً وتأمين مصالحها، وتهيئة الظروف المناسبة اقتصادياً واجتماعياً لتحقيق الأهداف والغايات التي تعبر عن الرضا العام في المجتمع).^(٤)
- ٥/ الأمن من الناحية السلوكية يعرف بأنه: (مجموعة من الإجراءات التربوية، والوقائية والعقابية، التي تتخذها السلطة لحماية الوطن والمواطن داخلياً وخارجياً، انطلاقاً من المبادئ التي تؤمن بها الأمة، ولا تتعارض أو تتناقض مع المقاصد والمصالح المعتمدة).^(٥)

(١) / مقومات الأمن في القرآن، إبراهيم بن سليمان الهويميل، ص٩، المجلة العربية للدراسات الأمنية والتدريب، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية . المجلد الخامس عشر، العدد التاسع والعشرون، محرم ١٤٢١هـ .

(٢) / الأمن الفكري والعقائدي مفاهيمه وخصائصه وكيفية تحقيقه ، أحمد بن علي المجذوب ص٥٣، بحث علمي منشور ضمن أوراق الندوة العلمية الرابعة : نحو استراتيجية عربية للتدريب في الميادين الأمنية ، دار النشر بالمركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب ، الرياض ١٤٠٨ع .

(٣) / الأمم المتحدة ومفهوم الإرهاب ، عبد المنعم المشاط ، مجلة السياسة الدولية العدد ٨٤، دار الاهرام القاهرة، ١٩٨٦م ، ص١٩ . نقلا عن كتاب الامن الفكري في مقررات التربية الإسلامية .

(٤) / بين الأمن العام والامن السياسي ، علي الدين هلال ، المركز العربي للدراسات الأمنية ، الرياض ١٤٠٦ هـ . ص٨٤ . نقلا عن كتاب الامن الفكري في مقررات التربية الإسلامية .

(٥) / المفهوم الأمني في الإسلام ، علي فايز الجحني ، مجلة الامن ص١٢، الصادرة من وزارة الداخلية العدد ٢ ، في ذي الحجة ١٤٠٨هـ .

من خلال ما سبق من التعريفات يتضح لنا أن هناك تباين واضح في تعريف الأمن وذلك حسب الجانب الذي ينظر إليه المعرف.

ومن الممكن أن نعرف الأمن من وجهة نظر الباحثة وبناءً على ما سبق من التعريفات بالقول أن الأمن هو: أن يعيش الأفراد والجماعات مستقرين وأمنين مطمئنين على جميع خصوصياتهم وضروريات حياتهم بعيداً عن الخوف والعنف بمختلف أشكاله وصوره، وذلك من خلال مجموعة من الإجراءات الملزمة التي تضمن لهم ذلك.

تعريف الفكر في اللغة :

الفكر والفكر بالفتح مصدر، وبالكسر اسم، وهو إعمال الخاطر في شيء، والتفكير التأمل، وليس لي في هذا الأمر فكر، أي ليس لي فيه حاجة .^(١)

والفكر تردد القلب في شيء، يقال فكر إذا ردد القلب معتبراً ورجل فكير كثير الفكر^(٢)

والتفكير هو: إعمال العقل في المعلوم للوصول إلى معرفة مجهول، والفكرة: الفكر والصورة الذهنية لأمر ما .^(٣)

الفكر في الاصطلاح:

هو حركة النفس نحو المبادئ والرجوع عنها إلي المطالب .^(٤)

وهو جملة النشاط الذهني، وأسمى صور العمل الذهني بما فيه من تحليل وتنسيق وتركيب.^(٥)

والفكر جملة ما يتعلق بمخزون الذاكرة الإنسانية من القيم والمبادئ الأخلاقية التي يتغذى بها الإنسان من المجتمع الذي ينشأ فيه ويعيش بين أفرادهِ.^(٦)

(١) / لسان العرب ١٠/ ٣٠٧.

(٢) / معجم مقاييس اللغة، المؤلف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى:

٣٩٥هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، ٤ / ٤٤٦.

(٣) / معجم اللغة العربية المعاصرة ٣/ ١٧٣٣ - ١٧٣٤.

(٤) / الكلبيات لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني القريني الكفوي، أبو البقاء الحنفي (المتوفى:

١٠٩٤هـ) المحقق: عدنان درويش - محمد المصري، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت ص ٦٩٧.

(٥) / المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية، الناشر مجمع اللغة العربية ١٩٨٩م، ص ٤٨٧.

(٦) / الأمن الفكري وعناية المملكة العربية السعودية به، لعبد الله بن عبد المحسن التركي، مطابع رابطة

العالم الإسلامي، مكة المكرمة، ١٤٢٢هـ، ص ٦٦.

الفكر مادة الثقافة وماهيتها، أو هو أداؤها والشيء الذي تقوم به وتكون، والثقافة من ناحية، أخرى هي ثمرة الفكر في المجال النظري، وقد يطلق كل منهما على الآخر.^(١) مما سبق يتضح لنا أن الفكر مرادف للتفكير وذلك لعلاقته الوثيقة بأنشطة الذهن وإعمال العقل في مجال المعرفة، حيث يقوم الإنسان من خلاله باستخدام عقله وتجاربه السابقة للوصول إلى خبرات جديدة.

كما أن له علاقة بعقيدة ومبادئ المجتمع؛ لأنه ينبع منهما ويتأثر بهما ويؤثر فيهما.^(٢)

تعريف الأمن الفكري :

يعتبر مفهوم الأمن الفكري من المفاهيم الحديثة التي لم تكن معروفة من قبل، إلا أنه مركب من كلمتين كلاهما له أصل في اللغة العربية وهما الأمن والفكر، وقد حرصت الشريعة الإسلامية على حفظهما للإنسان ليستطيع الحياة في رخاء واستقرار .

وقد كان للعلماء العديد من التعريفات في بيان المقصود بهذا المصطلح، وسوف نذكر فيما يأتي بعضاً منها:

١/ عرفه الدكتور عبد الحفيظ المالكي بأنه: (سلامة فكر الإنسان من الانحراف أو الخروج عن الوسطية والاعتدال في فهمه للأُمور الدينية والسياسية والاجتماعية مما يؤدي إلى حفظ النظام العام، وتحقيق الأمن والطمأنينة والاستقرار في الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية وغيرها من مقومات الأمن الوطني) .^(٣)

(١) / مقدمات في الثقافة الإسلامية، ا.د. مفرح بن سليمان القوسي، أستاذ الثقافة الإسلامية بجامعة

الامام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٤٣٠هـ، ص ٢١.

(٢) / أنظر: الأمن الفكري في مقررات التربية الإسلامية في المرحلة الثانوية، ص ٢٦.

(٣) / نحو بناء استراتيجية وطنية لتحقيق الامن الفكري في مواجهة الإرهاب، د عبد الحفيظ بن عبد الله

بن أحمد المالكي، رسالة دكتوراة غير منشورة، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض ١٤٢٧هـ، ص ٧.

٢/ وعرفه الوادعي بأنه: (سلامة فكر الإنسان وعقله وفهمه من الانحراف والخروج عن الوسطية والاعتدال في فهمه للأمور الدينية والسياسية، وتصوره للكون بما يؤول به إلى الغلو والتنطع والالحاد والعلمنة الشاملة) .^(١)

٣/ وعرفه المجذوب بأنه: (حماية فكر المجتمع وعقائده من أن ينالها عدوان أو أن ينزل بها أذى لأن ذلك من شأنه إذا حدث أن يقضي على ما لدى الناس من شعور بالهدوء والطمأنينة والاستقرار ويهدد حياة المجتمع) .^(٢)

٤/ وعرفه حيدر الحيدر بأنه: (تأمين خلو أفكار وعقول أفراد المجتمع من كل فكر شائب ومعتقد خاطئ مما قد يشكل خطراً على نظام المجتمع وأمنه، وبما يهدف إلى تحقيق الأمن والاستقرار في الحياة الاجتماعية، وذلك من خلال برامج وخطط الدولة التي تقوم على الارتقاء بالوعي العام لأبناء المجتمع من جميع النواحي السياسية والاجتماعية والاقتصادية والتعليمية وغيرها ، والتي تعمل على تحقيقها أجهزة الدولة عبر مؤسساتها وأجهزتها ذات الاهتمام والتي تتربط في خدماتها وتتواصل) .^(٣)

من خلال التعريفات السابقة يتضح لنا أن الأمن الفكري يحقق الحماية الكاملة لفكر الإنسان من التطرف والانحراف والغلو، وجميع الأفكار الضالة والمعتقدات الخاطئة التي تتعارض مع العقيدة والمبادئ التي يدين بها المجتمع وما يتبعها من سلوكيات تخرج بالمجتمع عن منهج الوسطية والاعتدال.

مفهوم الأمن الفكري في الإسلام :

نجد أن مفهوم الأمن الفكري يختلف من مجتمع لآخر، كل بحسب عقيدته وفكره، فالعقائد والأفكار من أهم دعائم الأمن الفكري، ولا شك أن الأمن الفكري في الإسلام له مفهومه الخاص المستمد من عقيدته وأفكاره القائمة على هدى من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

(١) / الأمن الفكري الإسلامي أهميته وعوامل بنائه ، لسعيد بن سفر الوادعي ، جامعة نايف العربية للعلوم

الأمنية ، مجلة الامن والحياة ، العدد ١٨٧، ١٩٨٩م ، ص ٥١ .

(٢) / الامن الفكري والعقائدي مفاهيمه خصائصه وكيفية تحقيقه ، لاحمد المجذوب ، جامعة نايف

العربية للعلوم الأمنية ، ١٤٠٨هـ ص ٥٤ .

(٣) / الأمن الفكري في مواجهة المؤثرات الفكرية ، لحيدر بن عبد الرحمن الحيدر ، رسالة دكتوراة في

أكاديمية الشرطة في جمهورية مصر العربية الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ . ص ٣١٦ .

وقد عرف الأمن الفكري الإسلامي بعدة تعاريف منها :

- ١/ عرفه حمد العبيدان بأنه: (سلامة فكره واعتقاده من كل فكر دخيل).^(١)
 - ٢/ وعرفه الشيخ عبد الرحمن السديس بأنه: (أن يعيش الناس في بلدانهم وأوطانهم وبين مجتمعاتهم آمنين مطمئنين على مكونات أصالتهم وثقافتهم النوعية ومنظومتهم الفكرية المنبثقة من الكتاب والسنة).^(٢)
- ومن الممكن تعريفه أيضاً بأنه: (حماية أفكار ومعتقدات المجتمع المسلم من الأفكار الضالة والمعتقدات المنحرفة التي تتعارض مع تعاليم الدين الحنيف، وتؤدي إلى انحرافات سلوكية و عقديّة مجانبة لمنهج الوسطية والاعتدال، إما بغلو أو جفاء .
- وحتى يتحقق الأمن الفكري في المجتمعات الإسلامية لا بد لنا من صيانة عقول أفراد المجتمع من جميع الأفكار المنحرفة والضالة التي تؤثر على فكرهم النير وعقيدتهم الأصيلة المستمدة من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، فيبتعدون عن تعاليم هذا الدين ويعتقدون أنه غير صالح لكل زمان ومكان ظلماً وعدواناً .
- وبالتالي تظهر معالم الانفلات عن شريعة الإسلام والتمرد على تعاليمه بين أفراد المجتمع، وينقسمون إلى فئات عدة، فمنهم من تأثر بالحضارة الغربية كل التأثر فنجدهم يتحدثون العربية ولكن أشكالهم غربية، تتضح من خلال ملابسهم وهيئتهم التي لا تنتمي لعقيدتهم وفكرهم بشيء، ومنهم من بالغ في التمسك بالدين دون وعي أو إدراك لسعة هذا الدين وتجده فيرفضون كل حديث وجديد وإن كان مفيد ولا يتعارض مع مبادئ الدين .
- ومنهم من أوصلهم فكرهم الضال المنحرف إلى تكفير كل من خالف بعض تعاليم الدين، فأصبحوا متمردين وإرهابين يخربون ويقتلون دون هدف واضح، فخرجوا بفكرهم الضال من الدين وهم يظنون أنهم مجاهدون مخلصون للدين.
- وما ظهر مثل هؤلاء إلا عندما فقد الأمن الفكري الذي يصون العقائد والأفكار ويحميها من كل انحراف وفكر ضال .

(١) / الامن الفكري لحمد العبيدان ، مجلة الامن والحياة وزارة الداخلية الرياض ١٤٠٥هـ العدد ١١ ص ٣٨ .

(٢) / الشريعة الإسلامية وأثرها في تعزيز الأمن الفكري لعبد الرحمن السديس ص ١٦ ، ملتقى الامن الفكري جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية الرياض الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ .

لذلك يجب علينا الحفاظ على أمننا الفكري الإسلامي من كل فكر ضال ومعتقد فاسد، ومن أجل ذلك لابد أن نكون كما أمرنا الله تعالى أمة وسطاً معتدلين لا إفراط ولا تفریط في الفكر والمعتقد، قال تعالى: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا) البقرة ١٤٣

فبالوسطية والاعتدال يتحقق الأمن والاستقرار .^(١)

(١) / أنظر الامن الفكري وتطبيقاته التربوية ، ص ٥٦ - ٥٧ .

المبحث الثاني

أهمية الأمن الفكري

الأمن مطلب أساسي لكل أمة من الأمم، وغاية من أهم الغايات التي ينشدها الإنسان في حياته، وهدف تسعى جميع المجتمعات إلى تحقيقه، وهناك الناس في حياتهم واستقرارهم مرتبط به ومقترن معه.

وقد امتن الله تعالى به على قريش في قوله تعالى: (فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ * الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ) قريش ٣- ٤

وربط الله تعالى الأمن بالإيمان فجعله تابعاً وملازماً له، فمتى تحقق الإيمان وجد الأمن والاستقرار، قال تعالى: (الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ) الأنعام ٨٢.

ففي ظل الأمن تقام شعائر الدين، ويسعى الناس في مناكب الأرض لطلب المعيشة وكسب الرزق وهم مطمئنون، ويأمن الناس على أنفسهم وأعراضهم وأموالهم . والعقل البشري أداة التفكير والتخيل، ومنه الفكر السوي الذي يعتبر ركيزة أساسية في ارتقاء الأمم وحضارتها وتقدمها.

وهو (العقل) منة كبرى ونعمة عظيمة أنعم الله بها على الإنسان وميزه بها عن سائر المخلوقات، والمحافظة على العقل من المضدرات أمر متفق عليه في بدهة العقول، وقد دعت الشرائع السماوية جميعاً للمحافظة عليه ولا سيما شريعتنا الإسلامية .

وكلا الأمرين (الأمن والعقل) لا يتمان إلا بتحقيق الأمن الفكري، حيث يعتبر أهم أنواع الأمن فهو في الدرجة الأولى من حيث الأهمية والخطورة، وإذا تحقق الأمن الفكري في مجتمع من المجتمعات تبعه تلقائياً تحقق الأمن في الجوانب الأخرى .

ولذلك يقول التركي: (وبناءً عليه فإننا ننزل الأمن الفكري المنزلة العليا في مراتب الأمن ونضعه في الدرجة الأولى من حيث الأهمية والخطورة، وذلك أن تصرفات الناس تنطلق من أوعيتهم الثقافية، وتستند إلى أروادتهم الفكرية والاعتقادية) (١)

(١) الأمن الفكري وعناية المملكة به ، ص ٦٩

ويقول أيضاً: (الجريمة ترتبط بفكر الإنسان ارتباطاً مطرداً من حيث المبدأ، ولا يقدم عليها أو يمتنع عنها إلا على أساس هذا الارتباط)^(١).

فالأمن الفكري في الإسلام ذو أهمية؛ لأنه فكر رسالة سماوية لهذه الأمة الإسلامية، ويكون من نتاجه وحدة الاعتقاد والفكر ووحدة السلوك، وهو التزام واعتدال ووسطية وشعور بالانتماء إلى ثقافة الأمة وقيمها، وهو حماية عقل الإنسان المسلم وفكره ورأيه في إطار الثوابت الأساسية، والمقاصد المعتبرة والحقوق المشروعة، المنبثقة من الإسلام عقيدة وشريعة حياة)^(٢).

وقد بين الشيخ السديس أهمية الأمن الفكري بقوله: (وتأتي أهميته من كونه يستمد جذوره من عقيدة الأمة ومسلماتها، ويحدد هويتها ويحقق ذاتيتها، ويراعي مميزاتها وخصائصها، وذلك بتحقيق التلاحم والوحدة في الفكر، والمنهج والسلوك، والهدف والغاية، كما أنه سر البقاء وسبب النماء، وطريق البناء وعامل العطاء، وقاعدة الهناء وضمانه بحول الله، من التلاشي والفناء، فإذا اطمأن أهل الإسلام على مبادئهم وقيمهم وفكرهم النير وثقافتهم المميزة، وأمنوا على ذلك من لوثات المبادئ الوافدة، وغوائل الانحرافات الفكرية المستوردة، ولم يقبلوا التنازل عن شيء من ثوابتهم، ولم يسمحوا بالمساومة والمزايدة عليها، وعملوا على حراستها وصيانتها فقد تحقق لهم الأمن الفكري)^(٣).

ويمكننا من كل ما سبق أن نلخص أهمية الأمن الفكري في النقاط التالية:

- ١/ الأمن الفكري يحمي أهم المكتسبات وأعظم الضروريات وهي دين الأمة ومعتقداتها.
- ٢/ الأمن الفكري يصون الشريعة الإسلامية ويدافع عنها ويحميها من الطعن والتشكيك فيها الذي هو أهم غايات العدو .
- ٣/ الأمن الفكري يصون كيان الأمة الإسلامية من الذوبان في غيرها من الأمم ذلك أن الفكر الإسلامي يستمد جذوره من العقيدة الإسلامية الغراء وثوابتها .
- ٤/ الأمن الفكري يحسم الفوضى الفكرية السائدة في المجتمعات بفكر قوي منظم مستنده العقيدة الإسلامية، فما وقعت الأمة الإسلامية في الفوضى الفكرية إلا عندما اختل الأمن فيها.

(١) / المرجع السابق ص ٧٢

(٢) / الامن في ضوء الإسلام ، لعلي بن فايز الجحني ، مكتبة المعارف ، الرياض ، ص ٢٥٠ - ٢٥١ .

(٣) / خطبة لفضيلة الشيخ اعيد الرحمن السديس عن الامن الفكري في الحرم المكي ، ١٤٢٥هـ .

- ٥/ بالأمن الفكري يتحقق الإبداع والتطور والنمو لحضارة المجتمع وثقافته.
- ٦/ الأمن الفكري يساعد على التصدي للجرائم بصفة عامة، وجرائم العنف خاصة.
- ٧/ الأمن الفكري هو السبيل لتحقيق التلاحم والوحدة في الفكر والمنهج والغاية، على هدى من العقيدة الإسلامية، في زمن تعددت فيه الأفكار والمناهج بعيداً عن منهج الدين القويم .
- ٨/ من خلال تعزيز الأمن الفكري لدى شباب الأمة يصبحون قادرين على التحاور مع العالم بثقة، ويستطيعون الاستفادة مما لديه بلا تردد طالما أن فيه الخير والفائدة وغير متعارض مع العقيدة والدين.
- ٩/ إن اختلال الأمن الفكري لدى الأمة يؤدي إلى اختلال الأمن في بقية الجوانب السياسية والاقتصادية والجنايية، فما يحدث في المجتمع من قتل وسفك للدماء وانتهاك للأعراض والممتلكات إلا نتيجة حتمية لأفكار ضالة ومعتقدات منحرفة عن شريعة الله تعالى .
- ١٠/ إن الضرر الناتج عن اختلال الأمن الفكري يؤثر على جميع شرائح المجتمع بخلاف اختلال الأمن في الجوانب الأخرى فإنه يقتصر على من يتعلق بهم ويقع عليهم ومنهم فقط.
- ١١/ إن الإخلال بالأمن الفكري الإسلامي هو هدف المذاهب والحضارات والأديان المخالفة فالصراع بيننا وبينهم على مستوى عال جداً، يتطلب اهتماماً كبيراً ووعياً بطبيعة الصراع ووسائله حتى تتمكن من التصدي له.
- ١٢/ إن منافذ الغزو الفكري الذي يهدف إلى اختلال أمننا الفكري واسعة ومتعددة، بحيث تصعب السيطرة عليها مما يتطلب من الجميع القيام بدوره ومسؤوليته في حماية أمننا الفكري من الغزو والاختراق.
- ١٣/ ترجع أهمية الأمن الفكري لعظم المخاطر التي تترتب على فقدانه، فحجم المعاناة التي تنتج عن انعدام الأمن الفكري كبيرة جداً، ولعل في مقدمتها تهديد الأمن الوطني بكل مقوماته وبالتالي تهديد كيان الدولة ووجودها.
- ١٤/ يعتبر الأمن الفكري أسلوباً وقائياً يجنب أفراد المجتمع تبعات الجريمة الاجتماعية والاقتصادية والمعنوية، وذلك من خلال شعورهم وإدراكهم بخطورة الجرائم والحوادث ونتائجها السيئة على المجتمع، وتوعيتهم بدورهم المهم في التعاون مع الأجهزة الأمنية في محاربة الجرائم والحوادث.

١٥ / لابد من إعطاء الأمن الفكري الأولوية والاهتمام الخاص أكثر من أي وقت مضى، خاصة في ظل الانفتاح الثقافي والانفجار المعرفي وتطور وسائل الاتصال الذي يشهده العالم مما أسهم بشكل كبير في تهديد الخصوصية الثقافية والهوية الفكرية، حتى تتمكن من التصدي للأفكار المنحرفة، ونحمي الأفراد والمجتمعات من الخروج عن منهج الوسطية والاعتدال ونحقق الأمن والطمأنينة والاستقرار في نواحي الحياة المختلفة. (١)

(١) / انظر فيما سبق من أهمية الامر الفكري ، دور التربية الإسلامية في تحقيق الأمن الفكري ، نايف بن راشد الرحيلي ، وزارة الداخلية السعودية ، الدفاع المدني ، ٢٠١٤م ، ص ٤٢ - ٤٣ ، والأمن الفكري ماهيته وضوابطه د. عبد الرحمن بن معلا اللويحق ، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية ص ٦٠ - ٦١ ، ومفهوم الأمن الفكري في الإسلام وتطبيقاته التربوية ص ٥٧ - ٥٨ .

المبحث الثالث

وسائل تحقيق الأمن الفكري

يتضح لنا مما سبق من تعريف الأمن الفكري وأهميته، مدى خطورة هذا الجانب من جوانب الأمن على الفرد والمجتمع، وضرورة العناية به والحرص على تحقيقه، والتصدي لكل ما من شأنه الإخلال به وتهديد استقراره في المجتمع الاسلامي. ومن أجل ذلك كان لزاماً على كل شرائح المجتمع (الفرد، الاسرة، المدرسة، الجامعة، ووسائل الإعلام) أن تركز جهودها لتحقيق الأمن الفكري وحمانيته. ويمكن أن نجمل هنا بعض الأدوار التربوية المهمة لبعض شرائح المجتمع التي تساعد على تحقيق الأمن الفكري.

أولاً: دور الفرد في تحقيق الأمن الفكري :

لاشك أن الفرد هو أساس المجتمع وهو اللبنة الأولى في بناء المجتمع، فكل مجتمع يتكون من مجموعة من الأفراد يسهمون في بنائه وتطوره والمحافظة عليه. وهؤلاء الأفراد لهم دور كبير في تحقيق الأمن الفكري داخل مجتمعاتهم، ولعل من أهم الأمور التي تساعدهم على ذلك ما يأتي:

١/ تحقيق الإيمان بالله تعالى، والاهتداء بهديه والاعتصام بسنته صلى الله عليه وسلم، فالعلاقة قوية ومتلازمة بين الأمن والإيمان، ذلك أن الإنسان إذا آمن أمن، وإذا آمن نما وذلك هو الأمن الحقيقي الذي يتحقق به أمن الفكر.

٢/ فهم النصوص الشرعية وتعظيمها والوقوف عند حدودها، تأسيساً بمنهج الصحابة والسلف الصالح رضوان الله عليهم، فكثير من الانحرافات الفكرية إنما حدثت نتيجة لسوء فهم النصوص الشرعية.

٣/ طلب العلم النافع إذ يعتبر من أهم وسائل تحقيق الأمن الفكري، وذلك عن طريق التزود بالعلم النافع المستمد من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وأخذ العلم الشرعي من العلماء الربانيين المخلصين العاملين، فببإيمانهم وتوجيههم يتحقق الفهم للنصوص الشرعية.

٤/ العمل الصالح فله أثر كبير في حياة المسلم والذي يتمثل في القيام بالعبادات على أكمل وجه، مما يؤدي إلى انشراح الصدر، وراحة البال والشعور بالطمأنينة والأمان، قال تعالى: (وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) الأعراف ٩٦

٥/ شكر النعم ذلك أن استقرار الأمن مرتبط بشكر النعم وزواله مقرون بكفرها، قال تعالى: (وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ)^(١)

النحل ١١٢

ثانياً: دور الأسرة في تحقيق الأمن الفكري:

لا شك أن للأسرة دور كبير في التأثير على فكر الناشئة فهي المحضن الأول الذي يتلقى فيه الفرد تربيته، وتتشكل من خلالها أسس شخصيته، فمن خلالها تتكون بوادر الفكر السليم، أو المنحرف حسبما يسود فيها من أفكار ومبادئ، فصلاحها صلاح للمجتمع، وفسادها وانحرافها فساد وانحراف للمجتمع.

ولاشك أن مسئولية الأسرة وخاصة الوالدين في حماية الناشئة من الانحراف الفكري مسئولية عظيمة جداً، ولعلنا هنا نذكر بعض الأمور التي تساعد الأسرة في تحقيق الأمن الفكري لأفرادها:

١/ تربية الأبناء على العقيدة الصحيحة، فبصلاحها يصلح ما سواها من الأمور، إذ أن العقيدة هي الأساس الذي يبني عليه الأمن الفكري فيجب أن تكون عقيدة صحيحة خالية من البدع والخرافات.

٢/ تقوية العلاقة بين الآباء والأبناء داخل الأسرة وتلبية احتياجاتهم النفسية والعاطفية حتى لا يبحثوا عنها خارج الأسرة، ومن ثم تربيتهم تربية صحيحة تجعلهم أكثر وعياً وإدراكاً لمقتضيات العقيدة الإسلامية وتكاليفها الشرعية، ودورهم الفعال في الحفاظ على فكر أمتهم ومعتقداتها من أي عدوان أو فكر دخيل.

٣/ تربية الأبناء على مبدأ الوسطية والاعتدال دون إفراط ولا تفريط، وتعويدهم على تحمل المسئولية، ومشاركتهم هموم الأمة، وتوعيتهم بأن السبيل الصحيح للخلاص من هذه المشاكل ليس بالتدمير والتخريب، بل بتوحيد الكلمة والرجوع للدين القويم وطاعة ولاة الأمر ونصرتهم.

(١) / أنظر: مفهوم الامن الفكري دراسة تأصيلية في ضوء الإسلام، ماجد بن محمد الهذيلي، إشراف د. حسن بن محمد بن أحمد، ١٤٣٢- ١٤٣٣ هـ، ص٥٤٠٥٦، ومفهوم الامن الفكري في الإسلام وتطبيقاته التربوية ص٩٧- ٩٨.

٤/ عدم الفصل في تربية الأبناء بين العقيدة والسلوك، وتربيتهم على أن كل ما يؤمنون به من أمور الدين يجب أن ينطبق على سلوكهم وأخلاقهم ومعاملتهم للآخرين.

٥/ حماية عقول الأبناء من كل ما يؤثر عليها من الأفكار الهدامة والبدع والخرافات، والمخدرات والمسكرات، وحماية سلوكهم من كل ما يؤثر عليه ويؤدي لانحرافه، سواء عن طريق الأصدقاء أو وسائل الإعلام المختلفة، وتقديم البدائل المناسبة لهم وشغل أوقات فراغهم بالترفيه النافع المفيد مثل: الرحلات، والرياضة، وزيارة الأهل والأقارب، والدورات التدريبية النافعة.

٦/ البعد عن العنف والتسلط في التعامل مع الأبناء، وتهيئة الجو المناسب داخل الأسرة المفعم بالحب والحنان والتوجيه البناء، وفتح باب النقاش والحوار الهادف أمام الأبناء حتى يتمكن من معرفة آرائهم وما يدور في فكرهم ومن ثم توجيههم التوجيه المناسب والأخذ بأيديهم إلى بر الأمان، وتحقيق الأمن والاستقرار الفكري لهم.^(١)

ثالثاً: دور المدرسة في تحقيق الأمن الفكري :

لاشك أن للمدرسة دورها وأهميتها البالغة في تربية الأبناء بعد الأسرة، فكلاهما يكمل دور الآخر في غرس قيم المجتمع وأفكاره في قلوب وعقول الناشئة.

والأمن الفكري ينطلق من إيمان المجتمع وتمسكه بعقيدته، والأفراد يكتسبون ذلك من خلال البيئة التي يعيشون فيها، ثم من خلال المقررات التعليمية والمنهج التربوي الذي يتلقونه من خلالها، فلا بد أن تكون هذه المناهج على درجة كبيرة من التخطيط والاتقان وأن تتفق مع أفكار المجتمع ومعتقداته، لتكون سلاحاً قوياً يتسلح به الأفراد ضد كل فكر ومعتقد ضال، فيتحقق لهم الأمن والاستقرار الفكري.

وحتى يكون للمدرسة دورها الفعال في تحقيق الأمن الفكري، لابد من الاهتمام ببعض الأمور والتركيز عليها من خلال العملية التربوية، ولعل من أهم هذه الأمور ما يلي:

(١) / أنظر: الشريعة الإسلامية ودورها في تعزيز الأمن الفكري، د عبد الرحمن السديس، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، ١٤٣٧هـ، والأمن الفكري وتطبيقاته التربوية ص ١٢٠ - ١٢٥، والأمن الفكري في مقررات التربية الإسلامية ص ٥٧ - ٦٢.

١/ إعداد المعلم إعداداً جيداً وتطوير قدراته ومهاراته، وتوعيته بالتحديات الفكرية التي تتعرض لها الأمة الإسلامية، وتهيئته للتعامل الفعال معها، وانتقاء الأسلوب الأمثل في مناقشتها مع الطلاب.

٢/ تطوير المناهج التعليمية وإعادة صياغتها من خلال التصور الإسلامي وبما يتلاءم مع الظروف الراهنة، وصياغتها صياغة جيدة تجهلها أكثر قرباً لعقول وأفكار الطلاب، وأعظم تحقيقاً لأهداف الأمة.

٣/ الحرص على التأهيل العلمي الجيد والمفيد للطلاب، ومراعاة تهذيب سلوكهم بما يؤهلهم لمواجهة متطلبات الحياة، ويجعلهم أكثر قدرة على التعايش مع المستجدات في مختلف المجالات، وتوعيتهم فكرياً بالتحديات التي تهدد الأمة الإسلامية وكيفية التصدي لها ونقدها وبيان بطلانها، ومن ثم الدفاع عن الدين والوطن، وتحقيق الأمن الفكري للمجتمع.

٤/ الحرص على تنمية مهارات التفكير لدى الطلاب، واكتشاف مواهبهم وما لديهم من أفكار علمية مبدعة، حتى يكونوا قادرين على المشاركة الفاعلة في المجتمع والارتقاء بأوطانهم.

٥/ العناية بدراسة العلوم الدينية والحضارة الإسلامية وسيرة الرسول - صلى الله عليه وسلم- والصحابة والتابعين حتى يزداد اعتزاز الطلاب بدينهم ونبيلهم وسلف الأمة ليكونوا هم القدوة الصالحة لهم فيحرصوا على اقتفاء أثرهم واتباع سنتهم، مما يساعد على تحقيق الأمن الفكري كما عاشه سلف الأمة.

٦/ تعزيز روح الانتماء للوطن والأمة في نفوس الطلاب حتى يكونوا خير من يدافع عنها ويتصدى لأعدائها.

٧/ غرس مبدأ الوسطية في نفوس الطلاب، وتوعيتهم بأن الدين الإسلامي دين الوسطية والاعتدال، بعيداً عن التطرف والعنف، لا إفراط فيه ولا تفريط. قال تعالى: (وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً)

٨/ التأكيد من خلال المناهج وطرق التدريس المختلفة على أهمية الأمن الفكري وأنه يحمي الفرد والمجتمع من الوقوع في الانحرافات الفكرية والعقدية، بالإضافة إلى فتح باب النقاش والحوار مع الطلاب والاستماع لأرائهم وأفكارهم وتقويمها ليكونوا قادرين على التصدي لكل فكر ضال أو معتقد منحرف.

٩/ تربية الطلاب على شكر نعم الله تعالى التي لا تعد ولا تحصى، إذ أن بالشكر تدوم النعم، وبالإنكار والجحود تزول، ومن أهم هذه النعم نعمة الأمن وخاصة الأمن الفكري التي حرمتها كثير من الناس.

١٠/ الحرص على الأنشطة الطلابية والعناية بها وتطويرها، حيث تعتبر متنفساً مهما للطلاب لاستغلال طاقاتهم الكامنة فيما يعود عليهم بالنفع والفائدة، ويكفيهم شر ما يحيط بهم من أخطار تهدد أمنهم الفكري وخاصة في أوقات الفراغ.^(١)

رابعاً: دور الإعلام في تحقيق الأمن الفكري:

لاشك أن لوسائل الإعلام بأنواعها المختلفة المسموعة والمقروءة والمرئية دورها الفعال والمهم في التأثير على قلوب وعقول أفراد المجتمع، بل إن تأثيرها قد يتفوق على المؤسسات التربوية الأخرى، لما تتمتع به من مزايا وخصائص تميزها عنها، ولعل من أبرز هذه الخصائص:

١/ قدرتها على جذب الناس إليها من خلال ما تقدمه لهم من برامج متنوعة بطرق فنية، واختيارها لموضوعات تلامس واقع الحياة، وأساليبها المختلفة في عرضها ومعالجتها.

٢/ نظرة الفرد المتلقي لهذه الوسائل، حيث يقبل عليها بشكل طوعي وعضوي معتقداً أنه حر في اختياره واستقباله لرسائل هذه الوسائل، كما أنه يقبل عليها بدافع المتعة والترفيه والتسلية.^(٢)

ولعل من أهم الوسائل التي يمكن أن تساعد على تحقيق الأمن الفكري من خلال وسائل الإعلام المختلفة ما يأتي:

١/ تنوع البرامج والقنوات الفضائية التابعة لوزارة الاعلام السعودي لتكون جذابة وهادفة ومتفقة مع عقيدتنا وفكرنا وتراثنا الثقافي.

٢/ الحرص على تقديم البرامج الدينية المتنوعة بأساليب مبتكرة ومبدعة تدفع إلى مشاهدتها والاستفادة منها.

(١) / انظر: مفهوم الامن الفكري وتطبيقاته التربوية ص ١٢٦ - ١٣١.

(٢) / انظر: اسهام الصحافة العربية في تحقيق الامن البيئي العربي،، المجلة العربية للدراسات والتدريب،

أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، العدد ٢٦، ١٤٢٤هـ، ص ١٠٥.

- ٣/ المراقبة الجادة للبرامج الإعلامية وتقييمها تقييماً مستمرا بحيث لا يدس من خلالها أي موضوعات سلبية تؤثر على أمننا الفكري.
- ٤/ اتخاذ الإجراءات اللازمة والصارمة تجاه القنوات التي تدعو إلى نشر الرذيلة والأفكار المضللة، والحرص على تقديم برامج هادفة تحترم عقل المشاهد وعواطفه في إطار ثقافة وقيم المجتمع.
- ٥/ تكثيف البرامج التوعوية الإسلامية في مختلف وسائل الاعلام واختيار الشخصيات المناسبة ذات الحصانة الدينية والفكرية ، والقادرة على التأثير الإيجابي والتوعوية المثلى لأفراد المجتمع .
- ٦/ الاهتمام بإعداد رجال الإعلام إعداداً فكرياً وعقدياً سليماً لأنهم الناطقون باسم الأمة والمدافعون عنها فوجب اختيارهم من الثقات والدعاة والرعاة المخلصين الذين يحرصون على تحقيق مصالح الأمة.
- ٧/ التعامل مع وسائل الاتصال والتكنولوجيا الحديثة بأسلوب حضاري متفتح وواقعي يساعد على الاستفادة القصوى من خيرها، والتصدي لشرها بعون الله وتوفيقه، ثم بالتمسك بمبادئ ديننا الإسلامي وفكرنا الأصيل، وعدم رفض الجديد لكونه جديد، بل الاستفادة منه دون الخروج عن مبادئ الدين، مع الحرص على استغلال هذه الوسائل فيما يحقق أمننا واستقرارنا الفكري .^(١)
- مما سبق يتضح لنا أن تحقيق الأمن الفكري بين أفراد المجتمع ليس أمراً سهلاً في ظل الغزو الفكري وعوامل الهدم المختلفة التي تسعى للنيل من أمننا الفكري، كما أنه ليس مسئولية فرد بعينه أو أسرة أو مؤسسة تربوية أو وسائل إعلام، بل هو مسئولية الجميع فلا بد من تضافر الجهود وقيام كل بدوره فيما يخصه من أجل تحقيق الأمن الفكري للأمة عند ذلك ستعيش الأمة في أمن وأمان وراحة واستقرار ولن يستطيع الأعداء النيل من أمنها الفكري لا بغزو فكري ولا بعقائد باطلة وأفكار هدامة.

(١) / أنظر: مفهوم الامن الفكري وتطبيقاته التربوية ، ص ١٣٧ - ١٣٩ . ، والشريعة الإسلامية ودورها في

تعزيز الامن الفكري ص١٩ - ٢١ .

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد
فبحمد الله وتوفيقه انتهيت من إعداد هذا البحث ... والله أسأل أن أكون قد وفقت لما فيه النفع والفائدة، ولعلي في ختامه أذكر بعض النتائج التي توصلت إليها، وهي كالتالي:

- ١/ الأمن في اللغة يدور حول معنيين متقاربان هما:
١/ الطمأنينة والاستقرار والشعور بالرضى.
٢/ التصديق وعدم الخوف والثقة.
- ٢/ تعريف الأمن في الاصطلاح يختلف بحسب اختلاف المجالات والتخصصات التي يتناولها موضوع الأمن.
- ٣/ الفكر له علاقة بأنشطة الذهن وإعمال العقل، بالإضافة لعلاقته بعقيدة ومبادئ المجتمع التي ينبع منها ويتأثر بها ويؤثر فيها.
- ٤/ مفهوم الأمن الفكري من المفاهيم الحديثة التي لم تكن معروفة من قبل.
- ٥/ الأمن الفكري يحقق الحماية الكاملة للإنسان من التطرف والانحراف والغلو وجميع الأفكار الضالة والمعتقدات الفاسدة.
- ٦/ بالوسطية والاعتدال يتحقق الأمن الفكري.
- ٧/ الأمن مطلب أساسي لكل الأمم وغاية من أهم الغايات التي ينشدها الإنسان في حياته إذ أنه يحمي أهم المكتسبات وهي دين الأمة ومعتقداتها.
- ٨/ بالأمن الفكري يتحقق الإبداع والتطور، ويقضى على العنف والجرائم.
- ٩/ اختلال الأمن الفكري يؤدي إلى اختلال جوانب الأمن الأخرى.
- ١٠/ ترجع أهمية الأمن الفكري لعظم المخاطر التي تترتب على فقدانه.
- ١١/ تحقيق الأمن الفكري ليس أمراً سهلاً في ظل الغزو الفكري وعوامل الهدم المختلفة.
- ١٢/ لابد من تضافر الجهود وقيام كل بدوره في تحقيق الأمن الفكري فهو مسئولية الجميع.

كما يطيب لي أن أوصي المهتمين بالأمن الفكري والباحثين في هذا المجال وكل من يقع بين يديه هذا البحث ببعض التوصيات التي قد تعين على تحقيق الأمن الفكري في المجتمع:

١/ العناية بالشباب المسلم وتوعيتهم بما يحيط بهم من مخاطر تهدف لانحرافهم الفكري والعقدي من خلال لقاءات دورية بهم، والتحاور معهم ومناقشة مشاكلهم ووضع الحلول المناسبة لها بأسلوب تربوي متخصص.

٢/ وضع مقرر خاص عن الأمن الفكري ضمن المناهج الدراسية في مختلف المراحل وإسناد تدريسه لذوي الكفاءة والاختصاص؛ ليدرك الشباب أهمية الأمن الفكري وضرورة الدفاع عنه.

٣/ احتواء الشباب بعيداً عن العنف والتسلط سواء كان ذلك داخل الأسرة أو المؤسسات التعليمية، مع توعيتهم بخطورة وسائل الاتصال الحديثة وضرورة التعامل معها بحذر حتى لا تكون سبباً في انحرافهم الفكري والعقدي .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

أهم المراجع

القرآن الكريم

- ١/ إسهام الصحافة العربية في تحقيق الأمن البيئي العربي، المجلة العربية للدراسات والتدريب، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، العدد ٢٦، ١٤٢٤هـ .
- ٢/ الأمن الفكري، لحمد العبيدان، مجلة الأمن والحياة وزارة الداخلية الرياض ١٤٠٥هـ العدد ١١.
- ٣/ الأمن الفكري الإسلامي أهميته وعوامل بنائه، سعد بن مسفر الوادعي، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، مجلة الأمن والحياة، العدد ١٨٧، ١٩٩٨.
- ٤/ الأمن الفكري في مقررات التربية الإسلامية في المرحلة الثانوية، دراسة ميدانية، لسعد بن صالح بن رايل العتيبي، إشراف الأستاذ الدكتور / محمود بن محمد كنساوي، ١٤٢٩ - ١٤٣٠هـ .
- ٥/ الأمن الفكري في مواجهة المؤثرات الفكرية، لحيدر بن عبد الرحمن الحيدر، رسالة دكتوراة في أكاديمية الشرطة في جمهورية مصر العربية الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ .
- ٦/ الأمن الفكري ماهيته وضوابطه، د. عبد الحمين بن معلل اللويحق، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، ١٤٣٧هـ .
- ٧/ الأمن الفكري والتوعية الفكرية، عيسى بن سليمان الفيضي، ١٤٢٧هـ
- ٨/ الأمن الفكري والعقائدي مفاهيمه خصائصه وكيفية تحقيقه، لأحمد المجذوب، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، ١٤٠٨هـ .
- ٩/ الأمن الفكري وعناية المملكة العربية السعودية به، لعبد الله بن عبد المحسن التركي، مطابع رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة، ١٤٢٢هـ .
- ١٠/ الأمن في ضوء الإسلام، لعلي بن فايز الجحني، مكتبة المعارف، الرياض.
- ١١/ التعريفات، المؤلف: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ)، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء ، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان ، الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- ١٢/ جهود سماحة الشيخ العلامة عبد العزيز بن باز في تعزيز الأمن الفكري، دراسة للوسائل الوقائية، بحث علمي مقدم للمؤتمر الوطني الأول للأمن الفكري المنعقد في الرياض ١٤٣٠هـ ، د. عبد الله بن دجين السهلي، أستاذ العقيدة المشارك بقسم الثقافة الإسلامية، كلية التربية جامعة الملك سعود .

- ١٣/ الحوار وأثره في تعزيز الأمن الفكري الأسري، مقدم للمؤتمر الفقهي الأول النوازل المعاصرة في فقه الاسرة، بين الشريعة والقانون، لسلطان بن مسفر بن مبارك الصاعدي الحربي، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ١٤٣٥ هـ .
- ١٤/ دور التربية الإسلامية في تحقيق الأمن الفكري، نايف بن راشد الرحيلي، وزارة الداخلية السعودية، الدفاع المدني، ٢٠١٤ م .
- ١٥/ الشريعة الإسلامية ودورها في تعزيز الأمن الفكري، د عبد الرحمن السديس، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، ١٤٣٧ هـ .
- ١٦/ القاموس المحيط، المؤلف: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (المتوفى: ٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م
- ١٨/ الكليات لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني القريني الكفوي، أبو البقاء الحنفي (المتوفى: ١٠٩٤هـ) المحقق: عدنان درويش - محمد المصري الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت .
- ١٩/ لسان العرب :، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (المتوفى: ٧١١هـ)، الناشر: دار صادر - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ .
- ٢٠/ معجم مقاييس اللغة ، المؤلف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م.
- ٢١/ معجم اللغة العربية المعاصرة، المؤلف: د أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل، الناشر: عالم الكتب، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م
- ٢٢/ المعجم الوجيز ، مجمع اللغة العربية ، الناشر مجمع اللغة العربية ١٩٨٩ م
- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المؤلف: أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (المتوفى: نحو ٧٧٠هـ)، الناشر: المكتبة العلمية - بيروت
- ٢٣/ مفهوم الأمن الفكري دراسة تأصيلية في ضوء الإسلام، ماجد بن محمد الهذيلي ، إشراف د. حسن بن محمد بن أحمد ، ١٤٣٢_١٤٣٣ هـ .
- ٢٤/ مفهوم الأمن الفكري في الإسلام وتطبيقاته التربوية، أمل محمد أحمد نور، إشراف د. أميرة طه بخش، بحث مكمل لنيل درجة الماجستير في الأصول الإسلامية للتربية.

المؤتمر الدولي العاشر

[دور العلوم العربية والإسلامية في تكريس الأمن الفكري وتحقيق السلام المجتمعي]

- ٢٥/المفردات في غريب القرآن، المؤلف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (المتوفى: ٥٠٢هـ)، المحقق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٢ هـ .
- ٢٦/ المفهوم الأمني في الإسلام، علي فايز الجحني، مجلة الأمن ص١٢، الصادرة من وزارة الداخلية العدد ٢، في ذي الحجة ١٤٠٨ هـ .
- ٢٧/ مقدمات في الثقافة الإسلامية، ا.د. مفرح بن سليمان القوسي أستاذ الثقافة الإسلامية بجامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٤٣٠ هـ .
- ٢٨/ مقومات الأمن في القرآن، إبراهيم بن سليمان الهويميل، ص٩، المجلة العربية للدراسات الأمنية والتدريب، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية. المجلد الخامس عشر، العدد التاسع والعشرون، محرم ١٤٢١ هـ
- ٢٩/ نحو بناء استراتيجية وطنية لتحقيق الأمن الفكري في مواجهة الإرهاب، د عبد الحفيظ بن عبد الله بن أحمد المالكي، رسالة دكتوراة غير منشورة، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض ١٤٢٧ هـ

الأمن الفكري وتحديات وحدة الأمة

الدكتورة/ حدة عاشوري

مركز البحث في العلوم الإسلامية والحضارة بالأغواط (الجزائر)

ملخص:

إن الحديث عن الأمن الفكري يقودنا إلى بيان انعكاسات ظاهرة التطرف على وحدة الصف الإسلامي، من خلال إفرازاته الفكرية والسياسية المتمثلة أساساً في تزايد الجماعات التي تؤمن بثقافة العنف والتطرف، وإزالة الحدود السياسية والقيود الدينية والخصوصيات الثقافية يعني أن الأشخاص لا تكون لديهم تلك الخصوصيات المتعلقة بدينهم وأوطانهم، فيفقدون بالتالي هويتهم وانتماءاتهم، وعليه يصبح لزاماً التطرق الى عوامل المساس بالأمن الفكري والمؤدي حتماً إلى شتات من المرجعيات، وهو واقع العالم الإسلامي اليوم، ويتعلق الأمر بفتنة التفرق التي أصبحت تنخر جسد الأمة، وتباعد بين دولها وشعوبها، والتي يمكن أن نجملها في سببين رئيسيين:

- التفرق بسبب منازعة ولي الأمر، أو الخروج على الحاكم ومنازعته في الحكم يؤدي إلى تمزيق شمل الأمة، وتضيق وحدتها، ولو تتبعنا الوقائع التاريخية يتبين ذلك جلياً كيف بدأت جذور الاختلافات التي كان منشؤها سياسياً، فكان أصل الخلاف على ولي الأمر، ثم تطور هذا الخلاف ليأخذ طابعا عقدياً.
 - التفرق بسبب الابتداع في الدين، فالسبب الثاني لتفرق الأمة هو ظهور البدعة في الدين، فإذا فتح الباب لها اختلفت الآراء باختلاف الذهنيات، فيدخل بعدها التجديد والتبديل، فتظهر بعدها فرق دينية كثيرة كل واحدة تعتقد أن الصواب معها دون غيرها، وبتنوع البدع يتنوع المعتنقون، وهذا يؤدي إلى تعدد الأتباع، وبالتالي تفرق الأمة.
- إن العلاج الرباني الواجب لكل أشكال التفرق، يكون منطلقه:

- الاعتصام بالكتاب والسنة.
 - طاعة أولي الأمر، وعدم منازعتهم.
 - المصالحة والعفو العام.
- إن الوعي بالذات الإسلامية أمر ضروري ومهم ودونه لا يمكن أن تحل مشكلاتنا، ورسالتنا في عصر العولمة تتحدد بمدى فهمنا وتمثلنا للقيم الإسلامية، ولا يمكن أن نحقق التغيير المطلوب إذا لم نرتفع إلى مستوى الإسلام.

Talking about the intellectual security leads to put the spotlight on the repercussions of extremism phenomenon on Muslims' unity. This is Due to the intellectual, political way of thinking that leads to the growth of groups that believe in violence and extremism. In consequence of the elimination of political frontiers, religious constraints, and cultural specificities, people would have no specificities to their religion and their homelands, so, they lose their identities, and their belonging as a result. It is therefore necessary to study the factors of intellectual security prejudicing that leads to the references diaspora, which summarizes the reality of the Islamic world. The Islamic nation struggles with the dispersion affliction which has caused the divergence of its countries and its people.

The causes can be outlined in two main points:

- Dispersion due to the ruler disobedience , political discordance divides the Nation and destroys its unity because historical divergences had political roots , about the ruler, then it became a doctrinal divergences.
- Dispersion due to heresies in religion, the nation's division was due to the invented heresies, if permitted, views will be different according to the mentalities difference. Therefore, they are means of novelty and change. Thus, many religious groups will be created in thence and each one would think that it is the only right . The believers are as diverse as heresies. Adherents will thus varied , the nation thusly will be divided.

The divine solutions for all forms of dispersion, are basically :

- Adherence to Noble Quran and Sunnah of Prophet Mohamed(may peace be upon him).
- Ruler obedience , non-struggle them for power.
- Reconciliation and amnesty.

Consciousness of the Islamic self is necessary ,our problems couldn't be solve beyond, our mission under globalization is determined by our understanding and our representation of Islamic values. Change will never be achieved, if we will not rise to the Islamic region's level.

مقدمة:

ان للتطرف أسساً فكرية نشأت في مناخات غير صحية، غالباً ما يستثمر سماسرته في بيئات اجتماعية ذات قابلية لاحتضانه لما تعانیه من حرمان وإحباط، وهما شعوران كفيلان بأن يجعلاً أي بيئة حاضنة للتطرف فكراً وسلوكاً .

وانطلاقاً من هذا المسعى أصبح لزاماً على كل باحث يعنى بالدراسات الإسلامية تحديداً لأسباب قوة الأمم والشعوب بالتطرق لأبرز عوامل المساس بالأمن الديني المؤدي حتماً إلى شتات من المرجعيات، وهو واقع العالم الإسلامي تحديداً، ويتعلق الأمر بفتنة التطرف وانعكاساتها والتي أصبحت تنخر جسد الأمة، وتباعد بين دولها وشعوبها بما استشرى من نار التفرق الذي أصبح يتزايد كالنار في الهشيم.

من هذا المنطلق كان لزاماً على المؤسسات الدينية أن تكون في مستوى هذا التحدي، بتحديد آليات وحدة الصف وإرشاد أفراد الأمة إلى ضرورة نبذ كل أشكال الفرقة والخلاف، وعليه جاءت مداخلتي تحت عنوان:

الأمن الفكري وتحديات وحدة الأمة

أهمية الموضوع:

تظهر أهمية الموضوع بالنظر إلى الضمانات الشرعية التي أقرها الإسلام لوحدة الأمة وتماسكها ضمن ثوابت مشتركة يتفق حولها الجميع في مواجهة التطرف الفكري، فهذه الورقة البحثية تهدف إلى بيان المخططات الخلفية للعولمة والتي تشكل أكبر تحدي أمام الدول العربية خاصة والعالم الإسلامي عامة من خلال الوقوف على ظاهرة التفرق كحالة مرضية ناتجة عن التطرف الفكري.

خطة البحث:

قسمت هذا البحث إلى مقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة كما يلي:

المبحث الأول: مدخل مفاهيمي.

المبحث الثاني: أسباب تفرق الأمة

المبحث الثالث: علاج تفرق الأمة.

الخاتمة.

المبحث الأول: مدخل مفاهيمي:

قبل التطرق إلى أسباب التفرق، وعلاجه من خلال الدور الرسالي للمؤسسة الدينية، وجب الوقوف على مفهوم التفرق في حد ذاته.

المطلب الأول: التفرق لغة:

لقد عرف علماء اللغة التفرق بتعاريف تكاد تتفق مع بعضها البعض لولا فروقات طفيفة فيما بينها، وهي كالتالي:

فرق: تمييز وتزييل بين شيئين، ومن ذلك الفرق، فرق الشعر، يقال فرقته، فرقا. (١)
ويؤيد هذا المعنى قوله تعالى: (وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ
الْبَيِّنَةُ) البينة: ٤.

والمراد بتفرق أهل الكتاب كما يبين صاحب الكشاف هو: "تفرقهم فرقا، فمنهم من آمن، ومنهم من أنكروا أي تمايزوا إلى فرقتين كل واحدة تدين بما لا تدين به الأخرى". (٢)

ويعرف الشيخ محمد الطاهر بن عاشور التفرق بأنه: "ضد الاعتصام، وهو افتعال من عصم وهو طلب ما يعصم أي ما يمنع، وعلى هذا فإن التفرق يكون خاصاً بالدين وعهوده، ومن ذلك قوله تعالى: (وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا) آل عمران: ١٠٣ وذكر الاعتصام في الآية في مقابل الافتراق باعتبار العلاقة الانعكاسية، وقوله واعتصموا بحبل الله بالاجتماع على هذا الدين وعدم التفرق؛ ليكتسبوا باتحادهم قوة". (٣)

(١) معجم مقاييس اللغة. أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون، دار الجليل

لبنان، (٣٩٤، ٣٩٣/٤) ط١، ١٩٩١.

(٢) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم جار الله الزمخشري، دار

المعرفة (٢٧٤/٤) د.ت.ط.

(٣) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع، المجلد الثالث: ص: ٣١ تونس:

ط: ١٩٩٧.

وفرق بينهما، يفرق، فرقا وفرقانا بمعنى فصل بينهما، وفرقه، بدده وفارقه يعني انفصل عنه^(١). ويتضح هذا المعنى من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنه ستكون هنات وهنات، فمن أراد أن يفرق أمر هذه الأمة، وهي جميع، فأضربوه بالسيف كأننا من كان"،^(٢) وفي هذا الحديث أمر بقتال من خرج عن الإمام، أو أراد تفريق كلمة المسلمين، وتبديد صفهم.

ومنه الفرقة هي الطائفة من الناس^(٣)، أو بتعبير أخص هي الجماعة المتفردة من الناس^(٤)، ورد هذا المصطلح -فرقة- في حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم-: "تكون أمتي فرقتين، فتخرج من بينهما مارقة تلي قتلهم أولهما بالحق"^(٥) وقوله - صلى الله عليه وسلم-: "تمرق مارقة عند فرقة المسلمين، يقتلها أولى الطائفتين بالحق"^(٦)

وعليه نخلص إلى أن التفرق لغة هو عموما يأتي بمعنى التمييز، أو التزييل أي التفريق، وهو يطلق في مقابل التجمع بالإضافة إلى أنه يأتي ليعبر عن ضد الاعتصام، ومنه جاءت الفرقة والفريق، وهي مجموعات متميزة عن مجموعات أخرى.

المطلب الثاني: التفرق اصطلاحاً:

من خلال التعاريف اللغوية، يتبين لنا أن التفرق عموماً معناه: التمايز والتباين، وهو ضد التجمع، كذلك يعبر عن الانفصال، وهاته المعاني كلها غير بعيدة عما

(١) دائرة معارف القرن العشرين، محمد فريد وجدي، دار المعرفة، بيروت، (٢١٢/٧)، ط٣، د.ت.ط.

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب السنة، باب في قتل الخوارج، رقم: ٤٧٦٨ (٦٥٦/٢)، وأخرجه النسائي في كتاب تحريم الدم باب قتل من فارق الجماعة، رقم: ٤٠٣٢ (١٠٧٠، ١٠٦/٧)، وأخرجه مسلم (١٤٧٩/٣)، والبخاري (٢٥٠/١٣) كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة.

(٣) تاج العروس، مرتضى الزبيدي، دار صادر (٤٦/٧)، د.ت.ط.

(٤) معجم مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، دار الكتب العلمية بيروت، ص: ٤٢٢، ط١/ ١٩٩٧.

(٥) أخرجه أبو داود في كتاب السنة، باب ما يدل على ترك الكلام في الفتنة رقم: ٤٦٦٧ (٦٥٧/١).

(٦) السابق، ص: ٦٢٨/٦٢٩.

اصطلح عليه العلماء، فيمكن اعتبار الافتراق: " لكون الجوهرين في حيزين بحيث يمكن التفاضل بينهما" (١).

كما في حديث رواه حذيفة بن اليمان قال: " كان الناس يسألون عن الخير، وكنت أسأل عن الشر مخافة أن يدركني، فقلت يا رسول الله: إنا كنا في جاهلية، وشر، فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر، قال: نعم، قلت: وهل بعد ذلك الشر من خير، قال: نعم، وفيه دخن، قلت: وما دخنه؟ قال: قوم يهدون بغير هدي، تعرف منهم وتنكر، قلت: وهل بعد ذلك الخير من شر، قال: نعم، دعاء على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها، قلت: يا رسول الله صفهم لنا، قال: هم من جلدتنا، ويتكلمون بألسنتنا، قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك، قال: تلزم جماعة المسلمين وإمامهم، قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام، قال: فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك" (٢).

فالأمة المحمدية هي آخر الأمم وأفضلها وأكثرها دخولا الجنة، لقوله - صلى الله عليه وسلم- : " إن أمتي لا تجتمع على ضلالة، فإذا رأيتم اختلافا فعليكم بالسواد الأعظم" (٣).

واستنادا إلى أقوال العلماء في الافتراق يمكن أن ننظر إلى التفرق على أنه جماعات متباينة المناهج اختلفت على أمور سياسية أو عقائدية أو اجتماعية، وبعدها انبثقت عنها فروع كان وقودها الابتعاد عن عصر الروح مع بروز عصر المادة الذي يبدأ في الظهور مع بداية تناقص الوازع الديني، والاستغناء عن الأخذ من المعين الصافي لهذا الدين واستبداله بوسائل أخرى، دون أن ننسى عمل الأيادي الخفية التي تستغل فرص وجود الخلافات فتغذيها.

(١) مختصر كتاب التعريفات، اختصره وراجعاه قسم التحقيق والبحث العلمي، دار طويق للنشر والتوزيع، ص: ٢٢، ط١/ ١٤١٥هـ.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الفتن، باب كيف الأمر إذا لم تكن جماعة، عن محمد بن المثني عن أبي إدريس الخولاني (٣١٧/٤).

(٣) أخرجه ابن ماجة في الفتن، باب السواد الأعظم (١٣٠٣/٢).

إن الاختلاف والافتراق وإن كان البعض لا يفرق بينهما إلا أنهما مختلفان، وبينهما عموم وخصوص، فليس كل افتراق اختلاف، وليس كل اختلاف هو عبارة عن افتراق، فالتفرق ليس بالضرورة مجرد الاختلاف في الآراء وهو فقط المرحلة الموطئة في الكثير من الأحيان للتفرق، فكلما صار الهوى هو الحاكم، أصبح المسلمون شيعاً يتعصب كل فريق إلى رأيه، ويعادي الآخر إذا خالفه، والاختلاف عموماً يقع بعد التفرق في المقاصد والتباين في الأهواء بحيث يذهب كل واحد إلى تأييد مقصده وإرضاء هواه، ومن أسباب الاختلاف المؤدي إلى الافتراق هو الانحراف عن الفطرة. ويفسر الشيخ الطاهر بن عاشور الآية: (وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) آل عمران: ١٠٥، ويعتبر أن الآية فيها: "إشارة إلى أن الاختلاف المذموم والذي يؤدي إلى الافتراق وهو الاختلاف في أصول الدين الذي يفضي إلى تكفير بعض الأمة بعضاً، أو تفسيقه دون الاختلاف في الفروع المبنية على اختلاف مصالح الأمة في الأقطار والأمصار"^(١).

وهذا ما نجد أثره مدونا في كتب التاريخ، فغياب الحق عن أعين المختلفين جعلهم يختلفون، ثم يتفرقون وهو افتراق وقع في الدين، حيث ذهب أهله مذاهب جعلتهم شيعاً تتحكم فيهم الأهواء، فتكون نتيجته هي الافتراق الذي تكون معه عداوة وبغضاء، وهذه الحركة تخفي الحق عن الأنظار وتضيق القيود على إتباع الدليل الحق.

المبحث الثاني: أسباب التفرق:

إن الهدف من تبيان الأسباب التي تؤدي إلى الافتراق ليس لغرض تتبع العثرات التي لاقتها هذه الأمة المفتونة، بل هو محاولة للفت الانتباه إليها لتلافيها. وعليه وبالاستعانة بالأحداث التاريخية التي مرت بها الأمة الإسلامية، يمكن استخراج الأسباب بحسب التسلسل الزمني للوقائع من خلال الفتن التي توالى على هذه الأمة منذ وفاة نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - في سببين رئيسيين هما:

- التفرق بسبب منازعة ولي الأمر.

(١) التحرير والتنوير (٤/٤٣).

- التفرق بسبب الابتداع في الدين.

المطلب الأول: التفرق بسبب منازعة ولي الأمر:

إن المتتبع للوقائع التاريخية يتبين له جليا كيف كون النبي - صلى الله عليه وسلم- نماذج فذة من الرجال، كانوا خير هذه الأمة بشهادته - صلى الله عليه وسلم- حين قال: " خير القرون قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم"^(١) فكانوا كالجسد الواحد، جسدوا الأخوة الإيمانية الحققة، فلم يختلفوا، ولم يتنازعو فيما بينهم، وإذا حصل ذلك ففي أمور طبيعية تقتضيها أمور الدعوة، كان - صلى الله عليه وسلم- هو المرجع لهم فيها، لأن أسلوب التخاطب بينهم كانت تهيمن عليه قوة الحجة وثبوت الدليل والغاية عندهم هي معرفة الحق والعمل به، وبمرور الزمن، وبتزايد الأيام التي تفصل بينهم وبين زمن تواجدهم مع نبيهم، بدأت هذه الخصلة تتناقص في أثرها، حتى أصبح الخلاف في الآراء يفتح هوة بين المختلفين أخذ أشكالا مختلفة، فبدأ سياسيا جعل البعض ينازع في أمور السياسة وطريقة الحكم، فتشتعل الفتنة، ولا تخمد إلا بعد أن تأخذ أرواحا كثيرة.^(٢)

ففي حديث رواه حذيفة بن اليمان: عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم- قال: " يكون دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها، قلت: يا رسول الله صفهم لنا، قال: هم قوم من جلدتنا، يتكلمون بألسنتنا، قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: فألزم جماعة المؤمنين وإمامهم فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك".^(٣)

(١) أخرجه البخاري في كتاب الشهادات، باب لا يشهد على شهادة جور إذا شهد، وأخرجه أيضا في كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أصحاب النبي (٦/٣). وأخرجه مسلم في فضائل الصحابة، باب فضل الصحابة.

(٢) مثلما حصل في خلافة ثالث الخلفاء الراشدين، وكذا موقعة الجمل وصفين.

(٣) سنن ابن ماجة بشرح الإمام أبي الحسن الحنفي السندي، بحاشية وتعليقات مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجة للإمام البوصيري (٣٤٦،٣٤٥/٤).

وفي رواية لمسلم عن أبي سلام قال: "قال حذيفة بن اليمان: قلت يا رسول الله إنا كنا في بشر، فجاء الله بخير، فنحن فيه، فهل وراء هذا الخير شر؟ قال: نعم، قلت: كيف؟ قال: يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهدائي، ولا يستنون بسنتي، وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنس، قال: قلت كيف أصنع يا رسول الله إن أدركت ذلك؟ قال: تسمع وتطيع الأمير وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك فأسمع وأطع".^(١)

فحذيفة بن اليمان عمدة في بيان أن من الأسباب الجوهرية لاختلاف الأمة وتفرقها بعد ذلك هو الخروج على الحاكم أو منازعته في الحكم ومقتضياته، فهذا الحديث وإن اختلفت رواياته، إلا أنها تجتمع كلها حول فكرة لزوم جماعة المسلمين وإمامهم، قال الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا) النساء: ٥٩.

ولقد شبه رسول الله -صلى الله عليه وسلم- مودة الذين لا يجتمعون على إمام مطاع بمودة الجاهلية، فقال صلى الله عليه وسلم: "من رأى من أميره شيئا يكرهه، فليصبر عليه؛ فإنه من فارق الجماعة شبراً فمات، إلا مات ميتة جاهلية".^(٢)

فالخروج على الحاكم أو منازعته في الحكم يؤدي إلى تمزيق شمل الأمة وتفريق وحدتها، ولو تتبعنا الوقائع التاريخية يتبين ذلك جليا كيف بدأت جذور الاختلافات التي كان منشؤها سياسيا، فكان أصل الخلاف على ولي الأمر، ثم تطور هذا الخلاف ليأخذ طابعا عقديا.

المطلب الثاني: التفرق بسبب الابتداع في الدين:

إن السبب الثاني لتفرق الأمة هو ظهور البدعة في الدين، فإذا فتح الباب لها اختلفت الآراء باختلاف الذهنيات، فيدخل بعدها التجديد والتبديل، فتظهر بعدها فرق دينية كثيرة كل واحدة تعتقد أن الصواب معها دون غيرها، ويتنوع البدع يتنوع

(١) مسلم بشرح النووي (٤٤٠/١٢) حديث رقم: ٤٧٦٨، باب حكم من فرق أمر المسلمين وهو مجتمع.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأحكام، باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصيته (٣٢٩/٤)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإمامة، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين (١٤٧٥/٣).

المعتنقون، وهذا يؤدي إلى تعدد الأتباع، وبالتالي تفرق الأمة، فعن أبي نجیح العرباض بن سارية- رضي الله عنه- قال: " وعظنا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- موعظة وجلت منها القلوب، وذرفت منها العيون، فقلنا: يا رسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا. قال: أوصيكم بتقوى الله عز وجل، والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد، فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة." (١)

وهذا الحديث فيه إخبار من الرسول -صلى الله عليه وسلم- بما سيقع في أمته بعده من كثرة الاختلاف سواء كان ذلك في أصول الدين أو فروعه، وفي الأقوال والأعمال والاعتقادات (٢)، وهذا موافق لما روي عنه -صلى الله عليه وسلم- من افتراق أمته على بضع وسبعين فرقة، فالبدع إما قولية اعتقادية كأقوال أصحاب الفرق، وإما بدع في العبادات كالتعبد لله بعبادة لم يشرعها، وأحكام هؤلاء جميعاً متفاوتة بحسب ما اختلفوه من بدع، بين مبتدع عاص، ومنها ما هو كفر صراح، ومنها ما هو فسق اعتقادي. (٣)

ولهذه البدع أسباب كثيرة باختلاف الأشخاص والأزمان نعد منها ثلاثاً تكاد تكون

رئيسية، وهي:

- الجهل بأحكام الدين.

- إتباع الهوى.

- التعصب والتقليد.

أ- الجهل بأحكام الدين:

(١) أخرجه أبو داود في السنة باب في لزوم السنة رقم (٤٥٩٤) (٢٣٤/١٢)، والترمذي في كتاب العلم، باب ما

جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع برقم (٢٦٧٦) (٤٣/٥).

(٢) جامع العلوم والحكم، الإمام الحافظ الفقيه البغدادي الشهير بابن رجب، (٢٧٦)، تحقيق شعيب

الأرنؤوط، إبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة، ط٧/١٩٩٧.

(٣) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم (٣٥٤/١٠).

فالبعد لا تقع من راسخ في العلم، بل تقع من جاهل لا يعرف من الدين إلا ما تحرك به لسانه، ولم يعه بقلبه وعقله، كما أخبر بذلك النبي صلى الله عليه وسلم - بقوله: " إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالماً اتخذ الناس رؤوساً جهالاً، فسألوا، فاختلفوا بغير علم، فضلوا، وأضلوا".^(١)

فمن فوائد الحديث أن فيه " الحث على حفظ العلم والتحذير من رئيس الجهلة، وفيه أن الفتوى هي الرياسة الحقيقية وذم من يقدم عليها بغير علم، واستدل به الجمهور على القول بخلو الزمان من مجتهد".^(٢)

فالجهد يؤدي بصاحبه إلى الانصراف عن جادة الحق ورده، والبعد عنه، بل قد يؤدي إلى الاختراع، والتأليف ما لم يكن من قبل، وهذا صنيع المبتدعة، وقد ينشأ الجهل في غالبية الأحيان بسبب الاحتكام إلى أشياء أخرى غير الشرع، وإلى سوء الفهم.

ويؤيد ما جاء به بإيراد تفسير ابن عباس عن إبراهيم التيمي، قال: " خلا عمر - رضي الله عنه - ذات يوم، فجعل يحدث نفسه: كيف تختلف هذه الأمة، ونبينا واحداً؟ فأرسل إلى ابن عباس - رضي الله عنه - فقال ابن عباس: يا أمير المؤمنين: إنما أنزل علينا القرآن، فقرأناه، وعلمنا فيما أنزل، وإنه سيكون بعدنا أقوام يقرءون القرآن ولا يدرون فيما نزل، فيكون لكل قوم فيه رأي، فإذا كان كذلك اختلفوا، فإذا اختلفوا، اقتتلوا".^(٣)

(١) أخرجه البخاري في كتاب العلم، باب كيف يقبض العلم، وفي كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب ما يذكر في ذم الرأي وتكلف القياس (٣٦٦/٤)، وأخرجه مسلم في كتاب العلم باب رفع العلم وقبضه وظهور الجهل والفتن في آخر الزمان (٢٠٥٦/٤).

(٢) تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي (٣٧١/٣)، دار الكتاب العربي، بيروت. ط٣/١٩٨٤.

(٣) الاعتصام، لأبي إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي، ضبطه وصححه الأستاذ أحمد عبد الشافي، دار الكتب العلمية لبنان، (٤٠٣/٢)، ط٢/١٩٩١.

ب- إتباع الهوى:

فالملاحظ على ساحة الواقع أن تقديم هوى النفس على ما يحبه الله - تعالى -
ورسوله- صلى الله عليه وسلم- كان السبب في نشوء الكثير من البدع والمعاصي،
قال تعالى: (إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ ۗ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ
الهُدَى)النجم: ٢٣ .

فالهوى هو السبب في نشأة الكثير من الفرق والطوائف لذلك كان علماء السلف
يجتمعون على تسميتهم: " أهل الأهواء، وكانوا يطلقونها على كل من خرج عن
موجب الكتاب والسنة من العلماء والعباد ".^(١)

واتباع الهوى هو أصل الزيغ عن الصراط المستقيم؛ فلم يأت ذكر هذه الكلمة في
القرآن الكريم إلا في معرض الذم، قال تعالى: (هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات
محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه
منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله) آل عمران٧.

والزيغ هو الميل عن الحق، وهو نتيجة حتمية لإتباع الهوى قال الله تعالى: (أَفَرَأَيْتَ
مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ
غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ)الجاثية: ٢٣

فالهوى هو أساس كل ابتداع في الدين وهو أشد وطأة من الجهل، فعن أنس بن
مالك -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ثلاث منجيات:
خشية الله في السر والعلانية، والعدل عند الرضى والغضب، والقصد في الفقر
والغنى، وثلاث مهلكات: هوى متبع، وشح مطاع وإعجاب المرء بنفسه".^(٢)

ج- التعصب والتقليد:

إن من أهم الأسباب التي أدت إلى انتشار البدع هو التقليد والتعصب، والذي أدى
بدوره إلى الفرقة، والانحراف عن الصراط المستقيم، فالتاريخ سجل على أهل البدع

(١) مجموع الفتاوى (١٣٣/٢٨).

(٢) أخرجه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم: ١٨٠٢ (٤/٤١٢، ٤١٦).

تقليد شيوخهم، وأئمتهم تقليداً أعمى سواء كان ذلك في الأصول، أو في الفروع، ويأخذون أقوالهم مأخذ التقديس، ولو فيها مخالفة صريحة لنصوص الكتاب والسنة وفي الكثير من الأحيان كانت تصل هذه المبالغة حدى التعظيم والتقديس إلى اعتقاد العظمة في الشيوخ، وكان هذا سببا كبيرا في انتشار البدع بين الناس والابتعاد عن المنهج الرباني.

فالتقليد هو: " الرجوع إلى قول لا حجة لقائله عليه"^(١)، وهو أيضا " اتباع ما كان عليه الآباء والأشياخ وأشباه ذلك، وهو التقليد المذموم "^(٢). قال تعالى: (وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا) البقرة ١٧٠.

المبحث الثالث: علاج التفرق:

فبعدهما وقفنا على أسباب تفرق الأمة، نخرج إلى ما هيأه الشارع الحكيم من علاج لداء نخر صرح أمة بعد قوة وهزم نفوس بعد قيادة وشل عقولا بعد ريادة، فكان لذلك الدواء الرباني محددًا في قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً) النساء ٥٩.

وانطلاقا من هذه الآية، فإننا نقف على علاج التفرق، والذي يكون مصدره، ومنطلقه المؤسسات الدينية التي تضطلع لدور الرسالي إرشادا وتوجيها، بما تحمله من قداسة منابرها وتأثير خطابها، من خلال العلاج الرباني الوافي لكل أشكال التفرق، بما يلي:

- الاعتصام بالكتاب والسنة.
- طاعة أولي الأمر وعدم منازعتهم.
- المصالحة والعفو العام.

(١) جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله، أبي عمرو يوسف بن عبد البر القرطبي، ص: ١٤٣،

علق عليه محمد عبد القادر أحمد عطا، مؤسسة الكتاب الثقافية، ط ١٩٩٧/٣.

(٢) الاعتصام (٤٠٢/٢).

المطلب الأول: الاعتصام بالكتاب والسنة:

لا شك أن الكتاب والسنة هما المصدرين الأساسيين لتلقي الحق والهدى، وهما المنبعين الصافيين لدين الله، لذلك أمر الله بالاعتصام بهما وكان هذا السبب في الفلاح ودخول الجنان.

قال الله تعالى: (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم، إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون) آل عمران ١٠٣ .
والاعتصام: " هو افتعال من العصمة، وهو التمسك بما يعصمك ويمنعك من المحذور والمخوف".^(١)

ولأن الاعتصام بالله هو أصل كل الطاعات والبعد عن كل المحظورات شدد الله بالأمر به، وهذا الأمر يقتضي الاعتصام به وبحبله، ويفسر الحبل في الآية السابقة على أنه: " كل شيء يمكن التوصل به إلى الحق في طريق الدين ".^(٢)
ويلخص الإمام القرطبي معنى الآية على التمام إذ يقول: "... فأوجب تعالى علينا التمسك بكتابه وسنن نبيه، والرجوع إليهما عند الاختلاف، وأمر بالاجتماع على الاعتصام بالكتاب والسنة اعتقادا وعملا، وذلك سبب اتفاق الكلمة وبانتظام الشتات الذي يتم به مصالح الدنيا والدين والسلامة من الاختلاف وأمر بالاجتماع ونهى عن الافتراق الذي حصل لأهل الكتابين".^(٣)

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، للإمام أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، حققه وضبطه وخرج أحاديثه وعلق عليه أحمد فخري الرفاعي وعصام فارس الحرساني. (٥٠٨/١)، دار الجيل، بيروت، ط١/١٩٩١.

(٢) التفسير الكبير، أو مفاتيح الغيب، للإمام فخر الدين الرازي، (١٤٢/٧) دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط١/١٩٩١.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، (١٦٤/٤)، أعاد طبعه دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان، ١٩٨٥.

ولقد جاءت آيات كثيرة مرة بأسلوب الترغيب، ومرة بأسلوب التهيب، أمره بطاعة الله ورسوله -صلى الله عليه وسلم- كما جاءت أخرى بأسلوب المدح مع البشرى للمؤمنين الذين أطاعوا الله ورسوله الكريم.

قال الله تعالى: (إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون)النور: ٥٩.

ولقد أمر الله عباده المؤمنين بالتحاكم إلى الكتاب والسنة عند التنازع، فقال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً) النساء: ٥٩.

وكما أن القرآن الكريم حث على الاعتصام بكتاب الله فإن السنة النبوية المطهرة باعتبارها رديفاً للقرآن الكريم اهتمت بالحث الدائم للمسلمين على تحكيم كتاب الله عند كل أمر.

ثم إن السنة النبوية المطهرة على نبيها أفضل صلاة وأزكى تسليم هي المصدر الثاني للهدى، لذلك جاءت الأدلة كثيرة من القرآن والسنة حاثّة على ضرورة اتباعها، والأخذ بما جاء فيها، والانتهاز عما جاءت ناهية عنه.

فما من آية جاء فيها ضرورة طاعة الله إلا وتلا هذا الأمر أمر ثان، وهو ضرورة اتباع المصطفى -صلى الله عليه وسلم- والأدلة على ذلك كثيرة منها قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ)الأنفال: ٢٤

ولأن الاعتصام بالسنة نجاة قال الإمام مالك رحمه الله: "السنة مثل سفينة نوح من ركبها نجا، ومن تخلف عنها هلك، وهذا حق فإن سفينة نوح إنما ركبها من صدق المرسلين، واتبعهم وأن من لم يركبها فقد كذب المرسلين".^(١)

فالسنة واجبة الاتباع مثل القرآن تماماً؛ لأنها شارحة له، مبينة للأحكام التي جاءت فيه، فما أحله الله قد أحله الرسول -صلى الله عليه وسلم- وما حرمه الله،

(١) مجموع الفتاوى (١٣٧/٤).

فقد بعده رسوله -صلى الله عليه وسلم- وهي من الوحي. فقد كان إبراهيم التيمي يقول: " اللهم اعصمني بدينك، ويسنة نبيك من الاختلاف بالحق، ومن إتباع الهوى، ومن سبيل الضلال، ومن مشتبهات الأمور، ومن الزيغ والخصومات".^(١) وهي التي لا يضل من تمسك بها بعد الكتاب العزيز، قال صلى الله عليه وسلم: "تركت فيكم اثنين، لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب الله وسنتي".^(٢)

ولقد حث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عند ظهور الاختلاف بالتمسك بسنته وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعده، فقال: " عليكم بالسمع والطاعة، وإن كان عبدا حبشيا، فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهتدين عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة".^(٣)

إذن فمن الاعتصام بالسنة الالتزام بما قاله -صلى الله عليه وسلم- دون تكلف في السؤال، أو توسع في تفريع المسائل وتوليدها، قال- صلى الله عليه وسلم- : "دعوني ما تركتكم؛ إنما هلك من كان قبلكم بسؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا نهيتكم عن شيء، فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بأمر، فأتوا منه ما استطعتم".^(٤)

المطلب الثاني: علاج التفرق بطاعة أولي الأمر، وعدم منازعتهم:

فالكثير من الأحاديث البالغة عدد التواتر عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وجوب طاعة الأئمة والسلطين وفي بعضها وإن كان عبداً حبشياً، فعن أبي ذر - رضي الله عنه- عن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- قال: " إن خليي أوصاني أن أسمع وأطيع، وإن كان عبداً مجدع الأطراف".^(٥)

(١) جامع بيان العلم وفضله (٢/٢٣٠).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب الاقتداء بسنن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- (٤/٣٥٢)، وأخرجه مسلم في الفضائل (٤/٥٣٢).

(٥) انفرد به مسلم.

وفي رواية عن أم سلمة أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: " ستكون أمراء، فتعرفون وتنكرون، فمن عرف برئ، ومن أنكر سلم، ولكن من رضي وتابع، قالوا: أفلا نقاتلهم؟ قال: لا ما صلوا".^(١)

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: " من خرج من الطاعة، وفارق الجماعة، فمات، فميتته جاهلية، ومن قاتله تحت راية عمية يغضب لعصب أو يدعو إلى عصبية، أو ينصر عصبية، فقتل فقتله جاهلية، ومن خرج على أمتي يضرب برها وفاجرها، ولا يتحاشى عن مؤمنها، ولا يفي لذي عهد عهده فليس مني ولست منه".^(٢)

وقد أجمع علماء أهل السنة والجماعة على وجوب طاعة ولي الأمر ما لم يأمر بمعصية، وعدم الخروج على أولي الأمر، وطاعتهم، وإن جاروا لتفادي ما يترتب على الخروج من طاعتهم من مفساد أضعاف ما يحصل من جورهم. فمن الواجب عليهم تقديم النصح لهم وحب صلاحهم؛ لقوله - صلى الله عليه وسلم - : "إن الله يرضى لكم ثلاثاً: أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأن تعصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم".^(٣)

ويعلل شيخ الإسلام ابن تيمية ما ذهب إليه أهل السنة بأن الفساد في القتال والفتنة أعظم من الفساد الحاصل بظلمهم بدون قتال، ولا فتنة، فيرى: "بأنه لا يدفع أعظم الفسادين بالتزام الأدنى، ويستشهد في هذا المقام بتفسيره للآية: (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله) الحجرات ٠٩ بأن الله تعالى: لم يأمر بقتال كل ظالم

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة، باب: وجوب الإنكار على الأمراء فيما يخالف الشرع وترك قتالهم ما صلوا ونحو ذلك (١٤٨٠/٣).

(٢) صحيح مسلم (١٤٧٦/٣)، وأخرجه البخاري (٢٥٨٨/٦)، وابن حبان (٤٣٤/١٠)، والحاكم (١٦٣/٤).

(٣) أخرجه أحمد في السند (٣٦٧/٢)، وأخرجه الإمام مالك في الموطأ ص: ٩٩٠، وأخرجه الإمام مسلم في كتاب الأفضية باب النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة والنهي عن منع وهات، وهو الامتناع من أداء حق لزمه أو طلب ما لا يستحقه (١٣٤/٣).

وباغ كيف ما كان ولا أمر بقتال الباغين ابتداء، فكيف يأمر بقتال ولادة الأمور ابتداء".^(١)

المطلب الثالث: المصالحة والعفو العام:

إن الدارس للسيرة النبوية الشريفة يجد أن رسول - صلى الله عليه وسلم - استطاع أن يصنع منظومة أمنية يحرسها كل فرد من أفراد الأمة، وتقوم على تحصينها جملة من التشريعات والأحكام، وقد عملت هذه المنظومة على حماية كيان الأمة من العدو الخارجي من جهة، وعلى رعاية حقوق الأفراد والجماعات الصغيرة من جهة أخرى، وفق نظام يكفل حماية الدماء والأموال والأعراض.^(٢)

وعليه فإن اعتبار المصالحة بين أبناء الأمة علاجا للتفرق مستمد من هديه - صلى الله عليه وسلم - لأنه بعث ليعلم الناس أمور دينهم، وهو قائم مقام القدوة في كل شأن من شؤونه عليه الصلاة والسلام، ولنا في موقفه - صلى الله عليه وسلم - في فتح مكة، أفضل وأروع نموذج سجله التاريخ بقوله: " اذهبوا فأنتم الطلقاء " .

وقد كان للمصالحة امتداد عبر التاريخ ليستقر بها المقام بعد فتنة، حيث استطاعت الجزائر أن تقدم للجميع درسا حول لم الشمل ونبذ الفرقة والتطلع لغد أفضل، بما انتهجته بالمصالحة الوطنية، والمصالحة الوطنية هو مشروع يهدف الى المصالحة بين أبناء الشعب فيما بينه، وذلك بعد سنين الجمر التي عاشتها الجزائر بعد أحداث ١٩٩١ السياسية، وقد صدر المرسوم الرئاسي بإجراء انتخاب على المشروع في ١٦ أغسطس سنة ٢٠٠٥ الموافق التاسع من رجب ١٤٢٦هـ، وحصل على نسبة استفتاء تاريخية، ومن بين الإجراءات الرامية إلى استتباب الأمن الواردة في بعض بنود المصالحة:

(١)

منهاج السنة النبوية، ابن تيمية، (٧٧/٢)، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، د.ت.ط.

(٢)

مجلة رسالة المسجد، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، السنة الثامنة - العدد الثالث - ربيع الأول ١٤٣١ هـ - مارس ٢٠١٠م، مقال: (المنهج النبوي في تحقيق أمن الأمة الخارجي والداخلي - الدكتور صالح عسكر)

أولاً: إبطال المتابعات القضائية في حق الأفراد:

- الذين سلموا أنفسهم للسلطات اعتباراً من ١٣ يناير ٢٠٠٠ تاريخ انقضاء مفعول القانون المتضمن الوثام المدني.
- الذين يكفون عن نشاطهم المسلح، ويسلمون ما لديهم من سلاح.
- المطلوبين داخل الوطن وخارجه.
- المنضويين في شبكات دعم الإرهاب.
- المحكوم عليهم غيابياً.

ثانياً: العفو لصالح الأفراد المحكوم عليهم، والموجودين رهن الحبس:

- عقاباً على اقترافهم أعمال عنف من غير المجازر الجماعية.
 - عقاباً على اقترافهم نشاطات داعمة للإرهاب.
- ثالثاً: إبدال العقوبات أو الإعفاء من جزء منها لصالح جميع الأفراد الذين صدرت في حقهم أحكام نهائية أو المطلوبين بين الذين لا تشملهم إجراءات إبطال المتابعات، أو إجراءات العفو السالفة الذكر.

إن سياسة المصالحة الوطنية في الجزائر سمحت بتضميد جروح المأساة الوطنية خلال التسعينات بصورة نهائية من أجل إحلال السلام في القلوب، وفي الأذهان، وفي سلوكيات المواطنين، وتعزيز تماسك اللحمة الوطنية، وكذا تكريس الجهود من أجل تحقيق تطور اجتماعي، واقتصادي شامل.

وبعد مضي أكثر من عقد على دخول الجزائر آتون المنازلة ضد الإرهاب والعنف المتطرف، تطورت تجربتها الخاصة في مكافحة الإرهاب والتطرف، وتشكل لديها مخزون استراتيجي من الخبرة في مجال التعامل معه، سواء على الصعيد الأمني، والعسكري فيما خبرته قوات الدفاع الذاتي والجيش والأسلاك الأمنية الأخرى، أما على الصعيد الاجتماعي والثقافي عبر ما طورته من ميكانيزم الوثام المدني والمصالحة الوطنية.^(١)

(١) الطاهر سعود، المصالحة الوطنية في الجزائر: التجربة والمكاسب، دورية سياسات عربية، العدد ٣٤ (أيلول

/ سبتمبر ٢٠١٨)، ص ٤٠.

المؤتمر الدولي العاشر

[دور العلوم العربية والإسلامية في تكريس الأمن الفكري وتحقيق السلام المجتمعي]

وفي هذا المقام يؤكد الأمين العام لرابطة علماء ودعاة وأئمة دول الساحل الدكتور يوسف بلمهدي: أن تجربة الجزائر في المصالحة الوطنية أصبحت عنوانا للنجاح وتحقيق الأمن والاستقرار.^(١)

(١) مجلة رسالة المسجد - وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، السنة الخامسة، العدد الخامس، ذو القعدة ١٤٣٨هـ/نوفمبر ٢٠١٧م.

خلاصة واستنتاجات:

وفي الأخير يمكن القول إن التفرق تحصيل حاصل لمخططات النموذج الحضاري الغربي الذي يعد المحرك الرئيسي للعوامة وفق مصالحه في المنطقة ككل، والتي عملت على اقتحام عقل الأمة وثوابتها بجملته من المفردات التي تلحق الدمار بمقومات الشخصية الإسلامية.

إن الوعي بالذات الإسلامية أمر ضروري ومهم ودونه لا يمكن أن تحل مشكلاتنا، ورسالتنا في عصر العوامة تتحدد بمدى فهمنا وتمثلنا للقيم الإسلامية، ولا يمكن أن نحقق التغيير المطلوب إذا لم نرتفع إلى مستوى الإسلام، وهو ما يفرض التقيد ب:

- تجسيد التنمية في المنطقة والتوزيع العادل للثروة مع التنسيق الأمني بين دول المنطقة هي السبيل الأفضل لتحقيق الاستقرار الأمني والاجتماعي في المنطقة.
- أصبح لزاما على دول المنطقة تكييف سياساتها الخارجية بشكل يستجيب لكل التحديات الأمنية والاقتصادية والاجتماعية في المنطقة.
- ضرورة إعادة تفعيل مطلب الوحدة لمواجهة التحديات الجديدة باعتباره هو من صميم روح التضامن بين الشعوب إيماننا منها بوحدة المصير.
- استرجاع المسجد روحه بدوره الديني والاجتماعي الذي يضطلع به بالتعاون مع بقية مؤسسات المجتمع.
- تنظيم الفتوى على مستوى المجالس العلمية في الولايات، والمساجد ووسائل الإعلام المتاحة، دفعا لفوضى الفتوى.
- استغلال الفضاءات الإعلامية المتاحة لمحاصرة ظاهرة العنف، ومواجهة التطرف والغلو.

قائمة المراجع:

١. ابن تيمية، مجموع الفتاوى، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم (٣٥٤/١٠).
٢. أبو القاسم جار الله الزمخشري، الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار المعرفة (٢٧٤/٤) د.ت.ط.
٣. أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي، الاعتصام، ضبطه وصححه الأستاذ أحمد عبد الشافي، دار الكتب العلمية لبنان، (٤٠٣/٢)، ط٢/١٩٩١.
٤. أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (١٦٤/٤)، أعاد طبعه دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان، ١٩٨٥.
٥. أبو عمرو يوسف بن عبد البر القرطبي، جامع بيان العلم، وفضله وما ينبغي في روايته وحمله، علق عليه محمد عبد القادر أحمد عطا، مؤسسة الكتاب الثقافية، ط٣/١٩٩٧.
٦. أحمد بن فارس بن زكرياء، معجم مقاييس اللغة. تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون، دار الجيل لبنان، (٣٩٤،٣٩٣/٤) ط١، ١٩٩١.
٧. الألباني السلسلة الصحيحة.
٨. الإمام أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، حققه وضبطه وخرج أحاديثه وعلق عليه أحمد فخري الرفاعي وعصام فارس الحرستاني. (٥٠٨/١)، دار الجيل، بيروت، ط١/١٩٩١.
٩. الإمام الحافظ الفقيه البغدادي الشهير بابن رجب، جامع العلوم والحكم، (٢٧٦)، تحقيق شعيب الأرنؤوط، إبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة، ط٧/١٩٩٧.
١٠. الإمام فخر الدين الرازي، التفسير الكبير، أو مفاتيح الغيب، (١٤٢/٧) دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط١/١٩٩١.
١١. الإمام مالك كتاب الموطأ.
١٢. تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي (٣٧١/٣)، دار الكتاب العربي، بيروت. ط٣/١٩٨٤.
١٣. دورية سياسات عربية، العدد ٣٤ (أيلول / سبتمبر ٢٠١٨)
١٤. الرغب الأصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن، دار الكتب العلمية بيروت، ص: ٤٢٢، ط١/١٩٩٧.

١٥. سنن ابن ماجة بشرح الإمام أبي الحسن الحنفي السندي، بحاشية وتعليقات مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجة للإمام البوصيري (٣٤٦،٣٤٥/٤).
١٦. المجلة الجزائرية للسياسات العامة، العدد الثاني، أكتوبر ٢٠١٣.
١٧. مجلة رسالة المسجد - وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، السنة الخامسة، العدد الخامس، ذو القعدة ١٤٢٨هـ/نوفمبر ٢٠٠٧م،
١٨. مجلة رسالة المسجد، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، السنة الثامنة - العدد الثالث - ربيع الأول ١٤٣١ هـ - مارس ٢٠١٠م.
١٩. محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، دار سحنون للنشر والتوزيع، المجلد الثالث: تونس: ط: ١٩٩٧.
٢٠. محمد فريد وجدي، دائرة معارف القرن العشرين، دار المعرفة، بيروت، (٢١٢/٧)، ط: ٣، د.ت.ط.
٢١. مختصر كتاب التعريفات، اختصره، وراجعته قسم التحقيق، والبحث العلمي، دار طويق للنشر والتوزيع، ص: ٢٢، ط: ١٤١٥هـ.
٢٢. مرتضى الزبيدي، تاج العروس، دار صادر (٤٦/٧)، د.ت.ط.

وسطية الإسلام في فقه الائتلاف والاختلاف

وأثره في تحقيق الأمن الفكري والسلم المجتمعي.

الأستاذ الدكتور / مبروك بهي الدين رمضان الدعدر

كرسي الأمير سلطان بن عبد العزيز للدراسات الإسلامية المعاصرة

اللجنة العلمية

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد.

فإن الاختلاف في صورته العامة سنة كونية من سنن المولى عز وجل، تتجلى مظاهرها في الكون بمظاهرها شتى، كالليل والنهار، والفصول الأربعة، واختلاف ألوان البشر، وفي المذاهب الفقهية، أو في الأفكار أو الأحزاب.

وحقيقة الاختلاف أنه ظاهرة صحية معتبرة ونافعة بعيدة عن الخلاف المذموم الذي يفرق الصف ويزرع العداوة والبغضاء بين أفراد، ويبدد الطاقات المبدولة، وفي المقابل فإن الائتلاف يوحد الأمة، ويقوي الصف، ويشد من عزم الشباب، ومن خلاله يعم الأمن والسلام المجتمعي، لذا كان لا بد من الإحاطة بفقه الاختلاف والائتلاف من حيث مفهومه في اللغة والاصطلاح، والفرق بين الخلاف والاختلاف وأسبابه، والوقوف على حال الصحابة وسلف الأمة وقرونها المفضلة حال اختلافهم، والتعرف على آداب الاختلاف في الإسلام، وقواعد إدارته وسياسات وآليات التوافق والائتلاف، والوسائل المؤدية إلى الاتفاق، ووحدة الصف، وحرية اختلاف الرأي وقبول الآخر، فكثيراً ما تثير هذه الاختلافات شبهات في نفوس الناس وخاصة الشباب منهم، وتدفع إلى تساؤلات، منها: كيف يكون ديننا واحداً، وربنا واحداً، ورسولنا واحداً، وقرآننا واحداً؟ وفيه مثل هذه المذاهب والمدارس والآراء والاختلافات؟ وكيف يقبل دين التوحيد مثل هذه التعددية العلمية والعملية؟

ونظراً لما يعايشه شبابنا من مواقف متعددة ومتباينة تجاه هذه الاختلافات، تعصباً للآراء، وتشدداً في الأحكام، وغلوياً في الأفراد تارة وفي المذهب تارة؛ مما خلف في

المجتمع تفرقاً في الصفوف، وتباعداً بين القلوب، نتج عنها مل لا يخفى علينا من ظهور تلك الانحرافات الفكرية، والسلوكية، والعقدية، مما يجعل من التعرف على وسطية الإسلام في فقه الائتلاف والاختلاف ضرورة علمية، وحاجة عملية.

وتقوم فكرة هذا البحث على تأصيل جانب فقه الائتلاف والاختلاف، وبيان وسطية الإسلام عند التعامل مع الآخر، وأن الإسلام في صورته الشمولية ليس وقفاً ولا حكراً على فقه الأحكام الشرعية في جانب العبادات والمعاملات فقط، بل ذلك جزء من مفهوم الفقه الشامل للإسلام ووسطيته في كل أمور الحياة.

إن الفقه الصحيح في الدين وفهمه بالمفهوم الشامل له دور رئيس في تحقيق الأمن الفكري والسلم المجتمعي، والتعامل عند الاختلاف؛ ففي الإسلام فقه الموازنات، وفقه الأولويات، وفقه الخلاف والائتلاف، وفقه المقاصد والنيات، وفقه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وغير ذلك من جوانب الفقه في الإسلام الغائبة عن شريحة عريضة من أبناء المسلمين، مما كان لغيابها فسح المجال للغلو والتطرف وأن يجد له مدخلاً بين أوساط الشباب.

ويهدف هذا البحث إلى جملة من الأهداف منها:

١. تأصيل مفهوم الفقه الشامل للدين في جميع جوانبه.
٢. تأصيل مفهوم فقه الائتلاف والاختلاف وأشكاله وضوابطه.
٣. بيان وسطية الإسلام عند الاختلاف مع الآخر.
٤. بيان طرائق تحصين أجيال الأمة من لوثات الغلو والجفاء والإفراط والتفريط.
٥. بيان أثر الائتلاف ونبذ الخلاف في توحيد الأمة وجمع كلمتها.

وتشمل عناصر البحث:

- ❖ مقدمة: تتناول أهمية البحث وأهدافه وعناصره.
- ❖ أولاً: التعريف بالمصطلحات الواردة في الورقة.
- ❖ ثانياً: العلاقات الارتباطية بين المصطلحات.
- ❖ ثالثاً: التنازع بين مفهوم الوسطية وفقه الاختلاف.
- ❖ المبحث الأول: مفهوم الفقه في الدين والمقصود بفقه الائتلاف والاختلاف وتأصيله، ويشمل:

✓ أشكال الاختلافات وأنواعها.

✓ طبيعة الاختلافات العلمية وأسبابها.

المؤتمر الدولي العاشر

[دور العلوم العربية والإسلامية في تكريس الأمن الفكري وتحقيق السلام المجتمعي]

- ✓ ضوابط الاختلاف العلمي.
 - ✓ بيان أدب التعامل مع الاختلاف.
 - ❖ **المبحث الثاني: الأسس الشرعية والعلمية لترسيخ فقه الائتلاف.** ويشمل:
 - ✓ الحرص على الأخوة الإيمانية ووحدة الأمة.
 - ✓ تقدير العلماء الراسخين وأهل الفضل.
 - ✓ الإنصاف والتحذير من التنقيب عن السرائر.
 - ✓ تعلم فقه الموازنات الشرعية عند الاختلاف.
 - ✓ تعلم فقه الثوابت والمتغيرات، ومراعاة الزمان والمكان عند الاختلاف.
 - ❖ **المبحث الثالث: أثر فقه الائتلاف والاختلاف على الأمن الفكري والسلام المجتمعي:**
 - ✓ منزلقات تفسد الائتلاف وترسخ الخلاف وتهدد الأمن الفكري والسلام المجتمعي.
 - ✓ ضعف العلم وعدم التثبت في الفهم والنقل.
 - ✓ إطلاق العنان للتكفير والتبديع والتفسيق.
 - ✓ الموالاة والمعاداة على الأسماء المحدثّة.
 - ✓ اتباع الهوى وفساد ذات البين.
 - ✓ تتبع الأخطاء والعثرات ونشرها وعدم سترها.
 - ❖ **الخاتمة وفيها خلاصة البحث وتوصياته.**
 - ❖ **المصادر والمراجع.**
- ونسأل الله تعالى التوفيق والرشاد.

أولاً: التعريف بالمصطلحات:

لا شك أن التعريف بالمصطلحات إحدى وسائل جلاء المفهوم؛ لأن إدراك الشيء والحكم عليه فرع عن تصويره، وهو مرهون بجلاء قواعده، ونعرض هنا بإيجاز لمصطلحات رئيسة قام عليها الموضوع وهي: (الوسطية، والفقهاء، والاختلاف، والائتلاف، والأمن الفكري)، إفراداً وتركيباً، لغةً واصطلاحاً، والعلاقات الارتباطية بينها، والتنازع بين الوسطية وفقه الاختلاف.

(أ) تعريف الوسطية:

الوسطية في اللغة: قال ابن فارس: "الواو والسين والطاء: بناء صحيح يدل على العدل، والنصف، وأعدل الشيء أوسطه، ووسطه"^(١)، والمتبع للفظ الوسطية في اللغة يجد أنها كيفما تصرفت هذه اللفظة لا تخرج في معناها عن العدل والفضل والخيرية، والنصف، والبيئية، والمتوسط بين الطرفين^(٢)، كما تحمل معاني الجود والرفعة والمكانة العلية والتوازن والتوسط بين طرفين مذمومين أو التمرکز بين أطراف متساوية.

(ب) الوسطية في الاصطلاح: لا يخرج المعنى الاصطلاحي للوسطية عن المعاني اللغوية السابقة، وفي تفسير قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ قال القرطبي رحمه الله: "أن الوسط بمعنى الأعدل والخيار، وهو هنا بمنزلة بين المنزلتين، وتصف بين طرفين"^(٣)، وقال الطبري: عدولاً"^(٤)، وقالوا: عدولاً خياراً"^(٥)، وقالوا المراد بالأوسط الأعدل والأفضل"^(٦).

(ب) تعريف الفقه:

الفقه لغة: "الفاء والقاف والهاء أصل واحد صحيح يدل على إدراك الشيء والعلم به، ثم اختص بذلك علم الشريعة ف قيل لكل عالم بالحلال والحرام فقيه،

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، ص ١٠٩١، مادة "وسط". القاموس المحيط، الفيروز آبادي،

٤٠٥/٢

(٢)

وسطية أهل السنة بين الفرق، محمد باكريم محمد باعيد الله، ص ٣.

(٣)

الجامع لأحكام القرآن، للطبري، ٢٧٦/٦.

(٤)

جامع البيان، للطبري ٧/٢.

(٥)

انظر: جامع البيان، للطبري ٣/١٤٢ - ١٤٣.

(٦)

انظر: فتح الباري، لابن حجر، ١٦/٦.

وأفقهتُكَ الشيءَ إذا بينته لك" (١). ونقل الزمخشري "فقهت، أي فطنت وارتأت الصواب" (٢).

وقيل الفقه هو الفهم العميق الناتج عن التفكير والتأمل، لا مطلق الفهم، ويشهد له قوله تعالى على لسان قوم شعيب عليه السلام: ﴿ قَالُوا يَشْعِيبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ ﴾ هود: ٩١ (٣)، وقيل: ملكة الفقه في النفس حتى تصير كالطبع والسجية (٤)، وقيل: فقه سبق في الفهم (٥).

الفقه اصطلاحاً: الفقه من هذه الألفاظ التي تطورت تطوراً ملموساً، فهو متضمن معنى الفهم ومعنى العلم بنصوص الشريعة، وقد عرفه علماء الشريعة بتعريفات عدة، منها:

"العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسب من أدلتها التفصيلية" (٦)، ومنه قوله - صلى الله عليه وسلم - : "رب حامل فقه غير فقيه. ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه" (٧)، ومنه قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "تفقهوا قبل أن تسودوا" (٨).

"إن الفقه هو العلم بالأحكام الشرعية القطعية لا الظنية. وأن الظن ليس من الفقه، والأحكام المظنونة ليست مما يسمى العلم بها فقهاً، وقيل إدراك للأشياء الخفية" (٩)، وقيل: حفظ طائفة من مسائل الأحكام الشرعية العملية بدليلها أو مجرداً عنها" (١٠).

(١) انظر: مقاييس اللغة لابن فارس، ٤ / ٤٤٢.

(٢) انظر: تاج العروس، للزبيدي، ٩ / ٤٠٢.

(٣) انظر: المصباح المنير، للفيومي، مادة: (فقه).

(٤) انظر: تاج العروس، للزبيدي، ج ٩، ص ٤٠٢.

(٥) انظر: فتح الباري، لابن حجر، ١ / ١٦٥.

(٦) انظر: التمهيد في تخريج الفروع على الأصول، الأسنوي، ص ٥٠.

(٧) انظر: فيض القدير على الجامع الصغير، المناوي، ٦ / ١٤.

(٨) انظر: فتح الباري، لابن حجر، ١ / ١٦٤ - ١٦٥.

(٩) انظر: الموسوعة المصرية، ص ١١ وما بعدها.

(١٠) انظر: مقدمة الموسوعة الفقهية الكويتية، ١ / ١٤.

وذهب ابن القيم إلى أن الفقه أخص من الفهم؛ لأن الفقه هو فهم مراد المتكلم من كلامه، وهو قدر زائد على مجرد فهم ما وضع له اللفظ^(١).

تعريف الخلاف والاختلاف:

الخلاف في اللغة: هو مصدر خالف، كما أن الاختلاف مصدر اختلف. والخلاف، وقد خالفه مخالفة وخلافاً. وتخالف الأمران واختلفا؛ لم يتفقا. وكل ما لم يتساو فقد تخالف واختلف، قال سبحانه: (مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ) الأنعام: ١٤١^(٢)، وهو أعم من الضد، قال الراغب: "الخلاف: أعم من الضد؛ لأن كل ضدين مختلفان، وليس كل مختلفين ضدين"^(٣).

الخلاف في الاصطلاح: الاختلاف والمخالفة: أن يأخذ كل واحد طريقاً غير طريق الآخر في حاله أو قوله، ولما كان الاختلاف بين الناس في القول قد يقتضي التنازع، استعير ذلك للمنازعة والمجادلة، وعليه فيكون الخلاف والاختلاف في الاصطلاح هو: "أن يذهب كل واحد إلى خلاف ما ذهب إليه الآخر"^(٤). أو هو: "منازعة تجري بين المتعارضين؛ لتحقيق حق أو لإبطال باطل"^(٥)، والمسائل الخلافية في الأحكام الشرعية هي: "المسائل الفقهية التي لم يتفق عليها من يعتد بخلافه من العلماء"^(٦)، وقال المناوي: "الاختلاف افتعال من الخلف، وهو ما يقع من افتراق بعد اجتماع في أمر من الأمور"^(٧).

وإن كان بعض العلماء قد فرّق بين الخلاف والاختلاف في الاصطلاح^(٨)؛ فقالوا: (الاختلاف): ما اتحد فيه القصد، واختلف في الوصول إليه، و(الخلاف): يختلف فيه القصد مع الطريق الموصل إليه، وأن (الاختلاف): ما يستند إلى دليل،

(١) انظر: إعلام الموقعين، لابن القيم، ١/ ٢١٩.

(٢) انظر: لسان العرب، لابن منظور، ٤/ ١٨١ - ١٩٢.

(٣) انظر: مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، ص ٢٩٤.

(٤) انظر: المصباح المنير في غريب شرح الوجيز، الفيومي، ص ١٧٩.

(٥) انظر: التعريفات، الجرجاني، ص ١٣٥.

(٦) انظر: معجم لغة الفقهاء، قلعجي، ص ١٩٨.

(٧) انظر: فيض القدير، المناوي، ١/ ٢٠٩.

(٨) انظر: الكليات، الكفوي، ص ٦١.

بينما (الخلاف): لا يستند إلى دليل^(١). وأن (الاختلاف): من آثار الرحمة، بينما (الخلاف): من آثار البدعة، وغيرها من الفروق، إلا أنه يمكن القول بأن الخلاف والاختلاف يراد به مطلق المغايرة، في القول، أو الرأي، أو الحالة، أو الموقف.

ثانياً: التنازع بين مفهوم الوسطية وفقه الاختلاف:

إذا كانت وجهات النظر الفلسفية الوضعية تتباين حول ماهية الإنسان؛ بين الطبيعية الإنسانية أو النظرة الثنائية لها من حيث الغرائز والمادية، وبين الإنسان كعقل وجسم^(٢)، إلا أننا نجد أن الإسلام ينظر للإنسان نظرة متوازنة فالإنسان قابل بطرفيه المادي والروحي أن يهبط أو يصعد وفق التوجيه أو الاعتقاد، وأن إحدى الغايات العليا للإسلام تحقيق التوازن الفردي والمجتمعي، ووسيلته في ذلك أن يستمسك بالاعتدال والوسطية والحرص على سلامة المجتمع من الاختلاف والانشقاق.

لهذا كانت نظرة الإسلام تقوم على أساس الترابط بين جوانبه المختلفة فلا يسمح بتنمية جانب مقابل إهمال الجوانب الأخرى، وهذا يدل على أن كلية الإسلام وقاعدته العظمى (الوسطية) هي التي تملك خاصية التوازن بين جميع جوانب الإنسان الجسدية، والروحية، والعقلية. فالإنسان في نظر الإسلام كل لا يتجزأ. ومن هنا تحقق الوسطية للأمة الأمن الفكري والسلم المجتمعي ولا تقف عند حدود التوسط بين طرفين مهما كان موضوع هذا الوسط التزاماً وانحرافاً^(٣)، لكنها تقوم على العدالة والخيرية ومضامينها، وكذلك البيئية سواء أكانت حسية أم معنوية.

فالوسطية سلوك محمود (مادي أو معنوي) يعصم صاحبه من الانزلاق إلى طرفين متقابلين أو متفاوتين، بين الإفراط والتفريط، سواء في ميدان ديني أو دنيوي؛ لأنها تقوم على الاعتدال، وتجنب الغلو والتقصير؛ قال ابن القيم: "ما أمر الله تعالى بأمر إلا وللشيطان فيه نزغتان: إما تقصير وتفريط، وإما إفراط وغلو، فلا يبالي بما

(١) انظر: حاشية ابن عابدين على الدر المختار، ٤ / ٣٣١.

(٢) فلسفة التربية واتجاهاتها ومدارسها. د / محمد منير مرسى، ص ١٢٣ - ١٢٤ - ١٩٧.

(٣) انظر: الوسطية في القرآن الكريم، د. علي الصلابي، ص ٣٠.

ظفر من العبد من الخطيئتين^(١). فالوسطية لا تخرج عن العدل، والخيار، والاستقامة، والاتزان، والقصد، قال ابن القيم: "والدين كله بين هذين الطرفين (التقصير والمجاوزة) بل الإسلام قصد بين الملل، والسنة قصد بين البدع، ودين الله بين الغالي فيه، والجايء عنه"^(٢)؛ لأن الوسط عدل بين الأطراف، ليس إلى بعضها أقرب من بعض^(٣).

وفي مجالات الخلافات أو الاختلافات نجد من مسلتزمات الوسطية: المداراة، التي هي من أخلاق المؤمنين، والتي يقصد منها التأليف، ويدفع بها التنفير، وقد شرحها ابن حجر بأنها: "الدفع برفق"، قال ابن بطال: "هي خفض الجناح للناس، ولين الكلمة، وترك الإغلاظ لهم في القول، والرفق بالجاهل في التعليم، وبالفاسق في النهي عن فعله، وترك الإغلاظ عليه، والإنكار عليه بلطف القول والفعل، ولا سيما إذا احتيج إلى تألفه ونحو ذلك"^(٤).

ثالثاً: العلاقات الارتباطية بين الوسطية والفقهاء وفقه الاختلاف:

إن معرفة مراتب الخلاف والاختلاف والتأدب بأدابه، ومراعاة ضوابط الإنكار عند تحقق أسبابه - تعد من أهم ما يجب على العاملين في مجال الدعوة والفكر والثقافة أن يكونوا على علم بها وعمل بمقتضاها ومضمونها.

والقصور في فهم هذه الأمور وعدم مراعاتها، ينشأ عنه كثير من الخلل؛ إما بالتنازع والشقاق في أمور يسع فيها الخلاف والتغافر، وإما بالقبول والإعذار في أمور لا يسع فيها إلا الإنكار. وإما بكليهما!!

وكفى ظل التناحر الفردي والحزبي كم رأينا للأسف أفراداً وكيانات وأحزاباً وجماعات وقعت في ذلك؛ فلم تفرق بين ما يسع فيه الخلاف ولا يمنع من التعاون والائتلاف، وبين غيره مما لا يحتمل ذلك.

فبعضهم ضاق عطنهم عن قبول أي خلاف، بل أقاموا الدنيا وأقعدوها، وأشعلوا معارك طاحنة في مسائل وقضايا لا تستحق كل ذلك ولا بعضاً منه، بل الأمر فيها سهلٌ يسيرٌ ولا يحتمل كل هذا التغليظ والتهويل.

(١) انظر: الوابل الصيب، لابن القيم، ص: ٢٤.

(٢) انظر: الروح، لابن القيم، ص: ٢٥٧.

(٣) انظر: الكشف عن حقائق غوامض التنزيل، وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، الزمخشري، ٩٩/١.

(٤) انظر: فتح الباري، لابن حجر، ٥٢٨/١٠.

والبعض الآخر على النقيض من الفريق الأول وكأنه رد فعل على جفائهم وغلوهم، فرط وتساهل وتهاون وتغافر في كل خلاف ولو كان مصادماً للبيانات والأصول الراسيات، فرضوا بالآراء المصادمة لصريح الكتاب والسنة وإجماع الأمة، ولهم في ذلك قاعدة يطلقون عليها (ذهبية)!! يستخدمونها في غير مظانها العلمية، وهي: "نجتمع فيما اتفقنا عليه، ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه"، ادعاء منهم أنها سعيٌ لوحدة الصف وجمع الكلمة!! ولو كان على حساب الحق، والعجيب أن بعض هذه الكيانات التي اتسع صدرها لكثير من البدع والانحرافات، ضاق صدرها وعلا إنكارها على غيرهم ممن يتفقون معهم في غالب أصولهم وفي مسائل يسعنا فيها ما وسع سلف الأمة وعلماءها الراسخين الخلاف، أو على الأقل لا تقارن بخلاف من اتسع صدرهم لهم من الطوائف الضالة والفرق والجماعات المنحرفة!

المبحث الأول:

مفهوم الفقه في الدين والمقصود بالفقه الائتلاف والاختلاف وتأصيله

من الضرورة أن نحدد ماذا نعني بالفقه؟ وماذا نعني بالاختلاف والائتلاف؟
ودلالة ذلك.

فقد سبقت الإشارة إلى أن الفقه في اللغة هو: الفهم، يقال: أوتى فلان فقهاً في الدين؛ أي: فهماً فيه^(١)، ومنه دعاء النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لابن عباس: "اللَّهُمَّ فَقَّهُهُ فِي الدِّينِ"^(٢). وفي الاصطلاح: هو العلم بالأحكام الشرعية الفرعية العملية، المستمدة من الأدلة التفصيلية^(٣).

إلا أن مدلول الفقه لا يقف عند حد "المعرفة بأحكام القرآن، والمعرفة بأحكام كلام رسول الله - صلى الله عليه وسلم- ناسخه ومنسوخه، وما صح نقله مما لم يصح، ومعرفة ما أجمع العلماء عليه وما اختلفوا فيه، وكيف يرد الاختلاف..."^(٤)، فقد أشار الغزالي في مقدمة "الإحياء" إلى تحرير مصطلح "الفقه"؛ ليشمل المعنى الأوسع وليست المعرفة في جزئيات الأحكام التفصيلية، وقال: "ليتفقها في الدين" يعني في الدين كل الدين^(٥)؛ لأن الدين - كما نعلم - عقائد وشعائر وشرائع وقيم ومعاملات، فيكون الفقه عن الله فيما شرع في الأحكام التنزيلية لكتاب الله المقروء وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم-، وكذلك الفقه عن الله فيما خلق فقه آيات الله تعالى في الكون المنظور، وبهذا يستوعب الفقه مصادر المعرفة.

أما الاختلاف فقد اقتضت مشيئة الله تعالى وهو العليم الحكيم الخبير أن خلق الناس بعقول متباينة، وإدراكات متنوعة، كما اقتضت حكمته - جل وعلا- اختلاف الألسنة والألوان والأفكار، وهي سنة كونية في الخلق، ولا يعني ذلك أن كل تعارض بين قولين يعدُّ خلافاً حقيقياً^(٦)، ولا نعني هنا الوقوف عند إقرار مبدأ الاختلاف، فذلك أمر مسلم به، لأنه سنة من سنن الله في الكون وفي الخلق، وفقه

(١) انظر: تهذيب اللغة، الأزهرى، ٥/ ٢٦٣.

(٢) رواه البخاري، كتاب الوضوء، باب وضع الماء عند الخلاء، ٤١/١ برقم (١٤٣).

(٣) انظر: الموسوعة الفقهية الكويتية، ١/ ١٣.

(٤) الأحكام في أصول الأحكام، الأمدي، ٥/ ١٢٧.

(٥) انظر: إحياء علوم الدين، للغزالي، المقدمة، ص ٤.

(٦) انظر: الموافقات، للشاطبي، ٥/ ٢١٠.

الاختلاف لا يعني إلغاء هذا الاختلاف، ولكن يعني حسن إدارته، ومراعاة أدب الاختلاف بين العلماء في بعض المسائل؛ لأن ليس كل اختلاف مؤشراً للمشروع والفساد، بل قد يكون الاختلاف رحمةً وتوسعةً، وليكون الاختلاف انتقالاً من عالم التضاد والتشاحن إلى عالم التنوع والتعاون الذي يشكل عامل ثراء وخصوبة يسهم في حشد طاقات الأمة، واستثمار كواردها وطاقاتها.

ونعني بفقهِ الائتلاف فقهِ الجوامع المشتركة الذي يمثل الأرضية الجامعة التي ينبغي أن يجتمع عليها الناس، سواء كان ذلك في محكمات الشريعة أو قطعياتها أو ثوابتها أو أصولها. هذا في المشترك الديني، أو كان في المشترك الإنساني، أو كان في المشترك الحضاري، هذا كله يطلق عليه فقهِ الائتلاف.

(١) أشكال الاختلافات وأنواعها:

إذا كان الاختلاف يعني عدم الاتفاق في موضوع أو مسألة، وهو "أن يأخذ كل واحد طريقاً غير طريق الآخر في حاله أو فعله"^(١)، فإن الخلاف أنواع متعددة من حيث الوجود وعدمه، أو من حيث قبوله وعدم قبوله، وهو ما يعرف بـ (الخلاف المذموم أو غير السائغ والخلاف السائغ).

(أ) الخلاف المذموم: هو كل خلاف يؤدي إلى الفرقة والتشردم، وقد جاء التحذير منه في أكثر من آية من ذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ﴾ آل عمران: ١٠٥، قال الرازي: المراد اختلاف الناس في الأديان والأخلاق والأفعال^(٢)، وهذا الاختلاف منشؤه الهوى والتقليد الأعمى للموروثات الفاسدة وهو خلاف غير سائغ، ومنه الخلاف في قطعيات العقيدة والفقهِ (الأصول)، وهو فرع من الخلاف المذموم، كالخلاف بين الفرق وغيرهم، وكذلك خلاف من لا يملك أهلية الاجتهاد والنظر في الأدلة الشرعية، وليس من الخلاف المعتبر اجتهاد من ليس له بأهل.

(ب) الخلاف السائغ: ويكون في فروع العقيدة والفقهِ، ومنه خلاف المذاهب الفقهية، وخلاف الدعاة على بعض الوسائل الحديثة للدعوة، وكذلك في بعض

(١) بصائر ذوي التمييز، الفيروز آبادي، ٥٦٢/٢.

(٢) التفسير الكبير، الرازي، ٧٦/١٨.

فروع العقيدة، وقد يكون هذا الخلاف شاداً أو ضعيفاً أو قوياً، وينقسم الخلاف السائغ إلى نوعين هما:

(١) **الأول: اختلاف التنوع:** وهو ما يكون في العبارة واللفظ، ويعرف باختلاف التخيير، وهو الذي لا يقتضي فيه أحد القولين ضد ما يقتضيه الآخر، كالاختلاف في صيغ دعاء الاستفتاح ونحوه، أو الاختلاف في بعض تعريفات المصطلحات العلمية، وهذا النوع لا يسوغ فيه الإنكار أو التثريب، ولا يصح جعل هذا النوع سبباً للنزاع والجدل، لأنه داخل في الاجتهاد المحمود.

(٢) **اختلاف تضاد:** أو ما يعرف باختلاف التعارض، ويقصد به أن يقتضي فيه أحد القولين أو الأقوال ضد ما يقتضيه الآخر، وهو ما يكون في اختلافات العلماء من فقهاء وأصوليين وغيرهم، وقد يكون هذا الخلاف معتبر أو غير معتبر، فالمعتبر ما يكون اجتهاداً من أهل الاختصاص أي العلماء في مسائل ليس فيها نصٌ صحيحٌ صريح، وليست محل إجماع^(١)، أما الخلاف غير المعتبر: وهو الخلاف الذي لا تكون له قيمة علمية في ميزان الشرع والعلم، أو يصدر ممن هو ليس بأهل ممن يُعتدُّ بأقوالهم واجتهاداتهم، أو ليس عليه دليلٌ، أو ضعف مُدرِّكه، أو تقتضي النصوص الصحيحة والقواعد الصريحة بضعفه وشدوذه، وضابطه: مخالفة النص الصحيح الصريح، وأن يكون مسبقاً بإجماع، ومخالفة مذهب عامة أهل العلم؛ ولم يجر عليه عملهم بل هجره^(٢).

وللأسف هو ما ينطبق على بعض المتحدثين اليوم وخاصة في وسائل الإعلام وتناولهم قضايا شرعية وفقهية يحتاج كثير منها إلى أهل الاختصاص أو اجتهاد جماعي، ولا نبالغ إن قلنا إن هذا الصنف الذي يَهْرَفُ بما لا يَعْرِفُ، ويظنُّ أنَّ الحديث في أمر الشريعة مُستباحٌ لكلِّ أحد، وأن علوم الفقه والتفسير والعقيدة رؤى ووجهات نظر لا تحتاج إلى أهل علمٍ ومنهجيةٍ وتَأْصِيلٍ!! فالحقيقة أن خلافهم أو رؤاهم لا قيمة لها في موازين العلم الصحيح؛ وخلافهم مع أهل العلم أو قولهم بخلاف الحق ليس من الخلاف المعتبر. والله المستعان.

(١) انظر: القول الشاذ وأثره في الفتيا، أ.د. أحمد سير المباركي، ص ٢٤

(٢) انظر: قواعد الأحكام، العز بن عبد السلام، ١/٣٧٠، الإحكام، لابن حزم، ٥٢/٥، البحر المحيط، الزركشي،

٣/٥٦٠، القول الشاذ وأثره، المباركي، ص ٧٧.

(٢) طبيعة الاختلافات العلمية وأسبابها:

يكثر السؤال في كثير من أوساط المجتمعات، لماذا يختلف المسلمون والعلماء منهم، مع أن مرجعيتهم واحدة وهي الكتاب والسنة؟ لذا يحسن أن نشير إلى حقيقة مهمة تتعلق بظاهرة الاختلافات العلمية، وهي:

أ- أن ظاهرة الاختلافات العلمية ظاهرة فطرية طبيعية، وليست بدعة محدثة، كما أنها ظاهرة شرعية مقبولة منذ العهد الأول للسلف الصالح.

ب- أن كل اختلاف علمي لا بد أن يرجع طبيعة النصوص الشرعية المحتملة لأكثر من معنى واحد، أو لطبيعة العقول البشرية المتفاوتة في فهم هذه النصوص.

أما عن طبيعة النصوص الشرعية: فمن المسلم به عند العلماء: أن نصوص الكتاب والسنة تتنوع في جملتها إلى أربعة أنواع رئيسة، هي: (نصوص قطعية الثبوت، وقطعية الدلالة) أو (نصوص ظنية الثبوت، وظنية الدلالة) (نصوص ظنية الثبوت، وقطعية الدلالة) (نصوص قطعية الثبوت، وظنية الدلالة)، ومن هنا: كان النوع الأول فقط هو الذي لا يجري فيه خلاف علمي، وإذا جرى فهو مردود على صاحبه، وكانت الأنواع الثلاثة الأخرى محل خلاف العلماء المقبول والمحترم، بغض النظر عن كونه صواباً أو خطأً.

وإذا تأملت مواضع الاختلاف في الأنواع الثلاثة تجدها في الجملة ليست اختلافات تضاد، ولكنها اختلافات تنوع وتخيير، وذلك إما يكون ناتجاً عن عدم وصول الدليل أو عدم الوثوق به، أو ناتجاً عن اجتهاد، أو عن فهم معين لمدلول آية أو حديث، فيما ليس فيه نص صريح، ويكون ذلك في حالات كثيرة، منها:

○ الاختلاف بسبب الجهل بالدليل لعدم بلوغه، ومثاله: عندما خفي على عمر - رضي الله عنه - حكم دخول أرض الطاعون، بل وعلى كثير من الصحابة، فاختلفوا حتى أخبرهم عبد الرحمن بن عوف بقول النبي - صلى الله عليه وسلم - في ذلك.

○ اختلافهم في فهم النصوص، كما في قوله: ﴿أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ المائدة: ٦، ففسرها الجمهور بأنها الجماع، ولم

يجعلوا مجرد لمس المرأة مما ينقض الوضوء، فيما أخذ الشافعي بظاهرها فجعل مجرد لمس المرأة ناقضاً للوضوء^(١).

○ الاختلاف في دلالات الألفاظ والنصوص لكون اللفظ مشتركاً أو مجملاً كقوله - صلى الله عليه وسلم- : "لا طلاق ولا عتاق في إغلاق"^(٢)، فقد اختلفوا في تفسير الإغلاق ففسره بعضهم بالإكراه، وآخرون بالغضب، وآخرون بغياب العقل بثورة الغضب. وتبعاً لذلك اختلف الفقهاء في بعض أحكام الطلاق، ومثله قد وقع من الصحابة عام الخندق كما في الصحيحين عندما قال - صلى الله عليه وسلم- لأصحابه: "لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة"، قال ابن عمر: "ولم يعنف النبي - صلى الله عليه وسلم- واحداً منهم"^(٣)، فتمسك بعضهم بظاهر النص ففاتتهم الصلاة، وتمسك الآخرون بمفهوم النص والمراد منه، وهو الإسراع فصلوا وهم في الطريق.

○ الاختلاف في فهم علة الحكم كما في مشروعية القيام للجنائز هل لغير المسلم فقط؟ وهل يقام تعظيماً للملائكة أم لهول الموت؟ أو لسبب آخر؟
○ اختلاف العلماء في حجية بعض المصادر الفقهية أو اختلافهم في رتبة الاحتجاج بها، كما في خلاف الفقهاء في حجية القراءات الشاذة والحديث المرسل والاستحسان وشرع من قبلنا وإجماع أهل المدينة.

○ عدم الوثوق بصحة الدليل الذي عند الآخرين، فقد يضعف العالم المخالف الحديث في حين يصححه الآخرون، لاختلاف العلماء في تعديل أحد الرواة، أو لعله يراها في السند أو المتن تجعل الرواية شاذة أو لغير ذلك من أسباب رد الرواية مما هو مسطر في كتب علم الحديث، ومثل هذا كثير في كتب العلماء المختصين، ولا يعني هذا أن هناك تضاد ولكنه اختلاف فيه توسعة ورحمة من الله تعالى.

وهذه مزية من مزايا الإسلام ومحاسنه، لم يشاركه فيها مذهب قديم أو حديث؛ حيث يدفع الإسلام المجتهد إلى الاجتهاد وإعمال العقل في النص الشرعي

(١) انظر: أحكام القرآن، لابن العربي، ص ٤٦٤ - ٤٦٥.

(٢) رواه الإمام أحمد، في مسند الصديقة عائشة رضي الله عنها، ٤٣/٣٧٨ برقم/٢٦٣٦٠، وابن ماجه، باب طلاق المكره والناسي، ١/٦٦٠ برقم ٢٠٤٦.

(٣) متفق عليه، البخاري، باب مرجع النبي صلى الله عليه وسلم من الأحزاب، ١١٢/٥ برقم ٤١١٩، ومسلم، باب المبادرة بالغزو، ٣/١٣٩١ برقم ١٧٧٠.

دون خوف من الخطأ؛ لأنه مأجور على اجتهاده خطأ كان أو صواباً، إما أجراً واحداً أو أجرين، أما المذاهب البشرية الأخرى، فأقصى ما توصلت إليه في هذا هو العفو والسماح عن الخطأ!

(٣) ضوابط الاختلاف العلمي:

لقد فطن العلماء الربانيون إلى خطر الاختلاف وأثره على الأمة، فكرياً وثقافياً وأمنياً؛ لذا فقد سعوا إلى الحد من الاختلافات غير المنطقية، ورغبة في وحدة الأمة والحد من الآثار المدمرة للاختلافات، ومن تلك الضوابط العلمية:

(أ) أن لا يكون الخلاف فيما تضافرت الأدلة الصريحة على إثباته، ومنها المسائل الأصولية في الدين، كالوحدانية وأصول الإيمان، وحجية السنة، وفرضية الصلاة أو فرضية الوضوء للصلاة، وغيرها من المسائل الأصولية، يقول الشاطبي: "وقد ثبت عند النظر أن النظريات لا يمكن الاتفاق عليها عادة، فالظنيات عريقة في إمكان الاختلاف فيها، لكن في الفروع دون الأصول، وفي الجزئيات دون الكليات، فلذلك لا يضر هذا الاختلاف"^(١).

(ب) أن لا يكون في المسائل التي انعقد الإجماع عليها، يقول ابن تيمية: "من خالف الكتاب المستبين، والسنة المستفيضة، أو ما أجمع عليه سلف الأمة خلافاً لا يعذر فيه"^(٢)، ويقول: "وعامة ما تنازعت فيه فرقة المؤمنين من مسائل الأصول وغيرها في باب الصفات والقدر والإمامة وغير ذلك هو من هذا الباب فيه المجتهد المصيب، وفيه المجتهد المخطئ، ويكون المخطئ باغياً، وفيه الباغي من غير اجتهاد، وفيه المقصر فيما أمر به من الصبر"^(٣)، ويقول الذهبي: "ومن عاند أو خرق الإجماع فهو مأزور"^(٤).

(ت) أن يكون هذا الخلاف صادراً عن الاجتهاد والنظر في الأدلة الشرعية المعتبرة بقصد الوصول إلى الحق الذي أراده الله ورسوله؛ وعليه فلا كرامة لمن صدر في رأيه عن العقل المجانب للشرع أو عن الرؤى المنامية ولا لمن صدر عن الهوى أو العصبية،

(١) الاعتصام، للشاطبي، ١٦٨/٢

(٢) الفتاوى، لابن تيمية، ١٧٢/٤-١٧٣.

(٣) الاستقامة، لابن تيمية، ٧٣/١.

(٤) سير أعلام النبلاء، للذهبي، ٣٢٢/١٩.

قال الشاطبي: "الاجتهاد الواقع في الشريعة ضربان؛ أحدهما: الاجتهاد المعتمد شرعاً، وهو الصادر عن أهله الذين اضطلعوا بمعرفة ما يفترق الاجتهاد إليه"، وقيل: إن كانت المسألة إجماعاً فلا نزاع، وإن كانت مسائل اجتهاد فمعلومكم أنه لا إنكار في من يسلك الاجتهاد"^(١)، ويكون الخلاف غير معتبر إن صدر ممن ليس بعارف بما يفترق الاجتهاد إليه؛ لأن حقيقته أنه رأي بمجرد التشهي .. فكل رأي صادر عن هذا الوجه فلا مرية في عدم اعتباره^(٢).

(٤) أدب التعامل مع الاختلاف:

الحقيقة أنه لا عجب في الاختلاف، ولكن العجب يكون غالباً في طرائق التعامل عند الاختلاف، فالاختلاف سائغ وواقع، وليس كل خلاف مذموماً، فقد يكون الاختلاف ممدوحاً وأحد مصادر الإثراء الفكري، متى ما كان الاختلاف طلباً للحق، وحفظاً للوحدة، وقد كان العلماء من الصحابة والتابعين ومن بعدهم إذا تنازعوا في الأمر اتبعوا أمر الله تعالى في قوله: ﴿فَإِنْ تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ النساء: ٥٩، فالاختلاف في مسألة ما سائغ لا يمنع من تحري الحق، والمحاورة والمناظرة بين أهل العلم للوصول إلى مراد الشرع فيها، لذا فإن هناك آداب يجب مراعاتها عند الاختلاف، ومن ذلك:

✓ أن لا يؤدي الخلاف إلى جفوة وفتنة بين المختلفين، وهو من باب إحسان الظن وأن لا يعتقد تعمد ترك الحق فقد يكون هو المخطئ، وفي ذلك يقول شيخ الإسلام: "كانوا يتناظرون في المسائل العلمية والعملية مع بقاء الألفة والعصمة وأخوة الدين"^(٣)، ويقول "فلا يكون فتنة وفرقة مع وجود الاجتهاد السائغ"^(٤)، وقال الذهبي: "هذا يدل على كمال عقل هذا الإمام وفقه نفسه، فما زال النظراء يختلفون"^(٥)، وقال يحيى الأنصاري "ما برح أولو الفتوى يختلفون؛ فيحل هذا ويحرم

(١) الدرر السنية، محمد بن عبد الوهاب، ٤٣/١.

(٢) الموافقات، للشاطبي، ١٦٧/٤.

(٣) الفتاوى، لابن تيمية، ١٧٢-١٧٣.

(٤) الاستقامة، لابن تيمية، ٣١/١.

(٥) سير أعلام النبلاء، للذهبي، ١٦/١٠ - ١٧.

هذا، فلا يرى المحرّم أن المحلّ هلك لتحليله، ولا يرى المحل أن المحرم هلك لتحريمه" (١).

✓ عدم الإنكار على ما فيه اجتهاد ولا يمنع المجتهد في اجتهاده وعمله بهذا الاجتهاد، ولا يمنع هذا من إقامة الحجة والمحاورة للوصول إلى الحق، وقد نقل عن كثير من السلف عدم الإنكار في مسائل الخلاف إذا كان للاجتهاد فيها مساع، وكتب السير ذاخرة بأقوال السلف والعلماء في ذلك منها: عن أنس - رضي الله عنه - ، قال: "إنا معشر أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم- كنا نساغر، فمننا الصائم ومننا المفطر، ومننا المتم ومننا المقصر، فلم يعب الصائم على المفطر، ولا المفطر على الصائم، ولا المقصر على المتم، ولا المتم على المقصر" (٢)، يقول سفيان: "إذا رأيت الرجل يعمل العمل الذي اختلف فيه وأنت ترى غيره فلا تنهه"، وروى عنه الخطيب أيضاً أنه قال: "ما اختلف فيه الفقهاء فلا أنهى أحداً عنه من إخواني أن يأخذ به" (٣)، ويقول أحمد فيما يرويه عنه ابن مفلح: "لا ينبغي للفقهاء أن يحمل الناس على مذهب ولا يشدد عليهم". ويقول ابن مفلح: "لا إنكار على من اجتهد فيما يسوغ منه خلاف في الفروع" (٤)، قال النووي: "ليس للمفتي ولا للقاضي أن يعترض على من خالفه إذا لم يخالف نصاً أو إجماعاً أو قياساً جلياً" (٥)، ويقول ابن تيمية: "مسائل الاجتهاد من عمل فيها بقول بعض العلماء لم ينكر عليه ولم يهجر، ومن عمل بأحد القولين لم ينكر عليه" (٦)، وعبر الفقهاء عن هذا بقاعدتهم التي تقول: الاجتهاد لا ينقض بالاجتهاد" (٧).

✓ العمل على رفع الخلاف بالوسائل الشرعية، ومن ذلك أن يتواضع، وأن يلتزم طلب الحق في الحوار، كما علمنا الله تعالى بقوله: ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَّ

(١) جامع بيان العلم وفضله، القرطبي، ٨٠/٢.

(٢) فتح الباري، شرح صحيح البخاري، لابن حجر، ١٢٦/٤.

(٣) الفقيه والمتفقه، الخطيب البغدادي، ٦٩/٢.

(٤) الأداب الشرعية، لابن مفلح، ١٨٦/١.

(٥) شرح النووي على صحيح مسلم، ٢٤/٢.

(٦) مجموع الفتاوى، لابن تيمية، ٢٠/٢٠٧.

(٧) الأشباه والنظائر، لابن نجيم، ص ١٠٥.

هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٤٤﴾ سبأ: ٤٤، وقال تعالى: ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ البقرة: ٨٣، قال القرطبي: "وهذا كله حض على مكارم الأخلاق؛ فينبغي للإنسان أن يكون قوله للناس لينا، ووجهه منبسطة طلقاً مع البر والفاجر والسني والمبتدع من غير مداهنة، ومن غير أن يتكلم معه بكلام يظن أنه يرضي مذهبه"^(١).

ونشير هنا إلى أهمية التفرقة بين رفع الخلاف والخروج من الخلاف، فإن كان مراعاة الخلاف هو لطلب التيسير والتخفيف على المكلف فإن قصد الخروج من الخلاف هو الورع والتحوط من قبل المجتهد وطلب السلامة.

كما أن مراعاة الخلاف لا تعني الجمع بين الخلاف الوارد في المسألة والخروج بقول متفق عليه؛ بينما الخروج منه يتضمن الخروج من الخلاف إلى الاتفاق أو ما يُشبهه بحيث يكون المجتهد أو العامل بهذا الاختيار سالماً على كلا القولين!^(٢).

وخلاصة القول: أن تلك القواعد تدل على سعة الشريعة الإسلامية ورحمتها بالمكلفين وبالمجتهدين، وأن الفقه الإسلامي فيه من المرونة والتيسير ما يحقق مصالح المكلفين ويدراً عنهم المفسد، كما أن أمثال تلك القواعد تحمي جناب الشرع من التلاعب والعبث من دعاة (السوشيال ميديا) والقنوات الفضائية، ممن يثيرون الفتن، ويؤججون الخلافات في كثير مما يجهلون فيه أن الفقه يسعهم ويسع غيرهم، ومتى ضبطت أصول العلم الشرعي، وتحققت قواعده وتحررت مسأله؛ وفُهمت الفهم الصحيح وفق مناهج العلماء الراسخين وتصرفاتهم، كان الوثام والاتفاق أكثر منالاً.

(١) تفسير القرطبي، القرطبي، ١٦/٢.

(٢) الخروج من الخلاف د. محمد المبارك، ص ١٤.

المبحث الثاني

الأسس الشرعية والعلمية لترسيخ فقه الائتلاف

إن الاختلاف بمفهومه العلمي في بعض المسائل الفرعية هو بالتأكيد رحمةً وتوسعةً، وليس مؤشراً للشُرور والفساد، يقول عمر بن عبد العزيز - رحمه الله - قوله: "ما يسرُّني أن أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لم يختلفوا؛ لأنهم إذا اجتمعوا على قولٍ فخالفهم رجل كان ضالاً، وإذا اختلفوا فأخذ رجلٌ بقول هذا، ورجلٌ بقول هذا كان في الأمر سعة"^(١)، ونقل ابن تيمية أن رجلاً صنّف كتاباً سماه "كتاب الاختلاف" فقال الإمام أحمد: سمّه "كتاب السّعة"^(٢)، ويقوم فقه الائتلاف على مجموعة من الأسس الضرورية لحماية الأمن الفكري والسلم المجتمعي، فمن ذلك:

(أ) أهمية الحرص على الأخوة الإيمانية ووحدة الأمة:

إن من أبرز غايات فقه الائتلاف سد باب الذرائع، وردم فجوات الاختلاف وآثارها السيئة، وإن كان الاختلاف وارداً في بعض مسائل العلم، فهو نتاج الاجتهادات في الأمور الفرعية، وقديماً قالوا "الخلاف في الرأي لا يفسد للود قضية"، فبقاء حبل الود متصلاً هو بقاء لمعالم الأخوة الإيمانية ووحدة الأمة، وإذا كان الصحابة - رضوان الله عليهم - قد اختلفوا في بعض المسائل الاجتهادية فميزتهم أنهم كانوا مع ذلك أهل مودة وتناصح، ومع تنازعهم في مسائل علمية اعتقادية إلا أنهم حافظوا على بقاء الود والألفة، وقد أفاض كثير من العلماء في هذا الباب^(٣).

ومن فقه الائتلاف يرى العلماء الريانيون أن مصلحة التأليف وجمع القلوب أولى وأعظم من فعل المستحب أحياناً، فقالوا: "ويستحب للرجل أن يقصد إلى تأليف القلوب بترك هذه المستحبات؛ لأن مصلحة التأليف في الدين أعظم من مصلحة فعل مثل هذا، كما ترك النبي - صلى الله عليه وسلم - تغيير بناء البيت، لما في إبقائه

(١) الفتاوى، لابن تيمية، ٨٠/٣٠.

(٢) الفتاوى، لابن تيمية، ١٥٩/١٤، فقه الائتلاف، محمود محمد الخزندار، ص ٢٧.

(٣) الموافقات، للشاطبي، ١٨٦/٤، الفتاوى، لابن تيمية، ١٢٣/١٩.

من تأليف القلوب، وكما أنكر ابن مسعود - رضي الله عنه - على عثمان - رضي الله عنه - ، إتمام الصلاة في السفر ثم صلى خلفه مُتَمًّا، وقال: "الخلاف شر"^(١) .
وليس فقيهاً من فرق المسلمين بفعل سنة؛ لأنه أخل بواجب، فتقديم واجب الائتلاف مقدم على فعل سنة قد تسبب عند العامة اختلافاً، فقالوا: "ولو كان الإمام يرى استحباب الشيء والمأمومون لا يستحبونه، فتركه لأجل الاتفاق والائتلاف كان قد أحسن"^(٢) .

فالمحافظة على الألفة والأخوة مع الاختلاف في فروع المسائل من صفات العلماء الراسخين، ومن شأن عقلاء الفكر والدعوة، وفيه دلالة على تقديم مصلحة الأمة، ووعي بما يدور من مؤامرات لتمزيقها الأمة، مما يؤكد الحاجة الماسة في هذا العصر إلى نشر الوعي بفقهاء الائتلاف، وترسيخ قواعد التعامل بين أفراد الأمة مع تعدد مشاربها ومذاهبها .

ب) تقدير العلماء الراسخين وأهل الفضل:

جَعَلَتِ الشَّرِيعَةُ لِلْعُلَمَاءِ مَقَامًا رَفِيعًا، قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَسَأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ ﴿٧﴾ الأَنْبِيَاءُ: ٧، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ النساء: ٥٩، قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: (وَالظَّاهِرُ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - أَنَّهَا عَامَّةٌ فِي كُلِّ أَوْلَى الْأَمْرِ مِنَ الْأَمْرَاءِ وَالْعُلَمَاءِ) ^(٣) .

ولقد جاء احترام العلماء وتقديرهم: في الحديث: "لَيْسَ مِنْكُمْ مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا وَيُوقِّرْ كَبِيرَنَا، وَيَعْرِفْ لِعَالِمِنَا حَقَّهُ"^(٤) ، وقال ابن مسعود - رضي الله عنه - : "إِنَّكُمْ فِي زَمَانٍ: كَثِيرٌ فَفَقَاهُؤُهُ، قَلِيلٌ خُطْبَاؤُهُ، وَسَيَّآتِي مِنْ بَعْدِكُمْ زَمَانٌ: قَلِيلٌ فَفَقَاهُؤُهُ، كَثِيرٌ خُطْبَاؤُهُ"^(٥) ، وهذا ابن عباس - رضي الله عنهما - مع مكانته: يأخذ بركاب زيد بن ثابت ويقول: "هكذا أمرنا أن نفضل بعلمائنا

(١) الفتاوى، لابن تيمية، ٤٠٧/٢٢ .

(٢) الفتاوى، لابن تيمية، ٢٦٨/٢٢ .

(٣) تفسير ابن كثير، لابن كثير، ٥١٨/١ .

(٤) رواه الترمذي، كتاب أبواب البر والصلة، باب ما جاء في رحمة الصبيان، ٣٢١/٤ برقم ١٩١٩ .

(٥) الأدب المفرد، للبخاري برقم، ٢٧٥/١ برقم ٧٨٩، وقال الألباني: (موقوف صحيح الإسناد) وصححه ابن

وكبرائنا^(١)، وقال طاووس بن كيسان: "مِن السُّنَّة أن يُوقَّر أربعة: العالم، وذو الشَّيبة، والسلطان، والوالد"^(٢).

وقال الإمام مالك - رحمه الله - : "لَا يَنْبَغِي لرجل أن يرى نَفْسَهُ أَهلاً لشيءٍ حَتَّى يسألَ من كَانَ أعلمَ مِنْهُ وَمَا أَفْتَيْتَ حَتَّى سَأَلْتَ ربيعةَ وَيحيى بن سعيد؛ فأمراني بذلك، وَكُوَ نَهْيَانِي انْتَهَيْتَ"^(٣)، وقال أيضاً: "ليس كلُّ مَنْ أَحَبَّ أن يجلسَ في المسجدَ للتحدِيثِ وَالْفُتْيَا جَلَسَ، حتى يشاور فيه أهلُ الصَّلاحِ وَالْفَضْلِ، وما جَلَسْتُ حتى شَهِدَ لي سبعونَ شيخاً من أهلِ العِلْمِ أني موضعٌ لذلك"^(٤).

فالعلماء الربانيون هم ورثة الأنبياء، ويتوقير العلماء توقير الشريعة؛ لأنهم حاملوها، وبإهانة العلماء تهان الشريعة؛ لأن العلماء إذا ذلوا وسقطوا أمام أعين الناس؛ انعكس ذلك على ما يحملونه، كما أن التنقص من العلماء تُقلل من شأن العلم الذي في صدورهم، والذي يعلمونه الناس، فلا يقبل الناس ما يأتون به من العلم، وهذا لا شك شرٌّ وفساد^(٥)، نعم العلماء ليست لهم العصمة من الخطأ، وهم بشر كغيرهم، وإن فُضِّلوا بحمل ميراث الأنبياء - عليهم السلام -، فإن كان كذلك فليكن الاستدراك عليهم بعلم وأدب.

إن مما يسبب الفرقة والخلاف ازدياد الآخرين المخالفين في الرأي، ومنه التعامل والتبجح بذكر المسائل العلمية لمن ليس من أهلها، أو ذكر كبار المسائل لمن لا يحتمل عقله إلا صغارها، فمثل هذا يوقع في مصائب ونفرة وخلاف؛ كما قرر أهل العلم^(٦).

ت) الإنصاف والتحذير من التنقيب عن السرائر:

إن الإسلام دين يدعو إلى حسن الظن بالناس، والابتعاد كل البعد عن سوء الظن بهم؛ لأن سرائر الناس ودواخلهم لا يعلمها إلا الله تعالى وحده، قال تعالى: ﴿

(١) رواه الحاكم، وابن عبد البر، ٢٢٨/١، انظر: تاريخ الصحابة، ١٤٨/٣.

(٢) شرح السُّنَّة، البيهقي، ٤٣/١٣.

(٣) صفة الفتوى والمستفتي، لابن حمدان، ص: ٨.

(٤) الديباج، لابن فرحون، ص: ٢١.

(٥) انظر: الشرح الممتع، لابن عثيمين، ١٢٢/٢.

(٦) الموافقات للشاطبي، ٨٧/١.

يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ بَرٌّ ذَلِيلٌ ﴿١٢﴾ الحجرات: ١٢، فسوء الظن يؤدي إلى الخصومات والعداوات، وتقطع الصلات، قال تعالى: ﴿ وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ﴾ ﴿٢٨﴾ النجم: ٢٨.

وعن أبي هريرة عن النبي - صلى الله عليه وسلم - ، قال: "إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ، وَلَا تَحَسَّسُوا، وَلَا تَجَسَّسُوا، وَلَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا"^(١)، فليس أريح لقلب العبد في هذه الحياة ولا أسعد لنفسه من حسن الظن، فبه يسلم من أذى الخواطر المقلقة التي تؤذي النفس، وتكدر البال، وتتعب الجسد.

قال النووي: "أن المحرم من الظن ما يستمر صاحبه عليه، ويستقر في قلبه دون ما يعرض في القلب ولا يستقر، فإن هذا لا يكلف به ومعناه احذروا اتباع الظن واحذروا سوء الظن بمن لا يساء الظن به من العدول، والظن تهمة تقع في القلب بلا دليل"^(٢).

وكان من الهدي النبوي معاملته الناس على حسب ظواهرهم، دون البحث في نياتهم ومقاصدهم، وترك سرايرهم إلى الله تعالى، والسيرة النبوية مليئة بالمواقف الدالة على معاملة النبي - صلى الله عليه وسلم - الناس على حسب ظواهرهم، وترك سرايرهم لله - عز وجل - ، ومن ذلك قول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : "إني لم أؤمر أن أنقب عن قلوب الناس، ولا أشق بطونهم"^(٣)، "قال النووي: "معناه إني أمرت بالحكم بالظاهر والله يتولى السرائر"^(٤). وقال ابن عبد البر: "كلهم أجمعوا على أن أحكام الدنيا على الظاهر والله يتولى السرائر"^(٥)، وقال الشوكاني: "فإن ذلك يدل على قبول ظاهر التوبة وعصمة من يصلي، فإذا

(١) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب ما ينهى عن التحاسد والتباغض، ١٩/٨ برقم ٦٠٦٤.

(٢) انظر: شرح النووي على مسلم، ٣٥٧/٨.

(٣) رواه البخاري، كتاب المغازي، باب بعث علي وخالد، ١٦٣/٥ برقم ٤٣٥١.

(٤) شرح النووي على مسلم، ١٦٣/٧.

(٥) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ابن عبد البر، ١٥٧/١٠.

كان الزنديق قد أظهر التوبة وفعل أفعال الإسلام كان معصومَ الدم" (١).
وقال أبو حاتم: "الواجبُ على العاقل لزوم السلامة بترك التجسس عن عيوب الناس، مع الاشتغال بإصلاح عيوب نفسه؛ فإنَّ من اشتغل بعيوبه عن عيوب غيره أراح بدنه ولم يُتعب قلبه، فكلمًا اطلع على عيب لنفسه هان عليه ما يرى مثله من أخيه، وإنَّ من اشتغل بعيوب الناس عن عيوب نفسه عمي قلبه وتعب بدنه وتعدَّر عليه ترك عيوب نفسه" (٢).

ث) تعلمُ فقه الموازنات الشرعية عند الاختلاف:

تبرز العلاقة بين فقه الأولويات وفقه الموازنات بما يتناوله الأخير من الموازنة بين المصالح المشروعة بعضها البعض، أو المفسدات الممنوعة بعضها البعض، أو المصالح والمفسدات إذا تصادمت وتعارضت بعضها البعض، وقوة الرابطة بين الفقهاء هي: "أن يعرف" المكلف "مراتب المصالح والمفسدات، وما يحبه الله ورسوله" (٣).

والحق أن أحكام الشريعة لا تخلو من أحد أمرين: إما تحقيق مصالح الناس، أو دفع المفسدات عنهم "فإن الشريعة مبناها وأساسها على الحكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد، وهي عدل كلها، ورحمة كلها، ومصالح كلها، وحكمة كلها، فكل مسألة خرجت عن العدل إلى الجور، وعن الرحمة إلى ضدها، وعن المصلحة إلى المفسدة، وعن الحكمة إلى العبث؛ فليست من الشريعة، وإن أدخلت فيها بالتأويل" (٤).
إن الشريعة جاءت بتحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفسدات وتقليلها بحسب الإمكان، ومطلوبها ترجيح خير الخيرين إذا لم يمكن أن يجتمعا جميعا، ودفع شر الشرين إذا لم يندفعا جميعا" (٥).

وتقدير المصالح والمفسدات ليس أمراً هيناً، بل هو في غاية الدقة؛ لأنه منضبط بضوابط الشرع ونصوصه وقواعده، ولا يصلح أن يقوم به إلا أهل العلم بالأثبات الذين عرفوا نصوص الكتاب والسنة، ودرسوا مقاصد التشريع الإسلامي وميزوا بين أولويات

(١) نيل الأوطار، للشوكاني، ٥/١.

(٢) روضة العقلاء، أبو حاتم بن حبان البستي، ص: ١٣١.

(٣) الفتاوى الكبرى، شيخ الإسلام ابن تيمية، ٤/ ٤٦٥.

(٤) إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن القيم، ٣/٣.

(٥) مجموع الفتاوى، لابن تيمية، ٣٣/٣٤٣.

الأحكام، وعرفوا خير الخيرين وشر الشريرين حتى يقدموا عند التزاحم خير الخيرين وشر الشريرين في العمل.

وبسبب الجهل بأحكام الشريعة ومقاصدها، والمقصود في فهم القواعد الأصولية المتعلقة بها؛ فهم بعض الناس من قاعدة: "مراعاة الشريعة للمصالح ودروها للمفاسد" مفهوماً منحرفاً يحيد بها عن مفهومها وسبيلها المستقيم، وحملت هذه القاعدة من المعاني والأحكام ما لا تحتل، وفتحت باب عريض من التساهل في تطبيق الأحكام، وأصبح الهوى من العوامل الخفية التي تؤثر تأثيراً بالغاً في تحديد المصالح والمفاسد.

وتظهر آثار غياب فقه الموازنات عن الواقع عندما يغيب عنا فقه الموازنات نغلق على أنفسنا كثيراً من أبواب السعة والرحمة، واتخذنا فلسفة الرفض أساساً لكل تعامل، والانغلاق على الذات تكئة للفرار من مواجهة المشكلات، والاقتحام على الخصم في عقر داره. سيكون أسهل شيء علينا أن نقول: "لا" أو "حرام" في كل أمر يحتاج إلى إعمال فكر واجتهاد.

أما على ضوء فقه الأولويات فس نجد هناك سبيلاً للمقارنة بين وضع ووضع، وبين حال وحال، والأولويات بين المكاسب والخسائر، على المدى القصير، والمدى الطويل، وعلى المستوى الفردي، والمستوى الجماعي، ونختار بعد ذلك ما نراه أدنى لجلب المصلحة، ودرء المفسدة.

ج) تعلم فقه الثوابت والمتغيرات، ومراعاة الزمان والمكان عند الاختلاف:

قد يترك العلماء بعض الأعمال بسبب نظرهم في مآلات الأمور وعواقبها، ومراعاة المصالح والمفاسد، وهل ترك رسول الله قتل عبد الله بن أبي بن سلول إلا درءاً للمفاسد؟، وهل امتنع رسول الله عن بناء البيت على قواعد إبراهيم إلا خشية أن يكون فعله ذلك فتنة لقومه الذين أسلموا حديثاً؛ فلا بد من وضع الثقة في العلماء، ولنعلم أنهم لن يمتنعوا عن فعل خيرٍ إلّا رجاء خيرٍ أعظم أو خشية من وقوع شرٍ أعظم.

فقه الثوابت والمتغيرات، ونعني بالثوابت: القطعيّات ومسائل الإجماع، إضافةً إلى بعض الاختيارات العلمية الراجحة، التي تمثّل مخالفتها نوعاً من الشذوذ والزّلل، كما نعني بالمتغيرات: هي الظنّيّات وموارد الاجتهاد، وكلّ ما لم يقم عليه دليل قاطع من نص صحيح أو إجماع صريح.

والمقصود بفضه الثواب والمتغيرات: فهُم المنهج المُعتَبَر لدى أهل العلم في التعامل مع كلٍّ منهما، والهدف من معرفة ذلك بيان ما ينعقد الولاء والبراء عليه، وبين ما يَسَعُ الأُمَّةَ فيه ما وَسِعَ مَنْ سَبَقَهُمْ من خيار الأُمَّة، فيتكلم فيه كلُّ بما عنده من حُجَجٍ وبيِّنات، مع بقاء الألفة والعصمة في الدين، وبيان أنَّ الثواب لا مجال فيها للتطوير والاجتهاد، ولا يحلُّ الخلاف فيها لمن علمها.

ويعد فقه الثواب والمتغيرات ضرورة ملحة في زمن الفتن والعولمة؛ لأن الفقه في الدين شاملٌ ومتنوعٌ، وليس حِكراً على ما يتبادر الذهن إليه ويعرفه عامة المسلمين، كما يعد فقه الثواب والمتغيرات أحد أبرز عوامل تحصيل شباب الأُمَّة، وموجّهي أجيالها، من غُلُوِّ المفرطين وتفلتُّ المفرطين، وبيان المنهج الوَسَطِ لهم في ذلك.

قال الشافعيُّ: "كلُّ ما أقام به الله الحجَّةَ في كتابه أو على لسان نبيِّه منصوصاً بيئناً، لم يحلَّ الاختلافُ فيه لِمَنْ عَلِمَهُ"^(١)، وهي لا يحتاج الناس إلى تغييرها؛ بل إلى ثباتها واستقرارها؛ لتستقرَّ معها الحياة وتطمئن العقول والقلوب. بخلاف المتغيرات والوسائل وهو ما يتعلَّقُ بتفصيل الأحكام في شؤون الحياة المُختلفة، وخصوصاً ما يتصلُّ بالكيِّفيَّات والإجراءات ونحوها، وهذه قلماً تأتي فيها نُصوصٌ قطعيةٌ؛ بل إمَّا أن يكون فيها نصوصٌ محتملة، أو تكون متروكة للاجتهاد؛ رحمةً من الله تعالى غير نسيان^(٢).

كما أنَّ الهدف من تأصيل هذا الفقه وضعُ قواعد ثابتةٍ دائمةٍ لجيل المستقبل، حتى لا ينساقوا مع دُعاة التجديد والعصرانيين، الذين ينادون بنسْفِ كلِّ قديم، وتغييرِ كلِّ ثابت؛ بل ليس ثمة ثوابتٌ عندهم، كما لا يَقَعُوا في شرك الجامدين على المؤلف القديم، ونَبَذِ كلِّ جديد، حتى وإن كان في الوسائل والأساليب، وفيه مصلحةٌ راجحةٌ للأُمَّة؛ بل الوسطية في هذا الأمر وغيره هي المنهج الشرعي الدائم، الذي يعد من أخصِّ صفات هذه الأُمَّة.

(١) انظر: الرسالة، للشافعي، ص ٥٦٠.

(٢) انظر: الثابت والمتغير، د. مبروك رمضان، ص ١٧.

المبحث الثالث

أثر فقه الائتلاف والاختلاف على الأمن الفكري والسلم المجتمعي

يعد فقه الائتلاف والاختلاف أحد أبرز أنواع التي تؤسس للوحدة الإسلامية عبر الألفة والوثام، ويجعل هذا أصلاً مرعياً يُتحرى ويحرص عليه؛ حيث إن الإسلام يدعو إلى الألفة والتحاب والتراحم والتعاطف، فكل ما أدى إلى خلاف ذلك فخارج عن الدين، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "من القواعد العظيمة التي هي جماع الدين: تأليف القلوب، واجتماع الكلمة، وإصلاح ذات البين، وأهل هذا الأصل هم أهل السنة والجماعة، كما أن الخارجين عنه هم أهل الفرقة"^(١).

ونصوص القرآن والسنة كثيرة في هذا الباب، وسبق الإشارة إلى كثير منها في مواضعها، إلا أننا نشير هنا إلى جزئية مهمة، وهي أن هناك فرقا بين التأليف والإصلاح من حيث إن الأول من صنع الله عز وجل للقلوب، فهو سبحانه الذي يؤلفها، أما محاولة الائتلاف والإصلاح فهي من عمل الإنسان، وهو مطلب إسلامي جعله الله من دلائل الإيمان، فلا يستقيم إيمان مع خصومات ونزاعات وفرقة وجفاء.

وإن كان الاختلاف بين البشر أمرً طبيعياً لاختلاف الإدراكات ومستويات الفهم، إلا أن الانزلاق في هذا الاختلاف يتأتى عند تجاوز حدود التعامل مع الخلاف، من خلال صور مختلفة منها التعصب للرأي أو للأفراد، ثم التجاوز في النيل من المخالف دون دليل نقلي أو عقلي، فإن التآلف والتأليف بين الناس يمثل قوة من جهتين، قوة في أداء واجب العبودية لله تعالى، وصلاح الدين والدنيا معاً، كما أن هذا التأليف بين القلوب والعقول أدمى للحفاظ على أمن المجتمع وتحقيق مصالحه، والمساهمة في رفعة وتقدمه.

ولا يشك إلا من في قلبه مرض أو غرض أن التفريق مدعاة لتمزيق أو اصر المجتمع وإضعاف لكيانه ووجوده، ولا تأتي الفرقة، وانزلاقات الاختلاف إلا عندما تتلاعب بهم الأهواء أو المصالح المنغلقة، أو يتحكم الجهل؛ لذلك فإن أبرز ما ينأى بالعباد عن الوقوع في هاوية التنازع والانغماس في ظلمات الشقاق والتناحر هو الألفة وانصهار الجميع في تحقيق العبودية لله تعالى.

وإذا كان العمل بالثواب الإسلامية التي لا يمكن الاختلاف حولها (المتغيرات) التي يجوز عندها الاختلاف يقود إلى فهم وإدراك حق الاختلاف مع

(١) انظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ٦/٣٢٠.

المحافظة على وحدة القلوب، وعدم الانزلاق في مخاطر التفريق، فإن العلم والوعي الديني الذي أساسه المعرفة المكتسبة يساعد على الرؤية الصحيحة التي تقي من المنزقات.

وإن كان هناك ثمة إشكالية قيمية موجودة لدى نسبة ربما ليست قليلة من أفراد المجتمعات الإنسانية عامة، وهي إشكالية النظر إلى الآخر المختلف وإنصافه حينما يكون على حق، وأن الاختلاف مع شخص سرعان يتحول إلى تجريده من خصال التميز أو خصال الخير ويحوّله لمنافس عدو في كل شيء.

إن مفهوم الاختلاف لا يعنى التضاد والتناحر، بل هو ثقافة تعنى الحياد؛ أي أن يكون الإنسان وسطياً في تقييماته، موضوعياً في آرائه، وبعيداً عن لغة التهوين أو التهويل، فالمختلف معنا - إن لم يمتلك كل الحق - قد يمتلك جانباً من الحق، والبحث عن مناطق الالتقاء أمر ليس بعسير، وهذا دور يجب أن يبدأ منذ النشأة الأولى للتربية الإيمانية، بداية من الأسرة مروراً بالمدرسة نهاية بأئمة المساجد والوعاظ، ثم تأصيل العلماء له وتنقيته من مزالق الاختلاف؛ كي نحسن التعامل عند الاختلاف، وتسود ثقافة العدالة والإنصاف المشروطة بالاتفاق في المبدأ أو الدين أو غير ذلك، حينها يمتلك المجتمع القدرة على أن ينزع براثن الخلاف الفكري أو العقدي؛ ليكون أكثر عدالة وإنصافاً واحتراماً مع الآخر.

ولهذا يتحتم النظر إلى أهم المنزقات التي تفسد الائتلاف، وتساعد على ترسيخ الخلاف مما يهدد الأمن الفكري للمجتمعات ويقوض السلم المجتمعي فيها.

✓ منزلق ضعف العلم وعدم التثبّت في الفهم والنقل:

في ظل التقدم التكنولوجي، والفضاء المفتوح، فإن المتأمل في كثير من المشكلات التي يواجهها المجتمع المعاصر، ستجدها وليدة التسرع في إصدار الأحكام، ونتاج عدم التثبّت، ويرجع السبب الرئيس لهذه الآفة إلى الجهل أو الغفلة وعدم الاهتمام بالتطبيقات العملية لتقييم الشريعة الإسلامية، ولا يخفى ما لهذا الأمر من خطورة وعواقب وخيمة.

إن الله تعالى فرض على عباده عبادات شعائرية، وأخرى قيمية سلوكية تحكم علاقاتهم مع الآخرين، وألزمهم التحلي بها؛ حفظاً لأواصر المحبة، واستبقاء للمودة، بدءاً من العلاقات الأسرية مروراً بالعلاقات مع المخالفين للمذهب أو الفكر أو الثقافة أو حتى الدين وصولاً للعلاقات الدولية، وذلك دفعاً للظلم وإساءة الظن بالآخرين،

في العلاقات العامة والخاصة، وهي خُلِقَ قيمي وقائي تضرّد به الإسلام في كل المعاملات^(١).

والحقيقة المرة ماثلة في عدم التثبت من الظواهر التي تنتشر بشكل مخيف، بل مرعب، وإن كان من عوامل انتشاره تطور وسائل التقنية الحديثة التي أسهمت كثيراً في سرعة نقل المعلومة بغض النظر عن مدى صحتها، إلا أن غياب الوازع القيمي، فضلاً عن الانحلال الثقافي، وتغييب دور العلماء، وعدم حسن استثمار تلك الوسائل التقنية، ولّد لنا انعدام (خُلِقَ التثبت) فترى العبث بالقول، وإرسال اللسان على غير روية، وعدم حسن التقدير، ولو أدرك الناس أن النهى عن هذا الخلق الذميمة، هو أمر كأمر العبادات، فالتبيين والتثبت أمر من الله، لما كان هذا حال المجتمعات، وأن ما تجنيه المجتمعات من أخطار في الأمن الفكري والسلم المجتمعي لغياب هذا الخلق لأمر مشاهد للعيان.

ومن جهة أخرى تكمن الخطورة في مسألة عدم التثبت من الأحكام التي يرتبها الناس على المعلومة رغم عدم تثبتهم منها؛ فكم من علاقات قطعت وكم من عداوات نشأت بسبب معلومة خاطئة أو نميمة مغرضة سببت ويلات ومصائب للمجتمع، فضلاً عن معلومات خاطئة أخرى في مسائل شرعية أو طبية وعلاجية أو أمنية سبب العمل بها فساداً في الدين والبدن والأمن والسلم العام والخاص.

✓ منزلق إطلاق العنان للأحكام:

يعد منزلق إطلاق الأحكام بالخروج من الملة أو التكفير أو التفسيق أو التبديع من أخطر منزلق الاختلاف في أمور الفكر والثقافة، وصولاً للاختلاف في بعض الأمور الشرعية. ومنزلق يتناوب عليه حدثاء السن، وجهال الفهم، وهذا الأمر مما ابتليت به الأمة في مطلع قيامها، وهو يتكرر على مرّ الأزمان في مختلف بلاد المسلمين، ويرجع سببه الرئيس لأمرين مهمين؛ هما: الجهل بالشرع ومقاصد النصوص، والبغي على الآخرين عند أدنى خلاف.

وإن كان هذا الأمر ليس بحديث معاصر، فهو قديم قدم الدعوة، وقد جاء التحذير منه في أحاديث عديدة بينت أوصافهم؛ من ذلك: يقول الرسول ﷺ: "يخرج في آخر الزمان قوم أحداثُ الأسنان سفهاء الأحلام، يقرءون القرآن بألسنتهم، لا يُجاوز تراقيهم، يقولون من قول خير البرية، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من

(١) انظر: نحو مجتمع القيم، د. مبروك رمضان، ص ٦٩. (بتصرف).

الرمية، فمن لقيهم فليقتلهم، فإن في قتلهم أجراً عظيماً عند الله لمن قتلهم" ^(١)، والمتأمل في هذه الصفات يلحظ ثمة أمور:

■ أنهم صغار السن، أنهم ذوو عقول غير راشدة، ويدل على هذا مسارعتهم إلى الشر دون تروٍ، أنهم يقرءون القرآن ولكن لا يفهمونه وليس لهم فيه أجر.

■ أنهم يكثر من إيراد الأحاديث دون فهم مقاصدها؛ أي أنهم يرددون دائماً الكلام الذي ظاهره الخير والحق، ولكن يؤولونه على فهم منحرف، كقولهم: (لا حكم إلا لله) الذي قال فيه عليٌّ - رضي الله عنه - حين قالوه: "كلمة حق أُريدَ بها باطل" ^(٢)، أنهم أسرع الناس خروجاً من الدين عند الفتن، ولعل ذلك بسبب عودة أحكام الكفر عليهم عندما يرمون بها المسلمين، كما بين الرسول ﷺ في حديث آخر إذ يقول عليه الصلاة والسلام: "لا يرمي رجل رجلاً بالفسق أو الكفر إلا ارتدت عليه إن لم يكن صاحبه كذلك" ^(٣).

■ افتقاد التجربة الواعية في فهم الدين ومقاصد الشرع، مع ضعف إدراكه للنصوص بمقاصدها العالية، مما يوقعه في التخبط عند الحكم على الناس وأفعالهم.

■ قلة العلم، فقراءتهم السطحية للنصوص دون الانتفاع بمآلاتها ولا مقاصدها الشرعية، كما تلحظ الجفوة والحدة، ويتمثل ذلك في الجرأة على السلف والخلف والعلماء.

■ ويزداد الطين بلة مع اتباع الهوى، وخلط مواقفهم الشخصية مع المواقف التي يظنونها شرعية.

وقد أدرك العلماء السابقون هذا المنزلق وقعدوا له قواعد الأصولية، فقالوا: "ولا يجوز تكفير المسلم بذنب فعله ولا بخطأ أخطأ فيه، كالمسائل التي تنازع فيها أهل القبلة.... والأصل أن دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم محرمة من بعضهم على بعض، ولا تحل إلا بإذن الله ورسوله" ^(٤).

(١) رواه الإمام أحمد، مسند عبد الله بن مسعود، ٣٨٠/٦ برقم ٣٨٣١.

(٢) رواه مسلم، كتاب الزكاة، باب التحريض على قتل الخوارج، ٧٤٩/٢ برقم ١٠٦٦.

(٣) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب ما ينهى من السباب واللعن، ١٥/٨ برقم ٦٠٤٥.

(٤) مجموع الفتاوى، لابن تيمية، ٣/٢٨٢ - ٢٨٣.

وتذخر كتب العلماء الراسخين ببيان ذلك ومنها: إن تسليط الجهال على تكفير علماء المسلمين من أعظم المنكرات، وإنما أصل هذا من الخوارج والروافض، الذين يكفرون أئمة المسلمين؛ لما يعتقدون أنهم أخطئوا فيه من الدين، وقد اتفق أهل السنة والجماعة على أن علماء المسلمين لا يجوز تكفيرهم بمجرد الخطأ المحض، بل كل أحد يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، وليس كل من يترك بعض كلامه لخطأ يُخطأ، ولا يكفر، ولا يفسق، بل ولا يُؤثَّم.

والحقيقة التي لا تغيب عن المستبصرين أن هذا المنزلق الخطير له تداعياته على الاستقرار المجتمعي وسلامة الأمن الفكري في المجتمعات.

✓ منزلق اتباع الأهواء والموالات والمعاداة على الأسماء المحدثه:

وتكمن خطورة هذا المنزلق في انسياق كثير من الناس في اتباع الأهواء والوصول لحد تقديس الأشخاص وموالاتهم في غير روية، تزامناً مع استحلال غيبة المخالفين لهم مما يعمق الشرخ في النفوس ويثير الأحقاد بينهم، وينذر بالحالقة التي تحلق الدين، بل وتحلق أوامر الاستقرار الفكري والثقافي والقيمي والمجتمعي.

ويرتكز هذا المنزلق على موالات الأفراد لا الملمات الشرعية، وعلى وصف المخالف بالجهل أو الابتداع وبالتبعية يجوزون غيبته، ولو أنهم وقفوا عند قول الرسول ﷺ عندما عرف الغيبة بأنها: " .. وإن أرى الربا استطالة الرجل في عرض أخيه" (١)، ما جوزوا بهذه السهولة التي تلوث أعراض المخالفين، وما تحملوا مثل هذا الذنب العظيم، إلا أنه للأسف يستحل البعض مثل هذا المسلك مستدلين ببعض النصوص التي تبيح غيبة المنافق أو المبتدع، وهذا أبعد البون بين هذه النصوص وما يفهمونه منها؛ لأن هذه النصوص جاءت فيمن هو منافق أو كافر في حقيقة الأمر، ولا تنطبق على الذين تختلف اجتهاداتهم في أداء هذا الواجب، فما أبعد الثرى من الثريا.

✓ منزلق تتبع العثرات العلمية والتشهير بها:

إن من أخطر منزلقات الاختلاف التنقص ممن يخالفنا الرأي وتتبع أخطائه ونشرها والتندر بها، واستخدام الوسائل المتنوعة والحديثة في الرد على العلماء أو الدعاة بطرائق لا تليق مع مكانتهم وواجب تقديرهم حتى في حال الاختلاف، مما يؤثر على سلامة الوحدة والتآلف وإهدار الوقت والجهد وإشغال الناس بخلافات لم يتفق عليها من سبقونا ووسعهم فيها الاختلاف، وكتب السير زاخرة بالمواقف

(١) صحيح الجامع، برقم ٣٥٣٧، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم ١٨٧١.

للعلماء الريانين ومودتهم ومع اختلافهم في بعض القضايا، ولو أدرك هؤلاء أن الاختلاف أمر طبيعي بين بني البشر وقد وقع الخلاف بين الصحابة في زمن النبي - صلى الله عليه وسلم - ، وقصة التيمم والخلاف الذي حصل بين عمر وعمار - رضي الله عنهما - وصل الى النبي - صلى الله عليه وسلم - ، وكذا اختلاف الصحابة في صلاة العصر في "بني قريظة" وغيرها؛ لأدركوا مواضع الإثم في التهوين من المخالفين.

إن الخلاف بين العلماء في الأمور المتغيرة والفرعية سعة ورحمة، ويأتي من اختلاف مدارك العلماء، وتباين طرائقهم في التعامل مع النصوص والاستدلال، والتثبت من وصول الدليل إلى العالم، واختلافهم في النظر إلى الأدلة إلى غير ذلك من أسباب الخلاف، ولقد أشار الله تعالى لفضلهم في كتابه بآيات عديدة. وقد سبق الإشارة إلى أن الشريعة الإسلامية أعطت للعلماء الريانيين مكانتهم ومنزلتهم اللائقة بهم، كما بينت السنة النبوية فضل العلم وشرف العلماء في كثير من الأحاديث التي لا يمكن بسطها في هذا المقام.

وتظهر الآثار السلبية على الأمن الفكري والسلم المجتمعي من خلال ما نشاهده اليوم من كثرة استخدام قنوات التواصل الاجتماعي بين فئات من الناس في الإساءة لبعض العلماء أو تتبع أخطائهم وتصيد هفواتهم حتى تصل إلى النقد الذاتي، وكلها عوامل تهدم ولا تبني وتشتت ولا تجمع، وتهدد الأمن الفكري، وتعكر صفو الوحدة، وتنخر في جسد السلم المجتمعي، فضلاً عن عدم جواز ذلك في الإسلام. وإن من أولويات الأمور التي لا بد أن يعلمها هؤلاء أن العلماء والدعاة والمصلحين ومن في حكمهم هم بشر غير معصومين فالخطأ وارد، والنسيان محتمل وهي طبيعة البشر، فلا يجوز القدح في العلماء الريانيين أو تخطئهم بغير علم، ولا بصيرة؛ ولا يتسنى ذلك إلا للعلماء أمثالهم.

كما أن من لديه علم أن يلتمس العذر لهم، وليقرأ هؤلاء كتاب "رفع الملام عن الأئمة الأعلام"؛ ليتعلموا كيف يتعاملون مع العلماء، وليعلم المرء أن ما يفتي به العالم المجتهد من رأي هو مبني على أدلة، وهو ما أدى إليه اجتهاده، فإن أصاب فله أجران، وإن أخطأ فله أجر اجتهاده. فالواجب على هؤلاء أن يمسكوا ألسنتهم ولا يخوضوا في هذه الأمور إلا عن بصيرة وعلم، وأن يتقى الله كلُّ منا فيما يقول ويكتب؛ فكل نفس بما كسبت رهينة.

الخاتمة: فيها خلاصة البحث وتوصياته.

الحمد لله على توفيقه وتيسيره في هذا البحث، وبعد.

فمن خلال هذا البحث المختصر قد ظهر لي كثير من العوامل المؤثرة والعلاقات الارتباطية بين فقه الاختلاف والائتلاف وبين الأمن الفكري والسلم المجتمعي ومن أبرزها:

- (١) أن الفقه في الدين لا يقتصر على التعريف الاصطلاحي المجرد، بل هو منهج شمولي يستوعب الحياة كلها عبادات ومعاملات وقيم حضارية.
- (٢) أن فقه الاختلاف والائتلاف وفقه الموازنات، وفقه الثوابت والمتغيرات، وفقه مقاصد الشريعة، وفقه المقاصد والنيات، وفقه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وفقه سماحة الإسلام ويسره، وغير ذلك من أنواع الفقه فروع مهمة في الفقه الإسلامي، وأنها ضرورة ملحة لا سيما في هذا العصر الذي اختلطت فيه المفاهيم، وغابت عن كثير من شبابنا المتحمسين والمندفعين.
- (٣) أن فقه الائتلاف فرع غاية في الأهمية تحتاجه الأمة اليوم؛ إذ هو أحد أبواب التيسير والمرونة في الشريعة الإسلامية، إلا أنه لا يجد العناية الكافية من علماء الأمة، فجل تركيزهم على فقه الاختلاف.
- (٤) أن مسائل الخلاف من المسائل العلمية الدقيقة التي لا يُحسن الخوض فيها إلا أهل العلم الراسخون، تأصيلاً لها وتفريعاً عليها، ولا يجوز لعامة الناس الخوض فيها.
- (٥) أن من أهم أسس فقه الائتلاف التأكيد على أهمية الأخوة بين المؤمنين والعدل والإنصاف عند الخلاف وعدم الحكم بالظاهر، فسوء الظن من أشد ما يفرق الأمة.
- (٦) أن لأهل الفضل من العلماء والدعاة الريانيين مكائبتهم، فلا بد أن ينزل كل إنسان منزلته ليحدث الوفاق والوئام والحب.
- (٧) أن الخلاف المعتبر هو الذي يصح أن يُقال فيه: لا إنكار في مسائل الخلاف، ولكن لا يمتنع ذلك من بيان الحق والراجح بأدب وعلم ومراعاة آداب الاختلاف، وأن الائتلاف مقدم على بحث مسائل الخلاف عند العامة.
- (٨) أن التهاجر وقطع أواصر الوئام والمودة في المجتمع أمر يهدد الأمن ويؤجج الشقاق، وأن فقه الموازنات الشرعية عند الفتن من أعظم ما يعصم منها، وفقه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرع عن فقه

الموازنات العام، ولا يسوغ الهجر والخلاف إلا لغرض شرعي، وذلك وفق ضوابط معينة ينبغي عدم تجاوزها.

(٩) أن التعجل في قبول الأخبار وعدم التثبت والتبين ونشر الشائعات وتهوين الآخرين، من المنزلقات الخطيرة على وحدة الأمة وأمنها وسلمها الاجتماعي.

(١٠) أنه لا عصمة إلا لنبي، وكل بني آدم خطأ فلا ينبغي أن يؤثم المخطئ، وأن التكفير والتبديع والتفسيق من الآفات التي بليت بها الأمة قديماً وحديثاً، وهي من الآفات التي حذرنا منها النبي - صلى الله عليه وسلم - .

(١١) أن الولاء والبراء في الإسلام له ضوابطه في الإسلام؛ فلا يجوز أن يصرف الولاء والبراء إلى أسماء محدثة، ولا إلى جهات وجماعات، وأن اتباع الهوى من أشد ما يصرف عن العدل والإنصاف وجمع الكلمة ووحدة الصف.

(١٢) الحذر والتنبيه من وسائل أصحاب المناهج والأفكار الدخيلة ونحوهم من إثارة بعض القواعد الشرعية التي تناسب أهواءهم، مع تفرغها من مضامينها الصحيحة، تلبساً وتدليساً على عامة الناس، لزعزعة معتقداتهم وأمنهم واستقرارهم.

(١٣) أن الأمن في الأوطان نتاج حتمي لأمن الفكر ووسطيته، والعكس بالعكس.

أهم التوصيات:

يوصي الباحث بعدد من التوصيات، متمنياً أن تأخذ حظها من العناية وتضمينها توصيات هذا المؤتمر المتميز، وهي:

(١) أن فقه الاختلاف وفقه الائتلاف من الفروع التي لم تأخذ نصيباً وافراً في المقررات الدراسية في الجامعات خاصة الشرعية منها، فلو تفرّد هذا الفرع بمقرر مستقل لكان منه الخير الوفير.

(٢) إعداد عدد من البرامج التوعوية في وسائل الإعلام (بكل أنواعها) تتناول فروع الفقه الغائبة عن التداول والبيان كفقهِ الائتلاف، والموازنات، والأولويات وغيرها، يشرف عليها مختصون ذوو خبرة لتؤتي ثمارها.

(٣) أن تشكل لجنة من هذه الكلية الرائدة لإعداد مقترح لمؤتمر دولي حول أنواع الفقه الغائبة عن التطبيقات العملية في المجتمعات.

والحمد لله رب العالمين، وأصلى وأسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المراجع:

- (١) أحكام القرآن، لابن العربي، أحكام القرآن، القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي (ت ٥٤٣هـ) راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلّق عليه: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م.
- (٢) الإحكام في أصول الأحكام، الأمدى، مؤسسة الحلبي، وشركاه، القاهرة، دار الاتحاد للطباعة، ١٣٨٧هـ.
- (٣) إحياء علوم الدين، للغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت ٥٠٥هـ)، دار المعرفة، بيروت، د. ت.
- (٤) الآداب الشرعية والمنح المرعية، محمد بن مفلح بن محمد بن مفرج، أبو عبد الله، شمس الدين المقدسي الراميني ثم الصالحي الحنبلي (ت ٧٦٣هـ)، عالم الكتب، د. ت.
- (٥) الاستقامة، ابن تيمية أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية الحراني، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، نشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ.
- (٦) الأشباه والنظائر على مذهب أبي حنيفة النعمان، زين الدين بن إبراهيم بن محمد، المعروف بابن نجيم المصري (ت ٩٧٠هـ) وضع حواشيه وخرج أحاديثه: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ، ١٩٩٩م.
- (٧) الاعتصام، للشاطبي، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (ت ٧٩٠هـ) تحقيق: سليم بن عيد الهلالي، دار ابن عثان، السعودية الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م.
- (٨) إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ) تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ، ١٩٩١م.
- (٩) البحر المحيط في أصول الفقه، الزركشي بدر الدين محمد بن بهادر، تحقيق د. عمر الأشقر وآخرون، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ.
- (١٠) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت ٨١٧هـ) المحقق: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ١٤١٦هـ، ١٩٩٦م.
- (١١) تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي، السيد محمد مرتضى الحسيني، تحقيق: إبراهيم الترزي، ط١، التراث العربي، الكويت، ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م.

المؤتمر الدولي العاشر

[دور العلوم العربية والإسلامية في تكريس الأمن الفكري وتحقيق السلام المجتمعي]

- (١٢) التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت ٨١٦هـ) المحقق: ضبطه وضححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط١/١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م.
- (١٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، ط٢/ نشر دار طيبة، ببيروت، ١٤٢٠هـ.
- (١٤) التفسير الكبير، الرازي، مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣/، ١٤٢٠هـ.
- (١٥) التمهيد في تخريج الفروع على الأصول. لعبد الرحيم الإسنوي، تحقيق د. محمد حسن هيتو، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٠هـ.
- (١٦) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، أبو عمر يوسف بن عبد الله، ابن عبد البر، لنمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ) تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، ١٣٨٧هـ.
- (١٧) تهذيب اللغة، الأزهرى، محمد بن أحمد بن الأزهرى الهروي، (ت ٣٧٠هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب الطبعة: الأولى ط/ دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠١م.
- (١٨) الثابت والمتغير، د. مبروك رمضان، مؤتمر دار العلوم، جامعة المنيا، ٢٠١٧م.
- (١٩) الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت ٦٧١هـ) تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢/ ١٣٨٤هـ، ١٩٦٤م.
- (٢٠) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح، ط٢، دار إحياء التراث العربي، ودار الشعب، بيروت، ١٣٧٢هـ.
- (٢١) الخروج من الخلاف د. محمد المبارك، مجلة الجامعة الإسلامية، السنة ٤٣/٤٣١هـ- العدد ١٥١.
- (٢٢) الدرر السنية، محمد بن عبد الوهاب، مكتبة الدار، المدينة المنورة، ط١/ ١٤٠٤هـ.
- (٢٣) الديباج، لابن فرحون، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، إبراهيم بن علي بن محمد، ابن فرحون، برهان الدين اليعمرى (ت ٧٩٩هـ) تحقيق وتعليق: الدكتور محمد الأحمدى أبو النور دار التراث للطبع والنشر، القاهرة.

- (٢٤) رد المحتار على الدر المختار، ابن عابدين، محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين
الدمشقي الحنفي (ت ١٢٥٢هـ)، دار الفكر، بيروت، ط٢/ ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م.
- (٢٥) الرسالة للشافعي، أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد
المطلب بن عبد مناف المطليبي القرشي المكي (ت ٢٠٤هـ) المحقق: أحمد شاكر، مكتبة الحلبي،
مصر الطبعة: الأولى، ١٣٥٨هـ/ ١٩٤٠م.
- (٢٦) الروح، لابن القيم، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.
- (٢٧) روضة العقلاء للإمام ابن حبان أبو حاتم محمد بن حبان البستي، تحقيق: محمد حامد
الفتي مكتبة السنة المحمدية، القاهرة
- (٢٨) سير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ، مؤسسة
الرسالة.
- (٢٩) شرح السنة، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي
الشافعي (ت ٥١٦هـ) تحقيق: شعيب الأرنؤوط، محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي،
دمشق، بيروت الطبعة: الثانية، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م
- (٣٠) الشرح الممتع، لابن عثيمين، محمد بن صالح بن محمد العثيمين (ت ١٤٢١هـ) دار النشر: دار
ابن الجوزي الطبعة: الأولى، ١٤٢٢، ١٤٢٨هـ.
- (٣١) شرح صحيح مسلم، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن
شرف النووي (ت ٦٧٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت الطبعة: الثانية، ١٣٩٢هـ.
- (٣٢) صفة الفتوى والمستفتي لابن حمدان، أبو عبد الله أحمد بن حمدان بن شبيب بن حمدان
النميري الحراني الحنبلي (ت ٦٩٥هـ) المحقق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي،
بيروت الطبعة: الثالثة، ١٣٩٧هـ.
- (٣٣) فتح الباري، لابن حجر العسقلاني، شرح صحيح البخاري لأحمد بن علي العسقلاني، ترقيم:
محمد فؤاد عبد الباقي وعليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن باز، (بلا/ ط.)، دار المعرفة،
بيروت، ١٣٧٩هـ.
- (٣٤) الفقيه والمتفقه، الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي، (٣٩٢
/٤٦٣هـ)، المحقق: عادل بن يوسف العزازي، (بلا. ط.)، دار ابن الجوزي بالسعودية، ١٤١٧هـ.
- (٣٥) فلسفة التربية واتجاهاتها ومدارسها. د/ محمد منير مرسى، عالم الكتب للطباعة والنشر
والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٣م.
- (٣٦) فيض القدير، المناوي، عبد الرؤوف، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط١، ١٣٥٦هـ.

المؤتمر الدولي العاشر

[دور العلوم العربية والإسلامية في تكريس الأمن الفكري وتحقيق السلام المجتمعي]

- ٣٧) القاموس المحيط، الفيروز آبادي، مجد الدين محمد ابن يعقوب، (ت ٨١٧هـ)، تحقيق: أنس محمد الشامي وزكريا جابر أحمد، (بلا. ط.)، دار الفكر، بيروت، ودار الحديث، القاهرة، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م.
- ٣٨) قواعد الأحكام، العز بن عبد السلام، قواعد الأحكام في مصالح الأنام، طبع دار الجيل، بيروت
- ٣٩) القول الشاذ وأثره في الفتيا، أ.د. أحمد سير المباركي، دار العزة للنشر والتوزيع، ١٤٣١هـ
- ٤٠) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت ٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت الطبعة ٣ / ١٤٠٧هـ.
- ٤١) الكليات، الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م.
- ٤٢) لسان العرب، ابن منظور، محمد بن مكرم بن منظور الأفرريقي المصري، ابن منظور، (ت ٧١١هـ)، ط ١. دار صادر، بيروت، ١٩٧٨م.
- ٤٣) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية الحراني (ت ٧٢٨هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، (بلا.ط.)، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م.
- ٤٤) المصباح المنير في غريب شرح الوجيز. الفيومي، أحمد بن محمد الفيومي، المصباح المنير، ط١، المكتبة العلمية، بيروت، ١٩٨٧م.
- ٤٥) معجم لغة الفقهاء، محمد رواس قلجعي، حامد صادق قنيبي، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع الطبعة: الثانية، ١٤٠٨ هـ، ١٩٨٨م.
- ٤٦) مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، ط٢، دار القلم، دمشق، سنة ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م.
- ٤٧) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس زكريا (ت ٣٩٥هـ)، مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، (بلا / ط.)، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م.
- ٤٨) الموافقات في أصول الفقه، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (ت ٧٩٠هـ) المحقق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفاة الطبعة: الطبعة الأولى ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م.
- ٤٩) موسوعة الفقه الإسلامي المصرية، موقع وزارة الأوقاف المصرية، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية صدر أول أجزاءها عام ١٣٨٦هـ.
- ٥٠) الموسوعة الفقهية الكويتية، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، طبعة الوزارة، صادرة عن: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، الكويت، ١٤٠٤هـ، ١٤٢٧هـ.
- ٥١) نحو مجتمع القيم، د. مبروك رمضان، دار الرشد، الرياض، ط١ / ١٤٣٠هـ.

- (٥٢) نيل الأوطار، للشوكانى، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكانى اليمنى (ت ١٢٥٠هـ)، تحقيق: عصام الدين الصبابى، دار الحديث، مصر الطبعة: الأولى، ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م.
- (٥٣) الوايل الصيب، ابن القيم الجوزية، تحقيق: محمد عبد الرحمن عوض، دار الكتاب العربى، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.
- (٥٤) وسطية أهل السنة بين الفرق، محمد باكرى محمد باعبد الله (رسالة دكتوراة)، دار الراية للنشر والتوزيع، ط١/١٥٤١٥ ١٩٩٤م
- (٥٥) الوسطية في القرآن الكريم، د. علي الصلابى، مكتبة الصحابة، مكتبة التابعين، سنة النشر: ١٤٢٢هـ.
- (٥٦) جامع بيان العلم وفضله، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (ت ٤٦٣هـ) تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي، السعودية، ط١، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.
- (٥٧) فقه الائتلاف قواعد التعامل مع المخالفين بالإنصاف، محمود محمد الخزندار، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، ٢٠٠٠م.

ثانياً:

الدراسات العقديّة

التوجيهات النبوية العقديّة في تحقيق الأمن الفكري والسلام المجتمعي

الأستاذ الدكتور / سليمان بن قاسم العيد

كرسي الملك عبد الله بن عبدالعزيز للحسبة وتطبيقاتها المعاصرة

جامعة الملك سعود

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ،

أما بعد:

يُعد الأمن من نعم الله - عز وجل - على الفرد والمجتمع والأمة، وللحصول عليه لا بد من توفر أسبابه، والأمن الفكري من أهم الأسباب لمنح المجتمع الأمن والسلام في مختلف المجالات، وقد جاءت التوجيهات النبوية بالأمن الفكري الذي يحقق الأمن والسلام المجتمعي، وهذا هو موضوع البحث الذي نستله بالمقدمة المنهجية الآتية:

أهمية البحث:

تنبثق أهمية البحث من أهمية موضوعه، والحاجة إليه، ويمكن تلخيص أهميته في الآتي:

١. إن التوجيهات النبوية من الوحي المتصف بالصدق والسلامة من الخلل.
٢. تركزت التوجيهات النبوية مع أول نزول الوحي على النبي ﷺ على الجانب العقدي والفكري، نظراً لما للجانب الفكري من أهمية في تحقيق الأمن والأمان، وأيضاً فإن الفوز والفلاح في الدارين مرتبط به أكثر من غيره.
٣. التلازم الوثيق بين صحة المعتقد وسلامة الفكر وبين الأمن والسلام المجتمعي الذي يحفظ للفرد حقوقه، وللأسرة مكانتها، وللمجتمع أمنه واستقراره.
٤. العلاقة بين الأمن الفكري والأمن العام في مختلف المجالات علاقة تلازم، لا يمكن بحال من الأحوال تحقيق الأمن العام في غياب الأمن الفكري، أو وجود انحرافات فكرية وعقدية، وقد جاءت التوجيهات النبوية في تحقيق الأمن

الفكري فتحقق الأمن العام، وساد العدل، وقامت حضارة سادت مشارق الأرض ومغاربها.

أسئلة البحث:

١. ما مفهوم التوجيهات النبوية وأهميتها في صلاح البشرية؟
٢. ما مفهوم الأمن الفكري والسلام المجتمعي وضرورته؟
٣. ما التوجهات النبوية العقديّة في الوقاية من الانحراف الفكري؟
٤. ما التوجيهات النبوية في علاج الانحراف الفكري؟
٥. ما أثر التوجيهات النبوية في الأمن الفكري والسلام المجتمعي؟

أهداف البحث:

يسعى البحث إلى تحقيق جملة من الأهداف، أبرزها:

١. بيان مفهوم التوجيهات النبوية وأهميتها في صلاح البشرية.
٢. تحديد مفهوم الأمن الفكري والسلام المجتمعي وضرورته.
٣. توضيح التوجهات النبوية العقديّة في الوقاية من الانحراف الفكري.
٤. تحديد التوجيهات النبوية في علاج الانحراف الفكري.
٥. بيان أثر التوجيهات النبوية في الأمن الفكري والسلام المجتمعي.

منهج البحث:

سيتم اعتماد المنهج الوصفي التحليلي، ومراعاة الأصول المعتمدة في مناهج البحث العلمي من عزو النصوص إلى مظانها في الهامش، وتخريج الآيات والأحاديث النبوية، وكذلك تخريج الأسماء والمفردات الغريبة في الهامش.

تقسيم البحث:

سيتم تقسيم البحث إلى مقدمة، وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة، وفهارس، وذلك على النحو الآتي:

المقدمة، وفيها: أهمية البحث، وأسئلة البحث، وأهداف البحث، والدراسات السابقة، وخطة البحث.

التمهيد، وفيه: مفهوم التوجيهات النبوية وأهميتها في صلاح البشرية.

مفهوم الأمن الفكري والسلام المجتمعي وضرورته.

المبحث الأول: التوجهات النبوية العقديّة في الوقاية من الانحراف الفكري.

المؤتمر الدولي العاشر

[دور العلوم العربية والإسلامية في تكريس الأمن الفكري وتحقيق السلام المجتمعي]

المبحث الثاني: التوجيهات النبوية العقديّة في علاج الانحراف الفكري.

المبحث الثالث: أثر التوجيهات النبوية في الأمن الفكري والسلام المجتمعي.

التمهيد

أولاً: مفهوم التوجيهات النبوية وأهميتها في صلاح البشرية

معنى التوجيهات النبوية:

التوجيهات النبوية يُراد بها السنة النبوية، وسيتم تناول معنى السنة في اللغة وعند أهل الاصطلاح في الآتي:

السُّنَّةُ لغةً: تعني الطريقة، والسيرة المعتادة للإنسان، سواء كانت حسنة أو مذمومة^(١)، وقد جاء في صحيح مسلم عن النبي ﷺ قال: «من سن في الإسلام سنة حسنة، فله أجرها، وأجر من عمل بها بعده، من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة، كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده، من غير أن ينقص من أوزارهم شيء»^(٢).

السُّنَّةُ اصطلاحاً: عرفها ابن حجر بأنها (ما جاء عن النبي ﷺ من أقواله وأفعاله وتقديره وما هم بفعله)^(٣). ولعل هذا أقدم تعريف للسُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ، وأضاف بعض المتأخرين مثل مصطفى السباعي (الصفة الخَلْقِيَّةُ أو الخَلْقِيَّةُ أو السيرة، سواء كان قبل البعثة أو بعدها)^(٤)، مما يصلح أن يكون دليلاً لحكم شرعي^(٥)، وتقابل عند الفقهاء الواجب، وقد تطلق عندهم على ما يقابل البدعة^(٦).

أهمية التوجيهات النَّبَوِيَّةِ:

التوجيهات النَّبَوِيَّةِ ذات أهمية بالغة، ومكانة عظيمة، سواءً كانت قولية أو فعلية أو تقريرية، فهي وحيٌّ من الله ﷻ إلى رسوله الكريم ﷺ: قال تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣-٤]. والتوجيهات النَّبَوِيَّةِ واجبة الإلتباع بأمر من الله ﷻ، قال تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمُ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧]. وقوله تعالى: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠].

(١) انظر: لسان العرب: ابن منظور: ٢٢٦/١٣.

(٢) صحيح مسلم: ٧٠٤/٢، رقم (١٠١٧).

(٣) فتح الباري بشرح صحيح البخاري: ابن حجر العسقلاني ١٧/ ١٢٣.

(٤) السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي: مصطفى السباعي: ص ٦٥.

(٥) السنة قبل التدوين: محمد عجاج الخطيب، الناشر: ص ١٦.

(٦) السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي: ص ٦٦.

وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ
الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

وهناك أحاديث كثيرة في وجوب العمل بالتوجيهات النبوية؛ منها:

عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى»، قالوا: يا
رسول الله، وَمَنْ يَأْبَى، قال: «مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى»^(١). قال
الحافظ ابن حجر: (إسناد الامتناع إليهم عن الدخول مجاز عن الامتناع عن سنته
وهو عصيان الرسول ﷺ)^(٢).

وعن العرياض بن سارية، أن رسول الله ﷺ قال: «فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ
الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، عَصُوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ»^(٣). وفي قوله ﷺ: «عصوا عليها بالنواجذ»
كناية عن شدة ملازمة السنة والتمسك بها^(٤).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ أَحَدَّثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا
لَيْسَ فِيهِ فَهُوَ رَدٌّ»^(٥). والحديث فيه إشارة إلى وجوب التمسك بالتوجيهات النبوية
بالسنة النبوية، وقد ترجم الإمام أبو داود لهذا الحديث بقوله: (باب في لزوم
السنة)^(٦).

ثانياً: مفهوم الأمن الفكري والسلام المجتمعي وضرورته

تعريف الأمن الفكري:

الأمن لغة: الهمزة والميم والنون أصلان متقاربان: أحدهما: الأمانة التي هي ضد
الخيانة، ومعناها سُكُونُ الْقَلْبِ. والآخر: التصديق^(٧).

(١) صحيح البخاري: ٩٢/٩، رقم (٧٢٨٠).

(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري: ١٣٧ / ١٧.

(٣) سنن الترمذي: ٤٤/٥، رقم (٢٦٧٦).

(٤) انظر: عون المعبود شرح سنن أبي داود، تأليف: أبو الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي ١٢ / ٣٦٠.

(٥) صحيح البخاري: ١٨٤/٣، رقم (٢٦٩٧).

(٦) سنن أبي داود، كتاب السنة، باب في لزوم السنة، رقم: ٤٦٠٦.

(٧) انظر: مجمل اللغة: ابن فارس: ١٠٢/١. المعجم الوسيط: إبراهيم مصطفى وآخرون: ١ / ١٢٨.

الأمن في الاصطلاح: هو الحال التي يكون فيها الإنسان مطمئناً في نفسه، مستقراً في وطنه، سالماً من كل ما ينتقص دينه، أو عقله، أو عرضه، أو ماله ^(١).

الفكر في اللغة: تردد القلب، وتأمله، يقال: تفكّر إذا ردد قلبه معتبراً. ورجل فكّير: كثير الفكر ^(٢).

الفكر في الاصطلاح: هو النظر العقلي، وما ينتج عن ذلك النظر والتأمل من علوم ومعارف ^(٣).

تعريف الأمن الفكري: يُعرف الأمن الفكري بأنه: (الشعور بالأمن الروحي والنفسي والجسدي والعقلي والمادي بما لا يتعارض مع الدين والمبادئ والمثل العليا والأخلاق التي يؤمن بها الفرد والمجتمع ولا تؤثر سلباً على أفكار وحياتة الآخرين) ^(٤)، وقد تعددت مفاهيم الأمن الفكري، ولكن جلها في الفكر الإسلامي تدور حول معنى أن يعيش أهل الإسلام في مجتمعهم آمنين مطمئنين على مكونات شخصيتهم وتميز ثقافتهم ومنظومتهم الفكرية المنبثقة من الكتاب والسنة، والحفاظ على المكونات الثقافية الأصيلة في مواجهة التيارات الثقافية الوافدة، أو الأجنبية المشبوهة، وحماية وصيانة الهوية الثقافية والعقل المسلم من الاختراق الخارجي، وصيانة المؤسسات الثقافية في الداخل من الانحراف، حتى تتحقق السكينة والاستقرار والاطمئنان القلبي، واختفاء مشاعر الخوف على مستوى الفرد والجماعة في جميع المجالات النفسية والاجتماعية والاقتصادية ^(٥).

أهمية الأمن الفكري:

١. يُعد الأمن الفكري أحد مكونات الأمن بصفة عامة؛ بل هو أهمها وأساس وجودها واستمرارها، والأمن هو النعمة التي لا يمكن أن تستقيم الحياة بغيرها؛

(١) أهمية الأمن الفكري: محمد الواصل: <https://malaz/shis/sa.edu.imamu.units//:https>
asp.m-١٤٣٩-٥-٢٦/Pages/EduArticles/inst

(٢) مجمل اللغة: ابن فارس: ٧٠٤/١

(٣) أهمية الأمن الفكري: محمد الواصل: <https://malaz/shis/sa.edu.imamu.units//:https>
asp.m-١٤٣٩-٥-٢٦/Pages/EduArticles/inst

(٤) الأمن الفكري، المفهوم - التطورات - الإشكالات: كرسي الأمير نايف للدراسات: ص١٢.

(٥) مقومات الأمن الفكري: نورة بنت عبدالله الشهري: <https://sa.shms//:https> ٢٢٢٦٨/authoring/

ولذلك امتنَّ اللهُ ﷻ بهذه النعمة على كفار قريش حين قال تعالى : (فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ❖ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَأَمَّنَّهُمْ مِنْ خَوْفٍ) [قريش: ٣، ٤]، وجعل الرسول ﷺ مَنْ توفَّر له الأمن كَمَنْ حِيَزَتْ له الدنيا كلها؛ قال ﷺ: «مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ، مُعَافَى فِي جَسَدِهِ، عِنْدَهُ قُوَّةٌ يَوْمَهُ، فَكَأَنَّمَا حِيَزَتْ له الدنيا»^(١).

٢. أن الأمن الفكري ينطلق من القيم والأخلاق المنبثقة عن الإيمان والعقيدة، وقد أكد الإمام الشاطبي رحمه الله ذلك بقوله: (الأعمال الظاهرة في الشرع دليلٌ على ما في الباطن، فإن كان الظاهر منحرفاً حُكِمَ على الباطن بذلك، أو مستقيماً حُكِمَ على الباطن بذلك)^(٢).

٣. إن الأمن الفكري غايته استقامة المعتقد، وسلامته من الانحراف لأسباب هي:
أ. إن الإخلال به يُعَرِّضُ الإنسان لأن يكون عمله هباءً، لا ثقل له في ميزان الإسلام؛ قال تعالى: (وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا) [الفرقان: ٢٣].

ب. إن الأمن الفكري يتعلَّق بالعقل، والعقل هو آلة الفكر، الذي هو أساس استخراج المعارف، وطريق بناء الحضارات، وتحقيق الاستخلاف في الأرض؛ ولذلك كانت المحافظة على العقل وحمایته من المفسدات، مقصداً من مقاصد الشريعة الإسلامية، وسلامة العقل لا تتحقق إلَّا بالمحافظة عليه من المؤثرات الحسيَّة والمعنوية^(٣).

٤. أن الأمن الفكري يحقق للأمة أهم خصائصها، وهو سلامة المنهج، والوسطية، ونبذ التطرف.

٥. يستمد الأمن الفكري جذوره من عقيدة الأمة وثوابتها، وهو الذي يحدد هويتها وذاتيتها.

(١) سنن الترمذي: ٤/٥٧٤، رقم (٢٣٤٦).

(٢) الموافقات: إبراهيم بن موسى الشاطبي: ١/٥٢٣، تحقيق: عبدالله دراز، بيروت، دار المعرفة، ط١، ٢٠٠٢م.

(٣) أهمية بناء الأمن الفكري: بدرية الفوزان: <https://www.alukah.net/culture/0/129024>.

٦. إن تحقيق الأمن الفكري هو المدخل الحقيقي للإبداع والتطور والنمو الحضاري للفرد والمجتمع، كما أنه يمنح الفرد والمجتمع الحصانة من الأفكار الوافدة المنحرفة، ويمنع الجريمة، ويحافظ على السلم الاجتماعي^(١).

أهم خصائص الأمن الفكري:

لكل أمة أمنها الفكري المنبثق من عقيدتها وثقافتها، ولعل من أبرز خصائص الأمن الفكري في المجتمع المسلم، هي:

١. أن يكون منبثقاً من دين الإسلام، والعقيدة الصحيحة، والمنهج الوسطي.
٢. أن يتماشى مع مقاصد الشريعة وحكمها وتحقيقها للمصالح ودرء المفسد.
٣. تحقيق الوسطية والاعتدال بفهم الصحابة الأخيار والأئمة الكبار.
٤. أن يحقق للأمة وحدتها وتلاحمها، وأن يحافظ على ثقافة الأمة وأصالتها وقيمها.
٥. أن يكون طريقاً لتحقيق الأمن الشامل البعيد عن الفوضى الفكرية والاجتماعية.

٦. السمو بالفرد والمجتمع إلى النقاء والطهر والعفة والتسامح^(٢).

(١) مفهوم الأمن الفكري وسبل تحقيقه: سعد بن عبدالله البريك: ص ١٤ - ١٥.

(٢) مفهوم الأمن الفكري وسبل تحقيقه: سعد بن عبدالله البريك: ص ١٥ - ١٦.

المبحث الأول

التوجهات النبوية العقيدية في الوقاية من الانحراف الفكري

جاءت التوجيهات النبوية الكريمة بكثير من التدابير الوقائية من الانحراف

الفكري، ومن ذلك على سبيل المثال ما يلي:

أولاً: العناية بغرس العقيدة الصحيحة:

لا يمكن أن يتطرق الانحراف الفكري لشخص ما حينما تكون عقيدته سليمة وقوية، وفق كتاب الله ﷻ وسنة رسوله ﷺ، ولكن حينما تختل العقيدة أو تضعف يتسلل الانحراف الفكري إلى الفرد شيئاً فشيئاً، ولذا فقد عني النبي ﷺ بغرس العقيدة الصحيحة في قلوب المؤمنين عناية كبيرة منذ بداية الدعوة.

وتوحيد الله ﷻ هو أس العقيدة الصحيحة وأساسها، فجاءت التوجيهات النبوية واضحة في مسألة التوحيد، ومن ذلك حديث معاذ بن جبل عندما بعثه النبي ﷺ إلى اليمن قال له: «إنك تقدم على قوم من أهل الكتاب، فليكن أول ما تدعوهم إلى أن يوحدوا الله تعالى^(١)»، وفي رواية: «فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله»^(٢). وحديث أبي مالك، عن أبيه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من وحد الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله، ودمه، وحسابه على الله»^(٣). وحديث ابن عمر، عن النبي ﷺ، قال: «بني الإسلام على خمسة، على أن يوحد الله...»^(٤)

والتوحيد يقتضي أن الله واحد لا إله غيره، ونفي أمور ستة: نفي الإلهية لغير الله ﷻ، والشبيه، والنظير، والوالدة، والصاحبة، والشريك^(٥).

كما كان النبي ﷺ يحرص على النشء من أمته خاصة، فقد اهتم رسول الله ﷺ بتعليم صغار الصحابة أمور العقيدة، ومما يدل على ذلك ما ورد عن جندب بن عبد

(١) صحيح البخاري: ١١٤/٩، رقم (٧٣٧١).

(٢) صحيح البخاري: ١١٤/٢، رقم (١٤٥٨).

(٣) صحيح مسلم: ٥٣/١، رقم (٢٣).

(٤) صحيح مسلم: ٤٥/١، رقم (١٦).

(٥) القول السديد في الرد على من أنكر تقسيم التوحيد: عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر: ص ٢٨.

الله قال: «كنا مع النبي ﷺ ونحن فتیان حزاورة^(١)، فتعلمنا الإيمان قبل أن نتعلم القرآن، ثم تعلمنا القرآن فازددنا به إيماناً»^(٢).

يتضح لنا من هذا الحديث أن جندب بن عبد الله ومن معه كانوا فتیاناً عند النبي ﷺ فتعلموا الإيمان قبل أن يتعلموا القرآن، وهذا مما يدل على المبادرة بتعليم الإيمان للنشء قبل تعلم القرآن، وتعليم الإيمان يقتضي التعريف بالله ﷻ، وأحقيته بالعبادة دون من سواه، وما له من صفات الجلال والكمال والعظمة، وكذلك التعريف برسوله ﷺ ووجوب الإيمان به، وماله من حقوق على أمته، ونحو ذلك مما يتعلق بأمور الإيمان ويتناسب مع حال الناشئ.

وكذلك ما جاء من توجيه لابن عباس، فعن ابن عباس قال: كنت خلف رسول الله ﷺ يوماً فقال: «يا غلام: إني أعلمك كلمات، احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقاليم وجفت الصحف»^(٣).

فهذا توجيه عظيم من رسول الله ﷺ لابن عمه الغلام ابن عباس، والله سبحانه وتعالى يتكفل لمن عمل بها أن يحفظه في أموره كلها، ومن جملتها أعز ما يملكه الإنسان إيمانه بربه، فيحفظه الله ﷻ من الشبهات المضلة، ومن الشهوات المحرمة، ويحفظ عليه دينه عند موته، فيتوفاه على الإيمان^(٤).

ومن العقيدة الصحيحة معرفة حقيقة الإيمان، ومن التوجيهات النبوية في ذلك ما روي عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «الإيمان بضعٌ وسبعون أو بضعٌ وستون شعبة، فأفضلها قول: لا إله إلا الله، وأدناها إمطة الأذى عن الطريق، والحياء

(١) حزاورة: جمع حَزْوَر، وهو الغلام إذا اشتد وقوي وخدم (الجوهري، الصحاح ٢/٦٢٩).

(٢) سنن ابن ماجه: ٤٢/١، رقم (٦١)، وصححه الأرنبوط، والألباني في صحيح سنن ابن ماجه، ١/١٢٣.

(٣) سنن الترمذي: ٤/٦٦٧، رقم (٢٥١٦)، وقال: هذا حديث حسن صحيح. وصححه الألباني في كتابه

(صحيح سنن الترمذي) ١٦/٦.

(٤) انظر: جامع العلوم والحكم: ابن رجب الحنبلي: ص ١٦٣.

شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ»^(١). وحديث جبريل ، لما أتى النبي ﷺ في صورة أعرابي، وسأله عن الإسلام، والإيمان، قال له: «الإسلام: أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت، قال والإيمان: أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسوله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره، وشره»^(٢).

وأنه لا يكفر أحدٌ من أهل القبلة بالصغيرة والكبيرة من الذنوب إلا إذا جحد واجباً أو محرماً عُلِمَ من الدين بالضرورة^(٣)، ومرتكب الكبيرة لا يخرج عن مسمى الإيمان، فإن مات دون توبة فأمره إلى الله ﷻ إن شاء عذبه وإن شاء غفر له، غير أنه لا يخلد في النار^(٤)، لقوله ﷺ: «يخرج من النار من كان في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان»^(٥).

ثانياً: الاعتصام بالكتاب والسنة:

كتاب الله ﷻ وسنة رسوله ﷺ نجاة لمن اعتصم بهما وحصن حصين لمن تمسك بهما، وبالاعتصام بهما جاء التوجيه النبوي الكريم، ومن توجيهاته ﷺ في التمسك بالكتاب والسنة للسلامة من الضلال، والنجاة من الفتن: «تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما : كتاب الله، وسنة نبيه»^(٦).

وعن العرياض بن سارية قال : وعظنا رسول الله ﷺ يوماً بعد صلاة الغداة موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب فقال رجل: إن هذه موعظة مودع، فبماذا تعهد إلينا يا رسول الله قال: «أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة، وإن عبد حبشي فإنه من يعش منكم فسيري اختلافاً كثيراً، وإياكم ومحدثات

(١) صحيح مسلم: ٦٣/١، رقم (٣٥).

(٢) صحيح مسلم: ٣٦ / ١، رقم (٨).

(٣) الإيمان حقيقته، خوارمه، نواقضه عند أهل السنة والجماعة: عبد الله بن عبد الحميد الأثري: ص ٧١.

(٤) اجتماع الجيوش الإسلامية: ابن القيم: ١٥٢/٢.

(٥) صحيح مسلم: ٩٣/١، رقم (٩١).

(٦) رواه مالك في الموطأ: ٨٩٩/٢، رقم (٣)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة: ٣٦١/٤، رقم (١٧٦٢).

الأمر، فإنها ضلالة، فمن أدرك ذلك منكم فعليه بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ»^(١).

ثالثاً: التَّحْصَنُ بالدعاء:

الدعاء من أهم الأسباب التي تعصم المسلم من الضلال والانحراف الفكري، ولذا كان النبي ﷺ يعلم صحابته الكرام - وخاصة الصغار منهم - أدعية يقولونها، ومن ذلك تعليمه ﷺ للحسن بن علي دعاء القنوت، كما يقول الحسن بن علي: علمني رسول الله ﷺ كلمات أقولهن في الوتر: «اللهم اهديني فيمن هديت، وعافني فيمن عافيت، وتولني فيمن توليت، وبارك لي فيما أعطيت، وقني شر ما قضيت، إنك تقضي ولا يقضى عليك، وإنه لا يذل من واليت، ولا يعز من عاديت، تباركت ربنا وتعاليت»^(٢).

وعن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ يعلمنا هذا الدعاء كما يعلمنا السورة من القرآن: «اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم، وأعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات»^(٣).

ولو تأملنا هذه الأدعية الجليلة وغيرها لوجدنا أنها تتضمن طلب الهداية والاستعاذة بالله من الفتنة، ومن هداه الله ﷻ في جملة من هدى فقد عصمه من الضلال والانحراف الفكري، وكذا فإن الاستعاذة من الفتنة يدخل في جملتها طلب النجاة من الضلال والانحراف الفكري، فمن حرص على هذه الأدعية النبوية وأمثالها كان سبباً في وقايتها من الانحراف.

رابعاً: الحذر من دعاة الفتنة:

ربما يتعرض الإنسان المسلم في حياته لدعاة الفتنة الذين يوردون عليه الشبه ويزينون له الانحراف بحيل خفية وأساليب مأكرة، ولقد حذر النبي ﷺ من هذا الصنف من الدعاة، وبين مآل من أطاعهم وانخدع بدعوتهم، ومن ذلك ما وراه حذيفة بن اليمان قال: كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنِ الْخَيْرِ، وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٌّ فَجَاءَنَا

(١) سنن الترمذي: ٤٤/٥، رقم (٢٦٧٦)، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) سنن الترمذي: ٣٢٨ / ٢، رقم (٤٦٤)، وقال: هذا حديث حسن.

(٣) صحيح مسلم: ٤١٢/١، رقم (٥٨٨).

الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير شر؟ قال: «نعم»، فقلت: هل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: «نعم، وفيه دخن»، قلت: وما دخنه؟ قال: «قوم يستنون بغير سنتي، ويهدون بغير هديي، تعرف منهم وثكر»، فقلت: هل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: «نعم، دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها»، فقلت: يا رسول الله، صفهم لنا، قال: «نعم، قوم من جلدتنا، ويتكلمون بألسنتنا»، قلت: يا رسول الله، فما ترى إن أدركني ذلك؟ قال: «تلزم جماعة المسلمين وإمامهم»، فقلت: فإن لم تكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: «فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعض على أصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك»^(١).

ويدخل في هذا تحذير النبي ﷺ ممن يوردون الشبه على الناس ويشككونهم في عقائدهم، لما ورد عن عن أبي هريرة، قال: قال لي رسول الله ﷺ: «لا يزالون يسألونك يا أبا هريرة حتى يقولوا: هذا الله، فمن خلق الله؟» قال: فبينما أنا في المسجد إذ جاءني ناس من الأعراب، فقالوا: يا أبا هريرة، هذا الله، فمن خلق الله؟ قال: فأخذت حصي بكفه فرماهم، ثم قال: قوموا قوموا صدق خليلي»^(٢).

خامساً: التحصن بالعمل الصالح:

يدرك النبي ﷺ ما سيواجه أمته في مستقبلها من الفتن، ومن هذه الفتن الانحراف الفكري، ولذا فإنه ﷺ يرشدهم إلى أمر مهم في الوقاية من تلك الفتن، فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «بادروا بالأعمال، فتناً كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً، أو يمسي مؤمناً ويصبح كافراً، يبيع دينه بعرض من الدنيا»^(٣)، في هذا الحديث يحث الرسول ﷺ على المبادرة بالأعمال الصالحة قبل تعذرها والاشتغال عنها بما يحدث من الفتن الشاغلة، المتكاثرة، المتراكمة كترام ظلام الليل المظلم لا القمر، ووصف رسول الله ﷺ نوعاً من شذائد تلك الفتن، وهو أن يمسي الرجل مؤمناً، ثم يصبح كافراً، أو عكسه، وهذا لعظم الفتن يتقلب الإنسان في

(١) صحيح البخاري: ١٩٩/٤، رقم (٣٦٠٦)، وصحيح مسلم: ١٤٧٥/٣، رقم (١٨٤٧).

(٢) صحيح مسلم: ١٢١/١، رقم (١٣٥).

(٣) صحيح مسلم: ١١٠/١، رقم (١١٨).

اليوم الواحد هذا الانقلاب^(١). ومن أشد أنواع الانحراف الفكري أن يمسى الرجل مؤمناً ويصبح كافراً، أو العكس، ومن بادر بالأعمال قبل حصول الفتن، فإنها تسهل عليه وقتها، وتكون سبباً في نجاته منها.

وفي بيان أثر العمل الصالح على سلامة الفرد في عقيدته وفكره، ما ورد في وصية رسول الله ﷺ لابن عمه الشاب ابن عباس: «احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك...» فإن حفظ العبد ربه يستلزم طاعته في أوامره، ويستلزم القيام بالعبادات على وجهها، كإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج بيت الله الحرام لمن استطاع إليه سبيلاً، وفعل من تبسر من نوافل العبادات. فإن نتيجة ذلك حفظ الله لعبده، ومن أجل ذلك حفظه في عقيدته، وسلامته من الانحراف الفكري.

(١) شرح صحيح مسلم للنووي: ١٣٣/٢.

المبحث الثاني

التوجيهات النبوية في علاج الانحراف الفكري

كان النبي ﷺ حريصاً على أمته فيما ينفعهم في دينهم ودنياهم، شديد الحذر عليهم مما يضرهم، ولقد وصفه ربه ﷻ بقوله: (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُفٌ رَحِيمٌ) [التوبة: ١٢٨]. ومن أشد ما يعنى به النبي ﷺ أمور العقيدة، فإن رأى شيئاً من الخلل في ذلك أو بواده بادر بالعلاج، ومما يذكر في ذلك ما يلي:

أولاً: تحريم جميع الانحرافات الفكرية والعقدية:

حين بُعث النبي ﷺ كان الناس قد وقعوا في انحرافات عقدية وفكرية كثيرة، وكانت الخطوة الأولى لعلاج هذه الآفات الخطيرة بيان الحكم الشرعي لها، فمن آمن بالله ﷻ ورسوله ﷺ أقلع عنها، وتاب منها مباشرة.

وقد جاءت التوجيهات النبوية فحرت كل ما هو انحراف فكري كالشرك، والحرور التي يُعتقد فيها جلب الحظوظ، والتبرك بالأرواح والأجساد والأشجار والأحجار ونحوها، والذبح لغير الله ﷻ، والنذر لغير الله ﷻ، وقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «من نذر أن يطيع الله فليطعه ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه»^(١)، بل عدت ذلك من الشرك العظيم الذي لا يغفره الله ﷻ، خصوصاً إذا تعلق القلب فيها بطلب منفعة أو صرف مضرة ومفسدة، وهي في الحقيقة لا تضر ولا تنفع، فالضار والنافع هو الله ﷻ وحده.

كما حرمت التوجيهات النبوية الاستعاذة بغير الله ﷻ، والاستغاثة والدعاء بغير الله ﷻ، والسحر بوصفه كضراً بواحاً، سواء كان تعلماً أو تعليمياً أو عملاً أو عقداً أو حلاً، فعن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «اجتنبوا السبع الموبقات، قالوا: يا رسول الله، ما هي؟ قال: الشرك بالله، والسحر...»^(٢)، وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: سأل أناس رسول الله ﷺ عن الكهّان، فقال: «ليسوا بشيء»، قالوا: يا رسول الله، فإنهم يحدثون أحياناً بالشيء يكون حقاً؟ فقال رسول الله ﷺ: تلك الكلمة من

(١) صحيح البخاري: ١٤٢/٨، رقم (٦٦٩٦)

(٢) صحيح البخاري: ١٠/٤، رقم (٢٧٦٦)، وصحيح مسلم: ٩٢/١، رقم (٨٩).

الحق، يخطئها الجني، فيقرأها في أذن وليه قر الدجاجة، فيخلطون فيها أكثر من مائة كذبة»^(١).

وحرمت التوجيهات النبوية التنجيم الذي يُعتقد فيه بأن للكواكب والنجوم أثراً في تسيير نوايس الكون، كما أن لها أثراً في جلب النفع ودفْع الضرر عن المخلوقات، وكذلك حرمت التطير، فعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «لا عدوى، ولا طيرة، ولا هامة، ولا صفر»^(٢)، والمراد بـ"العدوى" انتقال المرض من شخص لآخر من غير تقدير الله ﷻ ومشيئته، و"الطيرة" التشاؤم الذي لا أصل له ولا سبب، و"الهامة" طير "البومة" الذي كان مصدر شؤم عند العرب في الجاهلية، و"الصفر" يراد به معنيين الأول: التشاؤم من شهر صفر، فلا يسافرون فيه ولا يتاجرون، والثاني: مرض في المعدة يزعمون أنه يُعدي غير المصاب وهذه من الأمور المنهي عنها، كما ورد في الحديث الذي جمع فيه النبي ﷺ كثيراً من العقائد المنحرفة في الجاهلية وأبطلها وأثبت عقيدة التوحيد وأقرها^(٣).

كما حرمت التوجيهات النبوية جميع العادات والتقاليد السلبية المنحرفة في المجتمع، ومن أبرز تلك العادات الثأر بوصفه من العادات الجاهلية؛ ولأنه يتعدى على غير الجاني ويكون مصدراً مشعلاً للفتن، وهذا يتعارض مع عدل الإسلام في حفظ الحقوق وحمائتها، ولما يحصل فيه من ظلم وتعدٍ عند الاستيلاء، وبين النبي ﷺ الحق الذي يقتل به المسلم فقال: «لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث: النفس بالنفس، والثيب الزاني، والمضارق لدينه التارك للجماعة»^(٤)، كما أباحت التوجيهات النبوية قتل الجاني على سبيل القصاص بشروطه المفصلة^(٥)، قال

(١) صحيح البخاري: ١٦٢/٩، رقم (٧٥٦١)، وصحيح مسلم: ١٧٥٠/٤، رقم (٢٢٢٨).

(٢) صحيح البخاري: ١٢٦/٧، رقم (٥٧٠٧)، وصحيح مسلم: ١٧٤٣/٤، رقم (٢٢٢٠).

(٣) إغاثة المستفيد بشرح كتاب التوحيد: صالح بن فوزان الفوزان: ٧/٢ - ١٠.

(٤) صحيح البخاري: ٥/٩، رقم (٦٨٧٨)، وصحيح مسلم: ١٣٠٢/٣، رقم (١٦٧٦).

(٥) الشروط مُستوفاة، ومُفصلة في كتب الفقه.

النبي ﷺ: «من قتل له قتيل فهو بخير النظرين، إما أن يفيدي وإما أن يقيد»^(١)، أي: إما أن يقاد أهل القتل من القاتل، وإما أن يعفوا^(٢).

واباحة النصوص الشرعية للاقتصاص مُقيد بعدم التعدي على غير القاتل، ولذلك حرم ما كان شائعاً في الجاهلية من قتل غير القاتل، ومن الإسراف في القتل، لما في ذلك من الظلم والبغي والعدوان، قال النبي ﷺ: «من أعتى الناس على الله ﷻ من قتل غير قاتله..»^(٣).

وكذلك ألغت التوجيهات النبوية التفاضل بين الناس على أساس النسب، وجعلتهم أمام أوامر ونواهي الشرع سواسية فذابت العصبية في محيطها وتلاشت القبلية في عصامها، ونهت التوجيهات النبوية عن العصبية الجاهلية وعملت على ردمها وتجفيف منابعها بالكثير من التوجيهات المحذرة منها، ومنها حديث جابر بن عبد الله أن النبي ﷺ قال: «دعوها فإنها منتنة»^(٤)، وقال ﷺ: «يا أيها الناس، إن ريكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود، ولا أسود على أحمر، إلا بالتقوى، إن أكرمكم عند الله أتقاكم»^(٥).

وجاء النهي عن الطعن في الأنساب، وعن التفاخر والتعاضم بالأباء والأجداد، والمآثر والأمجاد، قال رسول الله ﷺ: «إن الله أوحى إلي أن تواضعوا حتى لا يفخر أحدٌ على أحدٍ، ولا يبغي أحدٌ على أحدٍ»^(٦).

(١) صحيح البخاري: ١٢٥/٣، رقم (٢٤٣٤)، وصحيح مسلم: ٩٨٨/٢، رقم (١٣٥٥).

(٢) فتح الباري في شرح صحيح البخاري: ابن حجر: ٢٠٨/١٢.

(٣) مسند الإمام أحمد: ٣٠٢/٢٦، رقم (١٦٣٧٨)، وصححه الحاكم في المستدرک: ٣٨٩/٤، رقم (٨٠٢٥).

(٤) صحيح البخاري: ١٥٤/٦، رقم (٤٩٠٥)، وصحيح مسلم: ١٩٩٨/٤، رقم (٢٥٨٤).

(٥) مسند الإمام أحمد: ٤٧٤/٣٨، رقم (٢٣٤٨٩)، وشعب الإيمان للبيهقي: ١٣٢/٧، رقم (٤٧٧٤)، وصححه

الألباني في السلسلة الصحيحة: ٤٤٩/٦ - ٤٥١، رقم (٢٧٠٠).

(٦) صحيح مسلم: ٢١٩٨/٤، رقم (٢٨٦٥).

ثانياً: الاستشفاء بالقرآن:

كما أن القرآن الكريم عصمة من الضلال والانحراف لمن اعتصم به، فهو أيضاً شفاء لما وقع فيه الإنسان من الضلال والانحراف، قال ﷺ: (وَنُزِّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا) [الإسراء: ٨٢]، قال ابن كثير في تفسير الآية: (يقول تعالى مخبراً عن كتابه الذي أنزله على رسوله محمد ﷺ - وهو القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد - إنه: (شفاء ورحمة للمؤمنين) أي: يذهب ما في القلوب من أمراض، من شك ونفاق، وشرك وزيف وميل، فالقرآن يشفي من ذلك كله)^(١).

وقد كان النبي ﷺ يوجه أمته للاستشفاء بالقرآن ويقرهم على ذلك، ومن ذلك ما ورد عن عُقْبَةَ بْنِ عَامِرِ الْجُهَنِيِّ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْأَسْلَمِيِّ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَضَعَ يَدَهُ عَلَى صَدْرِهِ، ثُمَّ قَالَ: «قُلْ» قَالَ: فَلَمْ أَدْرِ مَا أَقُولُ، ثُمَّ قَالَ لِي: «قُلْ» قُلْتُ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ثُمَّ قَالَ لِي «قُلْ» قَالَ قُلْتُ: قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ حَتَّى فَرَغْتُ ثُمَّ قَالَ لِي: «قُلْ» قَالَ: قُلْتُ: قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ حَتَّى فَرَغْتُ مِنْهَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هَكَذَا فَتَعَوَّدُوا، فَمَا تَعَوَّدَ الْمُتَعَوِّدُونَ بِمِثْلِهِنَّ قَطُّ»^(٢).

وقد يحصل الخلل العقدي عن جهل من الشخص، ولذا كان النبي ﷺ لا يسكت عما يراه في هذا الشأن من صحابته الكرام بل يبادر بالإنكار عليهم وتصويب الخطأ معالجة للأمر، ومن ذلك ما ورد عن عبد الله بن مسعود قال: كنا نصلي خلف النبي ﷺ فنقول: السلام على الله. فقال النبي ﷺ: «إن الله هو السلام، ولكن قولوا: التحيات لله والصلوات والطيبات، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله»^(٣). من الملاحظ في هذه الرواية أن النبي ﷺ لما أدرك الخطأ لم يسكت عنه، بل أنكره، ولم يكتف بهذا بل علل الإنكار بقوله: «إن الله هو السلام». قال البيضاوي ما حاصله: إنه أنكر التسليم على الله ﷻ، وبين أن ذلك عكس ما يجب أن يقال، فإن كل سلام

(١) تفسير ابن كثير: ١٠٣/٥.

(٢) السنن الكبرى للنسائي: ١٩٨/٧، رقم (٧٧٩٦).

(٣) صحيح البخاري: ٥١/٨، رقم (٦٢٣).

ورحمة له ومنه، وهو مالكتها ومعطيها. وقال غيره: وجه النهي لأنه المرجوع إليه بالمسائل، المتعالي عن المعاني المذكورة، فكيف يدعى له وهو المدعو على الحالات^(١).

وبعد التعليل يوجد النبي ﷺ البديل لهذا القول، ولكن قولوا: «التحيات لله والصلوات والطيبات...» وفي رواية أخرى^(٢) «فإنكم إذا قلتم أصاب كل عبد في السماء، أو بين السماء والأرض» تعليل للبديل وترغيب فيه .

وعن أسامة بن زيد قال: «بعثنا رسول الله ﷺ إلى الحرقة، فصبحنا القوم فهزمناهم، ولحقت أنا ورجل من الأنصار، رجلاً منهم، فلما غشيناها قال: لا إله إلا الله، فكف الأنصاري، فطعنته برمحي حتى قتلتها، فلما قدمنا بلغ النبي ﷺ فقال: يا أسامة! أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله. قلت: كان متعوذاً. فما زال يكررها حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم»^(٣).

وفي رواية^(٤) أن رسول الله ﷺ قال لأسامة: «كيف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة؟». فلم تمنع مكانة أسامة بن زيد عند رسول الله ﷺ وحبه له، من أن يقف من أسامة موقف المغلظ عليه، المبين له خطر ما وقع فيه، فأخذ رسول الله ﷺ يكرر الإنكار، حتى أدرك أسامة بن زيد فداحة غلطته، وخطر زلته، وخشي من عاقبة ذلك. وكان هذا الموقف كفيلاً بأن يتعلم أسامة بن زيد درساً لا ينساه، ولا يعود إلى مثل ذلك العمل مرة أخرى، ويعبر أسامة بن زيد عن شدة تأثره بهذا الدرس فيقول: (فلا والله لا أقاتل أحداً قال: لا إله إلا الله، بعد ما سمعت رسول الله ﷺ)^(٥).

ثالثاً: الإلزام والتحذير من العاقبة:

حينما رأى رسول الله ﷺ بعض صحابته يتنازعون في أمر من أمور العقيدة لا ينبغي لهم التنازع فيه بادر بمعالجة الأمر قبل استفحاله وألزمهم بترك ما هم فيه، فعن أبي هريرة قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن نتنازع في القدر، فغضب حتى احمر وجهه،

(١) فتح الباري: ابن حجر: ٣١٢/٢.

(٢) صحيح البخاري: ١١٦/٩، رقم (٧٣٨١).

(٣) صحيح البخاري: ٤/٩، رقم (٦٨٧٢)، وصحيح مسلم: ٩٧/١، رقم (٩٦).

(٤) صحيح مسلم: ٩٧/١، رقم (٩٧).

(٥) الطبقات الكبرى: ابن سعد، ٥١/٤.

حتى كأنما فقي في وجنتيه الرمان، فقال: «أبهذا أمرتم، أم بهذا أرسلت إليكم، إنما هلك من كان قبلكم حين تنازعوا في هذا الأمر، عزمت^(١) عليكم ألا تتنازعوا فيه»^(٢).

إن الخطأ الذي وقع فيه الشاب أبو هريرة ومن معه هو الخوض في القدر، فكان رد الفعل الحاصل من رسول الله ﷺ لما علم بهذا الخطأ يتمثل في الغضب أولاً، وهو ما أدركوه منه حال رؤيتهم له، ثم التحذير من عاقبة هذا الخطأ، ثم الإلزام بالبعد عن هذا الخطأ.

(١) العزم بمعنى الإقسام. وعزمت عليك أي أمرتك أمراً جداً (ابن منظور، لسان العرب ٤٠٠/١٢).

(٢) سنن الترمذي: ٤٤٣/٤، رقم (٢١٣٣)، وحسنه الألباني في كتابه (صحيح سنن الترمذي) ٢٢٣/٢.

المبحث الثالث

أثر التوجيهات النبوية في الأمن الفكري والسلام المجتمعي

للتوجيهات النبوية أثرها في ترسيخ دعائم الأمن الفكري والسلام المجتمعي،

ومن أبرز تلك الآثار:

أولاً: الأخوة في العقيدة

أوجدت التوجيهات النبوية كياناً اجتماعياً يقوم على عقيدة التوحيد، وفي هذا الكيان الاجتماعي الواحد تُمثل الأخوة الإيمانية البيت الكبير الذي يأوي إليه جميع الأفراد المنتسبين إليه، بل ويعتزون بالانتماء إليه، ويفتخرون بالانتماء إليه؛ لأنه أوسع وأشمل وأقوى من جميع الروابط التي سنَّتها أعراف وتقاليد البشر على امتداد التاريخ الإنساني، (لقد أصبحت الأخوة أوثق الروابط بين المؤمنين أينما كانوا، وبطلت بها العصبية التي كانت من أسباب الجمع والتفريق في العرب وغيرهم، وهي النَّسَب والحلف والوطن، إذ كانوا في الجاهلية لا يجدون سبيلاً إلى التعاضد والتناصر إلا بإحداها...) (١).

وأصبحت الأخوة الإيمانية ناسخة لجميع الروابط التي تُفتت المجتمع الكبير، بل تُلغى التكتلات والتجمعات التي تقوم على أسس عنصرية أو طبقية أو قبلية أو حتى مناطقية؛ لأنَّ من معاني الأخوة الإيمانية (أن تذوب عصبية الجاهلية، فلا حمية إلا للإسلام، وأن تسقط فوارق النسب واللون والوطن فلا يتأخر أحد أو يتقدم إلا بمروءته وتقواه، وقد جعل النبي ﷺ هذه الإخوة عقداً نافذاً لا لفظاً فارغاً، وعملاً يرتبط بالدماء والأموال لا تحية تقولها الألسنة ولا يكون لها أثر) (٢)، ولم يكن الأمر وعضاً عاماً إنَّما كانت خطوة عملية حيَّة.

ونظراً لأهمية عقد الأخوة الإيمانية الذي ينتظم فيه أفراد المجتمع بمختلف أطيافه ومكوناته ومشاربه؛ فقد عمَّد النبي ﷺ وهو يضع اللبنات الأولى للمجتمع الإسلامي الأول في مدينة يثرب إلى المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، فانصهرت أمامها كل الروابط، وتجددت بها وحدة المجتمع الإسلامي القوي المتماسك الذي استطاع

(١) أصول النظام الاجتماعي في الإسلام: محمد طاهر بن عاشور: ص ١٢٠ (بتصرف).

(٢) فقه السيرة: محمد الغزالي: ص ١٩٠.

أن ينهض في مختلف المجالات، ويصدر الخير والمعروف والعدل إلى أرجاء المعمورة، (لقد كان إخاء أولئك الرجال أساساً لإخاء عالمي، ومقدمة نهضة أمة ذات رسالة تنطلق لصياغة عالم جديد، قائم على عقائد صحيحة معينة وأهداف صالحة منقذة للعالم... والعمل المشترك)^(١).

والأخوة الإيمانية يترتب عليها حقوق وواجبات، وكلها تحفظ للمجتمع أمنه ووحدته، وفي الأخوة الإيمانية تذوب "الأنا"، وتُقدم المصلحة العامة على الخاصة، ويسود الأمن والاستقرار، فيأمن الناس على أنفسهم وأعراضهم وأموالهم، وهذه التنازلات التي يُقدمها الفرد في رحاب الأخوة في الله ﷻ هي اختيارية وليست إجبارية؛ لأنها نابعة من مُعتقد وإيمانه بالله ﷻ، وهو بهذا يبتغي رضوان الله ﷻ وثوابه، وأيضاً بهذه التنازلات تضيق الأطماع البشرية الأحادية، ويزداد تعاضد المجتمع وتماسكه، وهذه من ثمار الأخوة في الله ﷻ، (وبناء أخوة الإيمان على الاختيار يكسبها أيضاً مزيداً من الاتفاق؛ لأن طيبات الدنيا لا تتسع لمطامع البشر، فإذا لم يروض الدين شهواتهم بعدله في الدنيا وتوجيههم إلى نعيم الآخرة حصل النزاع)^(٢).

ثانياً: عصمة الدماء والأموال:

قبل بعثة النبي ﷺ حين كانت الأفكار منحرفة، كان الناس في غاية من الفوضى، فالدماء غير معصومة، والأموال غير محترمة، والأرحام مقطوعة، وغير ذلك من الأحوال المجتمعية السيئة، ويتضح ذلك من حديث جعفر بن أبي طالب للنجاشي، الذي جاء فيه: (أَيُّهَا الْمَلِكُ، كُنَّا قَوْمًا أَهْلَ جَاهِلِيَّةٍ نَعْبُدُ الْأَصْنَامَ، وَنَأْكُلُ الْمَيْتَةَ وَنَأْتِي الْفَوَاحِشَ، وَنَقْطَعُ الْأَرْحَامَ، وَنُسِيءُ الْجَوَارِ يَأْكُلُ الْقَوِيُّ مِنَّا الضَّعِيفَ، فَكُنَّا عَلَى ذَلِكَ حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْنَا رَسُولًا مِنَّا نَعْرِفُ نَسَبَهُ، وَصِدْقَهُ، وَأَمَانَتَهُ، وَعَقَافَتَهُ، فَدَعَانَا إِلَى اللَّهِ لِنُوحِدَهُ، وَنَعْبُدَهُ، وَنَخْلَعَ مَا كُنَّا نَعْبُدُ نَحْنُ وَأَبَاؤُنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ الْحِجَارَةِ وَاللَّوْثَانِ، وَأَمَرَنَا بِصِدْقِ الْحَدِيثِ، وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ، وَصِلَةِ الرَّحِمِ، وَحُسْنِ الْجَوَارِ، وَالْكَفِّ عَنِ الْمَحَارِمِ، وَالِدِّمَاءِ، وَنَهَانَا عَنِ الْفَوَاحِشِ، وَقَوْلِ الزُّورِ، وَأَكْلِ مَالِ الْيَتِيمِ، وَقَذْفِ الْمُحْصَنَةِ، وَأَمَرَنَا أَنْ نَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَأَمَرَنَا بِالصَّلَاةِ،

(١) السيرة النبوية: أبو الحسن الندوي: ص ٢٨٢.

(٢) الإيمان وأثره في حياة الإنسان: حسن الترايبي: ص ١١٤.

وَالزُّكَاةَ، وَالصِّيَامَ. قَالَ: فَعَدَدَ عَلَيْهِ أُمُورَ الْإِسْلَامِ، فَصَدَّقْنَاهُ وَأَمَّنَّا بِهِ وَأَتَّبَعْنَاهُ عَلَى مَا جَاءَ بِهِ، فَعَبَدْنَا اللَّهَ وَحْدَهُ، فَلَمْ نُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا، وَحَرَّمْنَا مَا حَرَّمَ عَلَيْنَا، وَأَحَلَّلْنَا مَا أَحَلَّ لَنَا^(١).

يدل هذا الحديث وغيره على التغيير الكبير الذي طرأ على المجتمع حين بعث النبي ﷺ وجاء بالتوجيهات النبوية الكريمة، وتوجيهاته ﷺ في هذا الشأن كثيرة جداً، منها ما هو عام، ومنها ما هو خاص، ومن العام على سبيل المثال: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده»^(٢). وقوله: «المسلم أخو المسلم»^(٣). ومن الخاص قوله ﷺ: «كل المسلم على المسلم حرام، دمه، وماله، وعرضه»^(٤). وقوله: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه»^(٥). وقوله: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذي جاره»^(٦). وقوله: «حق المسلم على المسلم خمس: رد السلام، وعبادة المريض، وأتباع الجنائز، وإجابة الدعوة، وتشميت العطاس»^(٧). وغير ذلك من التوجيهات النبوية الكريمة غايتها تحقيق الأمن والسلام المجتمعي.

ومعلوم في تاريخ الأمة الإسلامية أنه ظهرت فرق ضالة انحرفت فكراً حينما أعرضت عن تلك التوجيهات النبوية الكريمة، سفكت الدماء، وأفسدت الأموال، وأخافت البلاد والعباد، ومن تلكم الفرق فرقة الخوارج الذين قال عنهم النبي ﷺ: «إن بعدي من أمتي - أو سيكون بعدي من أمتي - قوم يقرءون القرآن، لا يجاوز

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده: ١٧٢/٣٧، وحسنه شعيب الأرنؤوط.

(٢) صحيح البخاري: ١١/١، رقم (١٠)، وصحيح مسلم: ٦٥/١، رقم (٤١).

(٣) صحيح البخاري: ١٢٨/٣، رقم (٢٤٤٢)، وصحيح مسلم: ١٩٨٦/٤، رقم (٢٥٦٤).

(٤) صحيح مسلم: ١٩٨٦/٤، رقم (٢٥٦٤).

(٥) صحيح البخاري: ٣٢/٨، رقم (٦١٣٨).

(٦) صحيح البخاري: ٢٦/٧، رقم (٥١٨٥)، وصحيح مسلم: ٦٨/٤١، رقم (٤٧).

(٧) صحيح البخاري: ٧١/٢، رقم (١٢٤٠)، وصحيح مسلم: ١٧٠٤/٤، رقم (٢١٦٢).

حَلَّاقِيْمَهُمْ، يَخْرُجُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَخْرُجُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، ثُمَّ لَا يَعُودُونَ فِيهِ، هُمْ شَرُّ الْخَلْقِ وَالْخَلِيقَةِ»^(١).

ثالثاً: تفعيل مبدأ الولاء والبراء

الولاء والبراء أساس العقيدة الإسلامية وثمرتها، والولاء يأتي بمعنى الدنو والتقرب، والولاية ضد العداوة، فالولاء في الله ﷻ هو محبة الله ﷻ ونصرة دينه، ومحبة أوليائه ونصرتهم، والمؤمنون هم أولياء الرحمن^(٢)، والولاء والبراء في الإسلام من الأمور العقدية التي لا يمكن معرفتها وإدراك كنهها، غير أنه يُدرَك من التصرفات والممارسات في السلوك الظاهر، ومنه يمكن معرفة صحة المعتقد من بطلانه، والولاء والبراء من الأمور الخطيرة والجسيمة في الإسلام، نظراً لتعلقه بعقيدة المسلم، وما يترتب عليه من قبول الأعمال وردّها، ولقد تجسد الولاء والبراء في الإسلام في سلوك النبي ﷺ وتصرفاته، فما كان يغضب إلا إذا انتهكت محارم الله ﷻ، من ذلك غضبه ﷺ من شفاعة أسامة للمرأة المخزومية، قائلاً: «أتشفع في حد من حدود الله؟»، ثم قام فاخطب، فقال: أيها الناس، إنما أهلك الذين قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وإيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها»^(٣).

وقد اقتفى السلف الصالح من الصحابة والتابعين- رضوان الله عليهم أجمعين- أثره ﷺ في فهم الولاء والبراء واعتقاده، وتمثله في سلوكهم، وتطبيقه في مواقفهم، فهذا أبو بكر الصديق يقول في أهل الردة: «والله لأقاتلن من فرّق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال، والله لو منعوني عناقاً كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعها»^(٤)، وعمر بن الخطاب يضرب الرجل الذي أتى

(١) صحيح مسلم: ٧٥٠/٢، رقم (١٠٦٧).

(٢) انظر: الإيمان أركانه حقيقته نواقضه: نعيم ياسين: ص ١٨٧- ١٨٨، وشرح أصول العقيدة الإسلامية: نسيم شحدة ياسين: ص ٢٧٨.

(٣) صحيح البخاري: ١٧٥/٤، رقم (٣٤٧٥)، وصحيح مسلم: ١٣١٥/٣، رقم (١٦٨٨).

(٤) صحيح البخاري: ١٠٥/٢، رقم (١٤٠٠).

المدينة يتحدث في الصفات والمتشابه من القرآن بعراجين النخل حتى أدماه^(١)، والإمام أحمد بن حنبل صبر على السجن والتعذيب في سبيل نصره الحق في محنة خلق القرآن^(٢).

إن الانحرافات الفكرية التي غزت الأمة الإسلامية قروناً طويلة انحرفت بولاء بعض المسلمين الذين وقعوا في شراكها عن مساره الصحيح، فظهرت ولاءات متعددة ومتباينة على امتداد التاريخ الإسلامي حتى عصرنا الراهن، وشاهد ذلك ما يتعرض له المسلمون في أقطار كثيرة من تعدد وصل حد الإقصاء والتهميش والتنكيل، وما تتعرض له حُرُمات الإسلام ومُقدساته من اعتداءات متواصلة على أيدي الأعداء.

رابعاً: ترسيخ دعائم الأخلاق الفاضلة في المجتمع:

تنبثق أخلاق المسلم من عقيدته الصادقة الصحيحة النقية، وبدون العقيدة تنعدم الأخلاق، وما وُجد لا يعدو عن كونه أعرافاً وتقاليداً، والأخلاق في الإسلام بحسب تصنيف بعض الباحثين والدأرسين على خمسة أقسام^(٣)، هي:

الأول: الأخلاق الفردية: كالصبر، والعفة، وضبط النفس.

الثاني: الأخلاق الأسرية: كبر الوالدين، والإحسان للزوجة، وصلة الأرحام.

الثالث: الأخلاق الاجتماعية: كإفشاء السلام، وعبادة المريض، والوفاء بالعهد، والجد في العمل، والإصلاح بين المتخاصمين، وإماطة الأذى عن الطريق.

الرابع: الأخلاق المتصلة بحق الله ﷻ: كالصدق مع الله ﷻ، والقيام بحقوقه، وشكره على نعمه، ومناصرة دينه، وحسن التوكل عليه.

الخامس: أخلاق الدولة: كالرفق بالرعية، والعمل بالشورى، وحماية النفوس والأعراض والأموال، وتحريّ المصالح العامة، والوفاء بالمعاهدات.

(١) هو صبيغ بن عسل، قدم المدينة من العراق، فجعل يسأل عن متشابه القرآن، فبلغ ذلك عمر ﷺ فضربه بعراجين النخل حتى قال: حسبك يا أمير المؤمنين، فقد والله ذهب الذي كنت أجد في رأسي. انظر: الشريعة: أبو بكر محمد الأجرى: ٤٨٣/١.

(٢) مناقب الإمام أحمد: أبو الفرج عبد الرحمن الجوزي: ص ٤١٦ - ٤٢٣.

(٣) انظر: دستور الأخلاق في القرآن: محمد عبد الله دراز: ص ٨١٦.

وهناك أخلاق سامقة دعا إليها الإسلام وأثنى على المتصفيين بها، نظراً لما يتعلق بها من منافع للفرد والمجتمع والأمة، والتي من أبرزها:

الخلق الأول: الصدق:

صاحب العقيدة الإسلامية الصحيحة النقية صادق في أقواله كما هو صادق في أفعاله، والصدق على ضربين، الأول: يتعلق بالظاهر، ومن ذلك: الصدق في المعاملة، والعمل، والحديث، والوعد، ورد الأمانة، وللعلاقة الوثيقة بين الإيمان والصدق؛ فإن انتفاء الصدق يعني انتفاء الإيمان، ويسقط الفرد من مرتبة الإيمان إلى مستنقع النفاق، قال النبي ﷺ: «آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان»^(١)، والثاني: يتعلق بالباطن، وينعكس أثره في سلوك الفرد مع من حوله من أبناء مجتمعه، وهو صدق الحال والسريرة مع الناس، قال النبي ﷺ: «تجد من شر الناس يوم القيامة عند الله ذا الوجهين، الذي يأتي هؤلاء بوجه، وهؤلاء بوجه»^(٢).

الخلق الثاني: الحياء:

يُعرفه الجرجاني بأنه: (انقباض النفس من شيء، وهو نوعان: نفساني خلقه الله ﷻ في عامة الناس، كالحياء من كشف العورة، وإيماني يمنع المؤمن من فعل المعاصي خوفاً من الله ﷻ)^(٣).

والحياء ثمرة يانعة من ثمار الإيمان بالله ﷻ واليوم الآخر، فمن عرف الله ﷻ وآمن به استحى منه، وبهذا يظهر التلازم القوي بين الإيمان والحياء، قال ﷻ: «الحياء شعبة من الإيمان»^(٤)، وللحياء أثره في ترسيخ دعائم الأمن المجتمعي، وتوليد الثقة بين جميع مكونات المجتمع المسلم على اختلاف مشاربه، وهذا يؤدي بدوره إلى تعاقد المجتمع وتماسكه.

(١) صحيح البخاري: ١٦/١، رقم (٣٣)، وصحيح مسلم: ٧٨/١، رقم (٥٩).

(٢) صحيح البخاري: ١٨/٨، رقم (٦٠٥٨)، وصحيح مسلم: ١٩٥٨/٤، رقم (٢٥٢٦).

(٣) التعريفات: علي بن محمد الجرجاني: ص ٩٤.

(٤) صحيح مسلم: ٦٣/١، رقم (٣٥).

الخلق الثالث: التسامح:

التسامح خلق ينبثق عن الإيمان بالله ﷻ والإيمان باليوم الآخر، والإيمان بالقضاء والقدر خيره وشره، فهو ثمرة طيبة لهذا الإيمان، وينعكس خيره على المحيط الاجتماعي للفرد، وقد اتسم النبي ﷺ بالتسامح، وبهذا الخلق اجتمع الناس حوله، بل كان مصدر جذب لهم، وذلك لما رأوه فيه ﷺ من اللين والسهولة في تعامله وتعاونه، وهو ﷺ بهذا الخلق بدأ تكوين المجتمع المسلم الأول حتى أقام أركانه وأتم بنيانه، بل لخص ﷺ دين الإسلام بهذا الخلق، فقال: «أحب الدين إلى الله الحنفية السمحة»^(١). وحث ﷺ على تفعيل خلق التسامح حتى في سائر المعاملات المالية من بيع وشراء وغيرها، وذلك لما له من أثر في تقارب النفوس، وخلق بيئة خصبة للمودة والألفة، ولم يشمل المجتمع الواحد، وتحقيق السهولة واليسر فيما يأخذ الإنسان ويذر، فقال ﷺ: «رحم الله رجلاً سمحاً إذا باع وإذا اشترى وإذا اقتضى»^(٢)، كما أن التسامح يؤلِّد الثقة والأمان، ويمنح صاحبه الرضا والسعادة.

خامساً: تفعيل مبدأ الحوار والمناظرة عند الاختلاف:

الحوار في الاصطلاح: هو تبادل وجهات النظر بين طرفين أو أكثر، في جو هادئ، لإحقاق قول وتخطئة غيره، وقد يصلان إلى نتيجة، وقد لا يُقنع أحدهما الآخر، دون تسفيه رأي المخالف^(٣). ويُقسَّم العلماء الحوار والمناظرة قسمين^(٤):

الأول: الحوار المقبول: وهو الذي يوصل إلى الحق بأسلوب صحيح مناسب، وهو واجب من الناحية الشرعية إذا اقتضت الحاجة إليه. **والثاني: الحوار المرفوض:** وهو الذي لا يوصل إلى الحق، وقد تصاحبه المغالطة أو الانفعال، ويؤدِّي إلى الكراهية

(١) صحيح البخاري: ١٦/١، أورده البخاري في كتاب الإيمان، باب الدين يُسرِّ بدون رقم.

(٢) صحيح البخاري: ٥٧/٣، رقم (٢٠٧٦).

(٣) أصول التربية الإسلامية في البيت والمدرسة والمجتمع: عبد الرحمن النحلاوي: ص ١٦٧.

(٤) المدخل إلى علم الدعوة: محمد أبو الفتح البيانوني: ص ٢٦٤.

والضعيفة، وهذا القسم من الحوار حرام منهيٌّ عنه، لنتائجه السلبية والضارة، وفيه ورد قول النبي ﷺ: «إنَّ أبغضَ الرجالِ إلى اللهِ، الألدَّ الخَصِم»^(١).

ومن المعلوم أنَّ المجتمع المسلم يحتضن العديد من المكونات الاجتماعية بما في ذلك غير المسلمين، وهذا الاختلاف يُولِّد الكثير من الأفكار والسلوكيات المختلفة التي قد تتصادم في بعض الأحيان، ولأجل هذا أتى الحوار كمبدأ قرآني ونبوي، شرع للإقناع بالحجة والبرهان، وإظهار الحق، ودحض الباطل، وخصوصاً فيما يتعلق بمسائل الاعتقاد؛ لأنَّها من أقوى المسائل التي تحافظ على وحدة المجتمع وكيان الأمة الإسلامية، وللحوار والمناظرة والمجادلة أسس وقواعد يجب فهمها وتطبيقها.

سادساً: توطيد الأواصر الاجتماعية وتقويتها:

التوجيهات النبوية تُعزز دور الروابط الاجتماعية الموجودة وتقويها، كأواصر النسب والرحم والجوار والقبيلة وغيرها، وتُعدُّ الروابط الاجتماعية التي تُركز عليها التوجيهات النبوية وتُغذيها من أهم أسس قيام المجتمع الإسلامي، والإيمان بالله ﷻ هو الرابط الاجتماعي الذي يُعوَّل عليه في بناء المجتمع والمحافظة عليه، وأيضاً أوجدت التوجيهات النبوية مقومات عملية أخرى تُعزز هذا الرابط، وتثريه بروابط اجتماعية تزيده قوة ومنعة، فيجتمع عليها الناس ويتعارفون فيها، وتتوسع العلاقات المجتمعية وتتشابك المصالح، بل جعلت هذه المقومات عبودية خالصة لله ﷻ، يؤديونها بصورة جماعية، ومن أبرزها: صلاة الجماعة، والجمعة، والعيد، وصلاة الجنائز، وأيضاً شرع الإسلام واجبات اجتماعية خاصة تُقوي الأواصر الاجتماعية، منها على سبيل المثال: برُّ الوالدين وطاعتهم، وصلة الأرحام والإحسان إليهم، والإحسان إلى الجيران وتجنب إيذائهم، وإفشاء السلام، وتوقير الكبار والعطف على الصغار، وأسباب أخرى تقوي التآلف الاجتماعي، كما جاء في الحديث أنَّ أبا هريرة، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «حقُّ المسلم على المسلم خمس: رد السلام، وعبادة المريض، وأتباع الجنائز، وإجابة الدعوة، وتشميت العاطس»^(٢).

(١) صحيح البخاري: ١٣١/٣، رقم (٢٤٥٧)، وصحيح مسلم: ٢٠٥٤/٤، رقم (٢٦٦٨).

(٢) صحيح البخاري: ٧١/٢، رقم (١٢٤٠)، وصحيح مسلم: ١٧٠٤/٤، رقم (٢١٦٢).

الخاتمة

لكل شيءٍ مبتداه ومنتهاه، وسنتوج خاتمة هذا البحث بالنتائج، والتوصيات

الآتية:

أولاً: النتائج:

- إن التوجيهات النبوية ذات أهمية بالغة، ومكانة عظيمة، سواءً كانت قولية أو فعلية أو تقريرية، فهي وحيٌّ من الله ﷻ إلى رسوله الكريم ﷺ.
- يُعد الأمن الفكري أحد مكونات الأمن بصفة عامة؛ وينطلق من القيم والأخلاق المنبثقة عن الإيمان والعقيدة، ويحقق للأمة أهم خصائصها، وهو سلامة المنهج، والوسطية، ونبذ التطرف، وهو المدخل الحقيقي للإبداع والتطور والنمو الحضاري للفرد والمجتمع، كما أنه يمنح الفرد والمجتمع الحصانة من الأفكار الوافدة المنحرفة، ويمنع الجريمة، ويحافظ على السلم الاجتماعي.
- إن من أهم خصائص الأمن الفكري: أن يكون منبثقاً من دين الإسلام، والعقيدة الصحيحة، والمنهج الوسطي، وأن يحقق للأمة وحدتها وتلاحمها، وأن يحافظ على ثقافة الأمة وأصالتها وقيمها، وطريقاً للتخلص من الفوضى الفكرية والاجتماعية، والسمو بالفرد والمجتمع إلى النقاء والظهر والعفة والتسامح.
- جاءت التوجيهات النبوية الكريمة بكثير من التدابير الوقائية من الانحراف الفكري، ومن أبرز ذلك: العناية بغرس العقيدة الصحيحة، والاعتصام بالكتاب والسنة، والتَّحَصُّن بالدعاء، والتحذير من دعاة الفتنة، والتحصن بالعمل الصالح.
- حرص النبي ﷺ على أمته فيما ينفعهم في دينهم ودنياهم، وحذرهم مما يضرهم، فحرم ﷺ جميع الانحرافات الفكرية والعقدية، وجوَّز ﷺ الاستشفاء بالقرآن، وأمر بالالتزام على الصراط المستقيم، وحذر من سوء العاقبة.
- للتوجيهات النبوية أثرها في الأمن الفكري والسلام المجتمعي، ومن ذلك: الأخوة في العقيدة، وعصمة الدماء والأموال، وتفعيل مبدأ الولاء والبراء،

وترسيخ دعائم الأخلاق الفاضلة في المجتمع كالصدق، والحياء، والتسامح،
وتفعيل مبدأ الحوار والمناظرة عند الاختلاف، وتوطيد الأواصر الاجتماعية
وتقويتها.

ثانياً: التوصيات:

يُوصي البحث بالآتي:

- إثراء موضوع الأمن الفكري من خلال نصوص الكتاب والسنة بالعديد من الدراسات والأبحاث، التي تربط الأمن الفكري بالنصوص الشرعية التي مصدرها الوحي.
- إضافة موضوع الأمن الفكري كمادة أساسية ضمن المناهج التعليمية في مختلف المراحل التعليمية، لتربية النشء على الأمن الفكري المنبثق من العقيدة الإسلامية الصحيحة.
- استغلال وسائل الإعلام المختلفة بالعديد من الموضوعات والفعاليات ذات الصلة بالأمن الفكري المنبثق من النصوص الشرعية، والعقيدة الإسلامية الصحيحة.
- الوقوف ضد من يشوه ديننا الإسلامي سواءً كان هذا التشويه قولاً أو فعلاً، وسواءً كان مصدره فرداً أو جماعات، وبيان أن الإسلام بريء من أي تصرفات تكون مصدراً للقلق والخوف للمسلم أو للإنسانية قاطبة.

المصادر والمراجع

١. إحياء علوم الدين: أبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي، تحقيق: إصلاح عبد السلام الرفاعي (وآخرين)، مؤسسة الأهرام، القاهرة: ط(١) ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
٢. أصول التربية الإسلامية في البيت والمدرسة والمجتمع: عبد الرحمن النحلاوي: دار الفكر، دمشق: ط(٢٥) ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.
٣. أصول النظام الاجتماعي في الإسلام: ابن عاشور محمد الطاهر: المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر: ط(٢) دت، والشركة التونسية للتوزيع، تونس: ط(٢) ١٩٨٥م.
٤. الأمن الفكري، المفهوم - التطورات - الإشكالات: كرسي الأمير نايف للدراسات: المؤتمر الوطني الأول ١٤٣٠هـ.
٥. أهمية الأمن الفكري: محمد الواصل: <https://units.imamu.edu.sa/shis/malaz-inst/EduArticles/Pages/26-5-1439-m.aspx>
٦. الإيمان حقيقته، خوارمه، نواقضه عند أهل السنة والجماعة: عبد الله بن عبد الحميد الأثري: مدار الوطن للنشر، الرياض: ط(١) ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
٧. الإيمان أركانه حقيقته نواقضه: نعيم ياسين: جمعية عمال المطابع التعاونية، عمان، الأردن: ط(٣) ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
٨. التعريفات: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان: ط(١) ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
٩. تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: محمد حسين شمس الدين: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون - بيروت: ط(١) ١٤١٩هـ.
١٠. الجزيرة للدراسات: <http://www.aljazeera.net/news/international/2015/4/30>.
١١. دستور الأخلاق في القرآن: محمد عبد الله دراز: مؤسسة الرسالة: ط(١٠) ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.
١٢. السنة قبل التدوين: محمد عجاج الخطيب: دار الفكر، ط(٥) ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.
١٣. السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي: د. مصطفى السباعي: دار الوراق، بدون رقم طبعة.
١٤. سنن أبي داود: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد: المكتبة العصرية، صيدا، بيروت.
١٥. سنن ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط (وآخرين): دار الرسالة العالمية: ط(١) ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

١٦. سنن الترمذي: محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر (وأخرون): شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر: ط(٢) ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م.
١٧. السيرة النبوية: علي أبو الحسن بن عبد الحي بن فخر الدين الندوي: دار ابن كثير، دمشق: ط(١٢) ١٤٢٥ هـ.
١٨. شرح أصول العقيدة الإسلامية: نسيم شحدة ياسين: ط(٣) ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.
١٩. الشريعة: أبو بكر محمد بن الحسين الأجرى، تحقيق: عبد الله الدميجي: دار الوطن، الرياض: ط(٢) ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.
٢٠. صحيح البخاري " الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه": محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر: دار طوق النجاة: ط(١) ١٤٢٢ هـ.
٢١. صحيح مسلم "المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ": مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري: ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي: دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٢٢. صحيح وضعيف سنن ابن ماجة: محمد ناصر الدين الألباني: مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة بالإسكندرية.
٢٣. صحيح وضعيف سنن الترمذي: محمد ناصر الدين الألباني: مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة بالإسكندرية.
٢٤. الطبقات الكبير: محمد بن سعد بن منيع الزهري، تحقيق: علي محمد عمر: مكتبة الخانجي، القاهرة، ط(١) ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.
٢٥. عون المعبود شرح سنن أبي داود: أبو الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي، تحقيق: عبد الرحمن عثمان: المكتبة السلفية، المدينة المنورة: ط(٢) ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م.
٢٦. غاية المريد شرح كتاب التوحيد: عبد الرحمن بن عبد العزيز العقل: مركز النخب العلمية، مطبعة معالم الهدى للنشر والتوزيع: ط(٣) ١٤٣٩ هـ - ٢٠١٧ م.
٢٧. فتح الباري بشرح صحيح البخاري: أحمد بن علي العسقلاني، تحقيق: أبو قتيبة نظر محمد الفارياي: دار طيبة، الرياض: ط(١) (١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م).
٢٨. فقه السيرة: محمد الغزالي السقا: دار القلم، دمشق: ط(١) ١٤٢٧ هـ.
٢٩. لسان العرب: ابن منظور: دار صادر، بيروت: ط(٣) ١٤١٤ هـ.
٣٠. مجمل اللغة: ابن فارس، تحقيق: زهير عبد المحسن سلطان: مؤسسة الرسالة - بيروت: ط(٢) ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.

المؤتمر الدولي العاشر

[دور العلوم العربية والإسلامية في تكريس الأمن الفكري وتحقيق السلام المجتمعي]

٣١. مسند الإمام أحمد بن حنبل: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال الشيباني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط (وآخرين): مؤسسة الرسالة: ط(١) ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.
٣٢. المعجم الوسيط: إبراهيم مصطفى (وآخرون): مجمع اللغة العربية بالقاهرة: دار الدعوة.
٣٣. معجم مقاييس اللغة: أبو الحسين أحمد بن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر: ط ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م.
٣٤. مقومات الأمن الفكري: نورة بنت عبد الله الشهري:
<https://shms.sa/authoring/22268>
٣٥. مفهوم الأمن الفكري وسبل تحقيقه: سعد بن عبد الله البريك: ط(١) ١٤٣٤ هـ / ٢٠١٣ م.
٣٦. مناقب الإمام أحمد: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي: دار هجر: ط(٢) ١٤٠٩ هـ.
٣٧. الموافقات: إبراهيم بن موسى الشاطبي، تحقيق: عبد الله دراز، بيروت، دار المعرفة، ط(١) ٢٠٠٢ م.

سلامة العقيدة الإسلامية

دكتورة/ مها عبد الرحمن أحمد نتو

السعودية

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم، من يهده الله فهو المهتدي، ومن يضلل فلا هادي له.

أما بعد : فإن الإسلام جاء بالخير والرحمة والوسطية والاعتدال الذي يعطي العقل حرية التفكير ولا يحجب عنه الحقيقة، والإسلام بما حواه من هداية إلهية وتشريعات سماوية، يكفل للمجتمع الإنساني عامة وللمجتمع المسلم خاصة . كل عوامل السعادة والأمن والاستقرار.

والمتمأمل في عالمنا المعاصر ليرى - دون عناء- ما يعج به من المخاوف والقتل والجوع، ولقد تعرضت أمتنا الإسلامية عبر القرون . وما زالت . لغارات من أعدائها؛ بقصد تشكيك أبنائها في عقيدتهم ومسح هويتهم وحملهم على الانسلاخ من مبادئهم وقيمهم وزعزعة أمنهم؛ وذلك بما يلقيه أعداء الإسلام اليوم من شبهاة وشهوات، ونحن نعيش اليوم في عصر تدفق للثقافات وتعدد لمنابع التلقي، فنرى اختلاطاً متباينة واتجاهات مختلفة من الأفكار والتصورات، لذا كان لزاماً على المثقف المسلم أن يدرس هذه الأفكار، وأن يصرف عزمه إلى تحصين العقول، والسعي إلى الحصانة الفكرية وجعلها أبواباً موصدة لتحديات الأمن الفكري المعاصر.^(١)

ويؤكد المختصون في دراسة الانحراف الفكري، أن الفكر محور الهدم للمجتمع المسلم، بدفعه إلى التطرف والغلو، بعيداً عن منهج الإسلام؛ لأن العقيدة الإسلامية تربط بين سلامة العقيدة وسلامة الفرد والمجتمع؛ لذلك دعا إلى أسبابه، والعقيدة متى ما استقامت، كان التوفيق من الله والصلاح والاستقامة.

(١) ينظر/ مفهوم الأمن الفكري (دراسة تأصيلية في ضوء الإسلام) لمجاد بن محمد الهديلي (ص ٣٩).

والخلل الواقع في سلوكنا وأعمالنا، إنما هو نتيجة لاختلال العقيدة؛ فالعقيدة أصل، وقوة التوحيد في القلب تكون سببا في توفيق العبد للعمل الصالح، فيستنير قلبه، ويعلم الحق من الباطل، والهدى من الضلال، فالعقيدة هي الأساس والأساس، قَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [الأنعام].

وصدق القائل:

إن العقيدة ند للحياة فإن

ضاعت فكل حياة بعدها عدم

ونظرا لأهمية سلامة العقيدة الإسلامية في تكرس الأمن الفكري والسلام المجتمعي كان موضوع بحثي بعنوان :

(سلامة العقيدة الإسلامية)، والذي من أهدافه :

١. إبراز أهمية العقيدة الإسلامية، وأهدافها النبيلة في تحقيق الأمن الفكري؛ فالأمن والفكر متلازمان.
٢. تأكيد سلامتها، وذلك من خلال منهج تحليلي لنصوص الوحي وأقوال السلف.
٣. تفعيل دور أهل العلم والدعاة إلى الله -تعالى- في مواجهة الانحرافات الفكرية، ولا سيما تيارات الغلو والتكفير.
٤. تحصين أفكار الشباب؛ للتمييز بين الحق والباطل، وإبعادهم عن أسباب الفرقة والاختلاف.
٥. ربطهم بالعقيدة الصافية وترسيخها في قلوبهم.
٦. ربط الناشئة بالعلماء العاملين، والراسخين في العلم، ولا سيما عند وقوع الفتن والنوازل.

♦ أهمية الموضوع وأسباب اختياره :

- (١) حاجة الناس اليوم إلى معرفة مفهوم العقيدة الإسلامية وسلامتها، وبالتالي دورها في حفظ وتحقيق الأمن الفكري والسلام المجتمعي.
- (٢) استجابة لنتائج وتوصيات العديد من الأبحاث والمؤتمرات -ومنها هذا المؤتمر الدولي العاشر المبارك - التي تؤكد على دراسة مثل هذه المواضيع، وبخاصة في ظل التحولات والمتغيرات الهائلة في وقعنا المعاصر.
- (٣) نشر الثقافة الأمنية في ضوء العقيدة الإسلامية الصحيحة .

٤) إن قوة عقيدة المسلم والتزامه بالمنهج الصحيح بعيداً عن التطرف سبيل تحقيق الأمن الفكري والسلام المجتمعي.

• الدراسات السابقة :

إن كثيرا من العلماء وطلاب العلم قديماً وحديثاً قد قاموا بواجبهم في بيان العقيدة الإسلامية، وبيان أهميتها، وبمشاركتي في (المؤتمر الدولي العاشر) في تكريس الأمن الفكري وتحقيق السلام المجتمعي، أحاول المساهمة مع من سبقني بجهد المقل في إضافة سلامة العقيدة الإسلامية ودورها في تكريس الأمن الفكري والسلام المجتمعي، لعل الله أن يكتبني مع المجاهدين في سبيله؛ فإن الذود عن الدين بالقلم واللسان نوع من الجهاد في سبيل الله.

• صعوبات البحث :

كان من أهمها :

١. قلة المصادر والمراجع التي تكلمت عن سلامة العقيدة الإسلامية وعلاقتها بالأمن الفكري.

٢. تشعب مواضيع البحث.

٣. كثرة الأشغال العلمية -والمتعلقة بوظيفتي- التي كلفت بها في الوقت الذي كتب فيه البحث.

وقد تغلبت على تلك الصعوبات بالاستعانة بالله، ثم أصبحت عالة على كتب العقيدة الإسلامية، وعلماء الفرق وكتب ذات العلاقة بالأمن الفكري والسلام المجتمعي.

• تساؤلاته :

- ما معنى العقيدة لغة وشرعا؟
- ما العقيدة الإسلامية؟
- ما أهمية العقيدة الإسلامية؟
- ما هي مزايا العقيدة الإسلامية؟
- كيف سلمت العقيدة الإسلامية من التطرف الفكري؟
- ما هو سلطانها على النفوس؟
- ما هو التأصيل العقدي للأمن الفكري والسلام المجتمعي؟
- ما أبرز الانحرافات الفكرية الناتجة عن الانحراف العقدي؟

- ما هي القواعد في العقيدة الإسلامية التي تساعد على حماية الفكر الإنساني من الانحراف؟

• حدود البحث : نصوص القرآن والسنة، وأقوال لعلماء المتعلقة بعقيدة السلف، واستخراج دلالتها على أهمية سلامة العقيدة الصحيحة في تحقيق الأمن الفكري والسلام المجتمعي.

• منهج البحث :

يعتمد منهج البحث على المنهجين: الاستقرائي والتحليلي، وأما خطواته فقد كانت على النحو الآتي:

١. عزو الآيات القرآنية إلى مواضعها في السور حسب طبعة مصحف المدينة، طباعة جلاله الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود - رحمه الله - ، وذلك بذكر اسم السورة ورقم الآية .

٢. عزو الأحاديث إلى مصادرها من كتب السنة؛ فإن كانت الأحاديث في الصحيحين أو في أحدهما فالعزو إليهما يكفي للدلالة على صحة الحديث، وأما إن كان خارج الصحيحين عزوته إلى مصادره، واستعنت بتحقيقات العلماء في الحكم على الأحاديث التي وجدت لهم أحكاماً عليها .

٣. تخريج الآثار ورد الأقوال إلى أصحابها .

٤. التعريف بالكلمات والمصطلحات التي تحتاج إلى إيضاح .

٥. الترجمة للأعلام غير المشهورين، وكذلك الحال بالنسبة للفرق والأماكن. وحاولت - قدر المستطاع - التوسط في كتابة موضوعات البحث فلا إفراط ولا تفريط؛ وذلك حتى لا أهضم الموضوع حقه .

• خطة البحث :

الخطة التي رسمتها وسرت عليها في إعداد هذا البحث مكونة من مقدمة ومبحثين، تفصيل كل ذلك فيما يأتي :

- المقدمة : وقد اشتملت على أسباب اختيار الموضوع وأهميته، والصعوبات التي واجهتني في أثناء كتابته، ومشكلته، وأهدافه، والدراسات السابقة، وحدوده، ومنهجه العلمي، واجراءات البحث فيه، وخطته، ومبحثين هما :

المبحث الأول . تعريف العقيدة لغة وشرعاً، وتفصيل القول في العقيدة الإسلامية، وبيان أهميتها، ومزاياها، وفيه مطالب :

المطلب الأول . تعريف العقيدة لغة وشرعاً .

المطلب الثاني . تفصيل القول في العقيدة الإسلامية، وبيان أهميتها .

المطلب الثالث . أهداف العقيدة الإسلامية .

المطلب الرابع . خصائص العقيدة الإسلامية .

والمبحث الثاني . سلامة العقيدة الإسلامية، وبيان سلطانها على النفوس، وتأصيلها

العقدي للأمن الفكري والسلام المجتمعي، وقواعد فيها لها دور في حماية الفكر من

الانحراف، وفيه المطالب الآتية:

المطلب الأول . سلامة العقيدة الإسلامية .

المطلب الثاني . بيان سلطان العقيدة الإسلامية على النفوس .

المطلب الثالث . التأصيلي العقدي للأمن الفكري والسلام المجتمعي .

المطلب الرابع . قواعد في العقيدة الإسلامية لها دور في حماية الفكر من الانحراف .

- الخاتمة .

- فهرس المصادر والمراجع .

- فهرس الموضوعات .

وبعد، فإنه لا يفوتني في ختام هذه المقدمة أن أتقدم بالشكر الجزيل والعرفان الجميل

إلى القائمين على المؤتمر الدولي العاشر في تكريس الأمن الفكري وتحقيق السلام

المجتمعي بكلية دار العلوم، جامعة المنيا بجمهورية مصر العربية الشقيقة، وفق الله

الساهرين عليه: علماء وعاملين مساهمين في نشر الأمن الفكري وتحقيق السلام

المجتمعي من خلال العقيدة الصحيحة، وجعل جزاء ما قدموه من خدمات جليلة؛

تسهيلاً لطلب العلم وترغيباً في تحصيله .

كما أتوجه بالشكر الجزيل لجامعة أم القرى وفي مقدمتهم معالي مدير

الجامعة سعادة الأستاذ الدكتور / عبد الله بن عمر بافيل على إتاحتها الفرصة لي

للمشاركة بورقة عمل في هذا المؤتمر المبارك، جزاه الله عني خير الجزاء، وأجزل له

الأجر والثوبة، وجعله من عباده الصالحين العاملين .

وختاماً: أسأل الله - تعالى - أن يعز دينه ويعلي كلمته، ويبرم لهذه الأمة أمر

رشدتها، يعز فيه أهل طاعته، ويهدي فيه أهل الفسق، وأن يجمع كلمة المسلمين على

الحق، كما أسأله أن يغفر لي زلتي، ويتجاوز عن خطئي وتقصيري على نفسي

وجميع المسلمين .

وسبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين .
وصلى الله وسلم على عبده ورسوله محمد إمام المتقين، وعلى آله وصحبه، ومن
اهتدى بهديه إلى يوم الدين.

المبحث الأول : تعريف العقيدة لغة وشرعاً، وتفصيل القول في العقيدة الإسلامية، وبيان أهميتها، وأهدافها، وخصائصها، وفيه المطالب التالية :

المطلب الأول . تعريف العقيدة لغة وشرعاً :

تعريف العقيدة لغة : مأخوذة من العقد، والتوثيق، والإحكام، والربط بقوة. وهو نقيض الحل، ويدل على الشدة والثوق، ومنه : عقد الشيء، يعقده عقداً، وانعقد وتعقد، والمعاهد : هي مواضع العقد، والعقدة : القلادة، والعقد : الخيط ينظم فيها الخرز وجمعه عقود، وعقدت الحبل أعقده عقداً وقد انعقد، ومعقد الحبل مثل المجلس، وهو موضع عقدة، يقال له : عقده، وجمعها عُقْدٌ؛ لأنها تمسكه وتوثقه (١)، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَمِنْ شَرِّ اللَّفْتَاتِ فِي الْعُقَدِ ﴾ [الفرق].

والعقد يستعمل في المعاني والأجسام (٢)، فمن استعملاته في المعاني أن يقال : عقد العهد واليمين يعقدهما عقداً، أي أكدهما، ومن قوله تعالى: ﴿ وَلِكُلِّ جَعَلْنَا مَوَالِي مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَنُكُمْ فَأَتَوْهُمْ نَصِيْبَهُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴾ [النساء].

ومنه قول الحطيئة (٣) :

قوم إذا عقدوا عقداً لجارهم
فجعلوا العجاج والكرب مثلين لتأكيد الوفاء بالعهد (١)

شدوا العجاج (٤) وشدوا فوقه الكرب (٥)

(١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٤/٨٦)، ويراجع / لسان العرب لابن منظور (٣/٢٩٦) (عقد).

(٢) ينظر / البحر المحيط لأبي حيان (٣/٤٠٩).

(٣) الحطيئة الشاعر: اسمه جرول - بفتح الجيم وإسكان الراء وفتح الواو - بن أوس بن مالك العبسي

يكنى أبا مليكة. وإنما لقب الحطيئة؛ لقصره، وقيل : شرط ضرورة بين قومه فقيل ما هذا؟ فقال: إنما هي حطأة. وهو من فحول الشعراء وفصحائهم وكان ذا شر وسفه، ونسبه مُدْأَفَع بين القبائل؛ كان ينتمي إلى كل واحدة منها إذا غضب على الأخرى. وهو مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام فأسلم ثم ارتد. ينظر / الواوي بالوفيات لصالح الدين الصفدي (٣/٩٠)، وتهذيب الأسماء واللغات للإمام النووي (٢/٥٥٠).

(٤) العجاج : خيط أو سير يشد في أسفل الدلو، ثم في عروقها أو في إحدى آذانها، فإذا انقطع الحبل أمسك العجاج الدلو أن تقع في البئر. المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده (١/١١٥).

(٥) الكرب : حبل يشد على عراقي الدلو ثم يثنى ثم يثلث والجمع اكرب. ينظر / المصدر السابق (٢/١٧١).

(٦) ديوان الحطيئة (ص٢٥)، وذكره ابن سيده في "المحكم والمحيط الأعظم" (١/١١٥).

كما استعمل العقد في البيع والنكاح وغيره، وهو إبرامهما وإحكامهما ووجوبهما، ومنه اعتقد الأمر، أي صدقَه، واعتقدت أمراً ما : عقدت عليه القلب والضمير، حتى قيل العقيدة : هي ما يدين به الإنسان. ومن استعمالات العقد في الأجسام أن نقول : اعتقد الشيء أي صلب، وعقد العسل اتد، وعقد الحبل أو الخيط إذا شده^(٢) .

ومن هنا فإن العقيدة في اللغة : فعيلة من عقد بمعنى معقودة (أي بمعنى اسم المفعول) فهي تطلق لغة على الأمر الذي يعتقدُه الإنسان ويعقد عليه قلبه وضميره، بحيث لا يقبل الشك فيه لدى معتقده؛ لأنه لما كان العقد في اللغة هو الجمع بين أطراف الشيء، فكأن المعتقد قد جمع أطراف قلبه وعقد ضميره على معتقده، فأحكم وثاقه بالأدلة القاطعة لديه، والبراهين التي قامت على معتقده، حتى يكون لانعقاد القلب عليه أثر ظاهر من الإذعان والخضوع له، فأشبهت العقيدة العهد المشدود والعروة الوثقى؛ لاستقرارها في القلب، ورسوخها في الأعماق^(٣) .

. العقيدة شرعا : هي الإيمان الجازم الذي لا يتطرق إليه شك لدى معتقده، ويجب أن يكون مطابقا للواقع .

والإيمان المقصود -هنا- هو الإيمان بالله - تعالى- وما يجب له من التوحيد والطاعة، وبملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر، وسائر ما ثبت من أمور الغيب والأخبار، والقطعيات، علمية كانت أو عملية^(٤) .

يقول صاب لسان العرب^(٥) : " والعقيدة في الدين : ما يقصد به الاعتقاد دون العمل، كعقيدة وجود الله، وبعثة الرسل -عليهم السلام- ، وجمعها عقائد " .

ويظهر من تعريف العقيدة لغةً وشرعا أنها تدور حول الشيء الصلب والشديد، الذي لا ليونة فيه ولا ميوعة، بل هو شيء راسخ رسوخ الجبال. وعلى هذه العقائد الراسخة ربي رسول الله عليه وسلم^{صلى الله} الرعيل الأول^ﷺ، فكانوا خير قرن وخير رجال عرفتهم البشرية، وبهذه العقيدة المباركة انطلق هؤلاء الصحابة^ﷺ ينشرونها في أرجاء المعمورة؛ ففتح

(١) ينظر/ تفسير الطبري (٢٧/٦).

(٢) تاج العروس للزبيدي (ص٢٠٣) (عقد).

(٣) يراجع / عقيدتنا الإسلامية للدكتور بسام العموش (ص٩) .

(٤) ينظر / العقيدة الصافية للفرقة الناجية، لسيد سعيد السيد عبد الغني (ص٢٠).

(٥) (٤١٣/٣) وهو ابن منظور -رحمه الله- .

الله لهم قلوب العباد قبل البلاد، وجعلهم سبباً في خروج الناس من عبادة الناس إلى عبادة رب الناس .

والجدير بالذكر أن كلمة (العقيدة) لم تذكر في القرآن الكريم ولا في سنة رسول الله ﷺ رغم تتابع علماء المسلمين قديماً وحديثاً على العنونة لمباحث هذا العلم بـ (العقيدة) أو العقائد .

لكن إذ تتبعنا القرآن الكريم، نجد أن مادة كلمة (عقد) موجودة في القرآن الكريم في مواضع عدة، منها :

١. قَالَ تَعَالَى: ﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَدْتُمُ الْأَيْمَانَ ﴾ [المائدة، جزء من الآية : ٨٩].

والمقصود بـ ﴿ عَقَدْتُمُ الْأَيْمَانَ ﴾ - هنا- أن يكون بقصد القلب وعزمه، وذلك بخلاف لغو اليمين التي تجري على اللسان بدون قصد (١). وفسرها الحافظ ابن كثير -رحمه الله- (٢) في "تفسيره" (٣) بقوله : " أي بما صممت عليه منها وقصدتموها " .

٢. قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ﴾ [المائدة، جزء من الآية : ١]، والعقود هي أوثق العهود، والعهود ما كانوا يتعاقدون عليه من الحلف وغيره .

ويلاحظ -هنا- أن أصل كلمة (عقد) بمشتقاتها التي وردت في القرآن العظيم تدل على اللزوم والتأكد والاستيثاق، والإحكام، والرسوخ، وهذا هو المعنى العام لكلمة (العقيدة).

المطلب الثاني : تعريف العقيدة الإسلامية وأهميتها :

- العقيدة في الإسلام تقابل الشريعة؛ إذ الإسلام عقيدة وشريعة، والشريعة تعني التكاليف العملية التي جاء بها الإسلام في العبادات والمعاملات؛ قال شيخ الإسلام ابن

(١) يراجع / روضة الطالبين للإمام النووي (١٧٠/٨).

(٢) هو إسماعيل بن عمر بن ضوء بن درع بن كثير القيسي، البصري، الدمشقي، القرشي الشافعي، أبو الفداء عماد الدين، الإمام الحافظ، المحدث، المؤرخ، ونشأ وتوفي بدمشق في شعبان عام ٧٧٤هـ، ودفن بمقبرة الصوفية عند شيخه ابن تيمية - رحمهما الله - . من تصانيفه : " تفسير القرآن العظيم- ط "، والبدية والنهاية- ط . ينظر / الدرر الكامنة (١/٣٧٤)، وشذرات الذهب لابن العماد (٦/٦٣١).

(٣) (٩٠/٢).

تيمية -رحمه الله- : " والشريعة إنما هي كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم؛ وما كان عليه سلف الأمة في العقائد والأحوال والعبادات والأعمال؛ والسياسات والأحكام؛ والولايات والعطيات" (١).

والعقيدة الإسلامية هي العقيدة التي بعث الله بها الرسل، وبلغوها إلى الناس في أي مكان وزمان، وهي التي ارتضاها الله -تعالى- لخلقه جميعا.

وهي عقيدة واحدة لا تتعدد ولا تتجزأ؛ لأنها منزلة من لدن عليم خبير، ولو تعددت الرسل واختلف زمانهم ومكانهم إلا أن العقيدة واحدة لا تتغير ولا تتعدد؛ ذلك لأن منزلها ومُرْتَضِيها هو الواحد الأحد الذي لا يتغير ولا يتبدل جل جلاله .

وهذه العقيدة توجد في الإسلام في أصله : الكتاب والسنة ندية طرية صافية، تُقْنَع العقل بالحجة والبرهان، وتملأ القلب إيماناً و يقيناً و حياة (٢).

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدَى إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ ﴿٥١﴾ [الشورى].

هي تلك العقيدة للرعيّل الأول من هذه الأمة التي كانت صافية صفاء ماء البحيرة حال سكون الرياح، القوية قوة الجبال الرواسي، التي غير الله بأصحاب تلك العقيدة مسار التاريخ الإنساني، فلزم منا العودة بالعقيدة إلى منابعها التي نهلوا منها.

ودعوى الرجوع إلى الكتاب والسنة يدعيها أقوام كثيرون بألسنتهم وخطبهم ومقالاتهم، ولكنهم يخالفون في مجال الاحتجاج والاستدلال، وفي مجال العمل والافتداء، نراهم يقدمون آراء الرجال على النصوص القرآنية والحديثية، ويهتدون بغير هذي الإسلام في السلوك والمعاملة.

ومسائل العقيدة الإسلامية توقيفية، لا تؤخذ من آراء البشر؛ لورد أكثرها في القرآن بكلمة قل التلقينية (٣).

وتتضح أهمية العقيدة الإسلامية في النقاط التالية :

١- كونها تمد المرء بكل ما يحتاجه في حياته .

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٢٩٠/١٩).

(٢) العقيدة في الله للدكتور عمر الأشقر(ص٦٠) .

(٣) عقيدة التوحيد في القرآن الكريم للدكتور محمد أحمد ملكاوي (ص٢٣).

٢- تردُّ على كل تساؤلاته .
٣- تشفي جميع ما في صدره، فهي للإنسان ضرورية ضرورة الماء والهواء؛ فإنسان بدون هذه العقيدة لا قيمة ولا وزن له، فهو في حيرة وتخبُّط لا يدري من أين؟ ولا إلى أين؟

فحالته كحال ذلك الشاعر البائس^(١) الذي لا يدري شيئاً :
جئت، لا أعلم من أين، ولكني أتيت ولقد أبصرت قدامي طريقاً فمشيت
وسأبقى سائراً إن شئت هذا أم أبيت كيف جئت؟ كيف أبصرت طريقي؟
لست أدري.

ولا يعلم وظيفته الحقيقية ولا مهمته الأساسية التي من أجلها خلُق، ولا يعلم شيئاً عن مصيره الحتمي الذي ينتظره.
"لست أدري" تلك هي الإجابة عن التساؤلات الخالدة، وليس هي قول شاعر فحسب، فسقراط^(٢) الفيلسوف الذي يُعد من عمالقة الفلاسفة^(٣) يقول بصريح العبارة :
"الشيء الذي لا أزال أجهله جيداً أنني لست أدري"^(٤)، بل إن " اللادراية" مذهب فلسفي قديم .

(١) هو إيلياء أبو ماضي من قصيد طويلة بعنوان "الطلاسم" من ديوانه (الجداول) (ص١٠٦).

(٢) كان سقراط من تلاميذ فيثاغورس، اقتصر من الفلسفة على العلوم الإلهية، وهو أستاذ أفلاطون . من مصنفاته: " التوجه للرب، بدعوات الكرب"، كان يزعم أن أصول الأشياء ثلاثة: علة فاعلة، والعنصر، والصورة. قال: والله -تعالى- هو الفعال، والعنصر هو الموضوع الأول للكون والفساد، والصورة جوهر للجسم. ينظر / عيون الأنبياء في لابن أبي صبيبة (٥٩/١)، وكشف الظنون لحاجي خليفة (٩٥٨٥/١)، وإغاثة اللهفان لابن القيم (ص٩٩) .

(٣) هم من ينتسبون إلى الفلسفة، والفلسفة كلمة يونانية مركبة من كلمتين "فيلا" أي محب، و"سوفيا" أي لحكمة، فمعناها محب الحكمة، ومن آراء معظمهم : القول بقدم العالم، إنكار النبوات، إنكار البعث الجسماني .

أما موضوع الفلسفة فهو موضع خلاف، فمن قائل : إن دائرة الفلسفة تتسع فتشمل كل علم أو فرع من فروع العلم، إلى قائل : بأنها تختص فقط بالبحث فيما وراء الطبيعة أو ما يتصل به كالمنتطق. ينظر / الملل والنحل (٧٩٢/٢)، ومبادئ الفلسفة .أ.س. رايبويوت (ص١٦).

(٤) الدين لدراز (ص٩٦) .

والإسلام جاء ليصبح الإنسان يدري من أين جاء، وإلى أين المصير، يدري لما هو موجود، وما دوره في هذا الوجود حقا وصدقاً^(١)، وبالتالي، فإنه لا حياة ولا فلاح في الدين والدنيا إلا بهذه العقيدة الصحيحة السليمة .

❖ العقيدة والإيمان :

مما تقدم يتبين -لنا- أن العقيدة هي اعتقاد في القلب يرسخ فيه، والعقيدة بهذا المعنى تمثل قاعدة الإيمان وأصله؛ إذ لا بد من هذا المعتقد أن يُترجم إلى واقع ملموس، مطبق في القول والعمل والسلوك والمظهر والقيم والمبادئ، وذلك على الجوارح، وهذا هو المقصود بالإيمان الذي قاعدته وأصله العقيدة، ثم تترجم هذه العقيدة من طريق الإيمان إلى ذلك القول والعمل، وإلا فإن العقيدة التي تسكن في القلب ولا يكون لها وجود في الظاهر على جوارح صاحبها، فهي عقيدة ناقصة، خاوية لا تقوم لها قائمة، بل لا تستحق أن يطلق عليها اسم عقيدة^(٢) .

المطلب الثالث. أهداف العقيدة الإسلامية :

للعقيدة الإسلامية أهداف نبيلة مترتبة على التمسك بها، وهي كثيرة متنوعة، من أهمها :

- ١- إخلاص النية لله، والعبادة له وحده -تعالى- ؛ فالله هو الخالق لا شريك له، فوجب أن يكون القصد في أداء العبادات كلها ظاهرة وباطنة له وحده.
- ٢- تحرير العقل والفكر من التخبط الفوضوي ؛ وهذا ينشئ عن خلو القلب من هذه العقيدة؛ لأن من خلا قلبه منها فهو إما فارغ القلب من كل عقيدة وعابد للمادة الحسية فقط، وإما متخبط في ضلالات العقائد والخرافات .
- ٣- الراحة النفسية والأمن الفكري: فلا قلق في النفس ولا اضطراب في الفكر؛ لأن هذه العقيدة تصل المؤمن بخالقه، فيرضى به رباً مدبراً وحاكماً مشرعاً، فيطمئن قلبه بقدره، وينشرح صدره للإسلام، فلا يبغى عنه بديلاً.
- ٤- سلامة القصد والعمل من الانحراف في عبادة الله أو معاملة المخلوقين؛ لأن من أسسها الإيمان بالرسول، المتضمن لاتباع طريقتهم ذات السلامة في القصد والعمل .

(١) ينظر / العقيدة في الله للأشقر (ص١٨).

(٢) العقيدة الصافية لسيد عبد الغني (ص٢٣).

- ٥- الحزم والجد في الأمور: بحيث لا يفتقر فرصة للعمل الصالح إلا قد استغلها فيه رجاء للثواب، ولا يرى موقع إثم إلا ابتعد عنه؛ خوفاً من العقاب؛ فمن أسهها الإيمان بالبعث والجزاء على الأعمال، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ (١٣٢) [الأنعام].
- ٦- تكوين أمة قوية تبدل كل غالٍ ورخيص في تثبيت دينها، وتوطيد دعائمه غير مبالية بما يصيبها في سبيل ذلك، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ (١٥) [الحجرات].
- ٧- الوصول إلى سعادة الدارين بإصلاح الأفراد والجماعات، قَالَ تَعَالَى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١٧) [النحل].

المطلب الرابع. خصائص العقيدة الإسلامية :

لقد تميزت العقيدة الإسلامية بخصائص وسمات تميزها عن جميع القوانين البشرية، وهي كثيرة، أهمها :

١- سلامة المصدر؛ وذلك باعتمادها على الكتاب والسنة وإجماع السلف، وأقوالهم فحسب.

٢- قيامها على التسليم لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم؛ لأنها غيب والغيب يعتمد على التسليم والتصديق المطلق لله

تعالى - ولرسوله صلى الله عليه وسلم، فالتسليم بالغيب من صفات المؤمنين التي مدحهم الله بها، قَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبَسُوا الْحُلُمَ﴾ (١) ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلٰوةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ [البقرة]، والغيب لا تدركه العقول ولا تحيط به.

٣- اتصال سندها بالرسول صلى الله عليه وسلم، والصحابه رضي الله عنهم، والتابعين، وأئمة الهدى قولاً وعملاً وعلماً واعتقاداً. (١)

٤- الوضوح والبيان؛ فهي خالية من التعارض والتناقض والغموض، والفلسفة والتعقيد في ألفاظها ومعانيها؛ لأنها مستمدة من كلام الله المبين، الذي لا يأتيه

(١) ينظر / مباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة لناصر عبد الكريم العقل (ص ٢٩ - ٣٠).

الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ومن كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي لا ينطق عن الهوى، بينما المعتقدات الأخرى هي من تخليط البشر أو تأويلهم وتحريفهم، وشتان بين المشريين، لاسيما وأن العقيدة توقيفية غيبية لا مجال للاجتهاد فيها كما هو معلوم. (١)

5- سلامتها من الاضطراب والتناقض واللبس؛ وذلك لاعتمادها على الوحي، وقوة صلة أتباعها بالله، وتحقيق العبودية له وحده، والتوكل عليه وحده، وقوة يقينهم بما معهم من الحق، وسلامتهم من الحيرة في الدين، ومن القلق والشك والشبهات. (٢)

6- أنها سبب الظهور والنصر والتمكن لمن قام بها ودعا إليها بصدق وعزم وصبر؛ فالطائفة التي تتمسك بهذه العقيدة، عقيدة أهل السنة والجماعة، هي الطائفة الظاهرة والمنصورة التي لا يضرها من خذلها ولا من عاداها إلى يوم القيامة. كما أخبرنا بذلك الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله: (لا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ. لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ. حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَذَلِكَ) (٣).

7- هي عقيدة الجماعة والاجتماع؛ ذلك لأنها الطريقة المثلى لجمع شمل المسلمين ووحدة صفهم، وإصلاح ما فسد من شئون دينهم ودنياهم، فهي تردهم إلى الكتاب والسنة وسبيل المؤمنين، وهذه الخاصية لا يمكن أن تتحقق على يد فرقة أو دعوة أو أنظمة لا تقوم على هذه العقيدة أبداً، والتاريخ شاهد على ذلك؛ فالدول التي قامت على السنة هي التي جمعت شمل المسلمين وقام بها الجهاد والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وعزبها الإسلام قديماً وحديثاً.

8- البقاء والثبات ما دامت الحياة الدنيا، ومواكبتها للمتغيرات والمستجدات. بمعنى أنها متفحة ومستقرة ومحفوظة، رواية ودراية في أفاضها ومعانيها، تتناقلها الأجيال جيلاً بعد جيل، لم يتطرق إليها التبديل ولا التحريف، ولا التلفيق ولا الالتباس، ولا الزيادة ولا النقص.

(١) يراجع المصدر نفسه (ص ٣٢).

(٢) المصدر نفسه (ص ٣٣).

(٣) رواه مسلم في " صحيحه " (٥٦/١٣) ح (٤٩٠٦)، كتاب: الإمارة، باب: قوله: (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم).

ومن أسباب ذلك: أنها مستمدة من كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ومن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي لا ينطق عن الهوى، وقد تلقاها الصحابة ثم التابعون، وتابعوهم، وأئمة الهدى المستمسكون بهديه صلى الله عليه وسلم إلى اليوم، رواية ودراية، تلقياً وكتابة^(١).

٩- التوقيضية (الربانية): فالله هو العالم بما يصلح لخلقه، قال تعالى :

﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ (١٤) ^(٢) [الملك].

١٠- الغيبية. ^(٣) ونعني بذلك قيام العقيدة على التسليم بوجود الغيب، كما تعني وجوب الإيمان بكل ما ورد في النصوص الشرعية من أمور الغيب، وعدم رد شيء منها أو تأويلها؛ فكما أن الإيمان بالغيب يقوم على أساس متين من الشرع، فهو يقوم كذلك على أساس متين من الفطرة والعقل ^(٤) ^(٥).

١١- العقلانية: ويقصد بها موافقة عقيدة أهل السنة والجماعة للعقل الصريح، واهتمامها به، وإعلاء منزلته ومكانته، وتوفير طاقته وتصريفها فيما يفيد^(٦).

قال شيخ الإسلام: "والأنبياء - صلوات الله عليهم وسلامه - معصومون لا يقولون على الله إلا الحق، ولا ينقلون عنه إلا الصدق، فمن ادعى في أخبارهم ما يناقض صريح المعقول كان كاذباً، بل لا بد أن يكون ذلك المعقول ليس بصريح، أو ذلك المنقول ليس بصحيح، فما علم يقينا أنهم أخبروا به يمتنع أن يكون في العقل ما يناقضه، وما علم يقينا أن العقل حكم به يمتنع أن يكون في أخبارهم ما يناقضه، بل الأنبياء - عليهم السلام - قد يخبرون بما يعجز العقل عن معرفته لا بما يعلم العقل بطلانه، فيخبرون بمحارات العقول لا بمحالات العقول"^(٧).

(١) ينظر / مباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة لناصر عبد الكريم العقل (ص ٣٣).

(٢) طريق الهجرتين لابن القيم (٤٣٧/١).

(٣) ينظر / علم لعقيدة عند أهل السنة لمحمد يسري (ص ٢٥٥).

(٤) تراجع / المدخل لدراسة العقيدة الإسلامية على مذهب أهل السنة والجماعة للدكتور إبراهيم محمد البركان (ص ٦٢-٧٢).

(٦) ينظر / علم العقيدة (ص ٢٧٧).

(٧) الجواب الصحيح لابن تيمية (١٣٦/٣).

١٢- الفطرية : ومن مظاهر فطرية العقيدة عند أهل السنة خاصة أنها جاءت سهلة واضحة، لا عسر فيها ولا تعقيد، ووردت النصوص وأقوال السلف وأهل السنة بالنهي عن الغلو والتشدد في أمر الدين أصولاً وفروعاً، وعن التكلف في طلب علم ما حجب علمه. (١)

١٣- الشمولية : ويتضح شمول العقيدة في الأمور الثلاثة الآتية:

الأول . شمول العبادة، فالعبادة: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة. والعبادة تشمل العبادات القلبية: كالمحبة، والخوف، والرجاء، والتوكل، وتشمل العبادات القولية: كالذكر والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقراءة القرآن، وتشمل العبادات الفعلية: كالصلاة والصوم، والحج، وتشمل العبادات المالية، كالزكاة، وصدقة التطوع. وتشمل كذلك الشريعة كلها؛ فإن العبد إذا اجتنب المحرمات، وفعل الواجبات والمندوبات والمباحات مبتغياً بذلك وجه الله - تعالى - كان فعله ذلك عبادة يُثاب عليها (٢).

الثاني. أنها تشمل علاقة العبد بربه، وعلاقة الإنسان بغيره من البشر.

الثالث. أنها تشمل حال الإنسان في الحياة الدنيا، وفي الحياة البرزخية (القبر)، وفي الحياة الآخروية. (٣)

14- الوسطية؛ فعقيدة أهل السنة والجماعة - والتي هي عقيدة الإسلام الصحيحة - وسط بين عقائد فرق الضلال المنتسبة إلى دين الإسلام، فهي في كل باب من أبواب العقيدة وسط بين فريقين آراؤهما متضادة، أحدهما غالى في هذا الباب، والآخر قصر فيه، أحدهما أفرط، والثاني فرط، فهي حق بين باطلين: فأهل السنة وسط. أي عدول خيار - بين طرفين منحرفين، في جميع أمورهم.

(١) ينظر / علم العقيدة (ص ٢٩٧).

(٢) ينظر / مجموع الفتاوى (١٤٩/١٠).

(٣) تسهيل العقيدة الإسلامية لعبد الله بن جبرين (ص ١٧).

المبحث الثاني . سلامة العقيدة الإسلامية، وسلطانها على النفوس، وتأصيلها العقدي للأمن الفكري والسلام المجتمعي، وقواعد في العقيدة الإسلامية لها دور في حماية الفكر من الانحراف، وفيه مطالب هي :

المطلب الأول . سلامة العقيدة الإسلامية :

إن أساس الأمن الفكري وأقصر الطرق لتحقيقه هو سلامة العقيدة وصلابة الفكر الصحيح في مواجهة الأفكار المنحرفة ومن يروجون لها، ومواجهة الفكر الضال الشاذ بالفكر الصحيح المستند إلى عقيدة سليمة ... والأفكار والتوجهات الموجودة في عالمنا اليوم والأمس ستبقى، ومسؤوليتنا أن نرسخ الصحيح ونعرفه لشبابنا، وأن نقوم الانحراف بالحجة والدليل الثابت من القرآن الكريم والسنة النبوية.

وإذا كانت الجامعات والمؤسسات العلمية معنية بالأمن الفكري، فإن كل رجال العلم والإعلام والتربية في كل العالم الإسلامي مدعوون للإسهام في تحقيق هذا الهدف، وحماية عقول شبابنا من التأثير بأفكار وافدة وغريبة لا تتفق بحال مع مصلحة الوطن والأمة.

هذا، وقد اشتدت ولا تزال حاجة المجتمعات إلى الأمن؛ إذ الأمن بمعناه الشمولي والواسع يعد من أهم مكونات بناء الدولة ومقوماتها، وضرورة لقيام الدين والحياة واستقرار الشعوب والمجتمعات، والناظر في نصوص الشريعة الإسلامية وغاياتها يدرك مكانة الأمن في الإسلام؛ فإن منزلة الأمن في دين الله قد بلغت مرتبة الضرورات؛ فهو من ضرورات حياة الإنسان واستقرار المجتمع، كما أن إقامة الأمن إقامة للدين، ففي قوله . سبحانه وتعالى . ممتناً على قريش: ﴿ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَعَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ۝٤١ ﴾ [قريش]، تنبيهه إلى العنصرين الأساسيين في حياة الإنسان وهما الأمن والطعام فلا يتصور قيام للإنسان والناس بدونهما، وفي قوله صلى الله عليه وسلم : (من بات آمناً في سربه، معافى في بدنه، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها)^(١) إشارة إلى عماد الحياة وقيامها بالأمن والصحة والغذاء .

(١) نَعَمْ اللهُ . سبحانه وتعالى . على عباده كثيرة لا تُحصى، والرِّزْقُ مُتَعَدِّدٌ مُتَنَوِّعٌ؛ فليس الرِّزْقُ مَحْصُورًا فِي الْمَالِ فَقَطْ، وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ يَقُولُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مُعَلِّمًا أَصْحَابَهُ وَأُمَّتَهُ مِنْ بَعْدِهِمْ - : "مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ، أَي: أَيُّ عَبْدٍ كَانَ: "آمِنًا فِي سَرْبِهِ"، أَي: تَوَفَّرَ لَهُ الْأَمَانُ عَلَى نَفْسِهِ أَوْ عَلَى أَهْلِهِ وَجَمَاعَتِهِ، وَقِيلَ: السَّرْبُ هُوَ السَّبِيلُ أَوْ الطَّرِيقُ، وَقِيلَ: الْبَيْتُ، "مُعَافَى فِي جَسَدِهِ"، أَي: تَحَصَّلَتْ لَهُ الْعَافِيَةُ فِي الْجَسَدِ فَسَلِمَ مِنَ الْمَرَضِ =

لقد عني الإسلام بتحقيق مقاصد الشريعة الإسلامية، وهي حفظ النفس وحفظ الدين وحفظ العقل وحفظ العرض وحفظ المال، فإذا حُفظ للإنسان هذه الخمس كانت الحياة الآمنة في الدنيا والسعادة في الآخرة، فتحقيق هذه المقاصد يصون الإنسان من الكفر والشرك والزيغ والانحراف والإفراط والتفريط واتباع الهوى والسير في مزالق الشر، فالإسلام يعد الأمن نعمة وفضلاً؛ لأنه من أعظم عوامل السعادة لبني الإنسان يتحصنون به من الشرور والفتن، وينعمون في ظلّه بنعم الهدوء والاستقرار والاطمئنان.

إن مصطلح الأمن الفكري يعد من أبرز المصطلحات التي بدأت تأخذ اهتماماً ومركزاً متقدماً في ظل التطورات السريعة التي شهدتها العالم على كافة الأصعدة، فمن المعلوم أن العقل محرك الإنسان ومنبع أفكاره وقائد توجهاته، ومدار الحسن والذم والقبول والرد، وبه يستطيع الإنسان أن يتخذ قراراته في هذه الحياة سلباً أو إيجاباً؛ لذا تظهر الحاجة إلى الأمن الفكري الذي يتصدى لكل فكر دخيل ويحمي الإنسان من الانحراف أو الخروج عن الوسطية والاعتدال في فهمه لمختلف القضايا، ويهدف إلى حفظ النظام العام وتحقيق الأمن والطمأنينة والاستقرار في مناحي الحياة المتعددة، كما يهدف إلى أن يعيش الناس في بلادهم آمنين على منهجهم وثقافتهم المستمدة من دينهم.

وبعض أصحاب الفكر المنحرف والغلاة والتكفيريين يخوضون في المسائل العقديّة، فيصبحوا بين محرف أو منكر لها؛ لجهلهم بالوحي وحسن فهمه بفهم السلف الصالح، وكونه لا يتعارض مع العقل الصريح، فيحصل لأولئك المنحرفين فكرياً أنواع من الضلال والشك، ويتبع ذلك تكذيب بمسائل عظيمة من أمور العقيدة .

=والبلاء وكان صحيحاً، "عنده قوت يومه"، أي: وتوافر له رزق يومه وما يحتاجه من مؤونة وطعام وشراب يكفي يومه، "فكأنما حيرت له الدنيا"، أي: فكأنما ملك الدنيا وجمعها كلها؛ فمن توفّر له الأمان والعافية والرّزق لا يحتاج إلى شيء بعد ذلك، فكان كمن ملك الدنيا، وجمعها، فلا يحتاج إلى شيء آخر، وعلى العبد أن يحمد الله - تعالى - ويشكره على هذه النعم: ينظر / تحفة الأحوذى شرح سنن الترمذي للمبارك فوري أبو العلا (٤٧/٧). وفي الحديث: بيان ضرورة حاجة الإنسان إلى الأمان والعافية والقوت.

(١) رواه الترمذي في "سننه" (٤٧/٧) (٢٣٤٦)، كتاب: الزهد، باب منه، واللفظ له، وقال: "هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث مروان بن معاوية. حيرت: جمعت"، وابن ماجه في "سننه" (١٢٧٣/١)، كتاب: الزهد، باب: القناعة ح (٤٢٣١). وذكره الهيثمي في "مجمع الزوائد" (٥١٦/١٠)، فقال: "رواه الطبراني ورجاله وثقوا على ضعف في بعضهم"، وحسنه الألباني في "صحيح سنن الترمذي" ح (٢٣٤٦).

ومن أمثلة ذلك ما نراه من تكفير الخوارج^(١) عن جماعتهم، بل الأدهى من ذلك ظنهم بأنهم على الحق، فتجدهم يكفرون الحاكم والمحكوم، ويستحلون الدماء، ويكفرون الشخص المعين دون مراعاة الضوابط الشرعية في تكفيره، ويخوضون في مسألة الأسماء والأحكام، وهي مسألة عقديّة تعد حق من حقوق الله -تعالى- ؛ فهو الذي يعلم المؤمن من الكافر، والصالح من الطالح .

إن أساس الأمن الفكري قائم على صحة المعتقد وسلامة الفكر، وعليه يتم إعداد العقل إعداداً سليماً وشاملاً ومتكاملاً، ولقد حبانا الله -تعالى- مصدرين أساسيين في بناء الفكر وتوجيه الاعتقاد، بهما يتحقق الأمن والسلامة والفلاح في الدارين، ألا وهما القرآن الكريم والسنة النبوية، ولا شك أن من أهم ما يحقق الأمن الفكري للمجتمع ويصونه من الأفكار الضالة والمنحرفة :

- ١- غرس العقيدة الصحيحة في النفوس.
- ٢- لزوم منهج الكتاب والسنة.
- ٣- البعد عن الإفراط والتفريط على مستوى الأفراد وشرائح المجتمع ومؤسساته والتزام الجميع بذلك في المجال الدعوي والتربوي والتعليمي والثقافي والإعلامي وفي الميدان الاجتماعي والاقتصادي وغيرها من المجالات.
- ٤- التصدي للمحاولات التي ترمي إلى المساس بثوابت الدين وأحكام الشرع أو تهديد الوحدة الوطنية، ومن ذلك تصنيف الناس والمجتمع إلى فئات وإظهارها وكأنها متصارعة متنازعة.

(١) كل من خرج على الإمام وعلى الجماعة المسلمة بالسيف للدعاء إلى معتقده وكان خروجه نابعا من مخالفة الأصول في الشريعة، فهو من الخوارج، أما من خرج لغير ذلك فيطلق عليهم اسم الخروج العام، ويطلق عليهم خوارج كحكم شرعي، وصفة لفعالهم. وإذا أردنا أن نعرف الخوارج الحرورية بتعريف خاص بهم كفرقة من الفرق، لا كحكم شرعي فيهم أو تعريف عام لهم نقول: هم كل من كفر علي بن أبي طالب ﷺ وعثمان وأصحاب الجمل ومن رضي بالتحكيم، وهم الذين يكفرون بالمعاصي، ويرون الخروج على إمام المسلمين وجماعتهم، ويتولون فرقة المحكمة الأولى، فهؤلاء هم الخوارج الحرورية والله أعلم، والخوارج فرق متعددة، عدها بعضهم وأوصلها إلى العشرين ينظر/ الفرق للبغدادي (ص ٤٩)، وتلبيس إبليس لابن الجوزي (٢٩).

المطلب الثاني. بيان سلطان العقيدة الإسلامية على النفوس :

كل عقيدة يحملها الفرد وتدين بها الأمة سواء أكانت صحيحة أو باطلة لا يقتصر أثرها على الناحية الفكرية استقامة وانحرافاً، هدى أو ضلال، بل لابد وأن يظهر أثر هذه العقائد في جوانب الحياة المختلفة، ومن هنا جاءت الضرورة للعقيدة السليمة؛ لأنها الغذاء الروحي والضروري لسير الفرد والمجتمع في مضمار التقدم والحضارة .

وبمقدار تمسك الأمة وأفرادها بالعقيدة السليمة بمقدار ما يكتب لهذه الأمة البقاء بشخصيتها المستقلة دون الذوبان في الأمم الأخرى؛ فليس هناك عقيدة تحرر الإنسان من الشرك والعبودية لغير الله، كالعقيدة الإسلامية؛ لأنها عقيدة تصدر عن الله أولاً، ولأنها تسيطر على جميع مجالات الحياة وعلى النفس البشرية بقوة أكبر من قوة القانون، وبتكاليف أقل من تكاليف تنفيذ القانون؛ فالقانون وحده يستند إلى العقيدة؛ فإنه يعدّ فاقداً للقوة الروحية التي ينشأ عنها احترامه، وبالتالي فلن يهبط السلوك البشري في كل وقت ومكان؛ لإمكانية التحايل عليه والهرب من العقاب.

والعقيدة سارية المفعول على الحاكم والمحكوم؛ لأنها مستندة إلى سلطان الله، وأما العقيدة المستندة لسلطان الحاكم فلا يسري عليه؛ لأنه هو منفذ هذا القانون ويفسره كما يشاء .

كما أنها تمتاز عن القانون أيضاً بأنها تنبع من الداخل وتمتزج بضمير المرء ولا تفرض عليه من خارجه كالقانون؛ فهي تحكم التصرفات الظاهرة والباطنة التي تقع خفية عن القانون، ولهذا فهي تملك أن تورث الأخلاق الفاضلة، وتملك أن تقول للمرء : ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۖ ﴾ ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۖ ﴾ [الزلزلة].

ولا يملك ذلك القانون إن لم يكن مستنداً إلى العقيدة والأمن بالجزاء الأخروي؛ لأن سلطانه وجزاءه دنيوي جسدي، وسلطان العقيدة روعي وأخروي؛ فهو ينفذ إلى روح الإنسان ويحكمه داخلياً، وأخروي؛ لأنه يدفع صاحب العقيدة عند الزلزل للتوبة والاستغفار وإن وجب عليه حد يدفعه ليكشف نفسه للحاكم ليقيم عليه

الحد، ولو كان حد الرّجم حتى الموت، وهو مطمئن لهذا الحكم؛ خوفاً من سخط الله وعقوبته في الآخرة، كما فعل ذلك معاز السلمي^(١) زمن المصطفى صلى الله عليه وسلم .
ومن هنا تبرز قيمة العقيدة كدافع وباعث نفسي داخلي للفرد؛ فيسلك المسلك العملي والخلقي الصحيح؛ لأن صاحب العقيدة الصحيحة لا يخالف بعمله عقيدته، وإذا انفلت المرء من هذه العقيدة يكون قد ارتكس قس حماة الشهوات البهيمية التي لا يضبطها ضابط، ويضعف عقله وقوته باستمرار أمام أهوائه؛ لعدم وجود الركن الشديد الذي يأوي إليه .

وإذا استقرت العقيدة في النفوس أصبحت مستعدة لتنفيذ الشرائع، ومن هنا نجد أن القرآن الكريم دائماً ما يربط بين العقيدة والتشريع في كل آياته، ومن ذلك - على سبيل المثال لا الحصر- ربط تحريم الربا بالإيمان في قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [البقرة]، وفي مسائل المعاملات والأوزان يقول تعالى :

﴿ وَيَلِّ الْمُطَفِّفِينَ ۝۱ الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝۲ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وُزَنُوا يُخْسِرُونَ ۝۳ أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ۝۴ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝۵ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ۝۶ ﴾ [المطففين].

المطلب الثالث. التأسيس العقدي للأمن الفكري والسلام المجتمعي :

لقد خلق الله الإنسان خلواً من المعرفة قال تعالى: ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [النحل].

ولذلك؛ فإن التأسيس وضبط مصادر المعرفة والتلقي أساس الأمن الفكري، فالاعتقاد وصحته، والعمل وسلامته كل ذلك رهين سلامة المصدر الذي أخذ عنه. وبإزاء هذه المصادر الصحيحة حذرت الشرعية من اعتماد المصادر المكذوبة المضللة، ودعت إلى إجراءات تُحقق للمرء سلامة معلوماته من خلال أمور عديدة أهمها:

(١) هو معاز بن مالك الأسلمي المعترف بالزنا المرجوم، صحابي جليل، قال ابن عبد البر: "هو معدود في المدنيين كتب له رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاباً بإسلام قومه"، وقصته في الصحيحين. ينظر / الاستيعاب (٧٠/٤).

- ١- التثبت في باب الأخبار والوقائع.
- ٢- التثبت في باب الأخبار الشرعية، وقد وضع علماء الحديث قاعدتهم المشهورة في تلقي الأخبار الشرعية: (إن كنت ناقلًا فالصحة، وإن كنت مدعيًا فالدليل).^(١)
- ٣- التحذير من الأخذ عن الخرافة والدجل ونحوها؛ فعن صفة. رضي الله عنها. عن بعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (مَنْ أَتَى عَرَافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً)^(٢).
- كذلك فإن ضبط منهج الفهم: ف "صحة الفهم، وحسن القصد من أعظم نعم الله التي أنعم بها على عبده، بل ما أعطيَ عبدٌ عطاءً بعد الإسلام أفضل ولا أجلّ منهما، بل هما ساقا الإسلام، وقيامُهُ عليهما، وبهما يأمن العبد طريقَ المغضوب عليهم الذين فسَدَ قَصدُهُم وطريق الضالين الذين فسدت فهمُهم، ويصير من المنعم عليهم الذين حسُنَت أفهامهم وقصودهم، وهم أهل الصراط المستقيم الذين أمرنا أن نسأل الله أن يهدينا صراطهم في كل صلاة، وصحة الفهم نورٌ يقذفه الله في قلب البعد، يميز به بين الصحيح والفساد، والحق والباطل، والهدى والضلال، والغي والرشاد، ويمدُّه حسن القصد، وتحرِّي الحق، وتقوي الربِّ في السر والعلانية، ويقطع مادته اتباعُ الهوى، وإيثار الدنيا، وطلب محمدة الخلق، وترك التقوى".^(٣)
- ولقد أتى بعض المنحرفين من سوء فهمهم للنصوص:
- ◆ إما لعدم فهم معاني ألفاظها من جهة اللغة.
- ◆ وإما من جهة عدم فهم معانيها في استعمال الشارع.^(٤)
- إن العلم بحقائق الأشياء، والوعي بالمفاهيم أساسٌ لسلامة الفكر والاعتقاد؛ إذ تجد كثيراً من المشكلات والمخالفات العقدية والفكرية يعود إلى اختلاف المفاهيم، أو الجهل بحقائق الأمور، وهذا أمر متفق عليه بين الأمم.
- يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : "وأما الألفاظ التي ليست في الكتاب والسنة ولا اتفق السلف على نفيها أو إثباتها فهذه ليس على أحد أن يوافق من نفاها

(١) ينظر / درء التعارض (٣/٣٩٠).

(٢) رواه مسلم في "صحيحه" (١٨٧/١٤٤) ح (٥٧٧٣)، كتاب: السلام، باب: تحريم الكهانة وإتيان الكهان.

(٣) أعلام الموقعين لابن القيم (١/١٦٩).

(٤) ينظر/ مجموع الفتاوى لابن تيمية (٧/٥٣٠).

أو أثبتها حتى يستفسر عن مراده، فإن أراد بها معنى يوافق خبر الرسول أقر به، وإن أراد بها معنى يخالف خبر الرسول أنكره.

ثم التعبير عن تلك المعاني إن كان في ألفاظه اشتباه أو إجمال عبر بغيرها أو بين مراده بها، بحيث يحصل تعريف الحق بالوجه الشرعي؛ فإن كثيراً من نزاع الناس سببه ألفاظ مجملة مبتدعة، ومعان مشتبهة، حتى تجد الرجلين يتخاصمان ويتعاديان على إطلاق ألفاظ ونفيها، ولو سئل كل منهما عن معنى ما قاله، لم يتصوره، فضلاً عن أن يعرف دليله، ولو عرف دليله لم يلزم أن من خالفه يكون مخطئاً بل يكون في قوله نوع من الصواب، وقد يكون هذا مصيباً من وجه وهذا مصيباً من وجه، وقد يكون الصواب في قول ثالث" (١).

ولقد أصبحت المصطلحات أدوات في الصراع الحضاري والفكري بين الأمم، وفي داخل الأمة الواحدة؛ إذ يهتم أعداء أي مبدأ أو فكري صراعهم مع المبادئ الأخرى بالألفاظ والمصطلحات، وحين يكون القوم يعادون الحق فإنهم يحرفون الألفاظ والمعاني، ويغيبون القول الحق فيها. (٢)

والفكر إنما ينضبط بارتباط العبد بالله - عز وجل - وهذا يظهر في أمور أهمها:

١. توجه القلب إلى الله نية وقصدًا.

٢. تقوى الله عز وجل.

٣. لزوم جماعة المسلمين.

المطلب الرابع. قواعد في العقيدة الإسلامية لها دور في حماية الفكر من الانحراف :

الأمن الفكري يتعلق بالعقل، والعقل آلة الفكر، الذي هو أساس استخراج المعارف والمحافظة على العقل وحمايته من المفسدات مقصدًا من مقاصد الشريعة الإسلامية، وسلامة العقل لا تحقق إلا بالمحافظة عليه.

وفيما يلي نذكر أهم تلك القواعد في العقيدة الإسلامية التي لها دور في

حماية الفكر من الانحراف:

القاعدة الأولى . قيام الفكر الإنساني على نصوص الوحي والاعتقاد التام بشمولها على مسائل الدين ورد التنازع لهما؛ فمما ينبغي اعتقاده أن نصوص الكتاب والسنة

(١) المصدر السابق (١٠٩/١٢).

(٢) ينظر / مجلة الفكر الإسلامي المعاصر، (ص٤٨)، العدد ٨١، السنة الواحدة والعشرون، ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م.

الصحيحة والصريحة في دلالتها، لا يعارضها شيء من المعقولات الصريحة؛ ذلك أن العقل شاهد بصحة الشريعة إجمالاً وتفصيلاً، فأما الإجمال، فمن جهة شهادة العقل بصحة النبوة وصدق الرسول صلى الله عليه وسلم، فيلزم من ذلك تصديقه في كل ما يخبر به من الكتاب والحكمة.

وأما التفصيل، فمسائل الشريعة ليس فيها ما يرده العقل؛ بل كل ما أدركه العقل من مسائلها فهو يشهد له بالصحة تصديقاً وتعصيماً، وما قصر العقل عن إدراكه من مسائلها؛ فهذا لعظم الشريعة، وتفوقها، ومع ذلك فليس في العقل ما يمنع وقوع تلك المسائل التي عجز العقل عن إدراكها؛ فالشريعة قد تأتي بما يحير العقول لا بما تحيله العقول. فإن وجد ما يوهم التعارض بين العقل والنقل، فإما أن يكون النقل غير صحيح، أو يكون صحيحاً ليس فيه دلالة صحيحة على المدعى، وإما أن يكون العقل فاسداً بفساد مقدماته.

فمن احتج - مثلاً - في إنكار الصفات الإلهية بأن لازم ذلك إثبات آلهة مع الله، فقد احتج بعقل غير صحيح؛ بل لا يجوز تسمية ذلك عقلاً أصلاً؛ إذ لا يجوز في العقل وجود موجود مجرد عن الصفات؛ بل هو من أعظم الممتنعات العقلية؛ لأنه يستلزم رفع النقيضين، حيث يقال: هو موجود ولا موجود، ولا يقال هذا في حق المخلوق، فلا يستلزم إثبات المخلوق متصفاً بصفات السمع والبصر والكلام والحياة أن يتعدد المخلوق، بحيث تكون كل صفة منها إنساناً قائماً بنفسه، وهذا معلوم البطلان في حق المخلوق، وبطلانه في حق الخالق أظهر وأولى فهذا عقل فاسد لا يقاوم النقل الصحيح الصريح من آيات الصفات وأحاديثها.

قد يكون النقل مكذوباً والعقل صحيحاً، وهنا لا يقال إنه يعارض دليل العقل، فلا يصلح أن يكون دليلاً فضلاً عن أن ينسب إلى الشرع ليعارض به العقل، علاوة على أن الأدلة الشرعية تنقضه وتبطله. وقد يكون النقل صحيحاً، إلا أنه لا يدل على المعنى المدعى، فيتوهم التعارض بين المنقول والمعقول ⁽¹⁾ (أ).

وقد أطل ابن تيمية - رحمه الله - الكلام على التعارض المتوهم وذلك في كتابه البديع (درء تعارض العقل والنقل) ومما قاله في ذلك: " ليس في المعقول الصريح ما يمكن أن يكون مقمداً على ما جاءت به الرسل وذلك؛ لأن الآيات والبراهين دالة على صدق الرسل وأنهم لا يقولون على الله إلا الحق وأنهم معصومون

(1) علم العقيدة عند أهل السنة والجماعة لمحمد يسري (ص 359).

فيما يبلغونه عن الله من الخبر والطلب لا يجوز أن يستقر في خبرهم عن الله شيء من الخطأ، كما اتفق على ذلك جميع المقرين بالرسول من المسلمين واليهود والنصارى وغيرهم، فوجب أن جميع ما يخبر به الرسول عن الله صدق وحق، لا يجوز أن يكون في ذلك شيء مناقض لدليل عقلي ولا سمعي، فمتي علم المؤمن بالرسول أنه أخبر بشيء من ذلك، جزم جزماً قاطعاً أنه حق، وأنه لا يجوز أن يكون في الباطن بخلاف ما أخبر به، وأنه يمتنع أن يعارضه دليل قطعي ولا عقلي ولا سمعي، وأن كل ما ظن أنه عارضه من ذلك فإنما هو حجج داحضة وشبهه من جنس شبه السوفسطائية⁽¹⁾، وإذا كان العقل العالم بصدق الرسول قد شهد له بذلك وأنه يمتنع أن يعارض خبره دليل صحيح كان هذا العقل شاهداً بأن كل ما خالف خبر الرسول فهو باطل فيكون هذا العقل والسمع جميعاً شهدا ببطلان العقل المخالف للسمع.

⁽¹⁾ وأن العقل الصريح عندهم - أي: عند أهل السنة - يوافق النقل الصحيح، وعند الإشكال يقدمون النقل ولا إشكال؛ لأن النقل لا يأتي بما يستحيل على العقل أن يتقبله، وإنما يأتي بما تحار فيه العقول، والعقل يصدق النقل في كل ما أخبر به ولا العكس.

ولا يقللون من شأن العقل؛ فهو مناط التكليف عندهم، ولكن يقولون: إن العقل لا يتقدم على الشرع - وإلا لاستغنى الخلق عن الرسل - ولكن يعمل داخل دائرته، ولهذا سموا أهل السنة؛ لاستمساكهم واتباعهم وتسليمهم المطلق لهدي النبي

(1) هي: قياس مركب من الوهميات، وتقوم على نفي الحقائق الثابتة، والسفسطائيون: فرقة ينكرون المحسوسات، وهم أصناف الكفرة الذين قبل الإسلام، وهم فلاسفة اليونان وزعيمهم "بروتاجوراس" ولد سنة 480 ق.م، ونظريتهم تقوم على أنه ليس هناك وجود خارجي مستقل عما في أذهاننا فيما يظهر للشخص أنه الحقيقية يكون هو الحقيقة له، فإذا رأى السراب ماء فهو عنده حقيقة ماء. ولشيخ الإسلام ابن تيمية رأي في السفسطية يقول فيه: "وإنما المقصود الناقلين للمقالات وأهل الجدل صاروا يعتبرون باللفظة المعربة "سوفسيقيا" وهي "سوفسطا" عن هذا المعنى الذي يتضمن إنكار الحق وتمويهه الباطل، وظن من ظن أن هذا قول ومذهب عام لطائفة في كل حق، وليس الأمر كذلك، وإنما هو عارض لبني آدم في كثير من أمورهم، فكل من جحد حقاً معلوماً وموّه ذلك بباطل فهو مسفسط في هذا الموضوع، وإن كان مقراً بأمور أخرى" ينظر / التحفة المهدية لفالح بن مهدي (ص 58).

صلى الله عليه وسلم " . إلى أن قال : " وإذا ظهر تعارض بين الدليلين النقلى والعقلى، فلا بد من أحد ثلاثة احتمالات:

الأول - أن يكون أحد الدليلين قطعياً والآخر ظنياً، فيجب تقديم القطعي نقلياً كان أم عقلياً، وإن كان ظنيين فالواجب تقديم الراجح، عقلياً كان أم نقلياً.

الثاني - أن يكون أحد الدليلين فاسداً، فالواجب تقديم الدليل الصحيح على الفاسد سواء أكان نقلياً أم عقلياً.

الثالث - أن يكون أحد الدليلين صريحاً والآخر ليس بذلك، فهنا يجب تقديم الدلالة الصريحة على الدلالة الخفية، لكن قد يخفى من وجوه الدلالات عند بعض الناس ما قد يكون بينا وواضحاً عند البعض الآخر، فلا تعارض في نفس الأمر عندئذ. أما أن يكون الدليلان قطعيين - سندا ومنتنا - ثم يتعارضان، فهذا لا يكون أبداً، لا بين نقليين، ولا بين عقليين، ولا بين نقلى وعقل " (١) . (٣)

وخلاصة اعتقاد أهل السنة في هذا الباب " أن الأدلة العقلية الصريحة توافق ما جاءت به الرسل، وأن صريح المعقول لا يناقض صحيح المنقول، وإنما يقع التناقض بين ما يدخل في السمع وليس منه، وما يدخل في العقل وليس منه " (٢) . وقد أعمل الصحابة ﷺ هذا الأصل، وتلقاه عنهم التابعون، وتواترت عبارات أهل العلم بهذا المعنى.

قال ابن تيمية - رحمه الله - : " فكان من الأصول المتفق عليها بين الصحابة والتابعين لهم بإحسان أنه لا يقبل من أحد قط أن يعارض القرآن برأيه ولا ذوقه ولا معقوله ولا قياسه ولا وجده، فإنهم ثبت عنهم بالبراهين القطعيات، والآيات البيّنات أن الرسول جاء بالهدى ودين الحق، وأن القرآن يهدي للتي هي أقوم " (٣) . (٥)

وقال الإمام الشافعي - رحمه الله - : " كل شيء خالف أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم سقط، ولا يقوم معه رأي ولا قياس، فإن الله - تعالى - قطع العذر بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم، فليس لأحد معه أمر ولا نهي غير ما أمره به " (٤) . وقال الإمام مالك -

(١) درء التعارض لابن تيمية (١١١/١).

(٢) ينظر / مناهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد لعثمان علي حسن (٣٦٣/١).

(٣) مجموع الفتاوى (٣٨٣/٣)، ويراجع / درء التعارض (٢٣٢/١ - ٢٣٣).

(٤) الأم للإمام الشافعي (١٩٣/٢).

رحمه الله - : " أو كلما جاء رجل أجدل من الآخر، رد ما أنزل جبريل على محمد صلى الله عليه وسلم (١) .

ومن ثمرات الالتزام بهذه القاعدة، إثبات عصمة الشرع الحكيم؛ إذ ليس فيه ما يخالف العقل الصحيح، وسد باب التأويل والتفويض، واستقامة الحياة على الوجه الأتم الأكمل عند نفي التعارض بين وحي الله وخلقه، فتتعمق البشرية بهدي الله وشرعه وتنتفع بما أنعم على خلقه. (٢)

القاعدة الثانية. قيام الاعتقاد والفكر على مبدأ الوسطية والاعتدال؛ إذ حذر النبي صلى الله عليه وسلم كما في الحديث الصحيح المروي عن ابن عباس -رضي الله عنهما- أنه قال : (إياكم والغلو فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو في الدين) (٣) ، وهذا عام في جميع أنواع الغلو في الاعتقادات والأعمال ويترتب على هذا أمران في غاية الأهمية : الأول . التحذير من الفرق المخالفة لمنهج الحق؛ فالأمن راجع لهذا المنهج (ما أنا عليه وأصحابي)، ومن خرج عليه فقد فتح على نفسه وعلى مجتمعه باب فتن لا تنتهي إلا بالرجوع إلى هذا المنهج الحق.

والثاني . التحذير من أعمال أهل الضلال : فحين حذرت الشريعة من الغلو باعتبارها منهجاً منحرفاً يؤدي إلى الهلاك بما يحمله من فساد وإفساد، جاء النهي عاماً لكل غلو (٤) .

ولقد جاء التحذير مبيناً بوجه أخص خطر فرقة الخوارج؛ لعظيم ضررهم على الأمة ولحجم فسادهم العريض الذي يطال ضرورات الأمة ومقداراتها فما دخل هؤلاء بقعة إلا أفسدوها ديناً ودنياً، وأمنناً وطمأنينة. وهؤلاء أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتالهم؛ لأن معهم ديناً فاسداً لا يصلح به دنيا، ولا آخرة.

والأحاديث التي جاءت في شأنهم كثيرة، منها: قول علي رضي الله عنه : " إذا حدثتكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثاً، فالأن أحر من السماء، أحب إلي من أن أكذب عليه، وإذا

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكافي (١/١٤٤).

(٢) ينظر / علم العقيدة عند أهل السنة (ص٣٥٩).

(٣) رواه الإمام أحمد في "مسنده" (١/٥٧٢) ح (٣٢٤٦)، والنسائي في "سننه" (٥/٢٧٨)، كتاب : المناسك، باب: التقاط الحصى، وصححه الألباني في "صحيح سنن النسائي" (٢/٦٤٠).

(٤) ينظر / أثر العقيدة الإسلامية في تحقيق الأمن الفكري للدكتورة بدرية محمد الفوزان (ص١٠٩ - ١١٠).

حدثتكم فيما بيني وبينكم، فإنما الحرب خدعة، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: يأتي في آخر الزمان قوم حدثاء الأسنان سفهاء الأحلام، يقولون من قول خير البرية، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، لا يجاوز إيمانهم حناجرهم، فأينما لقيتموهم فاقتلوهم، فإن في قتلهم أجراً لمن قتلهم يوم القيامة (1).

القاعدة الثالثة : السمع والطاعة لولاة الأمر؛ لقوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْبِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾﴾ [النساء]. و" هو خطاب من الله لولاة أمور المسلمين بأداء الأمانة إلى من وُلوا في فيئهم وحقوقهم، وما ائتمنوا عليه من أمورهم بالعدل بينهم في القضية. والقسم بينهم بالسوية، يدل على ذلك ما وعظ به الرعية ... فأمرهم بطاعتهم، وأوصى الراعي بالرعية، وأوصى الرعية بالطاعة" (2).

وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (السمع والطاعة حق، ما لم يؤمر بمعصية، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة) (3). وأولو الأمر من أهل العلم وأهل الإمارة إنما تجب طاعتهم إذا أمروا بطاعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم (4).

وفي حال وقوع شيء من الإمام يكرها الرعية فعليهم بالصبر؛ امتثالاً لقوله صلى الله عليه وسلم : (مَنْ رَأَى مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا يَكْرَهُهُ، فَلْيَصْبِرْ. فَإِنَّهُ مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ شَبْرًا فَمَاتَ، فَمَيْتَةٌ جَاهِلِيَّةٌ) (5). وقد أكد السلف -رحمهم الله- أن من أصولهم لزوم الجماعة وترك قتال الأئمة، وترك القتال في الفتنة؛ لأن فيها نجاة من الانحراف بشتى صوره .

القاعدة الرابعة . ربط الأمة بعلمائها؛ ذلك أن نجاة الناس منوطة بوجود العلماء، فإن يقبض العلماء يهلكوا؛ فعن عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء؛ حتى إذا لم يبق عالماً، اتخذ الناس رؤوساً

(1) رواه البخاري في "صحيحه" (١٣٢١/٤) ح (٣٥٣٣)، كتاب : المناقب، باب : علامات النبوة في الإسلام.

(2) تفسير الطبري (٩١/٥).

(3) رواه البخاري في "صحيحه: (١٠٧٩/٢) ح (٢٨٨٨)، كتاب : الجهاد والسير، باب : السمع والطاعة للإمام.

(4) ينظر / مجموع الفتاوى (٣١٢/١).

(5) رواه مسلم في "صحيحه" (١٩٦/١٦) ح (٤٧٤٦)، كتاب : الأمانة، باب : وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند

ظهور الفتن، وفي كل حال . وتحريم الخروج على الطاعة ومفارقة الجماعة.

جهالاً، فسئلوا، فأفتوا بغير علم، فضلُّوا وأضلُّوا. ^(١) (ضلوا بإفتاء الناس بالباطل، وقولهم على الله -تعالى- بغير علم ولا هدى، ولا كتاب منير، وأضلوا الناس الذين اتبعوهم، وحينذاك يهلك الجميع. ^(٢)

القاعدة الخامسة - حماية جناب أهل العلم من الطعن والذم؛ فمنزلة العلم تقتضي حماية أهل العلم من التناول بالقدح أو الذم أو الاستهزاء بهم؛ لأن الطعن فيهم إنما هو طعن بعقيدة وفكر الأمة، وهو انحراف يولد انحرافاً مقابلاً وربما عنفاً وفساداً.

القاعدة السادسة - إشاعة ثقافة الحوار؛ فالحوار وسيلة يتوصل بها إلى مقصد عظيم متمثل بتحقيق فوائد عدة فوائد منها:

الأولى - إبانة الحق، وإظهار دلائله.

الثانية - كشف شبهات المنحرفين التي أوقعتهم في الانحراف.

الثالثة - إظهار عوار المنحرفين للناس؛ حتى لا يصغوا إليهم أسماعهم، فيشاركوهم الانحراف.

الرابعة - إرجاع من انحرف إلى جادة الحق والصواب.

القاعدة السابعة - تعزيز قيمة الانتماء إلى الوطن؛ فالإنسان بحاجة ملحة إلى الانتماء، وهو أحد الاحتياجات الهامة له والمؤثرة في حركته، وقد قامت عقيدة الإسلام على تحرير الإنسان من كل قيد؛ ليكون انتماؤه الأول هو لله -تعالى- . والانتماء مطلب فطري، وهو أنواع عدة، أولها : الانتماء إلى الدين الإسلامي، وهو أصل مقرر في الشرع؛ فالمسلمون أمة واحدة وملة واحدة اتفق عليها جميع الأنبياء، قال تعالى :

﴿ إِن تَهَـذِـبِـهٖ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴿١٣٠﴾ [الأنبياء].

ثم الانتماء إلى القبيلة أقره الشرع، ويكفي في الدلالة على ذلك قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣١﴾ [الحجرات]. ثم الانتماء إلى الأسرة بأن ينسب

(١) متفق عليه . رواه البخاري في "صحيحه" (٤٨/١) ح (١٠٠)، كتاب : العلم، باب : كيف يقبض العلم؛

ومسلم في "صحيحه" (١٩٢/١٦) ح (٦٧٤٧)، كتاب : العلم، باب : رفع العلم وقبضه، وظهور الجهل والفتن في آخر الزمان.

(٢) ينظر / فتح الباري لابن حجر (٢٣٩/١) .

الولد إلى أبيه وهو مما أقره الإسلام، قال تعالى: ﴿أَدْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْمُواْءَ آبَاءَهُمْ فَاخُونُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِءِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٥﴾﴾ [الأحزاب].

ثم الانتماء إلى الوطن والأرض محل المولد وحب الوطن أقره الإسلام؛ فعن عبد الله بن عدي (١) أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم - وهو واقف على الحرورة- (٢) بمكة وهو يقول: (والله إنك لأحب أرض الله -تعالى- إلى الله وأحب أرض الله -تعالى- إلى ولولا أنني خرجت منك ما خرجت (3)؛).

(١) هو عبدُ الله بن عدي بن الحَمراء القرشيُّ الزهري، من أنفُسهم. وقيل: إنه ثَقَفِيٌّ حليفي لهم. يكنى أبا عمْر، وقيل: أبو عمرو. له صحبة، وهو من أهل الحجاز، وكان ينزل بين قُديدٍ وعُسقَان. ينظر / الاستيعاب لابن عبد البر (٧٨/٣)، وأسَد الغابة لابن الأثير (٢٩/٢).

(٢) هي ما يعرف اليوم بسوق القشاشية، وهي الرابية التي تقابل منتصف المسعى من الشرق، وفيها بيت خديجة أم المؤمنين، ومولد فاطمة رضي الله عنهما. والرسول صلى الله عليه وسلم دخل مكة من أعلاها، فلا يتوقع أن يخرج إلى أسفلها. ويعرف حاليا بالسوق الصغير.

ينظر / أودية مكة المكرمة لعاتق بن غيث البلادي، الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م، وصور من تراث مكة المكرمة في القرن الرابع عشر الهجري لعبدالله محمد أبكر،

<https://almoukarram.makkah/site/com.google.sites/>

(٣) مكة المكرمة هي أفضلُ البقاع على وجه الأرض، وهي أحبُّ البلادِ إلى الله، وشرفَت بيتُ الله الحرام. والحرزورة: مرتفعٌ يُقابلُ المسعى من جهة المشرق، كان سوقاً من أسواق مكة، فقال النبي صلى الله عليه وسلم - مخاطباً مكة: "والله، إنك لخير أرض الله"، أي: أفضلها وأعظمها، "وأحبُّ أرض الله إلى الله، ولولا أنني أخرجتُ منك"، أي: بأمر من الله، وذلك بعدما زاد أذى قريشٍ له ولمن أسلم معه، "ما خرجتُ"، أي: لبقيت بمكة، وكان النبي صلى الله عليه وسلم خرج مهاجراً من مكة إلى المدينة. ينظر / مجموع الفتاوى (١٨١٤٥). وفي الحديث: أفضلية مكة المكرمة على غيرها من سائر البلدان. وفيه: من تعظيم الأدب في مفارقة بيت الله عز وجل.

(٤) رواه الإمام أحمد في "مسنده" (٢٩٤/٥) ح (١٨٣٦٦)، والترمذي في "سننه" (٤٣٥/١٠) ح (٤٠٩٤)، كتاب المناقب، باب: في فضل مكة، وقال: " هذا حديث حسنٌ غريبٌ صحيحٌ. وقد رواه يونس عن الزهري نحوه، ورواه محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم. وحديث الزهري، عن أبي سلمة، عن عبد الله بن عدي بن حمراء عدي أصحُّ، وذكره الهيثمي في "مجمع الزوائد" (٥٣٥/٣)، وقال: " رواه الطبراني في "الأوسط"، وفيه: مروان بن أبي مروان، قال السليمانى: فيه نظر، وبقيه رجاله رجال الصحيح"، وصححه الألباني في "صحيح الترمذي" ح (٣٩٢٥).

المؤتمر الدولي العاشر

[دور العلوم العربية والإسلامية في تكريس الأمن الفكري وتحقيق السلام المجتمعي]

والانتماء إلى الدولة والجماعة المسلمة تحت ولي الأمر المختار الذي يقيم شرع الله في رعيته، وجواز هذا محل إجماع عند أهل العلم؛ فكان مراعاة هذه الغريزة وتنميتها وغرسها قاعدة مهمة من قواعد الإسلام تؤثر في السلوك الفكري سلباً وإيجاباً⁽¹⁾.

(1) ينظر / أثر العقيدة (ص ١١١)، وموقع الأمن الفكري.. حصانة مجتمعية في مواجهة التيارات الوافدة .

الخاتمة

خرج البحث بعدد من النتائج، من أهمها :

١. يظهر من تعريف العقيدة وشرعا أنها تدور حول الشيء الصلب والشديد، الذي لا ليونة فيه ولا ميوعة، بل هو شيء راسخ رسوخ الجبال.
 ٢. العقيدة في الإسلام تقابل الشريعة؛ إذ الإسلام عقيدة وشريعة، والشريعة تعني التكاليف العملية التي جاء بها الإسلام في العبادات والمعاملات .
 ٣. للعقيدة الإسلامية أهداف نبيلة مترتبة على التمسك بها، وهي كثيرة متنوعة.
 ٤. لقد تميزت العقيدة الإسلامية بخصائص تميزها عن جميع القوانين البشرية، وهي كثيرة .
 ٥. إن أساس الأمن الفكري وأقصر الطرق لتحقيقه هو سلامة العقيدة وصلابة الفكر الصحيح في مواجهة الأفكار المنحرفة ومن يُروجون لها، ومواجهة الفكر الضال الشاذ بالفكر الصحيح المستند إلى عقيدة سليمة.
 - ٥- ليس هناك عقيدة تحرر الإنسان من الشرك والعبودية لغير الله، كالعقيدة الإسلامية؛ لأنها عقيدة تصدر عن الله أولاً؛ ولأنها تسيطر على جميع مجالات الحياة وعلى النفس البشرية بقوة أكبر من قوة القانون، وتكاليف أقل من تكاليف تنفيذ القانون .
 ٦. إن التأصيل وضبط مصادر المعرفة والتلقي أساس الأمن الفكري، فالاعتقاد وصحته، والعمل وسلامته كل ذلك رهين سلامة المصدر الذي أخذ عنه.
 ٧. عقيدة الإسلام ليست مصدراً للإرهاب، وليست مصدراً للانحراف الفكري والتطرف، بل هي مصدر الاعتدال والوسطية.
 ٨. إن الإسلام برئ من معتقد التكفير، وزعزعة الأمن.
 ٩. ضرورة العناية بتربية النشء تربية عقدية، مع استقصاء مواطن الخلاف لدى الجماعات التكفيرية، ونقاشها بشكل واضح لا حرج فيه ولا غموض.
- اهتدى الباحث إلى مجموعة من التوصيات، من أهمها:
- ١) تواصل الجهود العلمية المتتابعة في تناول قضية سلامة العقيدة وتحقيقها للأمن على اختلاف أوجهها، وفي مقدمتها الأمن الفكري تجلية وتوعية، تأصيلاً وتفريعاً.

- (٢) أن يأخذ مفهوم الأمن الفكري مساحة من الاهتمام توازي ضرورته وأهميته.
- (٣) أن يعتني الأئمة والخطباء بالأمن الفكري في الخطب والدروس، وأن تولي القنوات الإعلامية بذلك اهتماماً في برامجها.
- (٤) أن يعتني العلماء والدعاة بمنهج الوسطية والاعتدال ويولونه عناية تامة من حيث تحريره وبيان حقيقته ومعالمه وآثاره.
- (٥) أن يحرص أرباب العلم والفكر بالأخذ بزمام الأمور وإمالة اللثام عن كل ما يستجد من قضايا فقهية وفكرية، والعكوف على بيان الحق، ثم بثه وإشاعته للناس، مؤمنهم وكافرهم، بكل وسيلة ممكنة .
- (٦) أن ننتقل بمنهج الوسطية والاعتدال من دوائر التنظير إلى ساحات التطبيق وميادين الفسيحة في شتى شؤون الحياة.
- (٧) الأخذ بمبدأ الحوار والنصح المستمد من كتاب الله -تعالى- وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم .
- (٨) إن الإعلام يجب أن يكون موجهاً للحق الذي تدين به الأمة وهو نشر العقيدة الوسيطة لها، فينطلق الإعلام من ذلك الحق ويعزز ويدعو إليه.

فهرس المصادر والمراجع

- القرآن الكريم .

- أسد الغابة لابن الأثير، دار المعرفة، ١٩٧٧م .
- الأم، لأبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي، ط ١٣٨٨هـ.
- أودية مكة المكرمة لعاتق بن غيث البلادي، الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م .
- إعلام الموقعين لابن القيم، دار الكتب العلمية، ١٩٩٦م.
- البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي، دار الكتب العلمية، بيروت.
- تاج العروس من جواهر القاموس، للزيدي، المطبعة الخيرية، مصر، ط ١٣٠٦ هـ .
- تحفة الأحوزي شرح سنن الترمذي للمبارك فوري أبو العلا، دار الفكر .
- التحفة المهدية شرح الرسالة التدمرية لفالح بن مهدي آل مهدي .
- تصحيح وتعليق : الشيخ / عبد الرحمن بن صالح الحمود، مكتبة الحرمين، الرياض، ط ٢، ١٤٠٥هـ.
- تسهيل العقيدة الإسلامية، لعبد الله بن عبد العزيز بن جبرين، مكتبة الرشد، الرياض.
- تلبس إبليس، أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، دار الكتب العلمية .
- تهذيب الأسماء واللغات للإمام النووي، داء احياء التراث العربي، ط ١٩٩٦م.
- أثر العقيدة الإسلامية في تحقيق الأمن الفكري للدكتورة بدرية محمد الفوزان، نشر المجلة الدولية للدراسات الإسلامية المتخصصة، (١/١) ٢٠١٨م.
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري)، لمحمد بن جرير الطبري، تحقيق : عبد الله ابن عبد المحسن التركي، دار هجر / ٢٠٠٨م.
- الجامع الصحيح وهو سنن الترمذي، لأبي عيسى، محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، تحقيق وشرح : أحمد محمد شاكر، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، لشيخ الإسلام أبي العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحلليم بن تيمية، تحقيق وتعليق :د. علي حسن الأملعي، دار الفضيلة، الرياض، ط ١ / ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.
- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، لابن حجر، حققه وقدم له ووضع فهرسه :محمد سيد جاد الحق، مطبعة المدني مصر، ط ٢، ١٣٨٥هـ - ١٩٦٦م.
- درء تعارض العقل والنقل، لابن تيمية، تحقيق : محمد رشاد سالم، نشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط ٢، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.
- ديوان الحطيئة، شرحه وضبط نصوصه وقدم له، عمر فاروق الطباع، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ط ٢٠٠٥م.

المؤتمر الدولي العاشر

[دور العلوم العربية والإسلامية في تكريس الأمن الفكري وتحقيق السلام المجتمعي]

- ديوان إيلياء (الجداول)، تقديم وتحقيق : حجر عاصي، دار الفكر العربي المعاصر.
- الدين، لمحمد عبد الله دراز، مطبعة هندواي، جمهورية مصر العربية، ط ٢٠١٢م.
- روضة الطالبين للإمام النووي، تحقيق : عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد العض، دار الكتب العلمية، ط ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.
- سنن النسائي، المكتب الإسلامي، بيروت.
- سنن ابن ماجه، المكتب الإسلامي، بيروت.
- الاستيعاب لابن عبد البر، دار الكتب العلمية .
- صحيح البخاري، مؤسسة علوم القرآن، الإمارات العربية المتحدة، تخريج : د. مصطفى الديب.
- صحيح سنن الترمذي، للألباني، المكتب الإسلامي، بيروت.
- صحيح سنن النسائي، للألباني، المكتب الإسلامي، بيروت.
- صحيح مسلم، دار المعرفة، بيروت.
- صور من تراث مكة المكرمة في القرن الرابع عشر الهجري، لعبد الله محمد أبكر.
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لابن العماد الحنبلي، دار المسيرة، بيروت، لبنان، ط ٢، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- شرح أصول اعتقاد أهل السنة، لهبة الله بن الحسن اللالكائي، تحقيق : د. أحمد حمدان الغامدي، دار طيبة، الرياض.
- طريق الهجرتين، لشمس الدين ابن القيم، دار الكتاب العربي، بيروت .
- عقيدتنا الإسلامية للدكتور بسام العموش، ط ١، الأكاديميون للتوزيع والنشر، عمان، الأردن.
- العقيدة الصافية للفرقة الناجية، لسيد سعيد السيد عبد الغني، تقديم فضيلو الشيخ سعود الشريم، والشيخ علي العلياني، ط ٢، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م، مؤسسة الجريسي، الرياض، المملكة العربية السعودية.
- العقيدة في الله، للدكتور عمر سليمان الأشقر، دار النفائس، الأردن، ط ١٢، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.
- عقيدة التوحيد في القرآن الكريم للدكتور محمد أحمد ملكاوي، مكتبة الرشد، الرياض، ط ١٤٢٤هـ.
- العقيدة الصافية للفرقة الناجية، لسيد عبد الغني، دار طيبة الخضراء، مكة المكرمة.
- علم لعقيدة عند أهل السنة لمحمد يسري، ط ١، ٢٠٠٤م.
- عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي صيبة، دار الكتب العلمية، ١٩٩٨م.
- إغاثة اللهفان من مصادب الشيطان لابن القيم، دار الكتب العلمية.

- فتح الباري لابن حجر، دار الفكر، ١٩٩٣م.
 - الفرق بين الفرق، لعبد القادر بن طاهر البغدادي، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد، طبع محمد علي صبيح .
 - كشف الظنون لحاجي خليفة، دار الفكر.
 - لسان العرب لابن منظور، دار صادر، بيروت، ط١.
 - مباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة وموقف الحركات الإسلامية المعاصرة منها، للدكتور/ ناصر عبد الكريم العقل، دار الوطن، ط١، ١٤١٢هـ.
 - مبادئ الفلسفة، أ.س. رايويوت، ترجمة : أحمد أمين، دار الكتاب العربي، بيروت.
 - مجلة الفكر الإسلامي المعاصر، العدد ٨١، السنة الواحدة والعشرون، ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م.
 - مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، لعلي بن أبي بكر الهيثمي، دار الكتاب، بيروت، ط٢.
 - مجموع فتاوى شيخ الإسلام، تقي الدين أحمد عبد الحليم بن تيمية، جمع وترتيب: عبد الرحمن ابن محمد بن قاسم النجدي وابنه محمد، مطابع الرياض، الرياض، ط٢، ١٩٧٦م.
 - المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده، دار الكتب العلمية .
 - المدخل لدراسة العقيدة الإسلامية على مذهب أهل السنة والجماعة للدكتور إبراهيم محمد البركان، دار ابن القيم، الرياض، ط١، ١٤٣٢هـ - ٢٠١٣م .
 - معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ط١، ١٣٩٢هـ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر.
 - مفهوم الأمن الفكري (دراسة تأصيلية في ضوء الإسلام) لماجد بن محمد الهديلي، رسالة ماجستير، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية الشريعة ن تخصص الثقافة الإسلامية، ١٤٣٢ - ١٤٣٣هـ.
 - مسند أحمد بن حنبل، تحقيق : أحمد شاكر، دار المعارف، مصر، ط٢، ١٣٩١هـ.
 - الملل والنحل، لأبي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، تحقيق : د. محمد سيد الكيلاني، طبع مصطفى البابي الحلبي، ١٣٧٨هـ - ١٩٦٧م.
 - منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة، لعثمان علي حسن، مكتبة الرشد، ط٥، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٦م.
 - الوافي بالوفيات لصلاح الدين الصفدي، دار احياء التراث العربي.
- ❖ **المواقع الالكترونية :**
- . الأمن الفكري، موقع وزارة الداخلية .

<https://sites.google.com/site/makkahalmoukarra>.

دور العقيدة الأشعرية في تحقيق الأمن الفكري في المجتمعات الإسلامية

الباحث/ محمد مزيان

أستاذ التعليم الثانوي التأهيلي - المملكة المغربية

تمهيد :

يعد مقصد الأمن من المقاصد العامة التي أمر الشرع باعتبارها ، وذلك لأن النفس الإنسانية تعد من الكليات الخمس التي يجب حفظها من جانب الوجود والعدم قال تعالى : " فليعبدوا رب هذا البيت ❖ الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف " سورة قريش ٣ / ٤

وعلى هذا الأساس جعل الإسلام النفس من الكليات الخمس التي يجب حفظها من جانب الوجود والعدم حفاظاً على النوع البشري الذي أمره الله بعمارة الأرض بالصلاح تطبيقاً لمبدأ الاستخلاف الذي يعد سنة من سنن الله الرامية إلى استمرار الكون والمضي به إلى الصلاح والمراد الذي أراده الله له.

ولما كانت الوسائل تبعا للمقاصد في جميع الكليات والجزئيات كما قرر في علم المقاصد و الأصول ، فإن أهم وسيلة للحفاظ على الأمن الاجتماعي والروحي في المجتمعات الإسلامية كامن في التعليم الذي يركز على العقيدة التي تجمع بين صحيح المنقول وصريح المعقول ، وذلك لأن الله تعالى بسط القوانين الكونية لتكشف بالعقل الذي غرسه في الإنسان للوصول إلى الغاية المثلى التي تتمثل في تحقيق مبدأ التوحيد وعبادة الله بالعلم الراجح المعتمد على العقل والشرع . قال تعالى على لسان نبيه إبراهيم الذي بحث بعقله وقلبه عن الحقيقة بالنظر والتدبر والتفكير فتحقق له اليقين الذي عرف به الله وعبده حق عبادته قال تعالى: " وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السماوات والأرض وليكون من الموقنين " الأنعام: ٧٥

ومن ثم فقد سلك القرآن في مجال تعليم العقيدة مسلك الاستدلال العقلي للوصول إلى اليقين ونبت التقليد الذي يعد من المعوقات التي تعوق الفكر والنظر والتفكير ، ويجعل الإنسان مكبلاً بقيود التبعية للباطل كما وقع للأمم الماضية التي قلدت الآباء في العقيدة ، وهو فعل يناه في الفطرة الإنسانية التي بنيت على الحرية

والاختيار قال تعالى " وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون " الزخرف ٢٣ وإذا كان التقليد قد منعه الشرع في مجال العقيدة والأصول ، فإنه مسموح به في مجال الفروع الفقهية التي تتعلق بالأعمال المرتبطة بالأحكام التكليفية والوضعية ، إتباعا للرسول الأكرم الذي أمرنا باتباع أوامره واجتناب نواهيه ، ولأن الفقه لا يضر فيه التقليد ، وقد لا يستوي العمل إلا به خصوصاً وأن التفقه في الدين يحتاج إلى الدخول في زمرة الفرقة الخاصة بالمجتهدين الذين لا ينفرون في الجهاد ولا يباشرون الأعمال الدنيوية إلا ما تعلق منها بالفتوى والفقه والإجابة على النوازل الجديدة وفق الأحكام الشرعية العملية .

لقد أدى إبعاد هذا المسلك في التعليم الاعتقادي إلى تكوين كائنات بشرية قابلة للانفجار ، وذلك لأن إدراكها العقلي قد تم توجيهه على الحرفية الضيقة التي استبعدت العقل في الأمور الإيمانية ، وامتد أثر هذا إلى شيوع التقليد في العقيدة الذي يعد من المحرمات عند علماء الكلام والعقيدة الإسلامية .

إن الانسدادات التاريخية ناتجة عن هيمنة مجموعة من اليقينيات المطلقة التي لا تقبل النقاش والتي أصبحت عالية علينا وعلى العصر والبشرية بأسرها . هذه اليقينيات الجماعية الكبرى التي تحظى بمرتبة القداسة والعصمة هي التي تقدم الحماية المعنوية ، بل تخلع المشروعية الإلهية على أعمال الإجرام والإرهاب ، فعندما يتلو الزرقاوي أو سواه آية قرآنية قبل أن يذبح الرهائن من الوريث إلى الوريث أمام كاميرات التلفزيون ، فهذا يعني أن المسألة لن تقتصر عليه وحده بعد اليوم ، وإنما ستتجاوزه لكي تصل إلى النص ذاته أو على الأقل إلى الطريقة الخاطئة لفهم النص واستخدامه بطريقة وحشية ما أنزل الله بها من سلطان ..^(١)

ومن هنا فإن المرض العضال الذي ينخر جسم الأمة الإسلامية اليوم هو مرض الأصولية ، والشئ الوحيد الذي نستطيع أن نفعله هو أن نبلور فكراً آخر عن الإسلام غير الفكر السائد اليوم ، يكون فكراً منفتحاً ومتسامحاً وعقلانياً ، لأن التفسير الجيد للعقيدة الإسلامية سوف يدخل في صراع مرير مع التفسير العتيق الراسخ الجذور والذي يعتمد عليه الأصوليون لارتكاب أعمالهم الإجرامية ، فهو الذي يقدم

(١) الانسداد التاريخي ، لماذا فشل مشروع التنوير في العالم العربي هاشم صالح دار الساقى ، الطبعة الأولى

لهم المشروعية الدينية والحماية الكافية من الناحية النفسية ، وإلا لما استطاعوا ارتكاب كل هذه المجازر بحق المدنيين الأبرياء العزل الذين يؤخذون على حين غرة ، فالمسألة فكرية قبل أن تكون سياسية ، وإذا لم تحسم فكراً فلن تحسم سياسياً يوماً ما " (١)

ولا مجال لإنقاذ هذا الجيل إذا إلا بالجمع بين العقل والنقل في الدروس النظرية لعلم العقيدة مع الانفتاح على الدروس التطبيقية التي تفتح العقول نحو الكون الفسيح المليء بالأمثلة الوجودية المساعدة على التفتح العقلي والتحرر من كل القيود والوصول إلى درجة التوحيد الحقيقي الذي لا يتحقق إلا بسلوك هذا التحرر المقيد بالمنصوص والمعقول لخلق المواطن المعتدل الذي يراعي حقوق الله وحقوقه وحقوق بقية الأدميين والمحيط الذي يعيش فيه .

وإذا فعلنا ذلك نكون قد طهرنا مجتمعاتنا من آثار هذا الفكر ، وأسهمنا في خلق جيل معتدل في السلوك والمعاملات ، فضلاً عن بناء مجتمع الواجب الذي يجمع في بنائه الحضاري بين متطلبات الدنيا وواجبات الآخرة .

ولما كانت العقيدة الأشعرية قد جمعت بين العقل والنص ، في كل المباحث الاعتقادية التي يحتاجها المسلم في كل مراحل حياته لمعرفة الله وعبادته حق عبادته ، مع الإيمان اليقيني ببقية الأركان الأخرى من ملائكة ورسول وكتب سماوية واليوم الآخر والقضاء والقدر على النحو الذي يميل إلى التوازن والاعتدال والوسطية بعيداً عن الغلو والتريط والتنطع ، فقد قررت أن أبين معالم هذه العقيدة وأهمية مبادئها المعتدلة في تحقيق الأمن الفكري للمجتمعات الإسلامية ، وخاصة وأن طبيعة العصر تفرض هذا الاعتدال في العقيدة والسلوك والمعاملات لتحقيق المواطن المعتدل في سلوكه ومعاملاته .

فما هي مبادئ هذه العقيدة ؟ وما أهميتها في تحقيق الأمن الفكري ؟ وما المنهج الذي يمكن إتباعه عند تطبيق هذه المبادئ ؟

(١) نفسه ص ١١٠

المطلب الأول : المفاهيم الأساسية للبحث

قبل التفصيل في المباحث الخاصة بهذا البحث ، أود أن أنطلق من مفاهيمه الأساسية لتعريف بها في اللغة والاصطلاح الشرعي سيراً على النهج الحديث في البحث العلمي الذي يؤصل لمسائل العلم ببيان المصطلحات والمفاهيم .
وأغلب المفاهيم تنتقل من الوضع اللغوي إلى الوضع الشرعي والعرفي ، تبعا لقانون اللغة الذي يفرض هذا الانتقال ، دون حذف المفاهيم الأساسية التي تشكل الوضع الأول.

أولاً : العقيدة في اللغة والاصطلاح

تدور معاني هذا اللفظ حول الشد والجمع والعهد قال ابن فارس رحمه الله : " عقد " العين والقاف والذال أصل واحد يدل على شد وشدة وثوق، واليه ترجع فروع الباب كلها. (١)

واعتقدت كذا عقدت عليه القلب والضمير حتى قيل العقيدة ما يدين الإنسان به وله عقيدة حسنة سالمة من الشك واعتقدت ما لا جمعته. (٢)

ثانياً : العقيدة في الاصطلاح الشرعي

إن المعاني الأساسية المذكورة في اللغة هي منطلق أهل الاصطلاح في إثبات التعريف الاصطلاحي لكلمة العقيدة التي ترجع إلى أصول الجمع والشد والعهد فقد جاء في القاموس الفقهي : " العقيدة: الحكم الذي لا يقبل الشك فيه لدى معتقده. وهي جمع عقائد، وفي الدين هي: ما يقصد به الاعتقاد دون العمل. كعقيدة وجود الله، وبعثة الرسل. (٣)

والعقيدة في الاصطلاح الشرعي تطلق على كل ما يعتقد به الإنسان بقلبه من الأمور العلمية التي تحتاج إلى الإيمان اليقيني كالأمر المتعلقة بالله والملائكة والكتب السماوية واليوم الآخر والقضاء والقدر ، وهي مجمل الأمور الغيبية التي أمر المؤمن بالإيمان بها بناء على الأدلة النصية من القرآن والسنة ، والمؤيدة بالعقل والضرورة التي فطر الإنسان عليها في الخلق الأول .

(١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر ، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م ،

"مادة عقد " ج ٤ ص ٨٦

(٢) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للفيومي ، المكتبة العلمية - بيروت بدون تاريخ ج ٢ ص ٤٢١

(٣) القاموس الفقهي ، الدكتور سعدي أبو حبيب الطبعة الثانية ١٤٠٨ هـ = ١٩٨٨ م ، ج ١ ص ٢٥٦

وهي ترادف الإيمان عند عموم المحدثين وذلك لأن أغلبهم يبدأ بكتاب الإيمان ويقصد به مسائل العقيدة التي تدخل في عموم الإيمان بالمسائل العلمية المخالفة لمسائل العمل والتي تتعلق بها الأحكام التكليفية والوضعية . قال الله تعالى: "فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات والله يعلم متقلبكم ومثواكم" سورة محمد الآية ١٩

إن المعنى الإسلامي يتكامل لدى المسلم بالعقيدة الصحيحة إذ تستقر في قلبه وباتباع شرعته في سائر معاملاته مع الله ومع الناس ، ثم بالأخلاق الفاضلة إذ يقيم عليها علاقته مع الآخرين .^(١)

وأما العقيدة الأشعرية فيقصد بها مجموعة من المبادئ الشرعية المبنية على المنقول والمعقول و التي اعتمد عليها الأشعري وأتباعه في إثبات الأمور المتعلقة بأهيات أصول الدين .

وعلى هذا فلفظ الأشاعرة يطلق على من سلك مسلك الإمام أبي الحسن الأشعري في الاعتقاد اهتداء لا تقليداً .^(٢)

ثالثا : مفهوم الأمن الفكري في اللغة والاصطلاح

الأمن والأمان مصدران ينصرفان إلى معاني الأمانة والتصديق والطمأنينة والأمن من الحزن والخوف قال الخليل : " الأمن: ضد الخوف، والفعل منه: أمنَ يأمنُ أَمْنًا. والمأمنُ: موضع الأمن. والأمنةُ من الأَمْنِ، اسم موضوع من أمنت."^(٣)

وأما الفكر في اللغة فهو النظر والتدبر وإعمال الخاطر في الشيء قال ابن فارس : "فكر" الفاء والكاف والراء تردد القلب في الشيء . يقال تَفَكَّرَ إذا ردد قلبه معتبرا. ورجل فِكْرٌ: كثير الفكر."^(٤)

(١) كبرى اليقينيات الكونية للشيخ محمد سعيد رمضان البوطي ، دار الفكر المعاصر بيروت ، الطبعة الثامنة ١٩٩٧ م ، ص ٤٠

(٢) أهل السنة الأشاعرة لحمد السنان وحمدي العنجري ، دار الضياء للنشر والتوزيع ، بدون طبعة وبدون تاريخ ، ص ٣٤

(٣) العين للخليل ، تحقيق مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي دار ومكتبة الهلال الطبعة الأولى ، بدون تاريخ ، ج ٨ ص ٢٨٨

(٤) معجم مقاييس اللغة لابن فارس ج ٤ ص ٤٤٥

وأما في الاصطلاح فيرتبط الفكر بإعمال العقل في الشيء من خلال المقدمات المنطقية المؤدية إلى النتائج قال الجرجاني : " الفكر ترتيب أمور معلومة للتأدي إلى مجهول." (١)

وأما الأمن الفكري فقد عرفه عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس حيث قال : الأمن الفكري يعني أن يعيش الناس في بلدانهم وأوطانهم وبين مجتمعاتهم آمين مطمئنين على مكونات أصالتهم وثقافتهم النوعية ومنظومتهم الفكرية" (٢) وهو تعريف عام ركز فيه السديس على المنظومة الفكرية للأمة والتي تحقق الاطمئنان النفسي والعقلي لكل أفراد الأمة بناء على قناعاتهم بها .

وقال علي الحجني : هو مجموعة من الأنشطة والتدابير المشتركة بين الدولة والمجتمع لتجنب الأفراد والجماعات الشوائب العقيدية أو الفكرية أو النفسية التي تكون سببا في انحراف السلوك والأفكار والأخلاق عن جادة الصواب ، أو سببا في الإيقاع في المهالك " (٣)

وهذا يدفعنا على صياغة تعريف قريب من المعنى المرتبط بالعقيدة المبنية على المنصوص والمعقول فأقول : " الأمن الفكري هو مجموعة من الأفكار والمبادئ المرتبطة بالعقيدة الإسلامية الصحيحة ، والتي تحمي عقول المسلمين من الانحراف والزيغ والتقليد ، فيشعر كل فرد بالأمن في عقله وفكره من الأفكار الهدامة التي تؤثر في العقول وتؤدي إلى الانحراف أو التشدد أو التفريط .

وبهذا يتبين أن هذا الأمن يستمد قوته من العقيدة السوية التي تعتمد على المنقول والمعقول ، وذلك لأن المؤمن مطالب باستخدام عقله في عالم الشهادة للوصول إلى اليقين الموصل إلى التوحيد ومعرفة الله ، كما يرتبط بمقاصد الشريعة الإسلامية من خلال حفظ الضروريات الخمس من جانبي الوجود والعدم ، فإذا توفر هذا الأمن ، أمن المؤمن في دينه ونفسه وعقله وعرضه وماله . يقول التركي : " إن المجتمع

(١) التعريفات للجرجاني ، جماعة من العلماء دار الكتب العلمية بيروت - لبنان الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ -

١٩٨٣م ، ج ١ ص ١٦٨

(٢) الشريعة الإسلامية ودورها في تعزيز الأمن الفكري عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس جامعة نايف

بالسعودية ، بدون تاريخ ص ١٦

(٣) مراكز البحوث ودورها في التصدي لمهددات الأمن ، لعلي الحجني ، بحث مقدم لمؤتمر الأمن الفكري

جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية الطبعة الأولى ٢٠٠٥ ص ١٨٤

الأمن في نظر الإسلام وحكمه هو المجتمع الذي يشعر فيه الناس بحرمة الدين محفوظة مصونة ، وكذا حرمة النفوس والعقول والأعراض والأموال ، وهذه الأصول الخمسة تمثل مقاصد الحضارة الإنسانية في منهج الإسلام .^(١)

المطلب الثاني : تعليم العقيدة الأشعرية أول محطات الأمن الفكري

يعد علم العقيدة من العلوم التي يجب تعلمها لأنها ترتبط بعلم الله تعالى وصفاته وأسمائه الحسنى ، كما أنها تتناول الغيبات التي أمر الله تعالى بالإيمان بها ، وذلك لأنها تعد من الأصول التي تدركها العقول بعد بيان حقيقتها من لدن الرسل والأنبياء . قال تعالى : " وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً " الإسراء ١٥

ومن الأدلة الدالة على أولوية العقيدة في التعليم حديث عمران بن حصين رضي الله عنهما ، قال : إني عند النبي صلى الله عليه وسلم إذ جاءه قوم من بني تميم ، فقال : " اقبلوا البشرى يا بني تميم " ، قالوا : بشرتنا فأعطنا ، فدخل ناس من أهل اليمن ، فقال : " اقبلوا البشرى يا أهل اليمن ، إذ لم يقبلها بنو تميم " ، قالوا : قبلنا ، جئناك لتنفقه في الدين ، ولنسألك عن أول هذا الأمر ما كان ، قال : " كان الله ولم يكن شيء قبله ، وكان عرشه على الماء ، ثم خلق السموات والأرض ، وكتب في الذكر كل شيء " .^(٢)

وفي الحديث ما يشير إلى ارتباط التفقه بعلم العقيدة والإيمان ، وقد سألوا عن أمور الكون مما يدل على شغل عقولهم بهذه الأدلة التي وجدوا لها جواباً عند رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقال عمر ابن الخطاب رضي الله عنه : " قام فينا النبي صلى الله عليه وسلم مقاما ، فأخبرنا عن بدء الخلق ، حتى دخل أهل الجنة منازلهم ، وأهل النار منازلهم ، حفظ ذلك من حفظه ، ونسيه من نسيه " .^(٣)

وعن وكيع بن حدى ، عن عمه أبي رزین العقيلي ، قال : قلت : يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ قال : " هل ترون ليلة البدر القمر أو الشمس بغير سحاب ؟ " ، قالوا

(١) الأمن الفكري وعناية المملكة العربية السعودية به عبد الله التركي، رابطة العالم الإسلامي ١٤٢٢هـ ، ص ٣١

(٢) صحيح البخاري كتاب التوحيد باب وكان عرشه على الماء - حديث: ٧٠٠٤

(٣) صحيح البخاري كتاب بدء الخلق باب ما جاء في قول الله تعالى : " وهو الذي يبدأ الخلق ... " رقم ٣٠٣٥

: نعم ، قال : " فالله أعظم " . قلت : يا رسول الله أين كان ربنا قبل أن يخلق السماوات والأرض ؟ قال : " في عماء ، ما فوقه هواء وما تحته هواء " ^(١)

ومن الأمور الأولية التي يجب تعلمها في مجال العقيدة هي معرفة الله تعالى بالنظر والتفكير والتدبر ، وذلك لأن النظر الصحيح يوصل إلى الله بعد إعماله في مجال الأدلة الكونية ومخلوقات الله التي أمر الله تعالى بالنظر فيها واكتشاف سننها وقوانينها للوصول إلى التوحيد الحقيقي المبني على النظر والتفكير والتدبر ، ومن هنا يتفق الأشاعرة مع عموم الحنابلة وأهل الحديث في اعتبار معرفة الله من الأولويات التي يجب أن يبدأ بها في التعليم قال البخاري " باب العلم قبل القول والعمل " وهو يقصد علم العقيدة والإيمان الذي يسبق الأمور العملية التي تدخل في الفروع. غير أن أهل السنة والحديث يبدؤون بالتوحيد دون اعتماد النظر العقلي في الوصول إليه وهو توجه وإن كان له حظ في النظر ، إلا أنه يفتقر إلى بناء علمي يقيني ينطلق من الأدلة الكونية التي أمر الله باكتشافها ، وهذا المنهج الأخير هو المعتمد عند عموم الأشاعرة ، وله شواهد في القرآن الكريم من خلال تجارب الأنبياء ، فهذا نبي الله إبراهيم الذي بدأ رحلته في التوحيد بإعمال النظر في الكون قال تعالى : " وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السماوات والأرض وليكون من الموقنين " الأنعام: ٧٥ ، وهذه الرؤية الإلهامية تجلت في الأعمال العقلي الذي كرس عنده الإيمان وأدخله في زمرة الموقنين بوحداية الله قال تعالى : " فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي فلما أفل قال لا أحب الأفلين ❖ فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربي فلما أفل قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين ❖ فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر فلما أفلت قال يا قوم إني بريء مما تشركون ❖ إني وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين ❖ " الأنعم ٧٦ - ٧٩

وعلى هذا فقد وجب الحرص على تعليم العقيدة الأشعرية للناشئة لتحسين تدينهم وأفكارهم ، وتحقيق التوازن الشخصي الذي من شأنه أن يدفع المفاسد الفكرية التي تؤثر في الناشئة التي لم تأخذ حظا وافرا من العلم الاعتقادي المبني على المنصوص والمعقول .

(١) صحيح ابن حبان كتاب التاريخ ذكر الإخبار عما كان الله فيه قبل خلقه السماوات والأرض -

إن العقيدة الأشعرية قد قامت على منهج التوسط والاعتدال بين الحرفية الضيقة التي تستند على النصوص ، وبين الانفتاح المتطرف الذي يراعي العقل وحده ، فهي عقيدة وسطية في مبادئها الأولية ومسائلها العلمية المرتبطة بالتوحيد والصفات ، ولا يجد الدارس لهذه العقيدة ما يضطره إلى الغلو والتفريط قال ابن خلدون رحمه الله عن أبي الحسن الأشعري : " فتوسط بين الطرق ونفى التشبيه وأثبت الصفات المعنوية وقصر التنزيه على ما قصره عليه السلف. وشهدت له الأدلة المخصصة لعمومه فأثبت الصفات الأربع المعنوية والسمع والبصر والكلام القائم بالنفوس بطريق النقل والعقل. ورد على المبتدعة في ذلك كله وتكلم معهم فيما مهدوه لهذه البدع من القول بالصلاح والأصلح والتحسين والتقبيح وكمل العقائد في البعثة وأحوال المعاد والجنة والنار والثواب والعقاب".^(١)

وبالإضافة إلى ما ذكره ابن خلدون أضيف عليه الأسباب الأخرى التالية :

- ❖ الجمع بين العقل والنقل في المباحث العقديّة التي للعقل فيها مجال
- ❖ احترام النصوص الشرعية وعدم تجاوزها إلا إذا كانت الضرورة تدعو إلى التأويل تحرزا من التجسيم الذي يجب أن ينزه عنه الله تعالى
- ❖ بناء العقيدة على الاختيار الحر الذي ينطلق من قوله تعالى : " لا إكراه في الدين " البقرة الآية ٢٥٦
- ❖ محاربة التقليد في العقيدة لأنه يعد من مفسدات الفطرة الإنسانية إلى جانب التكبر والجحود ، قال البيهقي : إذ كل من قلد في التوحيد ❖ ❖ ❖ إيمانه لم يخل من ترديد^(٢)
- ❖ اعتبار كل الطوائف العقديّة من أهل القبلة وعدم السقوط في فخ التكفير والتبديع الذي سقط فيه أصحاب العقيدة الحنبلية والخوارج
- ❖ بناء أطروحاتهم على الأدلة والبراهين العقلية فضلا عن النصوص الشرعية من الكتاب والسنة ، لدفع أوهام المخالفين وتنزيه الشريعة من مطاعن الملحدّين وأهل الباطن .

(١) تاريخ ابن خلدون ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر ،

تحقيق : خليل شحادة ، دار الفكر، بيروت ، الطبعة: الثانية، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م ، ص ٥٨٨ .

(٢) جوهرة التوحيد شرح اللقاني ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الثانية ٢٠٠٤ ص ٤٢

غير أن هذا التكوين يفرض التفاوت في التحصيل والتعليم ، فيكتفى في المراحل الأولى بالمبادئ التي تعرف بالله وصفاته الواجبة في حقه وخاصة تلك التي ترتبط بالقرآن الكريم كالصفات السلبية المكتسبة من سورة الإخلاص والتي تجعل المتعلم الأولي مقبلا على الله وعارفا بصفاته التي ينفرد بها الله وحده .

وفي المراحل المتقدمة يتعلم المتعلم المبادئ الأولية لهذه العقيدة المبنية على الاختيار مع الانفتاح على بعض الدروس التطبيقية التي تعطي الأولوية للأدلة العقلية في مجال الإلهيات والبعث والجزاء والنبوات واليوم الآخر والقضاء والقدر .

وأما المبادئ الكلامية فتلقن للمنتهين الذين تعمقوا في المباحث العقيدية المبنية على مبادئ العقيدة الأشعرية ، مع الدراسة المقارنة للعقائد الشرعية الأخرى التي تدخل في مسمى أهل السنة والجماعة دون إغفال أصحاب المبادئ الأخرى كالمعتزلة وغيرها ومناقشة مبادئها على مستوى الخلاف العالي في العقيدة لبيان مظانها ومرجعياتها العقلية والنصية والوقوف على حقيقتها التي قد تنفع في مجال البحث والدراسة في الجامعات الإسلامية .

المطلب الثالث : مبادئ العقيدة الأشعرية التي تحقق الأمن الفكري

لقد قامت العقيدة الأشعرية على مجموعة من المبادئ الشرعية التي تتوافق مع الشريعة الإسلامية ، وتتمثل في النصوص الشرعية من القرآن والسنة وأقوال الصحابة والتابعين لأنها في حكم المرفوع ، وأما المبادئ التي اعتمدا فيها على العقل فلها ما يعضدها في النص الشرعي الذي حث على استخدام العقل باعتدال ووسطية ودون الغلو في استعماله تحرزا من المزالق الفكرية التي وقع فيها المعتزلة .

أولاً : الجمع بين العقل والنقل في الاستدلال على مباحث العقيدة يحقق الأمن

الفكري :

ففي العقيدة مباحث يستدل عليها بالعقل ، ومنها ما يحتاج إلى السمع المحض مما يدل على ضرورة الجمع بين العقل والنقل في الاستدلال ، قال شارح جوهرة التوحيد ، الشيخ اللقاني : " الصفات على ثلاثة أقسام : القسم الأول الذي لا يصح الاستدلال عليه إلا بالدليل العقلي وهو ما توقفت عليه المعجزة من الصفات كوجوده تعالى وقدمه وبقائه وقيامه بنفسه ومخالفته للحوادث وقدرته وإرادته وعلمه وحياته .

والقسم الثاني ما لا يصح الاستدلال عليه إلا بدليل سمعي وهو كل ما لا تتوقف المعجزة عليه من الصفات كالسمع والبصر والكلام...^(١)

ثم قال : " وأما ما يرتبط بالوحدانية فقد اختلف فيه والأصح أن دليلها عقلي ، وإن كانت النصوص على وحدانية الله في القرآن كثيرة وأولها مطلع سورة الإخلاص.^(٢)

والعقل عند الأشاعرة يقابل العلم لأنه يبني عليه ، ويكتسب بطريقه ، إذ لا مجال لتعلم العلم إلا بواسطة العقل الذي استعمل بمعنى العلم للدلالة على قيمته في الاكتساب ومعرفة الله والوصول إلى التوحيد المبني على اليقين الجازم. قال ابن العربي المعافري رحمه الله : " فأما العقل فقد اختلف الناس فيه واضطربوا فيه اضطراباً شديداً والصحيح إنه العلم وهو مذهب شيخنا أبي الحسن الأشعري رضي الله عنه...^(٣)

والنظر قانون الاستدلال في الأمور، وحاكم العدل وقاضي الصدق ، وبرهان الشريعة ، ومحط الحق والباطل ، وبريد المعرفة ، وسلطان الحقيقة ، وترجمان الإيمان ، وحجة الأنبياء ، ومحجة الأولياء ، والسيف القاطع على الأعداء^(٤)

ودليل اعتبار العقل في العقيدة هو ما قرره علماء الأصول عن أهل الفترة الذين يسألون في الأصول دون الفروع ، لأنهم خلقوا مع العقل والفضرة اللذان يدلان على وجود الله تعالى ، قال الشنقيطي العلوي المالكي في المراقي :
ذو فترة بالفرع لا يراع ❖ ❖ ❖ وفي الأصول بينهم نزاع^(٥)

(١) تحفة المريد للشيخ البيجوري شرح جوهرة التوحيد للقاني المالكي ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الثانية

٢٠٠٤ ، ص ٤١

(٢) نفسه بتصرف ص ٤١

(٣) المحصول لابن العربي المعافري المالكي ، حسين علي اليدري - سعيد فودة ، دار البيارق - عمان ،

الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ ، ص ٢٤

(٤) دلائل التوحيد لجمال الدين القاسمي ، دار الكتب العلمية لبنان ، الطبعة الأولى ١٩٨٤ ، ص ١٣

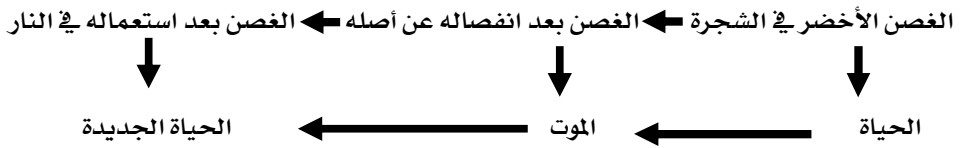
(٥) نشر البنود على مراقي السعود للعلوي الشنقيطي مطبعة فضالة بالمغرب ، الطبعة الأولى بدون تاريخ ،

فالعقل معتبر في الأصول لأنه يدرك الأدلة بعد التفكير والتدبر وهي التي توصل إلى التوحيد الحقيقي الذي يعد من أسس النظام المعرفة الإسلامي.

وليس صحيحاً ما يقال عن الأشاعرة أنهم بالغوا في استعمال العقل في العقيدة إلى درجة التأويل المفرط الذي يعتمد على المجاز وإنكار القطعي من النصوص ، وهي دعوى تحتاج على دليل خاصة وأن الأشاعرة عرفوا منذ عهد المؤسس الأول بدفاعهم عن النصوص الشرعية وخاصة في ردهم المشهور على المعتزلة في مسألة التحسين والتقيح والصفات ^(١).

إن النصوص الشرعية التي تفصل في موضوعات العقيدة ، قد حثت على ضرورة التدبر والتفكير في الآيات الكونية الدالة على صدق القرآن والرسالات السماوية والأخبار الخاصة بالبعث واليوم الآخر ، وهو الطريق الأفضل لمن رام الإيمان الحق . قال تعالى في أمر البعث : " الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فإذا أنتم منه توقدون " يس ٨٠

فالغصن الأخضر تكون فيه الحياة ما دام ملتصقا بأصله الذي يسقى من ماء المطر أو العيون ، وعندما يفصل عن الشجرة يموت ، ولا يعرف الحياة إلا عند استعماله في الاشتعال بعد إشعال النار فيه ، وهي الحياة الحقيقية له ، وهكذا البعث المسبوق بالحياة والموت ، وما يعقبهما من القيام من القبر والسير إلى المحشر للحساب في حياة وسمت في القرآن بالحيوان أو الحياة الحقيقية ، قال تعالى : " وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب وإن الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون " العنكبوت ٦٤



وهكذا تنفع الأدلة العقلية المعضدة بالنص الشرعي من القرآن والسنة في بيان مباحث العقيدة للوصول إلى التوحيد الحقيقي الذي لا يشوبه الشك والارتياب .

إن هذا المسلك كفيل بأن يجعل التدين مبنيًا على الحرية والاختيار ، سيراً على نهج الفطرة الإنسانية التي تقتضي عدم الإكراه في الدين . ومجتنباً للتقليد الذي

(١) انظر على سبيل المثال ما كتب من نقد للطريقة الأشعرية في كتاب منهج الأشاعرة في العقيدة لسفر

الحوالي دار منابر الفكر بدون تاريخ ص ٧٠ وما بعدها

يُفسد الفطرة ويكسر التبعية في المجالات العلمية التي تحتاج إلى الأدلة اليقينية التي يتم استنباطها من النصوص الشرعية الصحيحة والبراهين العقلية الصريحة .

ثانياً : ترك التقليد في العقيدة يحقق الأمن الفكري والعقدي

التقليد هو الأخذ بقول الغير من غير أن يعرف دليله ، وهو جائز في الفروع باتفاق ، وذلك أخذاً من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم " صلوا كما رأيتموني أصلي.." (١)

غير أن هذا الأمر لا يجوز في العقيدة لأنها تحتاج إلى اليقين والافتناع بعد إعمال الفكر والنظر ، فمن قدر على ذلك فلا مجال للتقليد عنده إلا على سبيل السؤال قال ابن العربي : " لا يجوز لمن قدر على النظر أن يقلد عاماً " (٢)

ومن حق السائل أن يتساءل عن مصدر المعرفة في العقيدة وغيرها ، وهي الشيخ المعلم الذي يعلم مبادئ التوحيد على طريقة أهل السنة والجماعة من الأشاعرة ، وهو محض التقليد لأنه مبني على الأقوال والأفعال الصادرة من الشيخ .

والجواب عنه يتمثل في تلقين المتعلم على النحو الذي يقوم فيه ببناء الأفكار وفق البناء العقلي المنطقي المبني على الإدراك والنظر ، وتطبيق قاعدة التصورات والتصديقات للوصول إلى البناء الكلي للدليل المبني على الحكم الجازم والموافق للواقع ، وتحزراً من الفساد الفكري و الاعتقادي الذي تكون مقدماته وحدوده الوسطى مائلة إلى الاضطراب ، مما يؤثر في النتيجة العقلية التي لا توافق المعقول والمنقول ، فكل حكم يبني على النظر والإدراك فإنه يصل إلى درجة اليقين ويكون جازماً ، مما يدل على علمية الاستخدام العقلي في تعلم العقيدة الأشعرية ومبادئها ، ولهذا قال شارح جوهرة التوحيد الشيخ اللقاني " وخرج بقولنا - من غير أن يعرف دليله - التلاميذ بعد أن يرشدهم الأشياخ للأدلة فهم عارفون لا مقلدون " (٣)

إن التقليد في العقيدة يعد سبباً للتعصب والتعنت والميل إلى تفضيل الرأي الواحد ، وقد يصل الأمر بالمقلد إلى الدفاع عنه بالسيف والعنف ، وهذا مشاهد في تصرفات بعض المقلدين في العقيدة الذين آثروا أقوال شيوخهم على الحق ، ولم يحترموا حق

(١) سنن الدارقطني - كتاب الصلاة ، باب في ذكر الأمر بالأذان والإمامة وأحقهما - حديث: ٩١٨

(٢) المحصول لابن العربي ص ١٥٥

(٣) شرح جوهرة التوحيد للقاني ص ٤٣

الاختلاف الذي ضمنته الشريعة تحقيقاً للعدل الرباني في الأرض . وتطبيقاً لسنن الله في الكون التي اقتضت هذا الاختلاف الذي سبب الله أوجهه يوم القيامة .
 ألا ترى أن التقليد في العقيدة هو الذي أدى بكثير من الأمم إلى معاندة الأنبياء ومحاربتهم بالتعذيب والقتل والرجم والإحراق قال تعالى : " قالوا إنا تطيرنا بكم لنن لهم تنتهوا لنرجمنكم وليمسنكم منا عذاب أليم " يس ١٨
 وقال تعالى في حق نبي الله إبراهيم عليه السلام : " قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين " الأنبياء ٨٨

وقال تعالى في شأن أصحاب الأخدود: " قتل أصحاب الأخدود : النار ذات الوقود ❖ إذ هم عليها قعود ❖ وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود ❖ وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد ❖ الذي له ملك السماوات والأرض والله على كل شيء شهيد ❖ " البروج ٤ / ٩

وهي مشاهد تتكرر كل يوم في معارك الفكر والعقيدة ، وذلك لأن الإيمان الأعمى يقتل ويدفع بصاحبه إلى ارتكاب جرائم القتل راضياً مرضياً .
 ومن خلال ما تقدم يحق لنا أن نؤيد مبادئ هذه العقيدة التي بنيت على الاختيار الحر الذي أمر به القرآن الكريم في مجال العقيدة ، انطلاقاً من قوله تعالى " لا إكراه في الدين " وهو المبدأ الذي يجب أن تقوم عليه الأصول العامة لكل الفرق الإسلامية لتحقيق المؤمن المتحرر من قيود التقليد والتبعية والاستعباد . قال تعالى في شأن امرأة عمران : " رب إنني نذرت لك ما في بطني محرراً فتقبل مني إنك أنت السميع العليم " آل عمران ٣٥

فإذا روعي هذا المبدأ في العقيدة فمن شأنه أن يحقق الأمن الفكري والسلم الاجتماعي ، وخاصة إذا طبق في التعليم والتربية في أفق تكوين المواطن الصالح الذي يعمل على تطبيق قيم الوسطية والاعتدال والاحترام وتقدير الآخر فضلاً عن التعاون والتأزر الإنساني والعدل والحرية وعمارة الأرض .

ثالثاً : احترام قناعات الناس وعدم تكفيرهم بفسخ ثقافة التسامح ويمحو آثار

التعصب والانتقام

روي عن أبي الحسن الأشعري أنه كان يتورع عن التكفير واحتقار الآخرين في مجال الأفكار التي يعتقدونها وكان هدفه رحمه الله من ذلك بناء العقيدة الأشعرية على حق الاختلاف ومناقشة الآراء بالحجة والبرهان دون التعصب أو الميل إلى الاحتقار والازدراء سيراً على نهج الصحابة والتابعين الذين يؤيدون الحق ويتبعونه . قال ابن

عساكر رحمه الله عن الشيخ الأشعري : " عن أبي علي زاهر بن أحمد السرخسي قال لما قرب حضور أجل أبي الحسن الأشعري رحمة الله في داري ببغداد دعاني فأتيته فقال أشهد على أنني لا أكفر أحدا من أهل هذه القبلة لأن الكل يشيرون إلى معبود واحد وإنما هذا كله اختلاف العبارات" (١)

وقال الغزالي رحمه الله : " والذي ينبغي أن يميل المحصل إليه الاحتراز من التكفير ما وجد إليه سبيلاً. فإن استباحة الدماء والأموال من المصلين إلى القبلة المصرحين بقول لا إله إلا الله محمد رسول الله خطأ، والخطأ في ترك ألف كافر في الحياة أهون من الخطأ في سفك محجمة من دم مسلم." (٢)

وهذا مخالف للمنهج الذي سار عليه أصحاب الإسلام السياسي الذين أقحموا العقيدة في هذا المجال للحصول على السلطة والحكم واستبعاد أصحاب الرأي المخالف ، وهي العقيدة التي فرضت عليهم الدخول في المجالات السياسية ، في أفق تحقيق حكم الإسلام السياسي الذي يتغذى من المبادئ التي تدعو إلى العنف والقتل والحقد ، بدعوى الحصول على السلطة ، علماً بأن الأمور المرتبطة بالحكم والسياسة الشرعية تعد من مباحث الفقه لما فيها من الأعمال الموجبة للأجر والثواب والعقاب تبعا للمقاصد والنيات قال الغزالي : " النظر في الإمامة أيضاً ليس من المهمات، وليس أيضاً من فن المعقولات فيها من الفقهيات ، ثم إنها مثار للتعصبات والمعرض عن الخوض فيها أسلم من الخائض بل وإن أصاب، فكيف إذا أخطأ " (٣)

وإذا كان أصحاب هذا الاتجاه قد انحرفوا في مجال الإسلام السياسي بعد إقحام العقيدة في ذلك حتى عد هذا المبدأ من مباحث التوحيد ، فإن فرقاً أخرى قد غالت في التكفير والاستخفاف بعقول الناس كما نجد في أقوال الوهابية التي غالت في مسألة الاستخفاف بالعقول إلى درجة التكفير . قال محمد عبد الوهاب في إحدى رسائله إلى قاضي الرياض الشيخ سليمان بن سحمان : " و لكن أنت رجل جاهل

(١) تبين كذب المفتري فيما نسب إلى الأشعري لابن عساكر ، دار الكتاب العربي - بيروت ، الطبعة:

الثالثة، ١٤٠٤ ، ص ١٤٩

(٢) الاقتصاد في الاعتقاد للغزالي تحقيق عبد الله محمد الخليلي ، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان ،

الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م، ص ١٣٥

(٣) نفسه ص ١٢٧

مبغض لدى الله ، وتلبس على الجهال الذين يكرهون دين الإسلام ، ويحبون الشرك ودين آبائهم" (١)

وهو كلام خطير يدفع إلى البغض والحقد وينمي مشاعر الكراهية بين أفراد المجتمع الواحد فضلاً عن النرجسية والأنانية وكراهية الآخر .

فهل كان النبي عليه السلام يستعمل هذا الأسلوب في المرحلة المكية التي كانت فترة العقيدة باتفاق ؟

وهل ثبت عنه أن استخف بأهل الشرك أو استعمل أسلوب التهكم عند دعوتهم إلى الإسلام ؟ كلا لقد كان رحيماً في دعوته لهم ، وكان يدعو إلى الله بالرفق وبالتواضع هي أحسن ، بل كان كذلك حتى بعد فتح مكة فقال " اذهبوا فأنتم الطلقاء "

لقد تركهم لعقولهم ، ولقناعاتهم الشخصية فأمن الكثير منهم ولم يبق في مكة إذ ذاك مشرك . فقد ثبت في السيرة أنه تبرأ من فعل خالد بن الوليد الذي دخل يوم الفتح شاهراً سيفه أمام المعاندين فقال : " اللهم إني أبرأ إليك من فعل خالد "

ولما أشرفوا على مشارف مكة يوم الفتح أمر الناس بإشعال النيران لإشعارهم بأن الإسلام دين السلام يقر بقيمة الاختلاف والحرية في الاختيار قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " اليوم يوم الرحمة " ردأ على من قال من الأنصار بأن اليوم يوم الملحمة (٢)

وسبب كل ذلك يرجع على التعصب الذي يؤدي إلى عواقب وخيمة تظهر على الأتباع بعد تغلغل الأفكار في القلب بالأدلة النصية التي يتم اختيارها بإتقان لإفساد العقول ومنعها من ممارسة وظيفتها التي هي الأعمال في آيات الأنفس والآفاق ، قال الغزالي رحمه الله : " وأكثر الجهالات إنما رسخت في قلوب العوام بتعصب جماعة من جهال أهل الحق أظهروا الحق في معرض التحري والإدلاء، ونظروا إلى ضعفاء الخصوم بعين التحقير والإزراء. فثارت من بواطنهم دواعي المعاندة والمخالفة ورسخت في نفوسهم الاعتقادات الباطلة وعسر على العلماء المتلطفين محوها مع ظهور فسادها، حتى انتهى التعصب بطائفة إلى أن اعتقدوا أن الحروف التي نظروا بها في الحال بعد السكوت عنها طول العمر قديمة. ولولا استيلاء الشيطان بواسطة العناد

(١) الفكر السياسي الوهابي قراءة تحليلية لأحمد الكاتب ، مكتبة مدبولي القاهرة ، بدون طبعة وبدون تاريخ ، ص ٢٥

(٢) أنظر مغازي الواقدي ، دار الأعلمي - بيروت الطبعة: الثالثة - ١٩٨٩/١٤٠٩ ، ج ٢ ص ٢٢٢

والتعصب للأهواء لما وجد مثل هذا الاعتقاد مستقراً في قلب مجنون فضلاً عما له قلب عاقل".^(١)

رابعاً : نظرية الكسب ودورها في تحقيق الأمن الفكري

ترتبط نظرية الكسب عند الأشاعرة بأفعال العبد ، إذ ليس له في أفعاله الاختيارية إلا الكسب خلافاً للجبرية الذين جعلوه مجبوراً كالريشة المعلقة في الهواء تقلبها الرياح كيف شاءت ، وخلافاً للمعتزلة الذين ذهبوا بعيداً في مسألة الأفعال وربطوها بالعباد خلقاً وفعلاً .

قال الجرجاني رحمه الله : " الكسب هو المفضي إلى اجتلاب نفع أو دفع ضرر، ولا يوصف فعل الله بأنه كسب؛ لكونه منزه عن جلب نفع أو دفع ضرر".^(٢)

لقد توسط الأشاعرة في مسألة أفعال العباد إذ لم ينفوا خلقها من الله ، ولم ينفوا ارتباط الإنسان بها من حيث الأمور التي يجرحها بأفعاله ، فهو مسئول عنها بناء على حرية الاختيار التي منحها ، والقدرة الكامنة فيه تجعله متحملاً لتبعات أعماله الصالحة والطالحة ، وإلا لما كان للجزاء قيمة يوم القيامة ، فهو قائم على مبدأ الأعمال التي يقدمها العباد ليحاسبوا عليها يوم القيامة .

وقد يطرح في المسألة إشكال يتعلق بتفوق العبد في هذه النظرية بين إرادتين إذ المقدر الواحد لا يدخل تحت قدرتين كما قرر في القاعدة المنطقية قال شارح جوهره التوحيد : " فإن قيل قد قام البرهان على وجوب استقلاله تعالى بالأفعال والمقدور الواحد لا يدخل تحت قدرتين كما يستلزمه إثباتكم للعبد كسباً : أوجب بأنه لما تبث بالبرهان أن الخالق هو الله سبحانه وتعالى بالضرورة أن لقدرة العبد مدخلاً في بعض الأفعال كحركة البطش ، دون البعض كحركة الارتعاش ، احتجنا في التخلص عن هذا المضيق بأن الله خالق للفعل ، لكن للعبد في الاختياري منه كسب ، والمقدور الواحد يدخل تحت قدرتين بجهتين مختلفتين فيدخل تحت قدرة الله بجهة الخلق وتحت قدرة العبد بجهة الكسب"^(٣)

(١) الاقتصاد في الاعتقاد لأبي حامد الغزالي ص ١٣٥

(٢) التعريفات للجرجاني دار الكتب العلمية بيروت - لبنان الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م ج ١ ص ١٨٤

(٣) تحفة المرید شرح جوهره التوحيد ص ١١٧

وقال الرازي : " القدرة صفة متعلقة بالمقدور من غير تأثير القدرة في المقدور، بل القدرة والمقدور حصلاً بخلق الله تعالى، كما أن العلم والمعلوم حصلاً بخلق الله تعالى، لكن الشيء الذي حصل بخلق الله تعالى وهو متعلق القدرة الحادثة هو الكسب. ^(١)

وفي القرآن آيات كثيرة تدل على حقيقة هذه النظرية وعلاقتها بأفعال العباد قال تعالى " لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت " البقرة ٢٨٦ وقال تعالى : " كل نفس بما كسبت رهينة " المدثر ٣٨، وقال : " ولا تكسب كل نفس إلا عليها " الأنعام ١٦٤ وكلها تشير إلى الكسب المرتبط بالخير والاكْتساب المرتبط بالشر قال الرازي نقلاً عن الزمخشري : " إنما خص الخير بالكسب والشر بالاكْتساب لأن الاكْتساب اعتمال، فلما كان الشر مما تشتهي النفس، وهي منجذبة إليه، وأماره به كانت في تحصيله أعمل وأجد، فجعلت لهذا المعنى مكتسبة فيه ولما لم يكن كذلك في باب الخير وصفت بما لا دلالة فيه على الاعتمال " ^(٢)

❖ - ومن شأن هذه النظرية أن تحقق التوازن الفكري في المجتمعات الإسلامية على مستوى الفكر والعقيدة بتركيزها على مسؤولية العبد على أفعاله التي يقدمها لآخرته من أعمال الخير والشر تبعاً للذمة المستقلة التي يتصف بها ، فإذا تحقق العبد من هذه الحقيقة فإنه لا محالة سيشغل ذمته بالأفعال الخيرية التي يرفعها الله إلى أعلى عليين قال تعالى : " والعمل الصالح يرفعه " سورة فاطر الآية ١٠ وحينئذ يتيقن أن درجة أسفل السافلين لا يصل إليها إلا من انغمس في ملذات الشر وأعمال الشياطين ، أو من فرط في المهمة التي من أجلها خلق الإنسان وهي العبادة وعمارة الأرض بالصالح .

❖ - ضبط أفعال العباد ومعرفة عواقبها فلا يقدم العبد على الفعل حتى يعرف حكم الله فيه ، وما يقال في الأفعال يقال في الأقوال التي يجب أن تكون خاضعة للشرع تحرزاً من الوقوع في الشرك أو الكفر أو البهتان أو الزور أو الكذب . وكلها كبائر يتم

(١) التفسير الكبير للرازي مفاتيح الغيب ، دار إحياء التراث العربي - بيروت الطبعة الثالثة - ١٤٢٠ هـ ،

ج ٤ ص ٦٩

(٢)

نفسه ج ٧ ص ١١٥

اكتسابها بالأقوال التي لا تراعي الشرع والأخلاق والأعراف الحسنة . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " كل الناس يغدو فبايع نفسه فمعتقها أو موبقها " (١) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمعاد بن جبل رضي الله عنه : " ثكلتك أمك يا معاذ وهل يكب الناس على وجوههم في النار ، إلا حصائد ألسنتهم ؟ " (٢) وما أحسن المنهج الذي وضعه عبد القادر الجيلاني رحمه الله قال : " لتكن موحداً للرب ولا تنس مع ذلك كسبهم لتتخلص من مذهب الجبرية ، واعتقد أن الأفعال لا تتم بهم دون الله ، لا تعبدهم وتنسى الله ولا تقل فعلهم دون فعل الله فتكفر فتكون قدريا ، لكن قل هي لله خلقا وللعباد كسبا كما جاءت به الآثار لبيان موضع الجزاء من الثواب والعقاب .. " (٣)

فإذا طبق هذا المبدأ وروعي في السلوك والمعاملات ، واقتنع العبد بمسؤولية أفعاله ، وأنها تنسب إليه في جوانبها المرتبطة بالخير والشر ، كان هذا العبد سوياً في فكره وسلوكه ، بعيداً عن الكبر والجحود والتقليد ، وعن أسلوب تزكية النفس المحرمة التي تؤدي بالعبد إلى الغرور والعجب والرياء واحتقار الآخر .

نتائج البحث

إن العقيدة الأشعرية منظومة فكرية ترجع في جذورها إلى القرآن والسنة وأقوال الصحابة والتابعين ، وأما ما يتعلق بمباحث العقل في علاقتها بأمر العقيدة والإيمان فهي تستمد مرجعيتها من أسلوب القرآن الكريم الذي دعا إلى استخدام العقل في مجال العقيدة للوصول إلى اليقين المطلوب في مباحث الإيمان ، إذ لا يمكن الوصول إليه إلا بالجمع بين الأدلة العقلية والنقلية .

لقد رد الأشعري الاعتبار للنص الشرعي في مجال العقيدة مع الانفتاح على العقل في الأمور التي تدخل في مجال العقلية ، ويتمثل ذلك في رده على المعتزلة في مسألة التحسين والتقبيح وبعض مباحث الصفات وأفعال العباد ، فكان بحق خير مدافع عن العقيدة الوسطية التي تجمع بين صحيح المنقول وصريح المعقول .

(١)

صحيح مسلم كتاب الطهارة باب فضل الوضوء رقم ٣٥٤

(٢)

سنن ابن ماجه كتاب الفتن باب كف اللسان في الفتنة رقم ٣٩٧١

(٣)

فتوح الغيب لعبد القادر الجيلاني تحقيق الدكتور جمال الدين فالح الكيلاني ، مركز الإعلام العالمي

بداكا ببنغلاديش ، الطبعة الأولى ٢٠١٤ ، ص ٣٧ / ٣٨

لقد كان هاجس الأشاعرة منذ القرن الثالث الهجري هو تحقيق الأمن الفكري ومحاربة الإلحاد الذي تغلغل في المجتمع العباسي بعد الانفتاح على الأمم الأخرى واختلاط العرب بالعجم ، وظهور فرق الإلحاد والشعبوية التي فرضت على الأشاعرة البحث عن الأدلة والبراهين للدفاع عن العقيدة الإسلامية وتنزيه الشريعة عن المطاعن .

واستمر علماء الأشاعرة من مالكية وشافعية وغيرهم في الدفاع عن مبادئ العقيدة وفق مبدأ الوسطية والاعتدال ، إلى أن ظهرت معضلة الأصولية التي تجسدت في الإسلام الراديكالي والإسلام السياسي وهما الاتجاهان اللذان خلقا نوعاً من الاضطراب على مستوى الأفكار الاعتقادية مما حتم على المفكرين من علماء وشيوخ الطريقة الأشعرية العودة من جديد إلى بنود هذه العقيدة في أفق تحقيق الأمن الفكري والاجتماعي ومحاربة التطرف والعنف والتقليد .

وبناء على ما ذكر يمكن إجمال النتائج المتوصل إليها في هذا البحث في النقاط التالية :

- ❖ - أن العقيدة الأشعرية هي عقيدة أهل السنة والجماعة بدليل شهادة المؤسس الأول الذي مات على التوحيد المبني على المنصوص والمعقول .
- ❖ - أن الأمن الفكري يرتبط بالمجال العقدي ، إذ لا سبيل إلى نشره إلا بالعودة إلى العقيدة التي تعتمد منهج الوسطية والاعتدال .
- ❖ - أن معضلة الأصولية فرضت الرجوع إلى مبادئ الحرية والاختيار وفق منهج الجمع بين العقل والنقل لبناء المواطن السليم الذي يتصف بسلامة الأفكار .
- ❖ - أن هذه العقيدة قد بُنيت على مجموعة من المبادئ التي يمكن أن تحقق الأمن الفكري إذا تحققت الإرادة الحقيقية للإصلاح .
- ❖ - أن هذه المبادئ لا تخرج عن الجمع بين العقل والنقل ، ومبدأ عدم التكفير بالإضافة إلى مبدأ الكسب الذي يجعل العبد مسئولاً عن أفعاله وأقواله .
- ❖ - أن الجانب التعليمي لا يمكن إغفاله ، وخاصة المراحل الأولى التي تحتاج إلى تحصين اعتقادي يحمي المتعلمين من أفكار الإلحاد والتطرف والغلو .

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم برواية ورش عن نافع عن طريق الأزرق
- صحيح البخاري
- صحيح مسلم
- صحيح ابن حبان
- سنن ابن ماجه
- سنن الدارقطني

المصادر والمراجع :

- الاقتصاد في الاعتقاد لأبي حامد الغزالي ، تحقيق عبد الله محمد الخليلي ، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م
- الأمن الفكري وعناية المملكة العربية السعودية عبد الله التركي ، رابطة العالم الإسلامي ٥١٤٢٢
- الانسداد التاريخي ، ماذا فشل مشروع التنوير في العالم العربي هاشم صالح دار الساقى ، الطبعة الأولى ٢٠٠٧
- أهل السنة الأشاعرة لحمد السنان وحمد العنجري ، دار الضياء للنشر والتوزيع ، بدون طبعة وبدون تاريخ
- تاريخ ابن خلدون ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر ، تحقيق : خليل شحادة ، دار الفكر، بيروت ، الطبعة: الثانية، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م
- تبين كذب المفتري فيما نسب إلى الأشعري لابن عساكر ، دار الكتاب العربي - بيروت ، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٤
- تحفة المرید شرح جوهرة التوحيد شرح اللقاني ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الثانية ٢٠٠٤
- التعريفات للجرجاني ، جماعة من العلماء دار الكتب العلمية بيروت - لبنان الطبعة: الأولى ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م
- التفسير الكبير للرازي مفاتيح الغيب ، دار إحياء التراث العربي - بيروت الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠ .
- دلائل التوحيد لجمال الدين القاسمي ، دار الكتب العلمية لبنان ، الطبعة الأولى ١٩٨٤
- الشريعة الإسلامية ودورها في تعزيز الأمن الفكري عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية بدون تاريخ

- الطبعة الأولى ٢٠٠٥
- العين للخليل ، تحقيق مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي دار ومكتبة الهلال الطبعة الأولى ، بدون تاريخ
- فتوح الغيب لعبد القادر الجيلاني تحقيق الدكتور جمال الدين فالح الكيلاني ، مركز الإعلام العالمي بداكا ببغلاديش ، الطبعة الفكر السياسي الوهابي قراءة تحليلية لأحمد الكاتب ، مكتبة مدبولي القاهرة ، بدون طبعة وبدون تاريخ
- القاموس الفقهي ، الدكتور سعدي أبو حبيب الثانية ١٤٠٨ هـ = ١٩٨٨ م
- كبرى اليقينيات الكونية للشيخ محمد رمضان البوطي ، دار الفكر المعاصر بيروت ، الطبعة الثامنة ١٩٩٧ م
- المحصول لابن العربي المعافري المالكي ، تحقيق : حسين علي اليدري - سعيد فودة ، دار البيارق - عمان ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩
- مراكز البحوث ودورها في التصدي لمهددات الأمن ، لعلي الحجني ، بحث مقدم لمؤتمر الأمن الفكري جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية
- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للفيومي ، المكتبة العلمية - بيروت بدون تاريخ
- معجم مقاييس اللغة لابن فارس ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- مغازي الواقدي ، دار الأعلمي - بيروت الطبعة: الثالثة - ١٩٨٩/١٤٠٩
- منهج الأشاعرة في العقيدة لسفر الحوالي دار منابر الفكر بدون تاريخ
- نشر البنود على مراقي السعود للعلوي الشنقيطي مطبعة فضالة بالمغرب ، الطبعة الأولى بدون تاريخ

دور العقيدة في تحقيق الأمن الفكري والسلام المجتمعي

دكتور / طالب بن أحمد الهمامي

أستاذ الدعوة والثقافة الإسلامية المساعد

كلية العلوم والآداب بشرورة - جامعة نجران

ملخص الدراسة:

دور العقيدة في تحقيق الأمن الفكري والسلام المجتمعي

تقرّر عند كل مسلم أن المعتقد الصحيح هو أساس الأمان وقبول العمل وسعادة الدارين والنجاة من عذاب السعير وشقاوة الدنيا، ومن هنا فإن العقيدة الصحيحة: هي ما كان عليه رسول الله صلى الله وسلم وأصحابه رضي الله عنهم وهي صمام الأمان للمجتمعات المسلمة ضد كل الانحرافات الفكرية والسلوكية.

وجاءت هذه الدراسة لتكشف هذا الدور العظيم وهو أحد محاور المؤتمر الدولي في جامعة دار العلوم بالمنيا بعنوان ((دور العلوم العربية والإسلامية في تكريس الأمن الفكري وتحقيق السلم المجتمعي)) المزمع إقامته في ٢٢ - ٢٤ مارس ٢٠٢٠ م .

وتشتمل الدراسة على تمهيد ومبحثين وخاتمة، تضمن التمهيد على تعريف بمصطلحات الدراسة وعلاقة العقيدة بها، والمبحث الأول عن دور العقيدة في تحقيق الأمن الفكري، وفيه مطلبان: الأول: دورها في تحقيق الأمن الفكري، والثاني : الانحراف العقدي وخطره على الأمن الفكري.

والمبحث الثاني: عن دور العقيدة الصحيحة في تحقيق السلم المجتمعي وفيه مطلبان: الأول: العقيدة الصحيحة وأثرها في السلم المجتمعي.

والثاني : الانحراف العقدي وأثره في السلم المجتمعي، ثم خاتمة وفيها أهم النتائج والتوصيات.

Abstract

Be decided stubborn all Muslim that the correct believed he basis of the safety and accepting of the work and happiness of the houses and the rescue from suffering aalse'yr wshqaawt the life, and blessing here so indeed the correct belief: She what was on him messenger of Allah cobra of Allah and his peace and friends accepted Allah about them Weak valve of the safety for the Muslim societies against all intellectual deviations and the behaviorism. This study came to discovers the great role and he raved sharp international axes of the conference in comprehensive entitled house of the flags in the semen ((role of the flags Arabic and Islamic in devoting the intellectual security and social investigation the peace)) Intended his establishment in - March 24 2020 m .

The study on facilitating includes and topics and end, inclusion of the facilitating on definition in terms studious and relationship of the belief in her, and the topic the first about role belief in investigation the intellectual security, and in him requests: First: Her role in intellectual investigation the security, and second : The contractual deviation and dangerous his on the intellectual security.

The topic second: About correct role the belief in social investigation the peace and in him requests :

First: The correct belief and favored her in the social peace.

Second : The contractual deviation and favored his in the social peace, then last and in her the important results and the recommendations.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

الحمد لله الذي جعل القرآن نبراساً للسالكين وضياءً للمتقين، وهدى للناس أجمعين، وصلى وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

تقرر عند كل مسلم أن المعتقد الصحيح هو أساس الأمان وقبول العمل وسعادة الدارين والنجاة من عذاب السعير وشقاوة الدنيا، ومن هنا فإن العقيدة الصحيحة: هي ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم وهي صمام الأمان للمجتمعات المسلمة ضد كل الانحرافات الفكرية والسلوكية.

لذا اخترت هذا الموضوع بعنوان (دور العقيدة في تحقيق الأمن الفكري والسلم المجتمعي).

وتظهر أهمية هذه الدراسة في النقاط التالية:

أهداف الدراسة:

- ١ - بيان أهمية العقيدة وموضوعاتها في تحقيق الأمن الفكري.
- ٢ - توضيح خطورة الانحراف عن العقيدة الصحيحة وأثر ذلك في انتشار الفوضى وضياع الأمن.
- ٣ - ترسيخ المعتقد الصحيح في عقول الناشئة وأنه صمام الأمان للأمة من الانحرافات .

أسئلة الدراسة:

سوف تجيب هذه الدراسة على الأسئلة التالية:

- س - ما دور العقيدة الصحيحة في تحقيق الأمن الفكري والسلم المجتمعي؟
 - س - ما خطورة الانحراف عن العقيدة في ضياع الأمن الفكري والسلم المجتمعي؟
 - س - كيف نرسخ المعتقد الصحيح في عقول الناشئة؟
- منهج الدراسة: المنهج المتبع في دراسة هذا البحث هو المنهج الاستقرائي الاستنباطي من خلال النصوص الشرعية وأقوال السلف الصالح .

خطة الدراسة:

وتشتمل الدراسة على تمهيد ومبحثين وخاتمة،

وتضمن التمهيد: تعريف مصطلحات الدراسة وعلاقة العقيدة بها،

والمبحث الأول: دور العقيدة الصحيحة في تحقيق الأمن الفكري، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: دور العقيدة الصحيحة في تحقيق الأمن الفكري،
المطلب الثاني : الانحراف العقدي وخطره على الأمن الفكري.
المبحث الثاني : دور العقيدة الصحيحة في تحقيق السلم المجتمعي وفيه مطلبان
المطلب الأول: العقيدة الصحيحة وأثرها في السلم المجتمعي.
المطلب الثاني : الانحراف العقدي وأثره في السلم المجتمعي.
ثم خاتمة وفيها أهم النتائج والتوصيات.

التمهيد : وفيه تعريف بمصطلحات الدراسة وعلاقة العقيدة بتحقيق الأمن الفكري

والسلم المجتمعي:

أولاً: مصطلحات الدراسة:

١ - العقيدة الإسلامية :

العقيدة الإسلامية: هي الإيمان الجازم بربوبية الله تعالى وألوهيته وأسمائه وصفاته، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، وسائر ما ثبت من أمور الغيب، وأصول الدين، وما أجمع عليه السلف الصالح، والتسليم التام لله تعالى في الأمر، والحكم، والطاعة، والاتباع لرسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

والعقيدة الإسلامية: إذا أطلقت فهي عقيدة أهل السنة والجماعة؛ لأنها هي الإسلام الذي ارتضاه الله ديناً لعباده، وهي عقيدة القرون الثلاثة المفضلة من الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان^(١).

٢ - الأمن الفكري: اختلفت عبارات الباحثين في تعريف مفهوم الأمن الفكري كمصطلح ولعل هذا التعريف الذي سنورده لمفهوم الأمن الفكري هو الأقرب لدراستنا. وهو أن الأمن الفكري: "عبارة عن سلامة فكر الإنسان وعقله وفهمه من الانحراف والخروج عن الوسطية والاعتدال في فهمه للأمور الدينية والسياسية . وتصوره لتكون بما قد يؤول به إلى الغلو أو إلى الإلحاد"^(٢).

٣ - السلم المجتمعي: قيل هو: ((توافر الاستقرار والأمن والعدل الكافل لحقوق الأفراد في مجتمع ما، أو بين مجتمعات أو دول))^(٣).

(١) ينظر: الوجيز في عقيدة السلف الصالح، عبدالله عبد الحميد الأثري، ص ١٢ . ط ١ ، وزارة الشؤون الإسلامية الرياض ١٤٢٢هـ. ومباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة وموقف الحركات الإسلامية منها، د. ناصر بن عبد الكريم العقل، ص ٨ ، ط ١ ، دار الوطن، الرياض، ١٤١٢هـ.

(٢) ينظر: الأمن الفكري الإسلامي، سعيد بن مسفر الوادعي، مجلة الأمن والحياة، جامعة نايف العربية، الرياض، العدد ١٨٧ ، ١٩٩٧م، ص ٥١ .

(٣) ينظر: الحوار وبناء السلم الاجتماعي ، خالد محمد البدوي ، مركز الملك عبدالعزيز للحوار الوطني، الرياض، ١٤٣٢هـ، ٢٠١١م.

وقيل ((التعايش والاستقرار التام بين شعوب وأعراق مناطق مختلفة نتيجة التفاهم وحسن الجوار واحترام الرأي الآخر، وتقبل تعايش الأليات مع بعضها وحل المشاكل بالاتفاق دون عنف))^(١).

ثانياً: علاقة العقيدة بتحقيق الأمن الفكري والسلم المجتمعي:

منذ بزوغ فجر الإسلام وبعثة النبي الكريم صلى الله عليه وسلم بعقيدة صافية نقية غيرت مجرى التاريخ وأخرجت الناس من الظلمات إلى النور محققة الأمن والسلام في جميع ربوع الكون، قام بها رجال صادقون كانوا مثلاً يحتذى به في العلم والأدب والسلوك فدانته لهم شعوب الأرض طوعاً، وتظهر علاقة العقيدة بالأمن الفكري والسلم المجتمعي في جميع موضوعات العقيدة فمن اعتقد المنهج الحق الذي جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم سيجد الطمأنينة والأمن النفسي والفكري والاجتماعي،

كما قال عز وجل :

(الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ)
(سورة الأنعام : ٨٢)

وقد رسخ الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه مبادئ العدل والرحمة بين الناس أجمعين حتى أمن الناس على أرواحهم ودمائهم وأعراضهم، قال ابن عاشور: " أهم ما ابتدأ به الإسلام، إصلاح المعتقد وأكثر ما تعرض له؛ وذلك لأن إصلاح الفكرة هو مبدأ كل إصلاح؛ ولأنه لا يرجى صلاح لقوم تلطخت عقولهم بالعقائد الضالة، وخسئت نفوسهم بآثار تلك العقائد المثيرة، خوفاً من لا شيء، وطمعا في غير شيء. وإذا صلح الاعتقاد أمكن صلاح الباقي؛ لأن المرء إنسان بروحه لا بجسمه"^(٢).

ومن خلال هذه الدراسة سوف أوضح دور وأثر موضوعات العقيدة في الأمن الفكري والسلم المجتمعي.

(١) ينظر: السلام في القرآن والحديث، محمد الغروي، ط١، دار الأضواء ١٤١١هـ.

(٢) التحرير والتنوير لابن عاشور (٣ / ٥١) .

المبحث الأول: دور العقيدة الصحيحة في تحقيق الأمن الفكري، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: دور العقيدة الصحيحة في تحقيق الأمن الفكري،:

يتحقق الأمن الفكري من خلال ترسيخ العقيدة الصحيحة التي كان عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ومن تبعهم بإحسان. ومن هذه المسائل العقديّة التي لها دور في تحقيق الأمن الفكري:

أولاً: الإيمان بالغيب:

الإيمان بالغيب يتضمن الإيمان بالله وربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته والإيمان بالملائكة والإيمان بالقدر خيره وشره والإيمان باليوم الآخر وما يشتمل عليه من أمور غيبية ومنها عذاب القبر ونعيمه وفتنته والبعث بعد الموت والوقوف بين يدي الله والعرض عليه والموازين والحوض والشفاعة والرؤية والصراف والجنة والنار.

ومن الشواهد على ذلك تقرير مسائل الإيمان والكفر حيث اتفق أهل السنة وهم أهل المعتقد الصحيح أنّ الإيمان قول وعمل ونية أو اعتقاد القلب، وإقرار اللسان، وعمل الجوارح، وكل هذا من باب نفي الالتباس أو الاشتباه، فمن حقق الإيمان بهذا الوجه فإنه يتحصل على ثمرات عظيمة أهمها:

١ - النجاة من النار والفوز بالجنة، قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((يخرج من النار من قال لا إله إلا الله، وفي قلبه وزن شعيرة من خير)).^(١)

٢ - السلامة من الزيغ والضلالة: فهذا طريق سلكه النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة الكرام وهو طريق الإسلام الذي ارتضاه الله لعباده قال تعالى: (وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ ۖ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا). [سورة النساء: ١١٨]

وأصول أهل المعتقد الصحيح في هذه المسألة أربعة وبها خالفوا أهل البدع وحققوا الأمن الفكري وهي:

١ - أن الإيمان بضع وسبعون شعبة ويتفاوت المؤمنون فيه؛ لأن أصل نزاع هذه الفرق في الإيمان من الخوارج والمرجئة والمعتزلة والجهمية وغيرهم أنهم جعلوا الإيمان شيئاً

(١) أخرجه البخاري كتاب رقم ٤٤ .

واحداً، إذا زال بعضه زال جميعه، وإذا ثبت بعضه ثبت جميعه. فلم يقولوا بذهاب بعض وبقاء بعض.

٢ - أنه لا يمتنع أن يجتمع في العبد: إيمان وكفر، وإسلام ونفاق، وسنة وبدعة، وطاعة ومعصية.. وهو الحق الذي دلت عليه نصوص الإيمان من الكتاب والسنة

٣ - أنهم آمنوا بالكتاب كله، وجمعوا بين نصوص الوعيد مع نصوص الوعد، فلم يضطربوا ولم يفرقوا بين المتماثلات وإنما كانوا الأمة الوسط، وأسعد الفريقين بالمذهب الحق.^(١)

٤ - أن الإيمان وكذا الكفر، لكل منهما خصالٌ وشعبٌ عديدة، ومراتب متعددة، فمن الإيمان شعبٌ إذا زالت زال الإيمان كله كالتوحيد والصلاة، ومنها شعبٌ إذا زالت لم يزل الإيمان كله كالصدق في الحديث والحياء. وكذلك الكفر منه شعب إذا وقعت وقع الكفر الأكبر كالاستهزاء والسب لله ولدينه ولرسوله، ومنه شعب إذا وقعت لم يقع الكفر الأكبر المخرج عن الملة، كسب المسلم وقتاله والنياحة وغير ذلك، وإنما يكون مقترفها واقعاً في الكفر الأصغر، وهو الكفر العملي، وهو لا يخرج من الملة.^(٢)

وبهذا المعتقد الصافي يتحقق لدى الفرد والمجتمع الأمن الفكري وسلامة السلوك والتصورات للكون والحياة والإنسان، فما المرء إلا مجموعة من التصورات ينتج عنه سلوك وعمل ثم يصبح معتقد يوالي عليه ويعادي ويثبت عليه ويتمسك به.

وقال الحافظ ابن رجب: (وهذه المسائل، أعني مسائل الإسلام والإيمان، والكفر والنفاق مسائل عظيمة جداً. فإن الله عز وجل علّق بهذه الأسماء السعادة والشقاوة، واستحقاق الجنة والنار. والاختلاف في مسمياتها أول اختلاف وقع في هذه الأمة، وهو خلاف الخوارج للصحابة حيث أخرجوا عصاة الموحدين من الإسلام بالكلية، وأدخلوهم في دائرة الكفر، وعاملوهم معاملة الكفار، واستحلوا بذلك دماء المسلمين وأموالهم، ثم حدث بعدهم خلاف المعتزلة وقولهم بالمنزلة بين المنزلتين. ثم حدث

(١) مسألة الإيمان دراسة تأصيلية، علي بن عبدالعزيز الشبل، دار إيلاف، الكويت، ط ٢، ١٤٢٧هـ، ص ١٨

(٢) انظر: ((اقتضاء الصراط المستقيم)) لشيخ الإسلام ابن تيمية (٢٣٧/١)، و((تعظيم قدر الصلاة)) للمرزوقي (٥١٦/٢ - ٥٢٠)، وكتاب ((الصلاة)) لابن القيم (٥٤ - ٦١)، و((الرسائل المفيدة)) للشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن (٢٩/٢٧)، و((أعلام السنة المنشورة)) للحافظ الحكمي (٧٣ - ٧٥) وغيرها كثير.

خلاف المرجئة وقولهم: إن الفاسق مؤمن كامل الإيمان. وقد صنّف العلماء قديماً وحديثاً في هذه المسائل تصانيف متعددة، وممن صنّف في الإيمان من أئمة السلف: الإمام أحمد، وأبو عبيد القاسم بن سلام، وأبو بكر بن أبي شيبة، ومحمد بن أسلم الطوسي، - رحمهم الله تعالى - وكثرت فيه التصانيف بعدهم من جميع الطوائف. (١)

وأمر العقيدة غيب ومبناها على التسليم لنصوص الكتاب والسنة، والتسليم لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم مناف للخوض والجدل والمراء الذي عليه أهل البدع والضلالات، فمن هنا يتحقق لدى الفرد والمجتمع المتبع لهذه العقيدة الصافية الأمن الفكري الذي ينفي الحيرة والشك والاضطراب.

ثانياً : الإيمان بالرسل والكتب المنزلة:

يتضمن الإيمان بالرسل والكتب المنزلة الإيمان بجميع المرسلين الذين أرسلهم الله لهداية الناس ولا نفرق بين أحد من رسله، ونؤمن بجميع الكتب المنزلة وأنها من عند الله ونؤمن أن القرآن مهيمن عليها وناسخ لها بنص كلام المولى جل وعلا. ومن أصول هذا المعتقد مسألة الإمامة التي نص عليها رسولنا الكريم محمد صلى الله عليه وسلم الذي أمرنا الله باتباعه والسير على مناهجه، وهي مسألة عقديّة تمحور حولها الخلاف بين أهل السنة وغيرهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (ولهذا استقر رأي أهل السنة على ترك القتال في الفتنة، للأحاديث الصحيحة الثابتة عن النبي - صلى الله عليه وسلم - وصاروا يذكرون هذا في عقائدهم، ويأمرون بالصبر على جور الأئمة وترك قتالهم". (٢)

ولا يكاد أحد من علماء السلف يذكر عقيدته إلا وينص على هذه المسألة ذاتها، ومن الأمثلة على ذلك ما ذكره الإمام أحمد في عقيدته في أكثر من رواية حيث قال: (ولا يحل قتال السلطان ولا الخروج عليه لأحد من الناس فمن فعل ذلك فهو مبتدع

(١) ينظر: جامع العلوم والحكم لابن رجب، ص ٣٠.

(٢) انظر: منهاج السنة، لابن تيمية، (٢٤١/٢).

على غير السنة والطريق ^(١) ... وينحو كلام الإمام أحمد هذا. نص على ذلك أبو زرعة، وابن أبي حاتم الرازيان ^(٢) ، وعلي بن المديني ^(٣) ، وغيرهم كثير: كالطحاوي ^(٤) ، وأبي عثمان الصابوني ^(٥) وغيرهم.

وقد جعلت هذه المسألة شاهداً على تحقيق الأمن الفكري لظهورها بين الناس وإحساسهم بمآلات الأمور التي حصلت من عواقب الانحراف عن منهج أهل السنة فيها .

المطلب الثاني: الانحراف العقدي وخطره على الأمن الفكري:

ظهر الانحراف في الأمة منذ القرون الأولى وما زالت أمتنا الإسلامية تعاني من هذا الانحراف وخاصة في الأمن الفكري حيث أصبحت اللوثات الفكرية تهدد استقرار الأفكار والمعتقدات لدى المسلمين ومن أخطر هذه الانحرافات في الأمة:

١ - الإلحاد والشرك:

يعتبر الإلحاد والشرك بالله في أي مسألة من مسائل العقيدة أكبر مهددات الأمن الفكري حيث يصبح الفرد فضلاً عن المجتمع يعيش في الحيرة والاضطراب والتناقضات العقلية التي لا مبرر لها، وأهل الإلحاد هم أشد الناس حيرة لأنه لا يدري ما المصير وما الهدف من الحياة؟.

ومن صور الإلحاد والشرك في الأمة ما يلي:

١ - ظهور البدع والأهواء وأهل الكلام:

وقد تتبع المقرئزي - رحمه الله - نشأة هذه البدع ورصد سيرها منذ حدوث القول بالقدر، وتبرأ عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - من أصحاب هذه البدعة، وحدث أيضاً في زمنهم: مذهب الخوارج وقد ناظرهم ابن عباس وأقام عليهم الحجة، وحدث

(١) انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، لللالكائي، تحقيق: أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي،

دار طيبة - السعودية، ط ٨، ١٤٢٣هـ، ص ١٦١ .

(٢) انظر المصدر السابق، ص: ١٦٧ و ص: ١٧٩ .

(٣) انظر: نفس المصدر ص: ١٦٤ .

(٤) انظر: شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عبد الله بن المحسن

التركي، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط ١، ١٤١٧هـ، ص ٣٦٦ .

(٥) انظر: سالة عقيدة السلف وأصحاب الحديث، لأبي عثمان الصابوني، تحقيق: ناصر بن عبد الرحمن

الجديع، دار العاصمة، الرياض، ط ٢، ١٤١٩هـ، (١/١٢٩) .

في زمنهم مذهب التشيع لعلي بن أبي طالب والغلو فيه، وقام في زمنه عبد الله بن سبأ وأحدث القول بوصية الرسول لعلي بالإمامة من بعده، وابتدع القول بالرجعة بعد موته، ومنه تشعبت أصناف الغلاة من الرافضة، ثم حدث بعد عصر الصحابة مذهب جهم بن صفوان في نفي الصفات وإثارة الشكوك والشبهات، وفي أثناء ذلك حدث مذهب الاعتزال، وكانت بينهما مناظرات وفتن كثيرة متعددة أزمتها ثم ظهرت مسألة الصفات، وهل هي عين الذات أو غيرها؟ وما زالت تتجاري بهم الأهواء في وديان الحيرة والشك فهذا الرازي مع سبقه في باب المعقول، وفرط ذكائه يشكو حيرته وعجزه فيقول:

لقد تأملت الطرق الكلامية، والمناهج الفلسفية، فما رأيتها تشفي علياً، ولا تروي غليلاً، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن، أقرأ في الإثبات : (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ أَسْتَوَى) [طه: ٥] .

(مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ) [فاطر: ١٠] .
وأقرأ في النفي (فَاطْرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُّكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) [الشورى: ١١] .
(يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا) [طه: ١١٠]
ثم قال : "ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي" (١).

٢ - ظهور المذاهب الفكرية الإلحادية:

اعتنق بعض شباب المسلمين مذاهب إلحادية وافدة من الغرب فسقطوا في وديان التيه والضلال والشك، ومن هذه المذاهب مذهب الرمزية حيث ابتعد عن عالم الواقع وجنح إلى عالم الخيال فأمعنوا في الضلال وجانبوا الحق والصواب، وغابت عنهم العقيدة الدينية فوجدوا ضالتهم في عالم اللاشعور. (٢)

وهكذا فإن أول الآثار التي يخلفها الإلحاد في نفوس الافراد القلق والحيرة والاضطراب والصراع النفسي حيث يظل الإلحاد عاجزاً عن فهم غاية الحياة والكون،

(١)

انظر: شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز، ص ٢٠٨ - ٢٠٩، وسير أعلام النبلاء للذهبي ص ٢١ / ٥٠١.

(٢)

انظر الرمزية في الموسوعة الميسرة للأديان والفرق والمذاهب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، ط ٤،

ولا يقدم للإنسان إلا مجموعة من الظنون والافتراضات لا تقنع عقلاً ولا تشفي غليلاً... ويظل الإنسان قلقاً معذباً".^(١)

وتسببت هذه الانحرافات عن العقيدة فوضى فكرية عارمة جعلت كثير من الأفراد يفكرون بالانتحار وانتشرت معدلات الجريمة في المجتمعات لعدم إيمانهم بالجزاء الإلهي وأن المرجع والمصير إلى الله تعالى.

٢ - الغلو والتطرف:

ظهر الغلو في الأمة من حادثة حنين بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقسم قسماً، أتاه ذو الخويصرة، وهو رجل من بني تميم، فقال: يا رسول الله اعدل، فقال: ويلك، ومن يعدل إذا لم أعدل، قد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل. فقال عمر: يا رسول الله، أئذن لي فيه فأضرب عنقه؟ فقال: دعه، فإن له أصحاباً يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم، يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، ينظر إلى نصله فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر إلى رصافه فما يوجد فيه شيء، ثم ينظر إلى نضيه، وهو قدح - ، فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر إلى قدذه فلا يوجد فيه شيء، قد سبق الفرت والدم، أيثهم رجل أسود، إحدى عضديه مثل ثدي المرأة، أو مثل البضعة تدرن، ويخرجون على حين فرقة من الناس قال أبو سعيد: فأشهد أنني سمعت هذا الحديث من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأشهد أن علي بن أبي طالب قاتلهم وأنا معه، فأمر بذلك الرجل فالتمس فأتي به، حتى نظرت إليه على نعت النبي صلى الله عليه وسلم الذي نعتة.^(٢)

وقد اختلف الناس في أشياء اتخذها قوم من بعدهم تكأة: إما للطعن في بعض الصحابة، وإما جعلوها أساساً لنحلثهم أو استدلو بها في مسألة من مسائلهم التي اتخذوها شعاراً لهم، ثم تعمق الخلاف وأدى إلى نشوء جماعات متفرقة.

(١) انظر: الإلحاد أسباب هذه الظاهرة وطرق علاجها، عبدالرحمن عبدالخالق، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، ١٤٠٤هـ، ط٢، ص١٨ - ١٩، وآثار ونتائج الانحرافات الفكرية (الإلحاد نموذجاً) أنور قاسم الخضري، ص١٨، مطبوع ضمن بحوث وأوراق عمل مؤتمر الانحرافات الفكرية بين حرية التعبير ومحكمات الشريعة الإسلامية، المقام في مجمع الفقه الإسلامي، التابع لرابطة العالم الإسلامي - مكة المكرمة.

(٢) أخرجه البخاري رقم (٣٦١٠) ومسلم كتاب الزكاة باب ذكر الخواص وصفاتهم رقم (١٠٦٤)

يقول الإمام أبو الحسن الأشعري - رحمه الله - : « اختلف الناس بعد نبيهم - صلى الله عليه وسلم - في أشياء كثيرة، ضلل بعضهم بعضاً، و برئ بعضهم من بعض، فصاروا فرقاً متباينين وأحزاباً متشتتين إلا أن الإسلام يجمعهم ويشتمل عليهم، وأول ما حدث من الاختلاف بين المسلمين بعد نبيهم - صلى الله عليه وسلم - : اختلافهم في الإمامة..

وهذا اختلاف بين الناس إلى اليوم » . (١)

ويقول المعلمي: " وقد جرب المسلمون الخروج فلم يروا منه إلا الشر:

- ١- خرج الناس على عثمان يرون أنهم يريدون الحق.
- ٢- ثم خرج أهل الجمل يرى رؤسائهم ومعظمهم أنهم إنما يطلبون الحق، فكانت ثمرة ذلك بعد اللقيا، والتي أن انقطعت خلافة النبوة وتأسست دولة بني أمية.
- ٣- ثم اضطر الحسين بن علي إلى ما اضطر إليه فكانت تلك المأساة.
- ٤- ثم خرج أهل المدينة فكانت وقعة الحرّة.
- ٥- ثم خرج القراء مع ابن الأشعث فماذا كان ؟
- ٦- ثم كانت قضية زيد بن علي، وعرض عليه الروافض أن ينصروه على أن يتبرأ من أبي بكر وعمر، فخذلوه، فكان ماكان. (٢)

وهذه شواهد واضحة في خطورة الانحراف عن العقيدة في هذه المسألة وغيرها من مسائل العقيدة وأن من آثارها:

١ - القتل والدمار والتخريب.

٢ - التكفير واستحلال الدماء.

٣ - الفرقة والخلاف. (٣)

(١)

ينظر: مقالات الإسلاميين للأشعري ص ٣٤ .

(٢)

ينظر: ((التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل)) لعبد الرحمن بن يحيى المعلمي (١/٩٤).

(٣)

للاستزادة ينظر: التكفير عند جماعات العنف المعاصرة، إبراهيم صالح العايد، مركز نماء للبحوث

والدراسات، ط١ ، بيروت لبنان، ٢٠١٤م.

المبحث الثاني: دور العقيدة الصحيحة في تحقيق السلم المجتمعي وفيه مطلبان :

المطلب الأول: العقيدة الصحيحة وأثرها في السلم المجتمعي:

كما قرّرنا بأن السلم المجتمعي هو: التعايش والاستقرار التام بين شعوب وأعراق مناطق مختلفة نتيجة التفاهم وحسن الجوار واحترام الرأي الآخر، وتقبل تعايش الأقليات مع بعضها وحل المشاكل بالاتفاق دون عنف.

ومن آثار العقيدة في ترسيخ مبدأ السلم المجتمعي:

أولاً: ترسيخ فقه التعايش والتسامح والحوار:

العقيدة بكل موضوعاتها وأصولها تحث على التعايش والتسامح ونشر ثقافة الحوار وعدم الإكراه في الدين.

قال جل وعلا: (لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّلُغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ الْعُرْوَةَ الثَّوْتَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) سورة البقرة: ٢٥٦

وجاء الحث على الحوار في مسائل العقيدة وتأصيل الإيمان في كثير من سور القرآن ففي باب الربوبية والوحدانية يقول رب العزة والجلال: أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون.

وقال جل وعلا مخاطباً أهل الكتاب: (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ) آل عمران: ٦٤

وفي معاهدة رسول الله صلى الله عليه وسلم لليهود وردت في سبعة وأربعين بنداً شملت التنظيم الداخلي والخارجي وفيها:

(لليهود دينهم وللمسلمين دينهم)^(١)

وجاء في معاهدة نصارى نجران التي عقدها معهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ولنجران وحاشيتهم جوار الله وذمة محمد النبي رسول الله على أنفسهم وملتهم وأرضهم وأموالهم، وغائبهم وشاهدتهم، وبيعهم وصلواتهم، لا يغير أسقف من أسقيفته ، ولا رهاب من رهبانيته، ولا واقف من وقفانيته، وكل ما تحت أيديهم من كثير أو قليل، وليس رباً ولا دم جاهلية ومن سأل منهم حقاً فبينهم النصف غير ظالمين ولا مظلومين..."^(٢)

(١) ينظر: البداية والنهاية لابن كثير (٢ / ٢٥٢).

(٢) ينظر: تاريخ الرسل والملوك، (٢ / ٣٠٨).

وهذا يدل على أثر العقيدة في نشر ثقافة الحوار و التعايش من منطلق السلم المجتمعي والسلام العالمي والرحمة بين الأمم فعقيدتنا ليست عقيدة التوحش والدمار ونشر الرعب في بلدان العالم بل هي عقيدة الأمن والسلام والتسامح.

قال عز وجل : { وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ } [الانبياء: ١٠٧]
ثانياً: تعزيز فقه المواطنة^(١) :

جاءت العقيدة الإسلامية الصحيحة لترسخ مبادئ المواطنة بكل صورها ومعانيها، وهذا الفقه الكبير هو أهم دعائم السلم المجتمعي ويتضمن أمرين:

١ - حماية الحقوق: لقد تكفلت العقيدة الصحيحة بحماية حقوق مواطنيها من أي طائفة كانوا سواء كانوا أهل ذمة أو معاهدين مستأمنين، فهؤلاء في بلاد الإسلام معصوموا الدم والمال والعرض، قال الماوردي: " ويلتزم الإمام لهم - أهل الذمة - ببذل حقين: أحدهما: الكف عنهم، والثاني : الحماية لهم، ليكونوا بالكف آمنين والحماية محروسين".^(٢)

٢ - إرساء مبدأ العدالة وعدم الاعتداء على أي مواطن:

العدل أساس الملك والعقيدة الإسلامية سادت العالم يوماً من الدهر بسبب عدلها وإنصافها وأعطت كل ذي حق حقه،

وكان من معتقدنا الذي بيّنه رسول الله صلى الله عليه وسلم عدم الاعتداء على المعاهد أو المستأمن حتى يتحقق السلم والسلام والحب والاحترام، ففي حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها توجد من مسيرة أربعين عاماً".^(٣)

(١) المراد بالمواطنة ((أن يعرف الفرد حقوقه ويؤدي واجباته عن طريق التربية الوطنية ، وتمييز المواطنة بنوع خاص من ولاء المواطن لوطنه وخدمته في اوقات السلم والحرب ، والتعاون مع المواطنين الآخرين عن طريق العمل المؤسساتي والفردي الرسمي والتطوعي في تحقيق الأهداف التي يصبو لها الجميع وتوحد من أجلها الجهود، وترسم الخطط وتوضع الموازنات)). معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، أحمد زكي بدوي، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٢م، ص ٦٢ .

(٢) الأحكام السلطانية للماوردي ص ٢٨١ .

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الجزية والموادعة باب إثم من قتل معاهداً بغير جرم رقم (٣١٦٦).

وهذا شاهد من تأريخنا المجيد يدل على أن العدل هو أساس وركن في حماية السلم المجتمعي، قال الذهبي - رحمه الله - في ترجمة الحكم بن هشام بن عبدالرحمن الداخل صاحب الأندلس: «قلت: وكثرت العلماء بالأندلس في دولته، حتى قيل: إنه كان بقرطبة أربعة آلاف متقلس متزيين بزى العلماء، فلما أراد الله فناءهم، عز عليهم انتهاك الحكم للحرمت، واثتمروا ليخلعوه، ثم جيشوا لقتاله، وجرت بالأندلس فتنة عظيمة على الإسلام وأهله، فلا قوة إلا بالله.

ثم كتب الحكم كتاب أمان عام، وكان طالوت اختفى سنة عند يهودي، ثم خرج، وقصد الوزير أبا البسام ليختفي عنده، فأسلمه إلى الحكم، فقال: ما رأي الأمير في كبش سمين، وقف على مذوده عاماً؟

فقال الحكم: لحم ثقيل، ما الخبر؟

قال: طالوت عندي.

فأمره بإحضاره،

فأحضر، فقال: يا طالوت! أخبرني لو أن أباك أو ابنك ملك هذه الدار، أكنت فيها في الإكرام والبر على ما كنت أفعل معك؟ ألم أفعل كذا؟ ألم أمش في جنازة امرأتك، ورجعت معك إلى دارك؟ أفما رضيت إلا بسفك دمي؟

فقال الفقيه في نفسه: لا أجد أنفع من الصدق، فقال: إني كنت أبغضك لله، فلم يمنعك ما صنعت معي لغير الله، وإني لمعترف بذلك - أصلحك الله - .

فوجم الخليفة، وقال: اعلم أن الذي أبغضتني له قد صرفني عنك، فانصرف في حفظ الله، ولست بتارك برك، ولت الذي كان لم يكن، ولكن أين ظفرك أبو البسام - لا كان - ؟

فقال: أنا أظفرته بنفسي، وقصدته.

قال: فأين كنت في عامك؟

قال: في دار يهودي، حفظني لله.

فأطرق الخليفة ملياً، ورفع رأسه إلى أبي البسام، وقال: حفظه يهودي، وستر عليه مكانه من العلم والدين، وغدرت به إذ قصدك، وخضرت ذمته، لا أرانا الله في القيامة وجهه إن رأينا لك وجهاً.

وطرده، وكتب لليهودي كتاباً بالجزية فيما ملك، وزاد في إحسانه، فلما رأى اليهودي ذلك، أسلم مكانه»^(١).

فهذه المواقف العظيمة تدل دلالة واضحة على عظمة الإسلام عقيدة وشريعة ومنهجاً في حماية حقوق مواطني الدولة وعدم الاعتداء عليهم وكف الأذى عنهم، بل أكرم الخليفة اليهودي وكان هذا الإكرام سبب لدخوله الإسلام.

المطلب الثاني: الانحراف العقدي وأثره في السلم المجتمعي:

ظهور الانحراف في مسائل العقيدة يورث العنف واختلال الأمن في المجتمعات وزعزعة السلم المجتمعي والسلام العالمي ويظهر هذا الأمر جلياً في المسائل التالية :

المسألة الأولى: الخلل في فهم نصوص العقيدة: ويتضح هذا الفهم في المثال التالي:

حديث: " أخرجوا اليهود والنصارى من جزيرة العرب. لقد انحرفت جماعات ضلت الطريق القويم في هذه المسألة (القاعدة - داعش) واتخذوا منحج الخوارج لهم سلماً حتى كفروا المسلمين وحكامهم وافتاتوا على ولاة الأمر فيما هو من شؤونهم فقالوا: بعدم صحة عقود التي تعطى للمشركين من أجل الإقامة داخل الجزيرة العربية، ومن ثم وجب إخراجهم منها فإن أصروا على البقاء فليس لهم إلا القتل^(٢) ، فقتلوا الأمنين من اليهود والنصارى الذين دخلوا بلاد المملكة العربية السعودية بعهد وأمان. وقد أوتوا هؤلاء من سوء فهمهم للنصوص الشرعية فوقعوا في الانحراف واضطربت لديهم الأفهام، ورداً على شبهتهم فإنه لا يجوز الغدر بأي مواطن مستأمن في بلادنا، وجمهور أهل العلم يرون أن المراد بالجزيرة العربية هي الحجاز وحكم الحاكم يرفع الخلاف في المسائل الاجتهادية ولا يجوز الافتيات عليه^(٣) .

المسألة الثانية: الخلط في مصادر التلقي للعقيدة:

إذا تلقى المسلم دينه وعقيدته عن أهل الأهواء والبدع والعقليات والأوهام مبتعداً عن الأصولين العظیمين الكتاب والسنة فعندئذ يقع الزلل والخطأ و الاحتراب في الأمة، ولا يستقر المجتمع بكل أطيافه، وتسود الفوضى في البلاد.

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي (٨ / ٢٥٨ - ٢٥٩) .

(٢) انظر: النذير مناقشة علمية لأبرز الشبهات المتعلقة بالإمامة والجهاد والتكفير، ماجد المرسال، ص ٣٥٩ -

٣٦٨ ، ط١ : ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م، الرياض.

(٣) الأحكام السلطانية للماوردي ص ٢٨١ .

ومن الشواهد الجلية على هذا الأمر ما وقع فيه الخوارج والمعتزلة في مسألة مرتكب الكبيرة في الآخرة حيث جعلوا العقل حاكماً على نصوص الشرع المطهر، ولم يجمعوا بين النصوص في المسألة الواحدة. فمن هنا جاءهم الانحراف ووقعوا في هوة سحيقة ما زالت تعاني منها الأمة إلى اليوم.

فهذا الصحابي الجليل جابر بن عبد الله رضي الله عنهما يوضح هذه المسألة العقديّة للشباب ويدحض شبههم. حَدَّثَنِي يَزِيدُ الْفَقِيرُ، قَالَ: كُنْتُ قَدْ شَغَفَنِي رَأْيٌ مِنْ رَأْيِ الْخَوَارِجِ، فَخَرَجْنَا فِي عَصَابَةِ ذَوِي عَدَدٍ نُرِيدُ أَنْ نَحُجَّ، ثُمَّ نَخْرُجَ عَلَى النَّاسِ، قَالَ: فَمَرَرْنَا عَلَى الْمَدِينَةِ، فَإِذَا جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ يُحَدِّثُ الْقَوْمَ، جَالِسٌ إِلَى سَارِيَةٍ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: فَإِذَا هُوَ قَدْ ذَكَرَ الْجَهَنَّمِيِّينَ، قَالَ: فَقُلْتُ لَهُ: يَا صَاحِبَ رَسُولِ اللَّهِ، مَا هَذَا الَّذِي تُحَدِّثُونَ؟ وَاللَّهِ يَقُولُ: { رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تَدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَجْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ } [آل عمران: ١٩٢] و{ كَلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ } [السجدة: ٢٢]، فَمَا هَذَا الَّذِي تَقُولُونَ؟ قَالَ: فَقَالَ: أَتَقْرَأُ الْقُرْآنَ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: فَهَلْ سَمِعْتَ بِمَقَامِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، يَعْنِي الَّذِي يَبْعَثُهُ اللَّهُ فِيهِ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: فَإِنَّهُ مَقَامُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَحْمُودُ الَّذِي يُخْرِجُ اللَّهُ بِهِ مَنْ يُخْرِجُ، قَالَ: ثُمَّ نَعَتَ وَضَعَ الصِّرَاطِ، وَمَرَّ النَّاسِ عَلَيْهِ، قَالَ: وَأَخَافُ أَنْ لَا أَكُونَ أَحْفَظُ ذَلِكَ، قَالَ: غَيْرَ أَنَّهُ قَدْ زَعَمَ أَنْ قَوْمًا يَخْرُجُونَ مِنَ النَّارِ بَعْدَ أَنْ يَكُونُوا فِيهَا، قَالَ: يَعْنِي، فَيَخْرُجُونَ كَأَنَّهُمْ عِيدَانُ السَّمَاسِمِ، قَالَ: فَيَدْخُلُونَ نَهْرًا مِنْ أَنْهَارِ الْجَنَّةِ، فَيَعْتَسِلُونَ فِيهِ، فَيَخْرُجُونَ كَأَنَّهُمْ الْقِرَاطِيْسُ. فَرَجَعْنَا قُلْنَا: وَيَحْكُمُ أَتْرُونَ الشَّيْخَ يَكْذِبُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فَرَجَعْنَا فَلَا وَاللَّهِ مَا خَرَجَ مِنَّا غَيْرُ رَجُلٍ وَاحِدٍ، أَوْ كَمَا قَالَ: أَبُو نُعَيْمٍ^(١).

فكاد هؤلاء القوم يميلون على الناس في الحج ويعملون فيهم السيف تقتيلاً وسفكاً للدماء، وهذا أخطر ما يهدد السلم المجتمعي وروح المواطنة في البلد الواحد.

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها ح ١٩١ (١/ ١٧٩ - ١٨٠).

الخاتمة

لم تكن هذه الدراسة سوى إشارات تنير الطريق للباحثين في مجال الأمن الفكري والسلام المجتمعي ودور العقيدة في تحقيقهما، وقد استخلصت منها عدة نتائج أجمالها فيما يلي:

١ - أن المعتقد الصحيح الذي كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه هو المحقق للأمن الفكري .

٢ - أن العقيدة الصحيحة لا تعارض السلم المجتمعي بل تسعى إلى تحقيقه وتدعو إلى السلام والحب والاحترام.

٣ - بينت الدراسة أن الإلحاد والشرك بالله أخطر مهددات الأمن الفكري والسلام المجتمعي.

٤ - مسألة الإمامة مسألة عقدية تمحور الخلاف حولها في الأمة واستقر رأي أهل السنة على حرمة الخروج على الأئمة وقتالهم بالسيف والصبر على جورهم .

٥ - أن النظر في مآلات الأمور في مسألة الإمامة مما يحقق الأمن الفكري والسلام المجتمعي.

٦ - أن أكبر مهددات الأمن الفكري والسلام المجتمعي الإلحاد والشرك بالله، فكان لزاماً على أهل العلم والحكمة محاربة الشرك والإلحاد فهو أعظم إصلاح في الأرض.

٧ - ظهور البدع والأهواء في الأمة انحراف واضح عن المعتقد الصحيح وله أثر كبير في وجود اللوثات الفكرية قديماً وحديثاً.

٨ - التمسك بالعقيدة الصحيحة هو الذي يرسى دعائم العدل والإنصاف والمساواة في المجتمع وينشر فقه المواطنة الحقيقي.

٩ - أن الخلل في فهم نصوص الشريعة والخلط في مصادر التلقي أكبر الأسباب التي تؤدي إلى الانحراف عن العقيدة الصحيحة، وهي أسباب تهدد السلم المجتمعي والسلام العالمي وتنشر الفوضى الخلاقة والتوحش في المجتمعات.

التوصيات:

ومما أوصي به في ختام هذه الدراسة :

- ١ - الاهتمام بترسيخ العقيدة السليمة في عقول الناشئة عبر وسائل الإعلام المعاصرة.
 - ٢ - نشر ثقافة الحوار والتعايش في المجتمعات المسلمة عن طريق الجامعات وإقامة المؤتمرات الثقافية المتخصصة.
 - ٣ - السعي في إنشاء منظومة فكرية متكاملة لمحاربة العنف والتطرف ونشر لغة التسامح والحب والوئام في مجتمعنا الإسلامي.
- والله الموفق

ثبت المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم.
٢. آثار ونتائج الانحرافات الفكرية (الإلحاد نموذجاً) أنور قاسم الخضري، ص ١٨، مطبوع ضمن بحوث وأوراق عمل مؤتمر الانحرافات الفكرية بين حرية التعبير ومحكمات الشريعة الإسلامية، المقام في مجمع الفقه الإسلامي، التابع لرابطة العالم الإسلامي - مكة المكرمة .
٣. أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، الإمام أبو عبد الله محمد بن إسحاق الفاكهي المكي، تحقيق: عبد الملك بن دهيش، ط ٤، ١٤٢٤ هـ، مكتبة الأسد، مكة المكرمة.
٤. أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة، حافظ بن أحمد حكيمي، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، ط ٢، ١٤٢٢ هـ.
٥. اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، تقي الدين أبو العباس ابن تيمية، تحقيق: ناصر بن عبد الكريم العقل، دار عالم الكتب بيروت لبنان، ط ٧، ١٤١٩ هـ ١٩٩٩ م.
٦. الأحكام السلطانية، أبو الحسن علي بن محمد الماوردي، دار الحديث - القاهرة.
٧. الإلحاد أسباب هذه الظاهرة وطرق علاجها، عبد الرحمن عبد الخالق، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، ١٤٠٤ هـ، ط ٢ .
٨. الأمن الفكري الإسلامي، سعيد بن مسفر الوادعي، مجلة الأمن والحياة، جامعة نايف العربية، الرياض، العدد ١٨٧، ١٩٩٧ م، ص ٥١ .
٩. البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة، ط ١، ١٤١٨ هـ.
١٠. البداية والنهاية، إسماعيل بن كثير، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ١٤٠٨ هـ.
١١. التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر - تونس، ١٩٨٤ م.
١٢. التكفير عند جماعات العنف المعاصرة، إبراهيم صالح العايد، مركز نماء للبحوث والدراسات، ط ١، بيروت لبنان، ٢٠١٤ م.
١٣. التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل، عبد الرحمن بن يحيى المعلمي. تخريجات وتعليقات: محمد ناصر الدين الألباني - زهير الشاويش - عبد الرزاق حمزة، المكتب الإسلامي، ط ٢، ١٤٠٦ هـ.

١٤. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه (صحيح البخاري)، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمد زهير الناصر، دار طوق النجاة، الرياض، ط ١، ١٤٢٢ هـ.
١٥. الحوار وبناء السلم الاجتماعي، خالد محمد البدوي، مركز الملك عبدالعزيز للحوار الوطني، الرياض، ١٤٣٢ هـ، ٢٠١١ م.
١٦. الرسائل المفيدة للشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن، تصحيح وتقديم: عبدالرحمن الرويشد، مطبوع على نفقة الأمير سعد بن محمد آل سعود، عام ١٩٧٧ م.
١٧. السلام في القرآن والحديث، محمد الغروي، ط ١، دار الأضواء، ١٤١١ هـ.
١٨. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ (صحيح مسلم)، مسلم بن الحجاج النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث، بيروت.
١٩. المعجم الكبير، أبو القاسم الطبراني، تحقيق: مجموعة من الباحثين بإشراف د. سعد الحميد وخالد الجريسي، ط ١، ١٤٢٧ هـ.
٢٠. الموسوعة الميسرة في الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، ط ٤، ١٤٢٠ هـ.
٢١. الندير مناقشة علمية لأبرز الشبهات المتعلقة بالإمامة والجهاد والتكفير، ماجد المرسل، ط ١، ١٤٣١ هـ، ٢٠١٠ م، الرياض.
٢٢. الوجيز في عقيدة السلف الصالح، عبدالله الحميد الأثري، ط ١، وزارة الشؤون الإسلامية، الرياض، ١٤٢٢ هـ.
٢٣. تاريخ الرسل والملوك، محمد بن جرير الطبري، دار التراث - بيروت، ط ٢، ١٣٨٧ هـ.
٢٤. تاريخ دمشق، أبو القاسم علي بن الحسين بن عساكر، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر، بيروت، طبع عام ١٤١٥ هـ.
٢٥. تعظيم قدر الصلاة، أبو عبد الله محمد بن نصر بن الحجاج المروزي، تحقيق: عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، مكتبة الدار، المدينة المنورة، ط ١، ١٤٠٦ هـ.
٢٦. جامع البيان في تأويل القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، أحمد محمد شاكر، م/ الرسالة، بيروت، ط ١، ١٤٢٠ هـ.
٢٧. جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، زين الدين عبد الرحمن بن رجب، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - إبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط ٧، ١٤٢٢ هـ.
٢٨. رسالة عقيدة السلف وأصحاب الحديث، أبو عثمان إسماعيل الصابوني، تحقيق: ناصر بن عبد الرحمن الجديع، دار العاصمة، ط ٢، ١٤١٩ هـ.

المؤتمر الدولي العاشر

[دور العلوم العربية والإسلامية في تكريس الأمن الفكري وتحقيق السلام المجتمعي]

٢٩. سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، م / الرسالة، بيروت، ط ٣، ١٤٠٥ هـ.
٣٠. شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، أبو القاسم هبة الله بن الحسن اللالكائي، تحقيق: أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، دار طيبة - السعودية، ط ٨، ١٤٢٣ هـ.
٣١. شرح العقيدة الطحاوية، صدر الدين علي بن محمد ابن أبي العز الحنفي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عبد الله بن المحسن التركي، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط ١٠، ١٤١٧ هـ.
٣٢. كتاب الصلاة، محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، تحقيق: عدنان بن صافاخان البخاري، دار عالم الفوائد، ط ١، ١٤٣١ هـ.
٣٣. مباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة وموقف الحركات الإسلامية منها، د. ناصر بن عبدالكريم العقل، ط ١، دار الوطن، الرياض، ١٤١٢ هـ.
٣٤. مسألة الإيمان دراسة تأصيلية، علي بن عبدالعزيز الشبل، دار إيلاف، الكويت، ط ٢، ١٤٢٧ هـ.
٣٥. معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، أحمد زكي بدوي، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٢ م.
٣٦. مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، تحقيق: نعيم زرزور، المكتبة العصرية، ط ١، ١٤٢٦ هـ.
٣٧. منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، أبو العباس أحمد بن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، طبع في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط ١، ١٤٠٦ هـ.

دور العقيدة الإسلامية في تحقيق الأمن الفكري والسلام المجتمعي

أ.د. فرمان إسماعيل إبراهيم

العراق / جامعة تكريت / كلية العلوم الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين وعلى آله وأصحابه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. أما بعد،،،
فإنّ العقيدة الإسلامية هي التي جمعت هذه الأمة على الخير والسلام، فجعلتها في مقدمة الأمم حتى أصبحت خير أمة أخرجت للناس، بعد أن كانت تتخبط في التيه والظلام، ولم يكن ذلك ليحدث لولا ما تمتلكه من نقاط القوة، ومن وسائل الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة، فاستطاعت أن تنقل المجتمع من الصراعات التي كانت تندلع لأتفه الأسباب، فتؤدي إلى سفك الدماء وسلب الأموال، وانتشار الخوف والرعب بين الناس الى مجتمع يسير فيه الراكب ليال عدة بأمان، لا يخشى إلا الله والذئب على غنمه، فابتعد الناس بعد ذلك عن مبادئ هذا الدين العظيم وانحرفوا عن نهجه القويم، فرجعوا إلى ماكانوا عليه من التفرق والاختلاف والضعف والانتكاس، فأصبحت الفتن في كل مكان، وعم الدمار والخراب في كثير من البلدان، ولا يوجد أمل يلوح في الأفق إلا في الرجوع إلى منهج الله ، والاعتصام بحبل الله، لتتمكن الأمة من استعادة قوتها، والسعي نحو تحقيق وحدتها، ولذلك فقد استعنت بالله تعالى لكتابة بحثي في هذا المجال فكان عنوانه (دور العقيدة الإسلامية في تحقيق الأمن الفكري والسلام المجتمعي) وتكمن أهمية البحث لكونه يعالج قضية مهمة وحساسة في وقتنا الحاضر، ويضع لها الحلول على هدي من كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، وقد تضمن البحث هذه المقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة

بينت في المقدمة أهمية الموضوع وخطة البحث، وكان التمهيد للتعريف بمفردات العنوان، وخصصت المبحث الأول للحديث عن دور العقيدة في تحقيق الأمن الفكري، وجعلته في ثلاثة مطالب المطلب الأول كان عن: العقيدة توحيد المجتمع والمطلب الثاني عن العقيدة تحصن المجتمع من التأثير بالأفكار الأخرى المطلب الثالث عن: العقيدة تحمي المجتمع من الغلو والتشدد، وكان المبحث الثاني عن : دور العقيدة في تحقيق السلم المجتمعي، وجعلته على ثلاثة مطالب المطلب الأول: الإيمان بالأسماء والصفات يزيل الفوارق، المطلب الثاني: الايمان باليوم الاخر يقلل الجرائم في المجتمع والمطلب الثالث: الايمان بالكتب والرسل يشجع على العيش المشترك. وأجملت في الخاتمة أهم النتائج التي توصلت اليها. هذا وأسأل الله تعالى أن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم، وأن يرزقنا سداد القول وصواب العمل، إنه نعم المولى ونعم النصير، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

تمهيد في التعريف بمفردات العنوان

أولا تعريف العقيدة

١- العقيدة لغة: الْعَيْنُ وَالْقَافُ وَالذَّالُّ أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى شَدِّ وَشِدَّةٍ وَثُوقٍ، وَإِلَيْهِ تَرْجِعُ فَرُوعُ الْبَابِ كُلِّهَا. ^(١) والعقد: الجمع بين أطراف الشيء، ويستعمل ذلك في الأجسام الصلبة كعقد الحبل وعقد البناء، ثم يستعار ذلك للمعاني نحو: عقد البيع، والعهد، وغيرهما. ^(٢)

٢- العقيدة اصطلاحاً:

وهي تعني الإيمان واليقين الجازم الذي لا يتطرق إليه شك لدى معتقده. ^(٣) وتشمل الإيمان الجازم بالله ، وما يجب له في ألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته ، والإيمان بملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر ، والقدر خيره وشره ، وبكل ما جاءت به النصوص الصحيحة من أصول الدين وأمور الغيب وأخباره ، وما أجمع عليه السلف الصالح . والتسليم لله تعالى في الحكم والأمر والقدر والشرع ، ورسوله - صلى الله عليه وسلم - بالطاعة والتحكيم والاتباع. ^(٤)

ثانياً: تعريف الأمن الفكري

١- تعريف الأمن

الأمن لغة : جاء في تهذيب اللغة أمن فلانٌ يأمنُ أمناً، وأمناً، وأمناً، وأمناً فهو آمن؛ قَالَ اللهُ تَعَالَى: {إِذْ يُغَشِّيكُمْ النَّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ} (الأنفال: ١١). وَرَجُلٌ أَمِنَةٌ، لِلَّذِي يَأْمَنُهُ النَّاسُ وَلَا يَخَافُونَ غَائِلَتَهُ. ^(٥) . وقال الراغب أصل الأمن: طمأنينة النفس وزوال الخوف ^(٦)

(١) معجم مقاييس اللغة ط دار الفكر (٨٦ / ٤)

(٢) المفردات في غريب القرآن (ص: ٥٧٦)

(٣) مجمل أصول أهل السنة المؤلف: ناصر بن عبد الكريم العلي العقل مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية <http://www.islamweb.net> الكتاب مرقم آليا، ورقم الجزء هو رقم الدرس - ١٠ دروس (ص: ٤)

(٤) عقيدة أهل السنة والجماعة وموقف الحركات الإسلامية المعاصرة منها الشيخ د. ناصر بن عبد الكريم العقل الطبعة الأولى ١٢ / ٩ / ١٤١٢ هـ دارا لوطن للنشر

(٥) تهذيب اللغة (١٥ / ٣٦٦)

(٦) المفردات في غريب القرآن (ص: ٩٠)

الأمن اصطلاحاً: والأمن اصطلاحاً: عدم توقع مكروه في الزمن الآتي^(١) وعرف أيضاً: هو شعور المجتمع وأفراده بالطمأنينة، والعيش بحياة طيبة، من خلال إجراءات كافية يمكن أن تزيل عنهم الأخطار، أيا كان شكلها وحجمها، حال ظهورها، ومن خلال اتخاذ تدابير واقية^(٢).

٢- تعريف الفكر

الفكر لغة: بالكسر ويُفْتَحُ: إِمْعَالُ النَّظَرِ فِي الشَّيْءِ^(٣)، والتَّفَكُّرُ: التَّأَمُّلُ^(٤).
الفكر اصطلاحاً هو: عمل العقل ونتاجه^(٥).

٣- تعريف الأمن الفكري

إن ما انتهى إليه الباحثون في تعريفهم للأمن الفكري أنه يسعى إلى تحقيق الحماية التامة لفكر الإنسان من الانحراف أو الخروج عن الوسطية والاعتدال، وأنه يُعنى بحماية المنظومة العقدية والثقافية والأخلاقية والأمنية في مواجهة كل فكر أو معتقد منحرف أو متطرف وما يتبعه من سلوك^(٦).

ثالثاً: تعريف السلم المجتمعي

١- تعريف السلم: السنين واللام والميم معظم بابه من الصِّحَّةِ والعافية^(٧)، والسلم ضد الحَرْبِ، وَمِنْهُ اشْتَقَّاقُ السَّلَامَةِ^(٨). والسلم: الصلح^(٩) قال الرازي وَغَلَبَ اسْمُ السَّلْمِ عَلَى الصُّلْحِ وَتَرَكَ الحَرْبَ^(١٠)

(١) التوقيف على مهمات التعاريف (ص: ٩٤)

(٢) أثر تعليم القرآن الكريم في حفظ الأمن (ص: ٦)

(٣) القاموس المحيط (ص: ٤٥٨)

(٤) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (٢/ ٧٨٣)

(٥) مفهوم الأمن الفكري دراسة تأصيلية دراسة تأصيلية في ضوء الإسلام بحث تكميلي مقدم لنيل درجة الماجستير في

الثقافة الإسلامية جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية الشريعة اعداد ماجد بن محمد بن علي الهذيلي

(ص: ١٩)

(٦) المصدر نفسه: (ص ٢٣)

(٧) معجم مقاييس اللغة ط دار الفكر (٣/ ٩٠)

(٨) جمهرة اللغة (٢/ ٨٥٨).

(٩) مجمل اللغة لابن فارس (ص: ٤٦٩).

(١٠) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٥/ ٣٥٢).

- وقال الراغب: السُّلْمُ والسَّلَامَةُ: التَّعَرِّيُّ مِنَ الْآفَاتِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ^(١)
- ٢- تعريف المجتمع: المجتمع الإنساني عدد كبير من الأفراد، جمعت بينهم روابط، وأهداف مشتركة، واستقرار في أرض، والتزموا بعرف، أو قانون.^(٢)
- ٣- تعريف السلم المجتمعي: السلم المجتمعي هو: " حالة السلم والوثام داخل المجتمع نفسه وبين شرائحه وقواه.^(٣)

المبحث الأول دور العقيدة في تحقيق الأمن الفكري

لا يخفى ما للعقيدة الإسلامية من أهمية عظيمة، ودور كبير في اصلاح أحوال الأمة من النواحي كافة ولولا ذلك لما نالت هذه الأهمية، ولما كانت لها الأولوية في دعوة الرسل {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ} [النحل:٣٦]. وتبرز أهميتها " من كونها أساس الدين وأصل الدين، ولا يتم إيمان العبد ولا يقبل عند الله سبحانه وتعالى إلا بها، ولهذا يقول الله عز وجل: {وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ} [المائدة:٥].^(٤)

ويعد الأمن الفكري البعد الاستراتيجي الأهم للأمن الوطني الشامل، فإذا كان الأمن الوطني في مفهومه الشامل يعني تأمين الدولة والحفاظ على مصادر قوتها وإيجاد الاستراتيجيات والخطط الشاملة التي تكفل تحقيق ذلك، فإن الأمن الفكري يتعدى ذلك كله ليشمل البعد الفكري والمعنوي للأمن الوطني. فهو يهدف إلى حفظ الفكر السليم والمعتقدات والقيم والتقاليد النافعة وهو بلا شك يمثل بعداً استراتيجياً للأمن الوطن لارتباطه بهوية الأمة واستقرار قيمها الداعية إلى أمن

(١) المفردات في غريب القرآن (ص: ٤٢١).

(٢) المجتمع والأسرة في الإسلام (ص: ١٤).

(٣) التربية الإسلامية وبناء السلم الاجتماعي بقلم أ.د/ إبراهيم صلاح الهدهد رئيس جامعة الأزهر سابقاً. الأستاذ بكلية اللغة العربية بحث مقدم الى المؤتمر العالمي الرابع للدراسات الإسلامية: cIslami Peaceful a Force Driving a as Education ص٦

(٤) تأصيل علم العقيدة المؤلف: عبدالرحيم بن صمايل العلياني السلمي مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية http://www.islamweb.net. الكتاب مرقم آليا، ورقم الجزء هو رقم الدرس - ٤ دروس [ص٣]

الأفراد والمجتمع والترابط والتواصل الاجتماعي ومواجهة كل ما يهدد هوية الأمة وثقافتها. (١)

وسأتحدث عن دور العقيدة في تحقيق الأمن الفكري في المطالب الآتية:

المطلب الأول: العقيدة توحد المجتمع

إن من أهم الأسس التي تبنى عليها المجتمعات هي قوة الأواصر التي تجمع بين أفرادها على الخير، ولذا يجب تجنب كل ما يؤدي الى التنازع والاختلاف، وعليه فإن من أهم الأمور المعروفة في الشريعة الإسلامية أنها ركزت على تعميق العقيدة في قلوب المسلمين باعتبارها العامل المشترك الأكبر الذي يربط بين أفراد المجتمع "إذا ما رسخت هذه الحقيقة في نفوس الأمة وأصبحت واضحة في القلوب بلا غش ولا خفاء أمكن للأمة أن تلتقي وتتحد ... إذ صفاء الاعتقاد وسلامته من الآراء الدخيلة عليه يعني إزالة الحواجز التي قامت بين الأمة وفرقتها إلى شيع وأحزاب". (٢) وفي ذلك يقول الله تعالى { إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ } [الأنبياء: ٩٢] ويقول النبي صلى الله عليه وسلم (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً وشبك بين أصابعه). (٣) وهذا التصور الذي يبني على أن الرب واحد والأمة واحدة يجعل من الناس يتمركزون حول هذا المحور جاعلين منه منطلقهم الأول نحو الوحدة المجتمعية لكونه يلامس فطرتهم التي فطرهم الله تعالى عليها {وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا } [الأعراف: ١٧٢] وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (كُلُّ مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ ، أَوْ يُنَصِّرَانِهِ ، أَوْ يمجسانِهِ كَمَثَلِ الْبُهَيْمَةِ تُنْتَجِ الْبُهَيْمَةَ هَلْ تَرَى فِيهَا جَدْعَاءَ). (٤)

(١) الأمن الفكري: مفهومه وأهميته وتحدياته د. محمد الحاج <http://content/ar/net.wasatyca/> تاريخ الخول

٢٠١٩/ ١٢/٤

(٢) أثر العقيدة الإسلامية في تضامن ووحدة الأمة الإسلامية (ص: ١٠٧).

(٣) صحيح البخاري - طبع دار الشعب كتاب بدء الوحي - باب نصر المظلوم (٣/ ١٦٩) ح (٢٤٤٦) صحيح مسلم -

التركية كتاب الآداب باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم (٨/ ٢٠) ح (٦٧٥٠) واللفظ للبخاري.

(٤) صحيح البخاري - طبع دار الشعب كتاب بدء الوحي باب ما قيل في أولاد المشركين (٢/ ١٢٥) ح (١٣٨٥). صحيح

مسلم - التركية كتاب الآداب باب معنى كل مولود يولد على الفطرة (٨/ ٥٢) ح (٦٩٢٦).

فالمسلم يعلم أن عقيدته توجب عليه أن يحافظ على وحدة مجتمعه الإسلامي، يقول الله تعالى {وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا} [آل عمران: ١٠٣] وتلزمه أن يحرص على نبذ كل ما يؤدي إلى التفرق والاختلاف؛ لأن "مرّد التنازع بالدرجة الأولى إلى الفرقة في الدين الناتجة عن الانحراف في العقيدة، ... وكم خطط أعداء الإسلام للتفريق بين المسلمين، ولم يجدوا أنجح في تحقيق ذلك من نشر الأفكار المخالفة"^(١) ولذا فإن الله تعالى حذر الأمة من أن تسلك مسلك الأمم السابقة التي تفرقت فأهلكها الله تعالى (ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم) هذه هي عقوبة الآخرة، أما عقوبة الدنيا فقد ذكرها النبي بقوله: « إِنَّهُ سَتَكُونُ هَنَاتٌ وَهَنَاتٌ فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يُفَرِّقَ أَمْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَهِيَ جَمِيعٌ فَاضْرِبُوهُ بِالسَّيْفِ كَأَنَّ مَن كَانَ »^(٢). وهذه العقيدة هي التي تجعل الناس يعيشون إخوانا متحابين متراحمين، وفي ذلك يقول الله تعالى {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ} [الحجرات: ١٠] ويقول الله تعالى في وصف النبي وأصحابه ﷺ {مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ} [الفتح: ٢٩] ويشبه النبي صلى الله عليه وسلم وحدة الشعور التي تكون بين المؤمنين بجسد الإنسان فيقول: (مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى)^(٣). بل نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن كل ما من شأنه أن يؤدي إلى إضعاف هذه الأخوة عندما قال: (لَا تَبَاغَضُوا ، وَلَا تَحَاسَدُوا ، وَلَا تَدَابَرُوا وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا ، وَلَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ)^(٤).

(١) أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة (٢/ ٥٥٨).

(٢) (صحيح مسلم-التركية أبواب الإمارة-باب حكم من فرق أمر المسلمين وهو مجتمع (٦/ ٢٢) ح(٤٩٠٢).

(٣) صحيح البخاري - طبع دار الشعب كتاب بدء الوحي باب باب رَحْمَةِ النَّاسِ وَالْبَهَائِمِ (٨/ ١٢). ح (٦٠١١) (صحيح مسلم -التركية كتاب الآداب باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم (٨/ ٢٠) ح(٦٧٥٣).

(٤) (صحيح البخاري - طبع دار الشعب كتاب بدء الوحي باب مَا يَنْهَى عَنِ التَّحَاسُدِ وَالتَّدَابُرِ. (٨/ ٢٣) ح(٦٠٦٥) صحيح مسلم -التركية كتاب الآداب باب النَّهْيِ عَنِ التَّحَاسُدِ وَالتَّبَاغُضِ وَالتَّدَابُرِ (٨/ ٨) ح(٦٦٩٠).

ومن المعلوم أن المجتمع عندما يكون بهذا التماسك ووحدة الرؤى يصعب اختراقه فكريا؛ لأنه بات يمتلك الحصانة التي تمنعه من التأثر السلبي بأفكار الغير والثقة التي تجعله يعتز بعقيدته.

ومن الملاحظ أن الجيل الأول الذي تربي على هذه العقيدة قد أسس مجتمعا على درجة كبيرة من التآلف والتعاون فبعد أن كان العرب قبائل متناحرة يتقاتلون فيما بينهم أصبحوا أمة واحدة بل خير أمة، كما وصفهم القرآن الكريم {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ} [آل عمران: ١١٠]

المطلب الثاني: العقيدة تحصن المجتمع من التأثر بالأفكار الأخرى:-

لا يخفى على المطلع أن تحقيق العقيدة الصحيحة في نفوس الناس هو الحصن الحصين من الانحرافات الفكرية والعقائدية، ومن هذا المنطلق فإن عقيدة الإسلام تحتم على المسلم أن يؤمن أن القرآن الكريم هو الكتاب الذي لا يمكن أن يتطرق إليه شكولا أن يختلط به باطل {لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ} [فصلت: ٤٢] فإذا علم المسلم أنه يتبع شرعا ربانيا فإن ذلك سيجعله بمنأى عن التأثر بمنهج غير هذا المنهج؛ لأنه هو المنهج الصحيح الذي أمر الله تعالى عباده باتباعه، أما المناهج الأخرى فقد اختلط الحق فيها بالباطل قال تعالى: {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ} [الأنعام: ١٥٣]، وهذه القوة التي يكتسبها المؤمن من تمسكه بعقيدته الإسلامية إنما تنشأ من إدراكه أن القرآن الكريم الذي يستمد منه عقيدته هو الكتاب الوحيد الذي تكفل الله تعالى بحفظه من التحريف والتبديل قال تعالى: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} [الحجر: ٩] أما غيره من الكتب وإن كانت منزلة في أصلها من عند الله تعالى فقد قام الدليل على دخول التحريف إليها ، وفي ذلك يقول الله تعالى عن اليهود: {مَنْ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ} [النساء: ٤٦] ويقول عن النصارى: {وَمَنْ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا دُكِّرُوا بِهِ} [المائدة: ١٤] وبذلك يتضح أن هذه الأمم تستمد دينها من كتب محرفة، ويؤكد ذلك ما ذكره القرآن الكريم من انحرافهم عن عقيدة التوحيد التي قامت عليه دعوة الرسل كافة {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا

فَاعْبُدُونِ { [الأنبياء: ٢٥] إذ وصل الأمر بهم إلى تأليههم لأنبيائهم، قال تعالى: {لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ} { [المائدة: ١٧] وقال عز وجل: {وَقَالَتِ الْيَهُودُ عِزْرُ ابْنِ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ} { [التوبة: ٣٠] أما القرآن الكريم فإنك لا يمكن أن تجد فيه شيئاً من هذا القبيل إذ إنه يركز على البناء العقدي السليم لأمة الإسلام فهو يأمر بعبادة الله تعالى وحده، وينهى عن الشرك به {وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا} { [النساء: ٣٦] ويؤكد على بشرية الأنبياء بقوله: {قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ} { [إبراهيم: ١١] ويبين أن دعوة الأنبياء كانت إلى توحيد الله ونبد الشرك بجميع أنواعه، وعليه فلا يمكن لأحد منهم أن يدعي الألوهية {مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ} { [آل عمران: ٧٩]، وإذا كان أهل الكتاب قد بلغ بهم الانحراف إلى هذا المبلغ مع إدعائهم أنهم يتبعون أنبياءهم ويحكمون شرائعهم، فإن غيرهم من أصحاب المناهج الأرضية سيكونون أبعد عن الصواب من باب أولى، ونتيجة ذلك أن كل الأمم التي انحرفت عن هذا الدين تتخبط في تيه وضلال مما يجعل المسلم يتمسك بعقيدته ويكون محصناً من الميل إلى الأفكار الهدامة والمذاهب الباطلة، وبذلك يتحقق الأمن الفكري للمجتمع.

المطلب الثالث: العقيدة تحمي المجتمع من الغلو^(١) والتشدد

إن من الآفات العظيمة التي تعصف بالمجتمعات آفة الغلو والتشدد في الدين "وذلك أن الغلو في الدين مذموم والتشديد فيه غير محمود"^(٢) لما ينتج عن ذلك من خطر داهم يؤدي إلى نشوء طائفة من المجتمع تتبنى بعض الأفكار المتطرفة، وتسعى إلى إقناع الناس بأن هذا هو الدين الذي أمر الله تعالى به، معززين أفكارهم ببعض النصوص الشرعية التي تجعل من لا خبرة له يظن أنهم على الحق وأن

(١) قال الجوهري: في الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (٦/ ٢٤٤٨).

وغلا في الأمر يغلو غلواً أي جاوز فيه الحد

وفي فتح الباري لابن حجر (١٣/ ٢٧٨) وَأَمَّا الْغُلُوُّ فَهُوَ الْمُبَالَغَةُ فِي الشَّيْءِ وَالتَّشْدِيدُ فِيهِ بِتَجَاوُزِ الْحَدِّ وَفِيهِ مَعْنَى التَّعَمُّقِ.

(٢) شرح صحيح البخاري لابن بطال (٨/ ٤٠٥).

غيرهم على باطل {فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ} [آل عمران: ٧]، وهذا الأمر سيؤدي بمن يتبعه إلى الانحراف عن المنهج الوسطي الذي جعله الله من خصائص هذه الأمة بقوله: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا} [البقرة: ١٤٣] فمن معاني الأمة الوسط أنهم^(١): أَهْلُ دِينٍ وَسَطٍ بَيْنَ الْغُلُوِّ وَالتَّقْصِيرِ^(٢).

ومن الملاحظ أن الخروج عن هذا المنهج يجعل المسلم عرضة للوقوع في المنزقات الفكرية التي لا تحمد عقباها، وعلى رأسها التطرف، والشواهد على ذلك لا تحصى على اللبيب، سواء أكان ذلك في الماضي أو الحاضر^(٣).

وإذا أردنا أن نحصن مجتمعاتنا من مثل هذه الآفات فينبغي لنا الدعوة إلى التمسك بالعقيدة الصحيحة التي هي عقيدة السلف من الصحابة والتابعين لهم بإحسان من الأئمة المجتهدين الذين أجمعت الأمة على إمامتهم وشهدت لهم بالخيرية. ولا بد من التركيز على الفهم الصحيح للنصوص الشرعية؛ لأن هذا الفهم هو الذي يقي المجتمع الإسلامي من الغلو والتشدد الذي يحدث غالباً بسبب سوء الفهم للنصوص الشرعية الناتج عن اتباع الهوى، وقلة البضاعة وعدم المعرفة بمقاصد الشريعة.

والمطلع على نصوص الشريعة وما بني عليها من فهم صحيح لعلماء الأمة يرى بوضوح النهي عن الغلو والتشدد، والتحذير من سلوك هذا المسلك، وبيان ما فيه من خطورة على مستقبل الأمة، فقد ذم الله تعالى أهل الكتاب لاتباعهم ذلك بقوله: (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ) [المائدة: ١٧٧] وفي ذلك تحذير للمسلمين من اقتفاء أثرهم والسير على منهجهم، وكذلك حذر النبي صلى الله عليه وسلم من

(١) وَالْوَسَطُ تَأْتِي بِمَعْنَى عِدَّةٍ مِنْهَا: الْخِيَارُ وَالْأَجْوَدُ تَفْسِيرُ ابْنِ كَثِيرٍ تِ سَلَامَةَ (١/ ٤٥٤).

(٢) تَفْسِيرُ الْبَغَوِيِّ - إحياء التراث (١/ ١٧٤) وينظر: تفسیر الطبري = جامع البيان

ط هجر (٢/ ٦٢٧).

(٣) كفتنة الخوارج في الماضي والجماعات المتطرفة في وقتنا الحاضر.

ذلك بقوله: « هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ » ^(١). قَالَهَا ثَلَاثًا. وَقَالَ فِي حَدِيثٍ آخَرَ (إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ؛ فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِالْغُلُوِّ فِي الدِّينِ) ^(٢).

بل إن دين الإسلام يقوم على التيسير ورفع الحرج يقول تعالى: {يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ} [البقرة: ١٨٥] ويقول سبحانه: {وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ} [الحج: ٧٨] ومنهج النبي الله صلى الله عليه وسلم في سنته الفعلية هو التيسير على أمته ما وجد إلى ذلك سبيلا، تقول عائشة - رضي الله عنها - : مَا خَيْرَ رَسُولٍ اللَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلَّا أَحَدًا أَيْسَرَهُمَا مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا فَإِنْ كَانَ إِثْمًا كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ وَمَا انْتَقَمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِنَفْسِهِ إِلَّا أَنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ اللَّهِ فَيَنْتَقِمَ لِلَّهِ بِهَا. ^(٣)

وكان رسول صلى الله عليه وسلم يوصي الصحابة رضي الله عنهم بالتيسير بقوله : يَسِّرُوا ، وَلَا تُعَسِّرُوا وَبَشِّرُوا ، وَلَا تُنْفِرُوا. ^(٤)

ومن أعظم المخاطر الناتجة عن منهج الغلاة والمتشددين ما يحدث من تكفيرهم لكل من يخالفهم في الرأي دون استناد إلى دليل صحيح، بل اعتمادا على التعصب وسوء الفهم، وهذا سيؤدي إلى تهديد الأمن الفكري؛ لأنه سيغزر بكثير من الشباب المتحمسين ويحملهم على ترك المنهج الحق واتباع منهج الخوارج ^(٥) الذين زاغوا عن

(١) صحيح مسلم - التركية كتاب الآداب باب هلك المتنطعون (٨ / ٥٨) ح (٦٩٥٥).

(٢) سنن ابن ماجه ت الأرذؤوط كتاب المناسك باب قدر حصى الرمي (٤ / ٢٢٨) ح (٣٠٢٩) مسند أحمد ط الرسالة (٥ / ٢٩٨) ح (٣٢٤٨).

(٣) صحيح البخاري - طبع دار الشعب كتاب بدء الوحي باب صفة النبي (٤ / ٢٣٠) ح (٣٥٦٠) صحيح مسلم - التركية باب مَبَاعِدَيْهِ - صلى الله عليه وسلم - لِأَثَامٍ (٧ / ٨٠) ح (٦١٩٠).

(٤) صحيح البخاري - طبع دار الشعب كتاب بدء الوحي باب مَا كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَخَوَّلُهُمْ بِالْمَوْعِظَةِ (١ / ٢٧) ح (٦٩) صحيح مسلم - التركية كتاب البيوع باب فِي الْأَمْرِ بِالتَّيسِيرِ وَتَرْكِ التَّعْسِيرِ (٥ / ١٤١) ح (٤٦٢٦) ولفظ مسلم « يَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا وَسَكِّنُوا وَلَا تُنْفِرُوا ».

(٥) كل من خرج عن الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه يسمى خارجيا سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين أو كان بعدهم على التابعين بإحسان والأئمة في كل زوكبار فرق الخوارج ستة : والأزارقة والنجدات والعجاردة والثعالبة والإباضية والصفارية والباقون فروعهم وجمعهم القول بالتبرئ من عثمان وعلي رضي الله عنهما ويقدمون ذلك على طاعة ولا يصححون المناكحات إلا على ذلك. ينظر ويكفرون أصحاب الكباير ويرون الخروج على الإمام إذا خالف السنة حقا واجبا: الملل والنحل للشهرستاني ط المعرفة (١ / ١١٣).

طريق الحق، وطمعنا بكبار الصحابة واتهموهم بالكفر والردة عن دين الإسلام، ويهدد السلم المجتمعي لما يؤول إليه من استحل السفك الدماء وسلب الأموال وانتهاك الأعراس وخراب الأوطان وتنفيذ مخططات الأعداء.

وقد حذر علماء الأمة من تكفير المسلمين الذين لم يرتكبوا ناقضا من نواقض الإيمان، وفي ذلك يقول أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري المعروف بالطحاوي (المتوفى: ٣٢١هـ): (وَلَا نُكْفِرُ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ بِذَنْبٍ، مَا لَمْ يَسْتَحِلَّهُ، وَلَا نَقُولُ لَأ يَضُرُّ مَعَ الْإِيمَانِ ذَنْبٌ لِمَنْ عَمَلَهُ) ^(١).

ويقول أيضا: (وَأَهْلُ الْكِبَائِرِ مِنْ أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي النَّارِ لَأ يُخْلَدُونَ، إِذَا مَاتُوا وَهُمْ مُوحِدُونَ، وَإِنْ لَمْ يَكُونُوا تَائِبِينَ، بَعْدَ أَنْ لَقُوا اللَّهَ عَارِفِينَ. وَهُمْ فِي مَشِيئَتِهِ وَحُكْمِهِ، إِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُمْ وَعَفَا عَنْهُمْ بِفَضْلِهِ، كَمَا ذَكَرَ عَزَّ وَجَلَّ فِي كِتَابِهِ: {وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ} [النساء: ٤٨] ^(٢)).

ويقول الشيخ أبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي (ت ٦٥٦ هـ): "وسبب الخلاف في تكفير من هذه حاله: أن باب التكفير باب خطير، أقدم عليه كثير من الناس فسقطوا، وتوقف فيه الضحول فسلموا، ولا نعدل بالسلامة شيئا" ^(٣).

ويقول الشيخ أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦ هـ): "وَأَعْلَمُ أَنَّ مَذْهَبَ أَهْلِ الْحَقِّ أَنَّهُ لَأ يُكْفَرُ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ بِذَنْبٍ، وَلَا يُكْفَرُ أَهْلُ الْأَهْوَاءِ وَالْبِدَعِ، وَأَنَّ مَنْ جَحَدَ مَا يُعْلَمُ مِنْ دِينِ الْإِسْلَامِ ضُرُورَةً حُكْمَ بَرْدَتِهِ وَكُفْرِهِ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ قَرِيبَ عَهْدٍ بِالْإِسْلَامِ، أَوْ نَشَأَ بِبَادِيَةٍ بَعِيدَةٍ وَنَحْوِهِ مِمَّنْ يَخْفَى عَلَيْهِ، فَيُعْرَفُ ذَلِكَ فَإِنْ اسْتَمَرَ حُكْمَ بِكُفْرِهِ، وَكَذَا حُكْمُ مَنْ اسْتَحَلَّ الزنى أَوْ الْخَمْرَ أَوْ الْقَتْلَ، أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الْمُحَرَّمَاتِ الَّتِي يُعْلَمُ تَحْرِيمُهَا ضُرُورَةً" ^(٤).

ويقول الشيخ أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن تيمية الحراني الدمشقي (ت ٧٢٨ هـ) "وَلِهَذَا يَجِبُ الْإِحْتِرَازُ مِنْ تَكْفِيرِ الْمُسْلِمِينَ بِالذُّنُوبِ وَالْخَطَايَا

(١) شرح الطحاوية ت الأرنؤوط (٢/ ٤٣٢).

(٢) المصدر نفسه (٢/ ٥٢٤).

(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٣/ ١١١).

(٤) شرح النووي على مسلم (١/ ١٥٠).

فَإِنَّهُ أَوَّلُ بَدْعَةٍ ظَهَرَتْ فِي الْإِسْلَامِ فَكَفَرَ أَهْلُهَا الْمُسْلِمِينَ وَاسْتَحْلَوْا دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ»^(١).

ويحذر الشيخ ابن تيمية في موضع آخر من الطعن بعلماء الأمة وتصيد زلاتهم التي قد تقع بسبب خطأ في الاجتهاد في بعض المسائل الشرعية، فيقول: "وَقَدْ اتَّفَقَ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ عَلَى أَنَّ عُلَمَاءَ الْمُسْلِمِينَ لَا يَجُوزُ تَكْفِيرُهُمْ بِمُجَرَّدِ الْخَطَا الْمَحْضِ؛ بَلْ كُلُّ أَحَدٍ يُؤْخَذُ مِنْ قَوْلِهِ وَيُتْرَكُ إِلَّا رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ، وَلَيْسَ كُلُّ مَنْ يُتْرَكُ بَعْضُ كَلَامِهِ لِحَطِّهِ أَخْطَاهُ يَكْفُرُ وَلَا يَفْسُقُ؛ بَلْ وَلَا يَأْتُمْ؛ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ فِي دُعَاءِ الْمُؤْمِنِينَ: { رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا } [البقرة: ٢٨٦]. وَفِي الصَّحِيحِ عَنِ النَّبِيِّ: «أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ قَدْ فَعَلْتَ»^(٢).

وإنما حذر رحمه الله من ذلك؛ لأنه يؤدي إلى زعزعة ثقة الناس بأهل العلم، الأمر الذي سيؤدي إلى تصدر الجهال للتوجيه والفتوى، وفي ذلك من المفسد ما لا يعلمه إلا الله تعالى.

المبحث الثاني : دور العقيدة في تحقيق السلم المجتمعي :-

لا يخفى على عاقل أهمية السلم والوثام في المجتمعات الإنسانية، لما يؤدي ذلك إلى استقرار وتقدم وازدهار؛ لأن المواطن إذا شعر بأنه آمن مطمئن في بلده، وأن روح المحبة والتعاون والانسجام هي السائدة بين أفراد مجتمعه، فإن هذه العوامل تجعله يندفع إلى بذل كل ما باستطاعته لخدمة إخوانه ورفعته بلاده، وسبق أن ذكرت في المبحث الأول ما للعقيدة الإسلامية من دور فعال في تقوية الأواصر بين أفراد المجتمع، وإشاعة روح التعاون بين أفرادها، فلا حاجة إلى إعادته هنا، وإنما سأتحدث عن دور العقيدة في تحقيق السلم المجتمعي في المطالب الآتية:

المطلب الأول: الإيمان بالأسماء والصفات يزيل الفوارق:-

مذهب سلف الأمة وأئمتها أنهم يصفون الله سبحانه وتعالى بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٣١ / ١٣).

(٢) الفتاوى الكبرى لابن تيمية (٣ / ٤٧٥) والحديث في صحيح مسلم - التركية كتاب الإيمان - باب قوله تَعَالَى (وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ) (١ / ٨١) ح (٣٤٥).

تمثيل يثبتون له الأسماء والصفات وينفون عنه مماثلة المخلوقات إثبات بلا تمثيل وتنزيه بلا تعطيل كما قال تعالى: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} [الشورى: ١١] فقولته ليس كمثلته شيء رد على أهل التمثيل، وقولته: وهو السميع البصير رد على أهل التعطيل^(١).

والإيمان بالله تعالى وبأسمائه وصفاته يجعل المسلم يشعر بكرامته وقيمته في المجتمع المسلم؛ لأن الله تعالى { هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ } [الحشر: ٢٤]، وما دام المسلم يؤمن بأن الله تعالى هو خالق الناس جميعا فلا فضل لأحد على أحد إلا في الأمور التي جعلها المولى عز وجل مقياسا للمفاضلة، ومن المعلوم أن الله تعالى لم يجعل التفاضل بين عباده على أساس اللون والعرق والجنس وإنما جعله على أساس التقوى فالناس كلهم أبناء أب واحد وأم واحدة قال تعالى: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ } [الحجرات: ١٣]، وقال سبحانه { يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً } [النساء: ١] وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، أَلَا لَأَ فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ، وَلَأَ لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَأَ أَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدٍ، وَلَأَ أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ، إِلَّا بِالتَّقْوَى ^(٢)، فعندما تطبق هذه المعايير في المجتمع الإسلامي تطمئن النفوس فيشعر كل الأفراد أنهم سواسية أمام القانون وهذا الأمر يجعل المؤمن بعيدا عن البغضاء والحقد والحسد وهي من أكثر العوامل التي تؤدي إلى إقدام الناس على ارتكاب الجرائم، هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن هذا التصور من شأنه تحقيق العدالة؛ لأن كل من يرتكب جريمة ينال جزاء مهما كان نسبه ومنزله، ومن هنا نرى أن المصطفى صلى الله عليه وسلم قد رسخ هذه الحقيقة في عقول أصحابه رضي الله عنهم، فقد ذكرت أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - أن قريشاً أهمهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت فقال ، ومن يكلم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) الصفدية لابن تيمية (١/١٠٣).

(٢) مسند أحمد ط الرسالة (٣٨/٤٧٤).

فَقَالُوا: وَمَنْ يَجْتَرِي عَلَيْهِ إِلَّا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ حِبُّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَلَّمَهُ أُسَامَةُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ" ثُمَّ قَامَ فَاحْتَطَبَ ثُمَّ قَالَ: "إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ وَإِيمُ اللَّهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ ابْنَةَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا"^(١) . وهكذا يبين رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه لا فرق بين غني وفقير وشريف ووضيع في تطبيق العقوبات الشرعية، ولا يخفى على عاقل أن مجتمع كهذا تطبق قوانينه بهذه الكيفية على المستويات كافة يجعل منه نموذجا للمجتمعات الأخرى، وكل ما تقدم يعد من مقومات السلم المجتمعي والعيش المشترك بين أفراد المجتمع.

والمسلم يؤمن بأن الله تعالى لا يخفى عليه شيء، لأن من صفات الكمال التي يتصف بها المولى عز وجل صفة العلم والسمع والبصر قال تعالى: {وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَأْسُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ} [الأنعام: ٥٩] وقال سبحانه: { إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ } [الحج: ٧٥]، فهذه العقيدة تزرع في قلب المؤمن دائما مراقبة الله تعالى، ويؤكد ذلك ما ورد في حديث سؤال جبريل عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال: فَأَخْبَرَنِي عَنِ الْإِحْسَانِ. قَالَ: « أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ »^(٢) وهذا الاعتقاد يدفع أفراد المجتمع الإسلامي إلى فعل الخيرات والإحسان إلى الخلق؛ لأنهم يعلمون أن الله تعالى سيجزيهم عليه في الدنيا والآخرة {وَمَا تَقْدُمُوا لَأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمُ أَجْرًا} [المزمل: ٢٠] ويقول تعالى: {وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ} [سبأ:

(١) صحيح البخاري طبع دار الشعب - كتاب بدء الوحي باب حدثنا أبو اليمان (٤/ ٢١٣) ح (٣٤٧٥) صحيح

مسلم- التركية كتاب البيوع باب قطع السارق الشريف وغيره (٥/ ١١٤) ح (٤٥٠).

(٢) أخرجه البخاري- طبع دار الشعب كتاب الإيمان باب سؤال جبريل النبي صحيح البخاري (٦/ ١٤٤) ح (٤٧٧٧).

وأخرجه مسلم- التركية كتاب الإيمان باب معرفة الإيمان والإسلام والقدر (١/ ٢٨) ح (١٠٢) وهذا لفظ مسلم.

[٣٩] والآيات والأحاديث كثيرة في هذا المقام وكلها تحث المسلم على الإحسان وبذل المعروف إلى القريب والبعيد ولاشك أن ذلك يقوي الروابط بين أفراد المجتمع ويجعلهم ينعمون بالأمن والاستقرار والوثام.

المطلب الثاني: الإيمان باليوم الآخر يقلل الجرائم في المجتمع:-

تقدم عند الكلام على الإيمان بأسماء الله تعالى وصفاته أن ذلك يحرك في نفس المسلم الاندفاع إلى عمل الخير؛ لأنه يعلم أن الله تعالى سيكافئه على ذلك في الدنيا والآخرة، ومن المعلوم أن الإيمان باليوم الآخر ركن من أركان الإيمان، إذ جاء في حديث سؤال جبريل عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال: قَالَ فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ. قَالَ: « أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدْرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ » (١).

ومعنى ذلك أن المسلم يؤمن بأن هناك حياة أخرى بعد الموت، قال تعالى { وَحَشْرَتَانَهُمْ فَلَمْ تُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا } [الكهف: ٤٧] وإذا كان الأمر كذلك فإن الله تعالى سيحاسب الإنسان على كل ما يصدر منه من عمل إن خيرا فخير وإن شرا فشر قال تعالى { إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ () ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ } [الغاشية: ٢٥، ٢٦] فالمسلم عندما يدرك هذه الحقيقة ويؤمن أن في الآخرة ميزانا توزن فيه أعمال الخلائق صغيرها وكبيرها { وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقَسَطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ } [الأنبياء: ٤٧] يجعله يعيش بين الخوف والرجاء { يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا } [السجدة: ١٦] فهو من جهة يحرص على عمل الخير طمعا برضوان الله تعالى الذي يؤدي بصاحبه الى الفوز بجنت النعيم { وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا } [النساء: ١٢٤] ومن جهة أخرى يجعله بعيدا عن المعاصي والذنوب، لأن الذي يقدم على ظلم الآخرين ويبقى مصرا على مظلمته، ولا يرد الحقوق الى أهلها ستقسم حسناته يوم القيامة بين من ظلمهم كل حسب مظلمته، فإذا كانت

(١) أخرجه البخاري - طبع دار الشعب كتاب الإيمان باب سؤال جبريل النبي صحيح البخاري (٦ / ١٤٤)

ح(٤٧٧٧)

وأخرجه مسلم - التركية كتاب الإيمان باب معرفة الإيمان والإسلام والقدر (١ / ٢٨) ح(١٠٢) وهذا لفظ مسلم.

حسانته لا تضي بحقوق الناس أخذ من سيئاتهم فزيدت على سيئاته، فأدخل في النار، وفي ذلك يقول النبي صلى الله عليه وسلم « أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ ». قَالُوا الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ. فَقَالَ « إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا وَقَذَفَ هَذَا وَأَكَلَ مَالَ هَذَا وَسَفَكَ دَمَ هَذَا وَضْرَبَ هَذَا فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أَخَذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ »^(١). وهذا الاعتقاد اذا دخل قلب المسلم يغرس فيه خشية الله تعالى ويجعله بعيدا عن الاعتداء على حقوق العباد، لأنه يدرك عواقب ذلك، إذ إنه لو أفلت من عقوبة الدنيا، فإن عذاب الآخرة سيناله لا محالة، ويزداد وجل المؤمن عندما يعلم شدة ما أعد الله من عذاب يوم القيامة { إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا } [الكهف: ٢٩]، ومما تقدم يتضح أن الإيمان باليوم الآخر يدفع أفراد المجتمع الى عمل الخير ويقلل الى حد كبير من وقوع الجرائم في المجتمعات الإسلامية، ويعزز فرص العيش المشترك والسلم المجتمعي.

المطلب الثالث: الإيمان بالكتب والرسل يشجع العيش المشترك

أعطى الإسلام أهمية كبيرة للإيمان بالكتب والرسل وجعل الإيمان بهما من صلب عقيدة المسلم إذ عدهما من أركان الإيمان التي يجب الإيمان بها على كل مسلم قال تعالى { آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ } [البقرة: ٢٨٥] وقد مر بنا قريبا حديث جبريل عليه السلام قال: قَالَ فَأَخْبَرَنِي عَنِ الْإِيمَانِ. قَالَ: « أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ »^(٢)، وبناء على ذلك فإن المسلمين مع إيمانهم بأن الإسلام هو الدين الحق وأن الله تعالى لا يقبل دينا غيره؛ لأنه نسخ به ما سبقه من الشرائع لكنهم مع ذلك يتعايشون مع غيرهم من الأديان؛ لأن الله تعالى يقول { لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ } [البقرة: ٢٥٦] بل إن الإسلام أباح للمسلمين أن

(١) صحيح مسلم — التركيبة كتاب الآداب باب تحريم الظلم (٨/ ١٨) ح (٦٧٤٤).

(٢) سبق تخريجه.

يأكلوا من ذبائح أهل الكتاب وأن يتزوجوا العفائف من نسائهم دون اشتراط دخولهم الإسلام {الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَلْلٌ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حَلْلٌ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ} [المائدة: ٥] بل إن النبي صلى الله عليه وسلم قد نص على عدم جواز الاعتداء عليهم بقوله: «مَنْ قَتَلَ مُعَاهِدًا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ رِيحَهَا تُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا»^(١).

وبين صلى الله عليه وسلم حرمة ظلمهم وسلب حقوقهم فقال: «أَلَا مَنْ ظَلَمَ مُعَاهِدًا، أَوْ انْتَقَصَهُ، أَوْ كَلَفَهُ فَوْقَ طَاقَتِهِ، أَوْ أَخَذَ مِنْهُ شَيْئًا بغيرِ طيبِ نَفْسٍ، فَأَنَا حَاجِبُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٢).

وهذا يعني أن الأقليات الدينية ستعيش آمنة في المجتمع الإسلامي محفوظة حقوقها ما دامت مخلصه لوطنها بعيدة عن الخيانة والتآمر على الإسلام والمسلمين لقوله تعالى: {لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ} [الممتحنة: ٨]، وما تقدم من الآيات والأحاديث يدل دلالة واضحة على سماحة دين الإسلام ورقية وحفظه لحقوق الناس حتى وإن كانوا مخالفين له في الدين في ظل عدل الإسلام، مما يعزز التعايش السلمي بين أفراد المجتمع، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نَقَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ} [المائدة: ٨]، والله تعالى أعلم.

(١) صحيح البخاري طبع دار الشعب-كتاب بدء الوحي باب إثم من قتل معاهدا بغير جرم. (٤ / ٩٩) ح(٣١٦٦).

(٢) سنن أبي داود المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد الناشر: المكتبة العصرية-صيدا - بيروت- باب في تعشير أهل الذمة إذا اختلفوا بالتجارات (٣ / ١٧١) ح(٣٠٥٢).

الخاتمة

وسأذكر فيها أهم النتائج :

- ١- إن العقيدة الإسلامية إذا نقيت مما لحق بها من البدع والخرافات والانحرافات ستكون من أهم العوامل التي تؤدي إلى تحقيق الأمن الفكري وتعمل على وحدة الأمة ونهضتها في وقتنا الحاضر، مثلما حصل ذلك في الماضي.
- ٢- إن ما يعيشه المسلمون من فرقة وتمزق لا يمكن أن يعالج بحلول مستوردة لا يريد من وضعها الخير لهذه الأمة، وإنما الحل الوحيد هو الفهم الصحيح للعقيدة الإسلامية وتطبيقها بالشكل الذي أمر به الله تعالى.
- ٣- ينبغي على المنصف أن يفرق بين دين الإسلام وما يفعله بعض المنتسبين إليه؛ لأن ذلك هو الذي سيجعله يدرك أن الإسلام هو الذي سيحقق الأمن الحقيقي للناس كافة.
- ٤- إن دين الإسلام وإن كان قد شرع الجهاد في سبيل الله، لكنه يفرق بين من يقف بوجه دعوته ويكيد له، وبين من يرضى بالعيش في المجتمع الإسلامي ويحترم المسلمين ويؤدي ما عليه من التزامات تجاه المسلمين. فيعامل الصنف الأول معاملة المحاربين، ويتعايش مع الصنف الثاني.
- ٥- لا بد للمسلمين أن يدركوا أن كثيرا من الصراعات والفتن التي تحدث في العالم الإسلامي تغذى من قبل أطراف خفية وأن هدفها تحقيق مصالح الأعداء وإن كانت في ظاهرها تحمل شعارات أخرى.

المصادر والمراجع

- ١- أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة المؤلف: عبد الله بن عبد الرحمن الجربوع الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م.
- ٢- أثر العقيدة الإسلامية في تضامن ووحدة الأمة الإسلامية المؤلف: أحمد بن سعد حمدان الغامدي الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة : السنة السادسة عشرة، العدد الواحد والستون - محرم- صفر- ربيع الأول ١٤٠هـ/١٩٨٤م.
- ٣- أثر تعليم القرآن الكريم في حفظ الأمن للدكتور : عبدالقادر بن ياسين الخطيب الأستاذ المساعد بجامعة الأمير سلطان . قسم العلوم العامة العام الدراسي ١٤٢٦/١٤٢٧هـ.
- ٤- التربية الإسلامية وبناء السلم الاجتماعي بقلم أ.د./ إبراهيم صلاح الهدهد رئيس جامعة الأزهر سابقا . الأستاذ بكلية اللغة العربية، بحث مقدم الى المؤتمر العالمي الرابع للدراسات الإسلامية: Islamic Education as a Driving Force a Peaceful.
- ٥- تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ) تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد السند حسن يمامة الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
- ٦- تفسير القرآن العظيم المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ) المحقق: سامي بن محمد سلامة الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
- ٧- تهذيب اللغة المؤلف: محمد بن أحمد بن الأزهر الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ) المحقق: محمد عوض مرعب الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م.
- ٨- التوقيف على مهمات التعاريف المؤلف: محمد عبد الرؤوف المناوي الناشر: دار الفكر المعاصر ، دار الفكر - بيروت ، دمشق الطبعة الأولى، ١٤١٠ تحقيق: د. محمد رضوان الداية.
- ٩- الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم المؤلف : أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري الناشر : دار الجيل بيروت، دار الأفاق الجديدة. بيروت.

المؤتمر الدولي العاشر

[دور العلوم العربية والإسلامية في تكريس الأمن الفكري وتحقيق السلام المجتمعي]

- ١٠- الجامع الصحيح المؤلف: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: ٢٥٦هـ) حسب ترقيم فتح الباري الناشر: دار الشعب - القاهرة الطبعة: الأولى، ١٤٠٧ - ١٩٨٧.
- ١١- جمهرة اللغة المؤلف: أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (المتوفى: ٣٢١هـ) المحقق: رمزي منير بعلبكي الناشر: دار العلم للملايين - بيروت الطبعة: الأولى، ١٩٨٧م.
- ١٢- سنن أبي داود المؤلف: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني (المتوفى: ٢٧٥هـ) المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد الناشر: المكتبة العصرية، صيدا - بيروت.
- ١٣- سنن ابن ماجه ت الأرنبوط المؤلف: ابن ماجه - وماجة اسم أبيه يزيد - أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (المتوفى: ٢٧٣هـ) المحقق: شعيب الأرنبوط - عادل مرشد - محمد كامل قره بللي - عبد اللطيف حرز الله الناشر: دار الرسالة العالمية الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.
- ١٤- شرح صحيح البخاري لابن بطال المؤلف: ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (المتوفى: ٤٤٩هـ) تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم دار النشر: مكتبة الرشد - السعودية، الرياض الطبعة: الثانية، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.
- ١٥- شرح العقيدة الطحاوية المؤلف: صدر الدين محمد بن علاء الدين علي بن محمد ابن أبي العز الحنفي، الأذري الصالحي الدمشقي (المتوفى: ٧٩٢هـ) تحقيق: شعيب الأرنبوط - عبد الله بن المحسن التركي الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت الطبعة: العاشرة، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
- ١٦- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية المؤلف: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ) تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار الناشر: دار العلم للملايين - بيروت الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.
- ١٧- عقيدة أهل السنة والجماعة وموقف الحركات الإسلامية المعاصرة منها الشيخ د. ناصر بن عبد الكريم العقل الطبعة الأولى ١٢ / ٩ / ١٤١٢ هـ دار الوطن للنشر.
- ١٨- العقيدة التدمرية: تحقيق الإثبات للأسماء والصفات وحقيقة الجمع بين القدر والشرع المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ) المحقق: د. محمد بن عودة السعوي الناشر: مكتبة العبيكان - الرياض الطبعة: السادسة ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م.

- ١٩- العقيدة الصفدية المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ) المحقق: محمد رشاد سالم الناشر: مكتبة ابن تيمية، مصر الطبعة: الثانية، ١٤٠٦هـ.
- ٢٠- الفتاوى الكبرى لابن تيمية المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ) الناشر: دار الكتب العلمية الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.
- ٢١- فتح الباري شرح صحيح البخاري المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي الناشر: دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩ رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز.
- ٢٢- القاموس المحيط المؤلف: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (المتوفى: ٨١٧هـ) تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.
- ٢٣- المجتمع والأسرة في الإسلام المؤلف: محمد طاهر الجوابي الناشر: دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع. الطبعة: الثالثة ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.
- ٢٤- مجمل أصول أهل السنة المؤلف: ناصر بن عبد الكريم العلي العقل مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية <http://www.islamweb.net> الكتاب مرقم آليا، ورقم الجزء هو رقم الدرس - ١٠ دروس].
- ٢٥- مجمل اللغة لابن فارس المؤلف: أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ) دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان دار النشر: مؤسسة الرسالة - بيروت الطبعة الثانية - ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.
- ٢٦- مجموع الفتاوى المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ) المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية عام النشر: ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.
- ٢٧- مسند الإمام أحمد بن حنبل المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ) المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون إشراف:

المؤتمر الدولي العاشر

[دور العلوم العربية والإسلامية في تكريس الأمن الفكري وتحقيق السلام المجتمعي]

- د عبد الله بن عبد المحسن التركي الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م
- ٢٨- معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي المؤلف: محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: ٥١٠هـ) المحقق: عبد الرزاق المهدي الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ.
- ٢٩- معجم مقاييس اللغة المؤلف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ) المحقق: عبد السلام محمد هارون الناشر: دار الفكر عام النشر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- ٣٠- مفاتيح الغيب = التفسير الكبير المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بـ فخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ) الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠ هـ.
- ٣١- المضردات في غريب القرآن المؤلف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (المتوفى: ٥٠٢هـ) المحقق: صفوان عدنان الداودي الناشر: دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت الطبعة: الأولى - ١٤١٢ هـ.
- ٣٢- المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم المؤلف: أبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي (٥٧٨ - ٦٥٦ هـ) حقه وعلق عليه وقدم له: محيي الدين ديب مستو - أحمد محمد السيد - يوسف علي بديوي - محمود إبراهيم بزال الناشر: (دار ابن كثير، دمشق - بيروت)، (دار الكلم الطيب، دمشق - بيروت) الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م.
- ٣٣- مفهوم الأمن الفكري دراسة تأصيلية دراسة تأصيلية في ضوء الإسلام بحث تكميلي مقدم لنيل درجة الماجستير في الثقافة الإسلامية جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية الشريعة اعداد ماجد بن محمد بن علي الهذلي.
- ٣٤- الملل والنحل المؤلف: محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني الناشر: دار المعرفة - بيروت، ١٤٠٤ تحقيق: محمد سيد كيلاني.
- ٣٥- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ) الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت الطبعة: الثانية، ١٣٩٢.

دور العقيدة في تحقيق الأمن الفكري والسلام المجتمعي

الأستاذ الدكتور / إبراهيم خليفة عبد اللطيف خليفة

أستاذ العقيدة والفلسفة بجامعة أم القرى بمكة المكرمة

وجامعة الأزهر بمصر

ملخص البحث:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله، وصحبه، ومن والاه. وبعد.

فإن نظرة الإنسان إلى الحياة، والكون ومفاهيمه في شتى المجالات، تدور حول محور العقيدة التي يتبناها، والتي تسهم في بنائه الفكري، والأخلاقي، والاجتماعي. ولقد اقتضت حكمة الله تعالى، أن يرشد الإنسان إلى الأصول التي يستقي منها معارفه، وينهل منها حقائق الوجود؛ ليصل إلى العقيدة الصحيحة السليمة، من الشوائب والبعيدة عن الانحرافات، وذلك بعد أن منحه الفطرة الصافية، قال تعالى: (فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) (الروم الآية ٣٠).

فالعقيدة الصحيحة تشكل نظاما متكاملًا للحياة البشرية، بمختلف أطوارها مما يضمن للفرز التوازن بين جانبي حياته الجانب الروحي والجانب المادي، قال تعالى: (الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ) [الأنعام الآية: ٨٢]. وقال - صلى الله عليه وسلم - في الحديث: "مَنْ أَصْبَحَ آمِنًا فِي سِرْبِهِ، مُعَافَى فِي جَسَدِهِ، عِنْدَهُ طَعَامُ يَوْمِهِ، فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا".^(١)

ومما لا شك فيه، أن الانحراف الفكري الذي يسعى لاتخاذ الدين ستارا لنشر انحرافه، من أخطر أنواع الانحراف المهددة لأمن واستقرار الفرد والمجتمع، ومن ثم فلا بد من الأمن

^(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد ص ١١٢ حديث رقم ٣٠٠ ط الثالثة دار البشائر الإسلامية بيروت ١٩٨٩م وقال عنه الألباني حديث حسن .

على العقيدة، والهوية الفكرية، والثقافية، وعلى موارد الحياة . فالأمن هدف وغاية، يحرص عليها جميع البشر، إذ الأمن هو طمأنينة النفس، وعدم خوفها، من مكنون العقل وتأملاته، مادام في إطار المنهج الرباني. والأمن حق لكل إنسان ، لكن ليس حقا مطلقا بدون قيد، أو ضابط، حتى لا تختلط الأهواء بالمفاهيم والانتماءات، ولذا لا بد له من ضوابط حتى نضمن سلامة الفكر، وسلامة الفرد والمجتمع الذي بهما يتحقق السلم المجتمعي.

إن اختلاف الناس وتفرقهم في الحياة وتنوعهم، ما بين دين، وعرق، ولون، وهوى، وتجاذبهم بين مصالحهم؛ أنتج لونا من الصراع ، وأصبح الجميع يبحث عن وسائل الأمن والحماية، بما لا يؤول بهم إلى الغلو، والتنطع، أو إلى الإلحاد.

وهذه البحث محاولة لبيان دور العقيدة في تحقيق الأمن الفكري، والسلم المجتمعي، وسيجد القاري إن شاء الله في ثنايا البحث إجابة عن عدة تساؤلات هي:

- ١- ما معنى الأمن عموما والأمن الفكري خصوصا ، وما مدى الارتباط بينهما؟
 - ٢- ما هي مكونات الأمن الفكري وما ضوابطه ؟
 - ٣- ما الأصول التي ينبغي أن يقوم عليها الأمن الفكري؟
 - ٤- ما دور العقيدة في إرساء أسس الأمن الفكري ومدى تحقيق هذه الأسس؟
- إلى غير ذلك من الأمور المتعلقة بهذه النقاط.

وعلى الله قصد السبيل

المؤتمر الدولي العاشر

[دور العلوم العربية والإسلامية في تكريس الأمن الفكري وتحقيق السلام المجتمعي]

ثالثاً:

الدراسات العامة

القيم الإنسانية في مؤسسات التعليم العالي
ودورها في تحقيق السلام المجتمعي

دكتور / محروس محمد محروس بسيوني

أستاذ مساعد بقسم العقيدة والدعوة

كلية الشريعة والدراسات الإسلامية

جامعة قطر

الملخص:

يهدف البحث لبيان معنى القيم الإنسانية ودورها في مواجهة التحديات التي تواجه الوطن العربي من خلال مؤسسات التعليم العالي. وترجع أهمية البحث كونه محاولة للوقوف على معالم قضية مهمة لمؤسسات التعليم العالي وللمجتمع، وهي قضية القيم الإنسانية؛ بغية القيام بدورها المأمول منها في تحقيق السلام المجتمعي والعناية بقضايا المجتمع وتحدياته الداخلية والخارجية. ومن نتائج البحث أن العناية بالقيم الإنسانية تعليماً وتطبيقاً وسيلة مهمة للقضاء على التحديات التي تواجه الأمة الإسلامية، والتي من أهمها النعرات العصبية والطائفية والتشردم والنزاع والتشدد وذوبان الهوية، كما ظهر جلياً احتياج الجامعات العربية والإسلامية إلى العناية بالمقررات التي تحتوي على القيم الإنسانية تعليماً وتطبيقاً، وأوصت الدراسة بإنشاء مراكز متخصصة تقوم بتثقيف الطلاب وتنمية وعيهم القيمي، وتخصيص موضوعات تعنى بالقيم الإنسانية في المقررات، ومراجعة الرؤى الاستراتيجية للجامعات للتأكيد على أهمية سيادة المنظومة القيمية في البيئة التعليمية، واعتماد مسابقات وبحوث طلابية تعنى بموضوع القيم الإنسانية. الكلمات الدالة: القيم الإنسانية، التعليم العالي، السلام المجتمعي

Abstract

The research aims to show the meaning of human values and their role in facing the challenges facing the Arab world through higher education institutions. The importance of the research is its attempt to identify a vital issue for higher education institutions and society; that is the issue of human values in order and help them to play their role in the development, awareness and care of community issues and any related internal and external challenges. The results of the research show that caring for human values is an important means of eliminating the challenges facing the Arab nation. Some of the crucial issues that could be eliminated by the help of human values include tribal and sectarian strife, fragmentation, fights, extremism and identity loss. The recommendations of the study include establishing specialized centers to educate students and develop their awareness of values, allocating topics in the curricula that deal with human values, reviewing the strategic visions of Arab universities to emphasize the importance and rule of the value system in the educational environment and adopting competitions and students' research initiatives on the subject of human values.

Key words: human values, challenges, the Arab world

المقدمة

بسم الله والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله، وبعد،

إن المأمول من منظومة القيم الإنسانية أن تحقق الأمن الفكري والسلام المجتمعي للأمة، وتضمن لها السعادة والأمن والطمأنينة، بيد أن ما تشهده المجتمعات العربية والإسلامية من اضطرابات ونزاعات يثير التساؤلات حول مكانة المنظومة القيمية في المجتمع وأثر ذلك على أداء دورها المأمول. كما يثير حفيظة المهتمين بشؤون المجتمعات والحريصين على استقرارها وتماسكها للبحث عن المؤسسات المهمة بهذه القيم والقادرة على تفعيلها، مع بيان الأسباب التي تحول دون ذلك.

ويأتي هذا البحث لبيان موقع ومكانة القيم الإنسانية في مؤسسة من هذه المؤسسات المجتمعية المهمة والقادرة على غرس هذه القيم وتفعيلها وهي مؤسسات التعليم العالي بما تمثله هذه المؤسسات من مكانة رفيعة ولها الريادة في التربية والتوجيه والتثقيف.

إن التغير السياسي والاجتماعي يثير في الدول العربية خاصة والإسلامية عامة تحديات كبيرة. والتي من أبرزها مواجهة النعرات العصبية والطائفية والعرقية التي باتت تعصف بالنسيج الوطني للدول والمجتمعات، وتعمل على تفكيكها من داخلها. فضلاً عن الغزو الثقافي المصاحب لانتشار العولمة وقيم ما بعد الرأسمالية؛ الأمر الذي يجعل موضوع القيم من أبرز الموضوعات التي لا بد أن تولى الدول العربية ومؤسساتها العناية التامة بها وخاصة المؤسسات التعليمية، والتي من مهامها الأولية غرس القيم وتنشئة جيل صالح يؤمن بقيم الإنسانية العليا الجامعة، فوظيفة التعليم ليست تلبية متطلبات سوق العمل فحسب، وإنما بناء الشخصية الصالحة الوطنية القادرة على تحمل مسؤوليتها تجاه النفس والمجتمع والأمة. وأولى المؤسسات القادرة على ذلك مؤسسات التعليم العالي.

كما أن العولمة الثقافية أفقدت الشباب الكثير من القيم النبيلة في العلاقة مع الآخر، فجعلت الفردية والأنانية والانعزالية والمادية والمنفعة أساس العلاقة بين الفرد ومن حوله، وهذه كلها من إفرازات العولمة، حيث يؤمن الفرد بالقيم المادية، تلك القيم المنبثقة من التصور المادي، أي القيم التي تأخذ في حساباتها حاجات وتطلعات الإنسان المادية، على اعتبار أنها وحدها الموجودة، أما الجانب الروحي فيبقى عرضة للإهمال، لأنه ليس معترفاً به أصلاً... وما يبدو في إطار النسق القيمي الغربي ذا

مسحة روحية، فإنه لا يحمل تلك الصفة عن حق، لأنه يفتقد إلى الشحنات الروحية الحقة التي تمده بقوة الوجود والاستمرار، فقد يتحدث أصحاب التصور المادي عن بعض المعاني الإنسانية كالعدل والحرية والمساواة والتعاون والكرم وغيرها، ولكن هذه القيم تفقد مضمونها في غياب الجانب الروحي الذي يشكل معيها الثري ورصيدها الدائم، الذي لن يكون لها من دونه وجود.

وهذا يعزز من أهمية بناء الأجيال الناشئة على النسق القيمي المستمد من مصادر الإسلام (القرآن والسنة)؛ لتصحيح النظرة للمنظومة القيمية التي تبني النفس والروح والعقل بناءً متكاملًا.

إن القيم الإنسانية هي بمثابة المعايير التي تحكم سلوك الفرد والمجتمع والدولة وتحكم العلاقات مع الذات والآخر، والتي يتوافق عليها المجتمع بحسب خبرته وثقافته وتربيته. أما القيم الإسلامية فهي تلك المعايير التي اكتسبها المسلم من ثوابته الدينية، ولكنه أضاف إليها نوعاً من الحماية الاجتماعية التي تمنع الأحاد من انتهاكها أو تجاوزها، بمعنى أنها أصبحت معياراً اجتماعياً لسلوك الأفراد والجماعات وليست مجرد معايير دينية موكولة إلى مستوى تدين الشخص (الكبيسي، ١٤٣٨هـ - ٢٠١٦م).

وتكمن أهمية البحث في كونه يتناول القيم الإنسانية في التعليم العالي، فهذه القيم الإنسانية الكبرى مثل: الحق والعدل والخير والمساواة والكرامة الإنسانية، كفيلة (عند العناية بها تعليمياً وتطبيقاً) بوقاية المجتمعات من ذوبان هويته وانحلال أواصره أو الاتجاه نحو العنف والإرهاب والصراعات الدينية والطائفية والعرقية؛ كونها معايير ملهمة ومرشدة وضابطة لسلوك الإنساني في كافة المجالات الفكرية والخلقية والعلمية والوجدانية. كما أن قيام مؤسسات التعليم العالي بدورها في هذا الشأن يحتاج لنظرة واقعية نقدية تنقد الواقع ومعوقاته وترسم الطريق المأمول للمستقبل وسماته، فتخريج أجيال تؤمن بهذه القيم هو من صميم عمل الجامعات ومن إسهاماتها العالمية والإنسانية، ولذلك يهدف البحث لما يلي:

أهداف البحث:

١- بيان مفهوم القيم الإنسانية وأهميتها للفرد والمجتمع في تحقيق السلام المجتمعي.

- ٢- تزويد الأجيال بالقيم الإنسانية التي تجعلهم قادرين على مراعاة الأبعاد الإنسانية في التعامل مع الذات والتعامل مع الآخر، وكذلك التكيف مع المستجدات العصرية ومواجهة التحديات بكفاءة عالية ومنها تحديات الأمن الفكري.
- ٣- بيان السبل الكفيلة ببناء الشخصية المسلمة وتربيتها تربية فاعلة معترزة بهويتها وقادرة على مواجهة القيم الوافدة عبر أدوات العولمة ووسائلها، وإظهار دور مؤسسات التعليم العالي في هذا التحدي.
- ٤- بيان أهمية الاهتمام بالمقررات التي تعنى بالقيم الإنسانية في التعليم العالي.

- ٥- وقاية الجيل الجديد من المنظومة القيمية الغربية المراد فرضها على المجتمعات المسلمة.
- مشكلة الدراسة :

تعاني المجتمعات العربية من مشاكل وتحديات على المستويين الداخلي والخارجي في مجال الأمن الفكري والسلام المجتمعي، وفي سبيل البحث عن حلول جذرية لهذه المشاكل ومواجهة فعالة لهذه التحديات يأتي الاهتمام بمنظومة القيم الإنسانية في مؤسسات التعليم العالي كأداة فعالة من الممكن أن تسهم في هذا المجال وتتلخص مشكلة البحث في الأسئلة التالية:

- ١- ما دور القيم الإنسانية في مواجهة تحديات الوطن العربي في مجال الأمن الفكري والسلام الاجتماعي؟
- ٢- ما واقع تعليم القيم الإنسانية في مؤسسات التعليم العالي؟
- ٣- ما دور مؤسسات التعليم العالي في تعزيز القيم الإنسانية؟
- ٤- ما أفضل السبل في تطوير تعليم القيم الإنسانية في مؤسسات التعليم العالي أسباب البحث:

- ١- انتشار الإرهاب في المجتمعات الإسلامية.
- ٢- ظهور الأخطار الفكرية العديدة التي تؤثر على المعتقدات والقيم الثقافية التي تمثل رصيلاً مرجعياً ثقافياً للأمة الإسلامية.
- ٣- الأزمة الحضارية الحالية للأمة، والتي تستلزم رؤية واضحة للخروج منها، وهذه الرؤية لا بد أن تستند على منظومة قيمة إنسانية يتم غرسها من خلال مؤسسات التوجيه ومنها مؤسسات التعليم العالي.

- ٤- الصراعات المذهبية والدينية والعرقية التي اجتاحت المجتمعات العربية وأشعلت بينها النزاعات والحروب، دون احترام للقيم الإنسانية.
- ٥- الحاجة الماسة لضرورة الاهتمام بالقيم الإنسانية على مستوى المقررات والمناهج في الجامعات العربية.
- مكونات البحث: يحتوي البحث على مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة.
- المقدمة : وتشتمل على أهمية البحث وأهدافه ومشكلة البحث وأسباب اختياره ومكوناته.
- التمهيد: ويحتوي على الدراسات السابقة والمصطلحات وأهمية القيم لتحقيق السلام المجتمعي.
- المبحث الأول: واقع تعليم القيم الإنسانية في مؤسسات التعليم العالي.
- المبحث الثاني: سبل تطوير تعليم القيم الإنسانية في مؤسسات التعليم العالي.
- الخاتمة: نتائج البحث، توصيات البحث.
- المراجع .

التمهيد

أولاً: الدراسات السابقة

١- دراسة: موقع القيم في التعليم الجامعي (عودة، ٢٠١٥) هدفت هذه الدراسة إلى فهم موقع القيم في التعليم الجامعي في ثلاثة مجالات، أولها: الوثائق والتشريعات الرسمية على المستوى العربي والعالمي، وثانيها: الأدبيات المنشورة حول واقع القيم وتدريسها في التعليم الجامعي، وثالثها: ما تكشف عنه آراء أعضاء هيئة التدريس في الجامعات. أما المجال الثالث فقد تولت الدراسة معالجته عن طريق دراسة ميدانية تستقصي آراء عينة من أعضاء هيئة التدريس في الجامعات الأردنية.

واستخدمت الدراسة طريقة تحليل المحتوى للوثائق الخاصة بالتشريعات المتعلقة بالتعليم الجامعي، وتوصلت إلى نتائج مهمة منها، أن التشريعات الرسمية المتعلقة بأهداف التعليم الجامعي على المستويات القطرية والإقليمية والدولية تنص - ولو بدرجات متفاوتة - على أن للقيم موقعاً مهماً في هذا التعليم. وأن التوجهات الفكرية والنفسية التي ميزت رؤية العالم ما بعد الحداثية أسهمت في اهتزاز المناخ القيمي الجامعي في معظم أنحاء العالم، فانتشرت ممارسات لم تكن مألوفة من قبل في البيئات الجامعية، مثل العدمية والعبثية ومشاعر السخرية والسخط. كما انتشرت في بلدان العالم الثالث على وجه الخصوص، ممارسات عبرت عن حالات الإحباط وفقدان الأمل وضعف الدافعية للإنجاز، نتيجة ظروف التخلف الاجتماعي والاقتصادي والقهر السياسي وغياب الحريات. كما أننا في الوقت الذي نجد كثيراً من الجامعات في الغرب تقوم بمبادرات متعددة لتصحيح الخلل في المناخ القيمي فيها، وتوفير بدائل متعددة للتوجهات القيمية المختلفة في البيئة الجامعية، نجد كثيراً من جامعاتنا لا ترى في التجربة الغربية إلا الصورة الأكاديمية الجافة الخالية من الروح، فلا هي أخذت بالمبادئ الأخلاقية التي تقدمها الجامعة الغربية، المتمثلة في التنوع، وإيجاد البدائل، وحرية الاختيار، واحترام الكرامة الإنسانية للمعلم والمعلم، ولا هي أبدعت الشخصية القومية والدينية التي تدعيها الأنظمة والتشريعات.

٢- دراسة: مدى تمثل الكتب المدرسية للمرحلة الأساسية الدنيا في الأردن للقيم الإنسانية (القيسي، ٢٠٠٥).

هدفت هذه الدراسة إلى التعرف إلى القيم الإنسانية التي تضمنتها كتب اللغة العربية في الصفوف من الأول إلى الثالث من مرحلة التعليم الأساسي في الأردن من خلال رصد تكرارات تلك القيم ومعرفة نسبتها المئوية. وقد استخدم الباحثون أسلوب تحليل المحتوى لتعيين القيم الإنسانية المتضمنة في أداة التحليل التي تم بناؤها لهذه الغاية، وقد عدت العبارة (الجملة) وحدة عملية التحليل، وتم رصد تكرارات القيم ونسبتها المئوية في تلك الكتب. كما تم التأكد من صدق عملية التحليل وثباتها بمشاركة أربعة من طلبة الدراسات العليا في التربية، ممن أُلوا بمنهجية تحليل المحتوى، وقد استخدم معامل الارتباط الرتبي للمقارنة بين تحليل الباحثين والطلبة فبلغ معامل الثبات (0.89)، وقد تم تقسيم التكرارات إلى ثلاثة مستويات هي: مرتفع (٣١ مرة فأكثر)، متوسط (١٦-٣٠ مرة) متدن (١-١٥ مرة). وقد أظهرت نتائج الدراسة: أن من القيم التي تكررت بشكل مرتفع (٣١ مرة فأكثر): التعاون، حب التعلم، الأمانة، التذوق الجمالي... الخ، ومن القيم التي تكررت بشكل متوسط (١٦-٣٠ مرة): الصدق، الإنجاز، الحياء، احترام الآخرين، الإبداع... الخ، ومن القيم التي تكررت بشكل متدن (١-١٥ مرة): تحمل المسؤولية، الادخار، حب الطموح، الثقة بالنفس، البعد عن التفكير الخرافي... الخ. وفي ضوء نتائج الدراسة يوصي الباحثون بإجراء دراسات مماثلة على الكتب الأخرى لمختلف الصفوف، وأخذ القيم التي كان تكرارها متدنٍ لتضمينها في الكتب المدرسية مستقبلاً وتختلف هذه الدراسة عن هذا البحث في أن مجاله كان التعليم الأساسي وهذا البحث يعني بالتعليم العالي.

٣- دراسة: (الجهني، ٢٠١٠) عن القيم الإنسانية في المناهج التربوية بالمملكة العربية السعودية منذ مطلع التسعينات: نموذج مقررات القراءة العربية للمرحلة المتوسطة بالمملكة العربية السعودية

سعت الدراسة إلى تسليط الضوء على واقع القيم الإنسانية في المناهج التربوية مستنداً في ذلك على تحليل مقررات القراءة العربية للمرحلة المتوسطة بالمملكة العربية السعودية. تشمل عينة الدراسة كتب القراءة العربية للمرحلة المتوسطة بالمملكة العربية السعودية وهي موزعة كالآتي: للصف الأول المتوسط (الفصل الدراسي الأول+ الفصل الدراسي الثاني)، يتضمن كل كتاب ٦ دروس أساسية إضافة

إلى درسين مخصصين لصور من حياة الصحابة. ويبلغ عدد صفحات كتاب الفصل الدراسي الأول ١٠٨ صفحات، أما كتاب الفصل الدراسي الثاني فيتكون من ١٠٦ صفحات، كتابي القراءة للصف الثاني المتوسط، كتابي القراءة للصف الثالث المتوسط. وتم التوصل إلى ما يلي:

- ١) مقررات القراءة العربية للمرحلة المتوسطة تضم مجموعة هامة وأساسية من القيم الإنسانية.
- ٢) مقررات القراءة العربية للمرحلة المتوسطة تبقى في حاجة إلى منهج دقيق وواضح في تقديم القيم وتقريبها من نفوس الطلاب.
- ٣) مقررات القراءة العربية للمرحلة المتوسطة لا تأخذ بعين الاعتبار العولمة وما تشكله من تحديات بالنسبة للفرد والمجتمع.
- ٤) مقررات القراءة العربية للمرحلة المتوسطة في المملكة العربية السعودية تعكس واقع التربية على القيم الإنسانية في باقي دول الخليج العربي، وهذه الدراسة تختلف عن هذا البحث؛ لأنها تعنى بالمرحلة المتوسطة وهذا البحث يعنى بمؤسسات التعليم العالي.

ثانياً: التعريف بمصطلحات البحث

١- تعريف القيم

القيم جمع قيمة، والقيمة الثمن الذي يُقَوَّم به المتاع. أي: يقوم مقامه، والجمع قيم. مثل سدره وسدر، وقَوِّمْتُ المتاع جعلت لها قيمة (أبادي، ١٩٩٠). يقول الأصفهاني القيام والقوام: اسم لما يُقَوَّم به الشيء ويثبت، كالعماد والسناد لما يُعمد ويُسند به. كقوله تعالى ((وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا)) سورة النساء رقم ٥ ويُطلق لفظ القيمة من الناحية الموضوعية على ما يتميز به الشيء من صفات تجعله مستحقاً للتقدير كثيراً أو قليلاً، فإن كان مستحقاً للتقدير من أجل غرضٍ معينٍ كانت قيمة إضافية. (صليبا، ١٩٧١م)

فالقيمة واحدة القيم. وفي المصباح المنير: القيمة الثمن الذي يقاوم به الشيء بمعنى يقوم مقامه، والجميع قيم فيقال قومت المتاع جعلت له قيمة معلومة (الفيومي، ١٩٨٧م)

وقد تعددت التعريفات لمصطلح القيم. ويرجع الاختلاف في تحديد معنى القيم إلى تباين الرؤى الدينية والثقافية والفكرية والفلسفية والتربوية التي يؤمن بها مَنْ يكتب عن القيم، حيث تنعكس هذه الرؤية في التعبير عن القيم بناءً على نظرة كل إنسان إلى الكون والوجود والإنسان وهدفه في الحياة. وهذا توضيح لمصطلح القيم بشكل عام ثم مصطلح القيم الإنسانية والقيم الإسلامية.

يعني مصطلح القيم بشكل عام أنها: "مجموعة من القيم والمقاييس تنشأ في جماعة ما، ويتخذون منها معايير للحكم على الأعمال والأفعال المادية والمعنوية، وتكون لها من القوة والتأثير على الجماعة بحيث تصبح لها صفة الإلزام والعمومية، وأي خروج عليها أو انحراف على اتجاهاتها يصبح خروجاً عن مبادئ الجماعة (بركات، ١٩٨٦).

والقيم: هي التي "توجه سلوك الأفراد وأحكامهم واتجاهاتهم فيما يتصل بما هو مرغوب فيه أو مرغوب عنه من أشكال السلوك في ضوء ما يضعه المجتمع من قواعد ومعايير. وقد تتجاوز الأهداف المباشرة للسلوك إلى تحديد الغايات المثلى في الحياة فهي على حد تعبير " روكيش " إحدى المؤشرات الهامة لنوعية الحياة ومستوى الرقي أو التحضر في أي مجتمع من المجتمعات (خليفة، ١٩٩٢)

ومن التعريفات الاصطلاحية للقيم تعريف الكيلاني حيث قال: القيم محطات ومقاييس يحكم بها على الأفكار والأشخاص والأشياء والأعمال والموضوعات والمواقف الفردية والجماعية من حيث حسنها وقيمتها، أو من حيث سوؤها وعدم قيمتها وكراهيتها، أو في منزلة معينة بين هذين الحدين. (الكيلاني، ١٩٨٧)

ولقد اعتاد الباحثون في القيم أن يُقسّموا القيم إلى ثلاثة أقسام: قيم الحق، والخير، والجمال. إلا أن هذا التقسيم ليس محل اتفاق بين الباحثين فمن الباحثين من شكك في بعض هذه القيم، ومنهم من أضاف قيماً جديدة مثل القيم الدينية.

كما تُعرّف القيم الإنسانية على أنها "القواعد المؤسسة للمنظومة الأخلاقية المتكاملة، والتي تعارفت عليها الفطر الإنسانية السليمة، والتي رُسّخت، وتمّ تأكيدها من الديانات، والأفكار الإصلاحية، والأعمال الفنية، والأدبية العظمى تظهر القيم الإنسانية على أرض الواقع، من خلال التعاملات اليومية بين الناس، وهي تضمّ طيفاً واسعاً من القيم والأخلاق الحميدة؛ كالصدق، والأمانة، والتعاون على الخير، وحب الآخرين، ومساعدة المحتاجين، والمودة، والاهتمام بالناس، وتفقد الضعفاء، وإرساء العدالة، وما إلى ذلك، ومن هنا فإنه لا يُمكن لأي إنسان عاقل أن

ينكر إحدى هذه القيم، وإلا أثبت وبما لا يدع مجالاً للشك أنه أبعد ما يكون عن الإنسانية (مروان، ٢٠١٦)

إذن القيم الإنسانية هي التي تعنى بكرامة الإنسان وحقوقه وحرياته بوصفه إنساناً بغض النظر عن دينه وعرقه ولونه.

والقيم الإنسانية ثابتة في جذورها ومتغيرة في فروعها، فالإسلام يفسح في إطارات القيم التي تجعلها مرنة وقادرة على التجاوب مع العصور والبيئات دون أن تخضع لانحرافات المجتمعات، أو لسلبياتها التي تخرج على الضوابط الأساسية والحدود الكبرى (مخدوم، ٢٠١٠).

٢- أنواع القيم

تتعدد القيم في تقسيمها إلى ثلاثة أنواع:

أ- "القيم العليا: وهي القيم الكلية الكبرى التي تسمو بالإنسان إلى معالي الأمور، وترفع مستواه على سائر المخلوقات، ومن تلك القيم: الحق والعدل، والإحسان والحكمة، وتعد هذه القيم من أرقى القيم الإسلامية وأسمائها وأعلاها على الإطلاق وتكتسب هذه القيم مكانتها العالية من خلال مضامينها.

ب- القيم الحضارية: وهي القيم المتعلقة والمتربطة ارتباطاً وثيقاً بالبناء الحضاري للأمة الإسلامية، متمثلة في التقدم العقلي والمادي معاً، وهي ذات طابع اجتماعي عمراني، كالاستحلاف، والحرية، والمساواة، والعمل، والقوة، والأمن، والسلام، والجمال، وغيرها.

ج- القيم الخلقية: وهي القيم المتعلقة بتكوين السلوك الخلقى الفاضل عند المسلم؛ ليصبح سجيبةً وطبعاً يتخلق به ويتعامل به مع الآخرين لتكوين مجتمع إسلامي فاضل تسوده المحبة والوئام، كالبِرِّ والأمانة، والرحمة، والصبر، " (المانع، ١٤٠٦هـ ٢٠٠٥م،، صفحة ٢٤)

ويُستخلص مما سبق عدة سمات للقيم تدل على أهميتها ومكانتها لل فرد وللمجتمع؛ لتحقيق أمنه الفكري وسلامته المجتمعية، ومنها:

أ- الثبات، فما من مجتمع إنساني إلا وتغلب على أفراده مجموعة من تلك القيم الإنسانية البناءة التي تضبط علاقات الأفراد مع بعضهم البعض داخل المجتمع، كما تضبط علاقته مع المجتمعات الأخرى، إذا أحسن تطبيقها والعناية بها، وهذا يبين الصبغة الاجتماعية للقيم، فالقيم الإنسانية ثابتة وراسخة لدى

أصحاب الفطر السليمة مهما اختلفت الأديان أو المجتمعات، كما أنه لا وجود لأي مجتمع بلا وجود لمعايير قيمية يتحاكم إليها ويستند عليها في تحقق سلامته المجتمعية.

ب- المعيارية، فمهمة القيم أنها تضبط السلوك وتمايز بين ما هو مقبول وما هو مردول، فهي المعيار والمقياس لكل ما يصدر عن الناس من أقوال وأفعال؛ وفي ذلك تأمين للفكر، وحماية له من الانحراف والأخطار الفكرية.

ج- الشمول، حيث تعم القيم الإنسانية الحياة الإنسانية على مستوى الفرد والمجتمع.

د- الحضارية، فالقيم الإنسانية سمة للمجتمعات المتحضرة، فكلما ارتقى المجتمع قيماً كلما برزت فيه معالم الحضارة بقوة، فالتحضر وسيادة القيم الإنسانية متلازمان، وأي خلل في منظومة القيم الإنسانية في أي مجتمع يؤدي إلى خلل في معالمه الحضارية؛ لذلك كانت الحضارة الإسلامية مزدهرة وياضعة ووارفة الظلال عندما كانت القيم الإسلامية تعليماً وتطبيقاً فعالة في المجتمع الإسلامي، مثل قيم العدل والحرية والمساواة...، وعصور الضعف والانحطاط دلالة على ذلك، حيث يتخلى الأفراد عن قيمهم الإنسانية ويبدو فيهم الإرهاب ونعرات التعصب والانغلاق أو الانعزال والانزواء أو الصراع والنزاع. وكل هذا يعزز من الحاجة إليها تعليماً وتطبيقاً.

٣: أهمية القيم للمجتمعات.

للقيم أهمية كبرى للمجتمعات نشأة واستمراراً، وتتجلى أهمية القيم في دورب شتى، كما أن آثارها تظهر في كل هذه المجالات. إلا أن البحث لا يسعه استقصاء الأهمية في كل هذه الجوانب، لذلك سأقتصر على ما يلبي حاجات البحث كما يلي:

أ- أهمية القيم الإنسانية لتمام المجتمع.

إن ما تعانيه المجتمعات العربية والإسلامية من بروز واشتداد النزعات العرقية والدينية وظهور حدة الخلافات المذهبية التي راح ضحيتها عشرات الآلاف من الأبرياء تجعل البحث عن حلول جذرية لمسببات هذه النزاعات أمراً حتمياً، فقد أفسدت هذه النزعات على الناس دينهم وديناهم، وأخلت بالمنظومة الأمنية لها وحالت في كثير من الأحيان دون تحقيق السلام المجتمعي.

ويُعد الاعتناء بالقيم الإنسانية وحرصها في النفوس من أقوم السبل وأنجعها لهذه القضية، فالقيم الإنسانية تحيل العداوة إلى محبة والتخاصم إلى تعاون وتصالح، والقسوة إلى رحمة ومودة، واللامبالاة إلى مسؤولية يتحملها الأفراد عن أنفسهم وعن مجتمعاتهم.

إن القيم الداعمة لتماسك المجتمعات تسهم في خلق مجتمعات متسقة مع بعضها البعض وهذه القيم هي التي تمكننا من الحكم على العلاقات المستقبلية بين المجتمعات أو في داخلها، إذا كانت علاقات تصارع أو توافق وتكامل. (المنجرة، ٢٠٠٦)، كما أن المجتمعات التي تتشابه في أنساقها القيمية تكون أكثر تفاعلاً وتجانساً من المجتمعات المكونة عشوائياً.

والمجتمعات العربية والإسلامية في عصرها الحاضر تعاني من قصور في تأكيد ذاتيتها وهويتها الثقافية إلى جانب معاناتها من قصور في الوسائل الحضارة المادية، وهذا يعود في معظمه إلى معاناته الحقيقية من تخلخل البناء المعياري القيمي، واهتزاز نسق القيم. والجميع يدرك أهمية القيم في بناء شخصية الفرد القادرة على التكيف الإيجابي مع ظروف الحياة؛ لأداء دورها الحضاري المنشود والمطلوب منها، كما تعطي المجتمع شكلها المميز. (العنزي، ٢١٠٧)

وباستقراء التاريخ نلاحظ أنه ما من أمة حادت عن مبادئ الأخلاق الفاضلة وانحرفت نحو الترف والإسراف والفساد والانحلال الخلقي، أو إلى القهر والتجبر والظلم إلا دمرها الله سبحانه وتعالى بسبب ترفها وظلمها؛ لذا خطر الانحطاط على مستوى القيم والأخلاق هو أخطر بكثير من الانحطاط المادي، وذلك لما يترتب عليه من تآكل داخلي ونزوع عدواني يزعزع أركانه ويقوض معالم التنمية داخله" (الشيباني، ١٩٨٨، صفحة ٢٢٦) قال تعالى: { إِنَّ اللَّهَ لَا يُصَلِّحُ عَمَلَ الْمُضْسِدِينَ (٨١) } (يونس/٨١)، وقال تعالى { وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ أَمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ () } وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ { [النحل/١٢ - ١١٣]

فالخلل في منظومة القيم في المجتمع يُحدث آثاراً سيئة، والتي من أسوأها الخلل الفكري، والحيلولة دون تحقيق السلام الاجتماعي المنشود، وتقسيمه على

أسس حزبية، أو طبقية، أو طائفية، أو دينية تتناحر وتتنافر مع بعضها، وتتعارض في مصالحها، ويكون المجتمع بمجمله ضحية لغياب تلك القيم.

ب: أهمية تعليم القيم الإنسانية للتعامل مع الآخر.

إذا كانت علاقة الأفراد مع بعضهم البعض، وكذلك علاقة الجماعات داخل المجتمع الواحد تتحدد ملامحها تبعاً لما يسود هذا المجتمع من قيم، فإن هذا يسري أيضاً على علاقة هذا المجتمع مع المجتمعات الأخرى، الأمر الذي يجعل سيادة قيم السلام والأمن والتعاون والتعارف وسائر ما ترجوه البشرية من علاقات إيجابية موقوفاً على نشر هذه القيم المكونة لهذه الثقافة. وما أحوج المجتمعات العربية والإسلامية في عصرها الحاضر لهذه الثقافة التي لها جذورها الراسخة في بنية الثقافة الإسلامية.

ولا يخفى الدور المباشر للقيم في تعزيز ثقافة السلام بين المجتمعات، وفي تحقيق الأمن والسلم الأهلي داخلها؛ فهناك تلازم بين القيم والسلم المجتمعي باعتبار أن أحدهما محصلة للآخر، فكلما ارتقت منظومة القيم في المجتمع نجد انحساراً لثقافة العنف والعداية، وفي حال الانحدار القيمي للمجتمع نجد ارتفاعاً ملحوظاً لمستوى العنف داخله.

وما تعانيه المجتمعات العربية والإسلامية من صراعات ونزاعات وتشرزم هو من الدلائل المهمة على الانحدار القيمي الذي وصلت له المجتمعات في عصرنا الراهن.

إن القيم تسهم في رسم المنحى المثالي للحياة الإنسانية لكي ترتقى لدرجة التكريم التي أنيطت بها، فرُقِّ الحياة رهن بأخلاقيات الإنسان وقيمه، وانحدارها رهن بالانحدار الأخلاقي، وباستقراء التاريخ نعلم ما أدت إليه الأحقاد والبغضاء وحب السيطرة والتسلط ونعرات العنصرية والتجبر والتكبر من حروب وما جرت إليه من ويلات على الحياة الإنسانية أبيدت فيها شعوب آمنة واستعبدت من خلالها شعوب حرة وأهدرت خلالها كل معاني الحياة الإنسانية، وبالمقابل كان الارتقاء في سلم القيم والأخلاق عبر التاريخ هو ارتقاء في معنى الحياة الإنسانية المكرمة. (المبيض، ٢٠١٢)

فحتى يجنى العالم العربي والإسلامي خاصة والعالم كله عامة علاقة إيجابية فعالة بين مكوناته لا بد من أساس قيمي إنساني يبني عليه هذه العلاقة؛

ليجني من ورائها الأمن والسلام والوثام بين أفرادها، ويبعد عنه شبح الإرهاب والحرب والدمار.

ولا يحدث هذا الأثر إلا إذا كان للقيم في مؤسسات التعليم مكاناً مرموقاً محفوظاً تعليمياً وتطبيقاً منذ الصغر، وتشتد الحاجة إليه في مؤسسات التعليم العالي نظراً لطبيعة المرحلة العمرية للدارسين في كونها هدفاً للتيارات المنحرفة والمتطرفة، وتميزها بمزيد من الانفتاح على الثقافات، والتأثر بالمؤثرات الفكرية الخارجية والداخلية.

٤- السلام المجتمعي

هذا المفهوم تضمن مفهومين السلام، والمجتمعي .

السَّلَامُ يعني : السَّلَامَةُ والبَرَاءَةُ مِنْ جَمِيعِ النَّفَاقَاتِ. وَتَسَلَّمَ مِنْهُ: تَبَرَّأَ. وَقَالَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ: السَّلَامَةُ الْعَافِيَةُ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا قَالَ ابْنُ عَرَفَةَ: قَالُوا سَلَامًا أَي قَالُوا قَوْلًا يَتَسَلَّمُونَ فِيهِ لَيْسَ فِيهِ تَعَدُّ وَلَا مَأْثَمٌ، وَقِيلَ: قَالُوا سَلَامًا أَي سَدَادًا مِنَ الْقَوْلِ وَقَصْدًا لَّا لَعْفُ فِيهِ.

والسَّلَامُ: اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، اسْمٌ مِنْ أَسْمَائِهِ لِسَلَامَتِهِ مِنَ النَّقْصِ وَالْعَيْبِ وَالْفَنَاءِ، حَكَاهُ ابْنُ قُتَيْبَةَ، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ أَنَّهُ سَلِمَ مِمَّا يَلْحَقُ الْغَيْرَ مِنْ آفَاتِ الْغَيْرِ وَالْفَنَاءِ، وَأَنَّهُ الْبَاقِي الدَّائِمُ الَّذِي تَفْنَى الْخَلْقُ وَلَا يَفْنَى، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. وَقَالَ الرَّجَّازُ: سُمِّيَتْ دَارُ السَّلَامِ بِهَذَا الْاسْمِ لِأَنَّهَا دَارُ السَّلَامَةِ الدَّائِمَةِ الَّتِي لَّا تَنْقَطِعُ وَلَا تَفْنَى وَهِيَ دَارُ السَّلَامَةِ مِنَ الْمَوْتِ وَالْهَرَمِ وَالْأَسْقَامِ. (منظور، ١٤١٤هـ)

ويراد بمفهوم السلام، إشباع تلك الحاجات الفطرية لكل إنسان على أرض المعمورة، وهي تلك الحالة التي تشكل ذلك الانسجام والتآلف بين الناس، لتفضي إلى حالة من الهدوء والتفاهم المشترك ، ذلك أن الإنسان ضمن طبيعة النفس البشرية ذاتها يميل إلى نبذ العنف والكرهية والعداوة والحقد، كونها أمور معاكسة للفطرة. (القيسي م، ٢٠١٧)

ويعد السلام في مقدمة القيم الإنسانية البناءة التي تقوم عليها المجتمعات الإنسانية، وهناك العديد من الأقوال الماثورة والمتواترة في هذا الشأن، والتي شاعت في أعمال وأقوال الفلاسفة والشعراء والأدباء والباحثين على مر العصور، تمجد جميعها السلام وتجعل منه قيمة أساسية علياً ومحورية في حياة الشعوب والأمم.

"والمجتمع جماعة من الناس تقطن على بقعة جغرافية معينة وتزاول نشاطات اقتصادية وسياسية ذات مصلحة مشتركة ولها تنظيم إداري يحدد طبيعة حكمها" (الحسن، ط ١، ١٩٩٩، ص ٥٥٣)

والسلام المجتمعي شرط ضروري وركيزة أساسية لأي تطور وازدهار ونماء ورفقٍ إنساني في جميع الجوانب الروحية والأخلاقية والمادية. ولا يشعر به ولا يعرف قيمته الروحية والنفسية والمادية والاجتماعية إلا من عاش ويلات الحروب الأهلية والعرقية والطائفية.

كما يُعد السلام الاجتماعي من أهم المقاييس الأساسية؛ لتقويم أي مجتمع، وتشخيص حالة العلاقات الداخلية فيه، فسلامتها علامة على صحة المجتمع وإمكانية نهوضه، بينما اهتراؤها دلالة سوء وتخلف. كما أن تحقق السلام المجتمعي عامل أساسي لتوفير الأمن والاستقرار في المجتمع. وإذا ما فقدت حالة السلم الاجتماعي أو ضعفت، فإن النتيجة الطبيعية لذلك هي تدهور الأمن وزعزعة الاستقرار.

وفي رحاب السلم الاجتماعي يمكن تحقيق التنمية والتقدم نحو المصالح المشتركة، وتعاقد الجهود والقدرات في خدمة المجتمع والوطن. وتعددت التعاريف التي تناولت هذا المصطلح إلا أن مضمونها يعبر عن حالة السلم والوثام داخل المجتمع نفسه، وفي العلاقة بين شرائحه وقواه (الصفار، ٢٠٠٢).

ولا يحقق هذا الوثام إلا منظومة قيمية إنسانية رائدة تعم المجتمع تعليمياً وتطبيقاً من جميع مؤسسات المجتمع ، ومنها مؤسسات التعليم العالي التي تجعل تعليم وتربية الأجيال من أهم أهدافها.

المبحث الأول: تعليم القيم الإنسانية في مؤسسات التعليم العالي.

إن الواقع الذي تعاني منه المجتمعات العربية والإسلامية من إرهاب وعنف وفرقة وتشردم ونزاعات لهو أقوى الأدلة على وجود خلل في جوانب عدة ومنها الخلل الطارئ على المنظومة القيمية لهذه المجتمعات. فلم تكن الأمة العربية والإسلامية بمثل ما هي عليه الآن في فترات تاريخها، وإنما كانت - حتى مع فترات الضعف- محافظة على نسقها القيمي العربي الإسلامي الذي حافظ على وحدة الروابط رغم الاختلاف.

والتشريعات التي تنص على أهمية القيم وضرورة العناية بها في الجامعات ومؤسسات التعليم العالي في البلدان العربية والإسلامية جاء بصور شتى ومتفقة على هذه الأهمية (عودة، ٢٠١٥). هذا من الجانب النظري، أما عملياً فهناك بعض التحديات التي تواجه هذه النصوص والقرارات، والتي سأبينها من خلال تناولي لواقع تعليم القيم في مؤسسات التعليم العالي وما ينبغي أن تكون عليه العلاقة مع منظومة القيم الإنسانية تعليماً وتطبيقاً، وذلك فيما يلي:

المطلب الأول: أهمية تعليم القيم الإنسانية في التعليم العالي.

يعد بناء الشخصية المتكاملة من أهم واجبات المؤسسات التعليمية حيث يناط بها القيام بواجب التربية والتعليم والتثقيف. ولا تربية بدون تعليم للمقيم التي تضبط السلوك وتعمل على تنمية الذات الإنسانية.

ولأن الفرد هو اللبنة الأولى في المجتمع؛ فتعد تنميته الروحية والسلوكية لها مردودها المباشر على المجتمع الذي ينتمي إليه، فأهم ما ينمي الذات الإنسانية هو تربيته في باب القيم والأخلاق، والإنسان إذا تمسك بمكارم الأخلاق تسمو نفسه، وتزكو روحه، وترتقي أحاسيسه ومشاعره، ويتخلص تدريجياً من عبودية الذات والأنانية والسلبية، والمشاعر السلبية، والسلوكيات المنحرفة، والأفكار الهدامة ليجد ذاته مع الآخرين. ولا يكتمل وجوده إلا بوجودهم، ولا تتحقق سعادته إلا من خلال سعادتهم، ويبادلها الآخرون نفس المشاعر؛ فيجد لحياته معنى ولذاته قيمة ومكانة. (المبيض، ٢٠١٢)

وإن من أشد ما يُعاب على نظم التعليمية الحديثة هو تركيزها على الجانب المعرفي على حساب الجانب المعنوي، مع أن الدراسات النفسية حذرت من النتائج الوخيمة لهذا الاتجاه، فقد أظهرت الدراسات أن الإنسان يصبح أقل شعوراً

بالاكتفاء عندما تتوفر له الحياة المادية أكثر من ذي قبل، وأنه مع ارتفاع مستويات المعيشة والتعليم تزداد حالات الأمراض العقلية والعصبية وحالات الانتحار، مما يدل على أن للإنسان حاجات عليا روحية وعاطفية تميزه عن الحيوان، ولا يسد عنها إشباع الحاجات المادية.

كذلك يلاحظ وجود علاقة مباشرة بين القيم والصحة النفسية على وجه الخصوص، والصحة العامة على وجه العموم، بل حقيقة الأمراض النفسية أو الاعتلالات النفسية أن لها بدايات خلقية، فسوء الخلق، أو غياب المعايير الخلقية داخل المجتمع يترتب عليه الانعزال والاعتراب النفسي ثم سيطرة الأفكار السوداوية وما يرادف ذلك من اكتئاب ثم دخول في سلسلة الأمراض النفسية المتداخلة في درجتها مع الانحراف السلوكي، والذي يتسم بالحدة والعنف في أغلب أحواله، وما يترتب عليه من عنف مضاد (توفيق، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م)

فبناء الشخصية السوية المتكاملة لا يتأتى مع غياب الجانب القيمي أو تهيمشه، بل العكس هو الصواب؛ لما يمثله الجانب القيمي من ملء للفراغ الروحي الذي يؤثر غياباه في الشخصية ويسبب لها الكثير من الأمراض النفسية والاجتماعية، وتظهر آثار هذه الأمراض في غياب السلام الاجتماعي والأمن بكل أبعاده وأنواعه.

ولعل مما أسهم في ظهور مثل هذه الآثار السلبية هو التغير في الأهداف المقصودة من العملية التعليمية، حيث أصبح الهدف الأسمى في معظم الجامعات تخريج الإنسان المنتج وليس الإنسان الصالح؛ مما أثر على أداء هذه المؤسسات في دورها التربوي والقيمي، وجعلها تفقد تدريجياً مهمة أساسية وغاية كبرى من غاياتها وهي البناء المتكامل للإنسان، والذي لا يكون إلا بالتلازم بين بناء العقل بالمعارف وبناء النفس والروح بالقيم والأخلاق البناءة.

إن معظم مؤسسات التعليم العالي في أول عهدها، في العالم الإسلامي وفي الغرب، نشأت على أسس مرجعية دينية. ولذلك كانت الخبرات التعليمية - المنهجية واللامنهجية- تتوحد في أهدافها وتتكامل في نشاطاتها لتخرج نخبة متعلمة تتمتع بقدر من الحكمة والمسؤولية الأخلاقية، وتتميز بمنظومة قيمية رفيعة. لكن التجزئة المتواصلة للمعرفة إلى ميادين التخصص الأكاديمي، والتطور الذي طرأ على الجامعات أدبياً إلى ضعف واضح في اهتمام المناهج الجامعية والأساتذة بالبناء الأخلاقي للطلبة. ومع ذلك تبقى الأهداف المعلنة للتعليم الجامعي تدور

حول تطوير الشخصية المتكاملة للطالب، ليس فقط في مجال القدرة العقلية، وإنما في توظيف هذه القدرة العقلية في مجالات النمو الشخصي والاجتماعي والسياسي والأخلاقي. (عودة، ٢٠١٥)

كما أن "تحديد موقع تعليم القيم في التعليم الجامعي ينقل الاهتمام إلى الإجراءات المتنوعة التي يمكن للجامعات أن تتخذها لتعزيز التوجه الإيجابي في التفكير بالقيم والتعامل معها، ولبناء مناخ أخلاقي في الجامعة يسهم في بنائه التشريع والتوجيه، وتسود فيه ممارسات القدوة الحسنة، والالتزام بالسلوك القيمي من جميع عناصر البيئة الجامعية من إدارة وموظفين وأساتذة وطلبة. وهذا يعني التفكير في صور الفعاليات والنشاطات والبرامج التي تعين على الالتزام بالمعايير القيمية والأخلاقية وتشجع عليها وتضيق فرص وقوع المخالفات إلى أقل حد ممكن" (عودة، ٢٠١٥، صفحة ٣).

فالبناء المعرفي للطلاب في الجامعات جاء على حساب الجانب القيمي والتربوي بشكل عام، رغم أنهما في فلسفة الإسلام التربوية صنوان لا يفترقان، فالطالب في التراث الإسلامي يتعلم من أستاذه الأدب والقيم كما يتعلم العلوم والمسائل المختلفة. وهذا ساعد على النهوض الحضاري للأمة عبر العصور الإسلامية، وجعل السلام المجتمعي في أغلب فترات التاريخ الإسلامي حقيقة معيشة.

ولعل سيادة النظرة المادية للحياة تغلبت على كل شيء، فأصبح كل ما يؤدي للمادة إنتاجاً أو استهلاكاً أمراً مرغوباً فيه ومحبباً للنفس، وما سواه يزهد فيه المجتمع، بل حتى زهد فيه بعض الأكاديميين أنفسهم مجازة للثقافة الغالبة للعصر الحاضر، فما حصل في التعليم العالي من زهادة في تعليم القيم والعناية بها في بعض الأحيان وتغليب للجانب المعرفي على الجانب القيمي، ما هو إلا انعكاس لواقع المجتمعات الإنسانية اليوم وخاصة العربية منها.

إن أزمة القيم التي يعاني منها الإنسان المعاصر أكثر حدة عند جيل الشباب الذي يعاني غموضاً في الهوية وضياعاً في الأهداف خاصة بعد الأزمات والهزات الاجتماعية والسياسية العميقة التي عصفت بالعالم المعاصر، وهنا يجد الشباب نفسه اليوم موزعاً بين أهداف وغايات متعددة وما يتطلبها من قيم متنوعة، مع الرغبة لبلوغ التكامل والوحدة كي يتهيأ له السلام مع النفس والعالم، أو من الطبيعي أن تؤدي التغيرات الحادثة في المجتمعات العربية والإسلامية إلى تغير قيمي

لدى أبنائها وخاصة الشباب، من ثم تغيّر في أولويات هذه القيم لديهم. (العنزي، ٢١٠٧)

ومن ثم كانت العناية بتعليم القيم في مؤسسات التعليم العالي أمراً في غاية الأهمية لوقاية الشباب من آثار التشتت أو الذوبان والانحراف الفكري والسلوكي.

المطلب الثاني: سيادة القيم الغربية في المناهج وخاصة العلوم الاجتماعية.

يعد ميدان العلوم الإنسانية من الميادين التي تأثرت تأثراً كبيراً بالمد الغربي والغزو الفكري، حيث تم نقل النظريات الغربية دون نقدها رغم أنها صيغت في بيئة مختلفة وفي سياق زمني مختلف كما تمت صياغتها لتلبي حاجة البيئة التي نشأت فيها، إلا أن الهزيمة النفسية والانحطاط الحضاري الذي تعيشه المجتمعات العربية والإسلامية؛ جعلها تقبل هذه النظريات كقضايا مسلّمة، وكأنها طوق نجاة لما تعانيه هذه المجتمعات من تخلفٍ وفقرٍ وتبعيّةٍ، ولم ينج من هذا التوجه إلا القليل. ومما يؤسف له أن سيادة هذه النظريات الغربية التي يتم ترجمتها والسعي في فلکها يتم تداولها حتى ولو لم تحز القناعة من مروجيها؛ لأن البديل المتوافق مع الشريعة الإسلامية تم تغييبه عن الساحة الفكرية، أو أن من في الساحة الفكرية لا معرفة له به؛ كونه تربي خارج وطنه العربي والإسلامي، أو تلقى تعليمه في مؤسسات التعليم في أوروبا، فينشر المعلم هذه النظريات ويلقيها على طلابه بلا تدقيق لمدى توافقها مع الشرع الحكيم، أو مع التراث الإسلامي وما سطره العلماء والمربون المسلمون في النظرية الفلسفية في التربية والتعليم.

"إن هذا الغزو والتبديل الثقافي في مجال العلوم الإنسانية والاجتماعية بخاصة، ذلك التبديل الذي جعل عقول أبناء الأمة الإسلامية تتخطى الفكر الإسلامي والتراث الإسلامي أو تدرسه على أنه ظواهر قد اندثرت لا علاقة لها بالحياة المعاصرة ولا حاجة إليها، جعل المثقفين المسلمين يأخذون حاجتهم من جوانب المعرفة الإنسانية المختلفة من معين الغرب الذي شاد كيان هذه العلوم وبنائها على أساس من منظوره ووفقا لظروفه وحاجته وأهدافه وغاياته، ولذلك فإن هذه العلوم إنما تعكس قيم الغرب ومفاهيمه ومعتقداته وغاياته وتشكلت بالتالي على تلك الأسس والغايات الغربية مختلف وجوه السلوك والنشاطات والمؤسسات الاجتماعية، وإذا كانت هذه الانعكاسات على جوانب الحياة المختلفة مما يتقبله الإنسان الغربي ويتناسب مع أهدافه وغاياته، فإن مما لا شك فيه أن هذه الانعكاسات تُحدث لدى

المسلم نوعاً من التمزق والفصام بين هذه القيم والمنطلقات والغايات الغربية، وبين معتقداته وقيمه وأهدافه وغاياته الإسلامية، ولذلك لو أمعنا النظر لوجدنا أن معظم ما نلاحظه من تمزق وتناقض وتناحر وفقدان للهوية وشتات في السبل والمناهج يعود في معظمه إلى تيه الفصام والتمزق والتناقض في أصل الفكر والتوجه والدافع مما يجعل عملية التبدل الثقافي في الأمة الإسلامية، وإسلامية العلوم الاجتماعية والإنسانية، واستعادة الهوية الفكرية والثقافية بمثابة حجر الزاوية في معالجة الأزمة الفكرية". (العطاس، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م، صفحة ١١)

إننا نحتاج في عالمنا العربي لثورة فكرية تنهض بمجتمعاتنا. ثورة تُبني على نهضة توقظ الفكر من سباته وترسخ البناء القيمي الإنساني في النفوس، وخاصة بين أبنائنا من الطلاب في مؤسسات التعليم العالي. مثل قيم التعاون والمسؤولية والسماحة والعدل والرحمة والإخاء والتعارف... وغيرها من القيم التي توثق العلاقات وتزيل الشحناء والبغضاء وتعيد اللحمة الإنسانية التي كانت عليه قبل أن تغزونا هذه الفلسفة الفكرية التي تدعو إلى الفردية والأنانية والتسلط والاستغلال المادي والجفاف الروحي، والذي تم تصديرها إلى عالمنا الإسلامي، مما كان له آثاره في غياب الأمن الفكري لدى الطلاب، وانعكس على التعايش السلمي في المجتمعات. هذه القيم الغربية نزعت من الإنسان أعلى ما فيه، وأرقى ما فيه، وأميز ما فيه، وهو إنسانيته، فجعلت الغني يستأثر بالمال دون الفقير، والقوى يستأسد على الضعيف، والعدل لا مكان له في عالم القوى الكبرى الذي لا تدع قراراً في العالم يُتخذ، ولا عمل يُنجز وفيه هدر لمصالحها أو تعطيل لمنافعها مهما كان هذا الأمر حقاً وعدلاً.

هذه القيم الغربية المحضة تنتقل إلى عقول أبنائنا مع انتقال النظريات الغربية إلينا من خلال الكتب والنظريات المتداولة والسائدة.

ومما يلاحظ أن "القوى الكبرى تتنافس للسيطرة على العالم وإحراز الظفر بالمسلمين وهذا أمر يملك المسلمون البت فيه وفيما إذا كان المسلمون سيصبحون صنّاعاً للتاريخ أو مجرد موضوعات يكتب عنها التاريخ. ومن المؤكد أن المعركة الحضارية الدائرة في العالم اليوم لن تترك أحداً بمنجاة من إصابتها. وكل إنسان لا بد أن يتأثر بهذا الطرف أو ذاك من الأطراف المتنافسة ما لم يقيم هو نفسه بمعالجة الحضارة الغازية فيصبح لذلك مؤثراً في الآخرين" (الفاروقي، ١٩٨٣، صفحة ٢٧)

ومن أهم السبل في طريق العودة للنهوض الحضاري وتحقيق الأمن الفكري للمجتمعات العربية والإسلامية، هو إعمال العقل المسلم في هذه النظريات، وعدم نقلها على عواهنها بلا تمحيص لها، تحقيقاً للأمن المنشود، وغلقاً لباب التبعية المفضي للتيه والفصام بين ما هو إسلامي وما يفد للمجتمعات من أفكار لا تتفق مع هذه الدين.

المبحث الثاني: سبل تطوير تعليم القيم الإنسانية في التعليم العالي

أن التطوير سنة الحياة، وكلما اشتدت الأزمت كان الاحتياج لتطوير الذات مهما لمواجهة ولبناء واقع جديد قادر على التعافي من آثارها، والواقع المأزوم في عالمنا العربي والإسلامي على كافة الأصعدة وما يعانيه من غياب أو ضعف للأمن الفكري، والخلل الحاصل في التعايش السلمي بين مكونات هذه المجتمعات؛ يدعو إلى إعادة النظر في القيم التي يتم تعليمها للطلاب من حيث توافقها مع الدين والتقاليد العربية الأصيلة وكذلك من حيث الوسائل والأساليب التي يتم غرس القيم ومن خلالها، وبيان ذلك فيما يلي:

المطلب الأول: إعادة صياغة العلوم الإنسانية.

إن إغفال الحضارة الغربية للوحي واعتمادها على العقل كمصدر للقيم، جعلها ترسخ القيم المادية والنزعات الفردية وتغفل ما سواها. ونتيجة لذلك ظهرت الآثار السلبية من خواء روحي وافتقاد للمعنى وبروز النزعات الفردية والاستغلالية والمادية.

وكل ما تبديه الحضارة الغربية من قيم إنسانية يتبدد عندما تتعامل الدول الغربية مع غيرها من الدول الأخرى، فهي تفتح أبواب الحريات في بلادها لتنهض مجتمعاتهم في كافة المجالات، ولكنها في المقابل تغلقه في البلدان الأخرى التي تهيمن عليها سياسياً أو اقتصادياً أو عسكرياً، بل وتستعمرها وتدمر مقدراتها. القيم في هذه المجتمعات في وادٍ، وسياسة هذه الدول تجاه غيرها من المجتمعات في وادٍ آخر؛ حيث تفرض الحصار والجوع وتنشر الخوف والفرع وتشعل الحروب والفتن في غيرها من البلدان.

وأصبح من المعهود أن يوجد الشيء ونقيضه في حياة الإنسان الغربي، فهو يتوجع لألم كلب أو قط وفي الوقت ذاته تقتل بلاده الإنسان بأفتك أنواع الأسلحة، ويؤمن حياة الكلب بأرصدة في البنوك ولا تمنعه منظومته القيمية الفاسدة من

فرض الحصار والجوع على أطفال مجتمعات ودول كاملة حتى يقضوا نحبهم جوعاً ومرضاً.

إن السر في هذا هو منظومة القيم الغربية التي تتظاهر بإنسانيتها، ولكنها في الواقع أبعد ما تكون في ممارساتها عن الإنسانية مهما أعلنت من شعارات، أو سنّت من قوانين عبّر المؤسسات الدولية خاصة عند تعاملها مع المجتمعات الأخرى خارج المجتمع الغربي.

إن القيم الإنسانية لا تعرف الازدواجية في المعنى، أو الانتقائية في التطبيق، إنها عامة وشاملة تعم البشر زماناً ومكاناً.

ولذلك يعد اجتياح الفلسفة الغربية في العلوم الإنسانية لواقعنا يحتاج لوقفه سريعة وعاجلة تقي شباب الأمة خطر الاغتراب والذوبان وربما عدم الاقتناع بها والهروب منها تجاه التطرف والغلو " فما عند الغرب من فنون وعلوم إنسانية واجتماعية يجب أن تعاد صياغتها برمتها، وأن تقدم قواعدها الأولية على أساس جديد يتطابق مع عالمية الإسلام. كما ينبغي أن يمدّها المفكرون المسلمون بقيم جديدة، أعنى بقيم وغايات إسلامية، لتكون بمثابة أهداف عليا لترشيد البحوث الإسلامية.

ولابد للقيم الإسلامية "وأعني بها أثر المعرفة في تحقيق السعادة للإنسان وتفتح ملكاته وإعادة النظر في المخلوقات بحيث تجسد السنن الإلهية وبناء الثقافة والحضارة، وإقامة معالم إنسانية بارزة في المعرفة والحكمة والبطولة والفضيلة والتقوى والورع - لابد لهذه القيم من أن تحل محل القيم الغربية وأن توجه نشاط التعليم في المجالات كافة" (الفاروقي، ١٩٨٣، صفحة ٣٣)

ويكون من خلال إقرار المقررات الداعمة للقيم. وتشجيع البحوث والدراسات التي تسهم في هذه الصياغة الجديدة والتي تستنبط النظريات الاجتماعية من مصادر الإسلام الأولى (القرآن الكريم والسنة النبوية)

وترتبط بين الطالب وتراثه وثقافة أمته. وتتجدد في هذا الاتجاه الدعوات والمحاولات بين الحين والآخر في مؤسسات التعليم العالي، حيث قامت جامعة القاهرة بالدعوة لتأليف مقرر دراسي على مستوى الجامعة " يستهدف زيادة الوعي العام بالقيم الإنسانية الخاصة بحقوق الإنسان والمساواة بين الجنسين والتنوع الثقافي وتشجيع احترام التنوع، والمحافظة على البيئة، وتقدير إسهامات مختلف الثقافات في

الحضارة الإنسانية، وتعزيز النظرة الإيجابية للآخر، وتشجيع الحوار بين الثقافات، إلى جانب مساعدة الطلاب على تكوين فهم ناقد لهويتهم الثقافية في عصر العولمة وتزويدهم بالمهارات والاتجاهات الخاصة بإدراك الروابط والتفاعل بين الأديان والتراث الإنساني المقرر يحتوي على مجموعة من المحاور، منها ما يرتبط بالأخلاق والقيم كمفهوم الأخلاق ومصادر القيم، ومنها ما يرتبط بالقيم الإنسانية كالتواصل الإنساني، والكرامة الإنسانية، وحقوق الإنسان، وحوار الحضارات، وثقافة الحوار، والقيم المشتركة بين الأديان، ومنها كذلك ما يتعلق بالقيم الاجتماعية التي تشمل مفاهيم الحرية واحترام الآخر والمسؤولية الاجتماعية والعمل الجمعي والمساواة وتقدير التراث واحترام مؤسسات المجتمع. وأيضاً من محاور المقرر، محور يرتبط بالقيم الشخصية، كالثقة في النفس والقدرة على اتخاذ القرار وعدم التعصب والتحيز، وكذلك محور يتعلق بأخلاقيات العمل كالمثابرة والجدية وتقدير قيمة الوقت والنزاهة وتنفيذ القرارات.. (جامعة القاهرة تطرح مسابقة لإعداد مقرر دراسي عن "الأخلاق والقيم الإنسانية"، ٢٠١٦)

إن مثل هذه المحاولات تسهم في عملية "تصفية وغربلة للمفاهيم والمناهج التأسيسية التي حكمت تطور مختلف فروع المعرفة والعلوم التي يتم إنتاجها وتداولها وإشاعتها بواسطة مؤسسات التعليم - وخاصة في المستوى الجامعي - في العالم الإسلامي، وهي مفاهيم ومناهج قد نشأت ونمت وتكاملت في إطار الرؤية الغربية للوجود القائمة على فلسفة علمانية دهرية في منطلقاتها وتوجهاتها وغاياتها، فلسفة تضرب بجذور عميقة في تربة الثقافة اليونانية الرومانية الوثنية، الأمر الذي يجعلها منافية بل ومصادمة بصورة صريحة لما جاء به الإسلام من رؤية للوجود وما يتبناه من نظرة للحقيقة والحياة والإنسان. (العطاس، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م)

إن نهضة هذه الأجيال الجديدة من المسلمين مرهونة ليس بالانتصار في الصراع على المستوى المادي فحسب ولكن بالحصول على المعرفة الصحيحة والثقة بالنفس والرؤية الدقيقة الواضحة الواثقة القادرة على إحداث التحولات الكبرى في مسيرة التاريخ، وفي مقدمة هذا التحول هو إنتاج جديد لرؤية جدية للقيم الإنسانية يتم تدريسها للطلاب من منظور إسلامي يفي بحاجة هذه المجتمعات ويوفر لها الأمن الفكري ويحقق لها التعايش السلمي المجتمعي.

"إن العلمنة التي نبتت وأينعت في الغرب لا تقتصر على الجوانب السياسية والاجتماعية للحياة فحسب، ولكنها تشمل أيضاً وبالضرورة الجوانب الثقافية، إذ إنها

تعني: "زوال وظيفة الدين في تحديد رموز التوحيد والاندماج الثقافي للمجتمع" وهي تعني أن هناك " مساراً تاريخياً لا راد له تقريباً وهو الذي يتحرر بمقتضاه المجتمع والثقافة من الخضوع لوصاية الدين والأنساق الميتافيزيقية المغلفة" (العطاس، ١٤٢١هـ ٢٠٠١م، صفحة ٤٤). وهذا الصبغة الفكرية العلمانية تجعل منظمة القيم الإنسانية التي يتم إنتاجها في بيئة فكرية مخالفة للبيئة الفكرية الإسلامية لا تتناغم مع المجتمعات الإسلامية وقيمها المستوحاة من الشرع وأحكامه ومبادئه.

وبناء على ذلك يتحتم على مؤسسات التعليم العالي أن تنبع المقررات الداعية للقيم من صميم الدين الإسلامي وتتفق مع أهدافه ومقاصده، وأن يقوم بهذه المهمة أساتذة راسخون في العلم عندهم القدرة عن التعبير عن الإسلام بمنظوره الإنساني الشامل الذي يرتقي بالإنسان ويرفع من مكانته على أن يحتوى هذا المقرر على نماذج من القيم النفسية من كرامة وطموح ومسؤولية وأمل، والقيم الاجتماعية من الاحترام والتعاون والتعارف والبر، والقيم السياسية مثل العدل والشورى والأمانة والقيم الاقتصادية مثل الأمانة والعمل وكل ذلك من منظور إسلامي وكل ما هو إسلامي فهو بالضرورة إنساني؛ لأن الإسلام هو دين الإنسانية. على أن يقوم بهذه المهمة معلمون أكفاء لهم القدرة على توصيل القيمة بالفعل والسلوك قبل الكلام والتنظير.

فلكي تترسخ القيم في نفس المتعلم، يحتاج إلى أن يتردد ذكرها على مسامعه، وتتوارد معانيها على قلبه وفكره، ويتكرر إحساسه بها في وجدانه، بل تتعدد مناسبات ممارستها انطلاقاً من الفصل باتجاه الحياة، داخل الأسرة والمجتمع، في جل المواد الدراسية وموضوعاتها المختلفة، إذا لم يمكن تحقيق ذلك في جميعها. (الأحمر، ٢٠٠٥م).

إن المجتمع يلقي على المعلم أعباء ثقيلة فرضتها ظروف الأمة وواقعها، فمهمة المعلم اليوم في عصر العولمة والسموات المفتوحة لا تقتصر على مهنة التدريس ونقل المعلومات، فقط بل يتحتم عليه أن يكون موجهاً ومرشداً وقائداً وداعياً إلى الله حتى يتسنى له تنشئة الشباب على السلوك الديني القويم، ولكي ينجح المعلم في هذه المهمة وجب عليه أن يكون هو شخصياً قدوة حسنة في سلوكه ومعاملته حتى يتمكن من بث وترسيخ روح الإسلام في عقول طلابه، ويحول مبادئه إلى قوة سلوكية تظهر في تصرفاتهم، فتتحول العقيدة إلى إيمان بالأفكار والمفاهيم

والمعارف التي تنير لهم الطريق وتهديهم إلى الصراط المستقيم نحو بناء مجتمع إسلامي مستنير، ترتبط فيه مصلحة الفرد مع مصلحة الجماعة كنقطة تحول من الأنانية والجهالة والتخلف والضلالة والعنف إلى التعقل والتدبر والتفكير والوعي الاجتماعي والسلم والتقدم في كل جوانب الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية.

المطلب الثاني: تفعيل فلسفة التربية الإسلامية في مؤسسات التعليم العالي.

وذلك من خلال تطبيق ما تدعو إليه هذه الفلسفة من مناهج وتنفيذ ما تصبوا إليه من أهداف، واستحضار من أثبتته التجربة الإسلامية من نماذج ناجحة صعدت بالبشرية إلى مدارج الكمال البشري والسمو الإنساني.

"فالتربية في المفهوم العام يقصد بها عملية توثيق الصلة بين الناشئ وبيئته في ظروف معينة، تساعد على النمو في الاتجاه المرغوب فيه لتكوين الأفراد، بحيث تتوفر فيه مواصفات الإنسان في مجتمع محدد الأهداف واضح المعالم، أي أن نمو الأفراد المقصود ينبغي أن يتجه لتحقيق أهداف المجتمع في إطار فلسفته العامة واتجاهاته الكبرى. وأن النمو التربوي والقيمي مالم يكن معتمداً على داخل الإنسان وداخل مجتمعه يصعب نوعاً من الإسقاط، زرعاً يُلقى في غير منبته الأصلي، وإذا نما فإنه يكون هجيناً يسيطر مسيرته خارج المجتمع وربما يكون فيه، لكنه لا يمتزج امتزاجاً كلياً به. (الأساتذة، ٢٠٠٠)

لقد دعت الاتجاهات التغريبية في عالمنا الإسلامي إلى علمنة التعليم، وتفريغ محتواه، وأن فلسفته وغاياته يجب أن تتمحور حول إعداد الفرد للحياة الدنيوية، وحول النهضة الحضارية المادية ؛ ومن ثم فلامجال لديهم في أن تحوي غايات التعليم وفلسفته جانباً قيمياً رسالياً (الكيلاني، ١٩٨٧)

فانقطعت الصلة بين المعلم وبين الأصول الإسلامية لمهنة التعليم بعد أن فرض المستعمر أفكاره وثقافته ونظرياته التربوية على المعلمين تحت الإعداد في المعاهد والكليات التربوية. ومن ثم ضاعت الصورة المثلى لمهنة التعليم واضطربت فكرة المعلم عن وظيفته ومسؤوليات الوظيفة وغاياتها المحددة. (حسن، ١٤٠١ ١٩٨٢م)

وإذا كان من اليسير بناء الحضارة المادية فإنه من العسير بناء الرجال ذوي العقل والروح والفكر المؤسس على القيم والخلق والمبادئ الإسلامية.. وهذه هي المهمة الصعبة التي يضطلع بها المعلم في كل مجتمع. (الفاروقي، ١٩٨٣) إنه المعلم النابه الذي يعرض القيم وينمئها ويرعاها في نفوس الطلاب وذلك بصورة مستمرة. ومن

أهم ما يغرسه هو القيم الإنسانية التي تقي المجتمع من الصراعات وتحقق له أمنه واستقراره وسلميته.

• نموذج لسيادة القيم الإنسانية في المجتمع

لا أجد أفضل من العهد النبوي المبارك الذي تجلت فيه القيم الإنسانية واقعاً ملموساً كنموذج لسيادة القيم الإنسانية في كافة دروب الحياة، فسعدت البشرية بعد شقائها، ونفضت بؤس الجاهلية بعد أن خيم على البشرية قروناً طويلاً "لقد تغيرت الدنيا بعد بعثة النبي صلى الله عليه وسلم بفضل تلك التعاليم السامية، كما تغير الطقس، وانتقلت الإنسانية من فصل كله جذب وخريف، و سموم وحميم إلى فصل كله ربيع وأزهاء، وجنات تجري من تحتها الأنهار، وتغيرت طباع الناس، وانتعشت القلوب الخاوية الضامرة الهامدة بحرارة الإيمان وقوة الحنان، واستضاءت العقول بنور جديد، وسكرت النفوس بنشوة جديدة، وخرجت الإنسانية أفواجاً تطلب الطريق الصحيح ومحلها الرفيع، وتحن إلى مكانتها السامية العالية، فلا ترى أمة من الأمم، وبلداً من البلاد إلا وهو يريد السباق في هذا المضمار، ويتنافس فيه، فما ترى العرب والعجم، ومصر والشام، وتركستان وإيران والعراق وخرسان وشمال إفريقية، والأندلس وبلادنا الهند وجزائر شرق الهند، إلا سكارى هذا الحب العلوي، والفيض السماوي، وعشاق هذا الهدف السامي، وفقراء على هذا الباب العالي.

يبدو أن الإنسانية أفاقت واستيقظت، وفتحت عيونها بعد سبات عميق طويل، دام قروناً طويلة، فأرادت أن تتدارك ما فاتها حتى عمر كل جزء من أجزائها وكل ركن من أركانها بدعاة ربانيين مخلصين مجاهدين مصلحين مربيين عارفين بالله، متحرقين لخلق الله، باذلين أنفسهم ونفيسهم لخير الإنسانية، وإنقاذها من الخطر المحقق بها من كل جانب، رجال تحسدهم الملائكة، فأشعلوا مجامر القلوب الباردة، وأذكوا شعلة الحب الإلهي، وفجروا أنهار العلوم والآداب، والحكم والمعارف، وفتحوا ينبوعاً فياضاً، متدفقاً من العلم والعرفان والإيمان والحنان.

وأنشأوا في نفوس البشر مقتاً جديداً للظلم والجور، والعدوان والبغضاء ولقنوا الشعوب المضطهدة المهانة الذليلة دروس المساواة، وضموا المنبوذين والمهجورين، والمساكين الذين لفظهم المجتمع، وطردهم أهلهم وعشيرتهم إلى صدورهم العامرة

بالحب والحنان، إنك تجد آثارهم، وتلتمس آياتهم على كل جزء من أجزاء
البيضة كمواقع القطر لا يخلوا منها بيت وبر ولا مدر. (الندوي، ١٩٨٦)

الخاتمة

بعد هذا البيان للقيم الإنسانية في مؤسسات التعليم العالي ودورها في تحقيق السلام المجتمعي

أخلص إلى نتائج عدة منها:

- ١- تؤكد الجامعات العربية والإسلامية في لوائحها على العناية بالقيم الإنسانية إلا أن التطبيق الفعال لا زال يحتاج إلى التفعيل والمتابعة.
 - ٢- غرس القيم الإيجابية مثل الأمن والسلام والتعايش والقضاء على التحديات مثل الإرهاب والعنف والنعرات العصبية والطائفية والتشردم والنزاع يعد ثمرة من ثمار العناية بالقيم الإنسانية تعليمياً وتطبيقاً في مؤسسات التعليم العالي.
 - ٣- تبني القيم الإنسانية علاقات إيجابية فعالة بين الأفراد والمجتمعات تكفل الحفاظ على التنوع والاختلاف دون الانحراف إلى الصراع أو الصدام.
 - ٤- ظهر جلياً احتياج المجتمعات المسلمة إلى العناية بالمقررات التي تحتوي على القيم الإنسانية تعليمياً وتطبيقاً. لما تعانيه بعض المقررات في الجامعات ومؤسسات التعليم العالي من سيادة المنظور الغربي للقيم، والذي يعطي معنى منقوصاً للقيم؛ لاعتماده على الجانب المادي وتخليه عن الجانب الروحي.
 - ٥- إن المعلم الكفاء هو حجر الزاوية في نجاح العملية التعليمية، والقيم في أشد الاحتياج لهؤلاء المعلمين الذين يمثلون هذه القيم ويرسخونها بين طلابهم سلوكاً مرئياً وواقعاً عملياً. وهذا يؤكد ما توصل له البحث من أهمية إعادة الصلة بين المعلم وقرات أمته الثري بالمعاني والقيم الإنسانية.
 - ٦- يحتاج تطوير تعليم القيم الإنسانية في الجامعات إلى إعادة الصياغة للعلوم الإنسانية لتتوافق مع منهج الإسلام المعتمد على الوحي لترسيخ القيم.
- التوصيات:

بعد استعراض نتائج البحث يتبين أنه من الضروري أن تهتم مؤسسات التعليم العالي بغرس القيم وتنميتها في المجتمع، وأن تفسح لها المجالات المتعددة ليتحسن مستوى الوعي والتطبيق لمنظومة القيم الإنسانية ويكون لها الدور المأمول منها في معالجة المشاكل ومواجهة التحديات التي تعاني منها الأمة؛ ومن ثم أقترح الآتي:

- ١- إنشاء مراكز متخصصة تقوم بتثقيف الطلاب وتنمية وعيهم القيمي.

- ٢- مراجعة المقررات الدراسية وتخصيص موضوعات تعنى بالقيم الإنسانية ودورها في حماية الفرد والمجتمع من التهديدات الداخلية والخارجية وهذه الموضوعات تتناسب مع مقررات الثقافة الإسلامية،، إذا لم يتم تخصيص مقرر لها.
- ٣- مراجعة الرؤى الاستراتيجية لمؤسسات التعليم العالي للتأكيد على أهمية ممارسة السلوكيات ذات الطابع القيمي الإنساني من أساتذة الجامعات وإداراتها إضفاء الطابع القيمي على البيئة التعليمية.
- ٤- اعتماد مسابقات وبحوث طلابية تعنى بموضوع القيم الإنسانية وواقعها المعاصر وعياً وتطبيقاً بين طلاب الجامعات وأفراد المجتمع مع التركيز على الآثار الإيجابية للاهتمام بها على الصعيدين الفردي والمجتمعي.

المؤتمر الدولي العاشر

[دور العلوم العربية والإسلامية في تكريس الأمن الفكري وتحقيق السلام المجتمعي]

المراجع

- أحمد بن محمد الفيومي. (١٩٨٧م). المصباح المنير في غريب الشرح الكبير. دار الفكر للطباعة والنشر.
- أحمد لطفي بركات. (١٩٨٦). في فلسفة التربية. الرياض: دار المريخ.
- احمد مبارك بن مخدوم. (٢٠١٠). القيم الإنسانية في الإسلام. تم الاسترداد من http://www.themwl.org/web/sites/default/files/kiam_ensaniah.pdf.
- إسماعيل راجي الفاروقي. (١٩٨٣). أسلمة المعرفة، المبادئ العامة وخطة العمل الإنجاز، ترجمة عبد الوارث سعيد. بالكويت: المكتب العلمي.
- أمينة احمد حسن. (١٩٨٢ ١٤٠١م). أبحاث مؤتمر المناهج التربوية والتعليمية في ظل الفلسفة الإسلامية والفلسفة الحديثة. رسالة المعلم في الإسلام ومدى فهم المعلم لها في العصر الحديث، (صفحة ٢٥١). المعهد العالمي للفكر الإسلامي بالتعاون مع الجمعية العربية للتربية الإسلامية.
- أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي. (٢٠١٠). الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع. الرياض: مكتبة المعارف.
- بتلة صفوي العنزي. (٢٠١٧). دور مؤسسات التعليم العالي في المملكة العربية السعودية في المحافظة على القيم الإيجابية وتعزيزها ص:٥. تم الاسترداد من المنهل: <https://platform.almanhal.com/Files/2/96743>
- تيسير خليل القيسي. (٢٠٠٥). مدى تمثيل الكتب المدرسية للمرحلة الأساسية الدنيا في الأردن للقي بالإنسانية. مؤتمر الكتاب المدرسي (الصفحات ١٠٩ - ١٢٤). الأردن: ١٢٣-١١٢٣.
- أبو الحسن علي الحسن الندوي. (١٩٨٦). الإسلام وأثره في الحضارة وفضله على الإنسانية. القاهرة: دار الصحوة للنشر.
- جامعة القاهرة تطرح مسابقة لإعداد مقرر دراسي عن "الأخلاق والقيم الإنسانية". (١٠ إبريل، ٢٠١٦). تم الاسترداد من <https://cu.edu.eg/ar/Cairo-University-News-11720.html>
- جميل صليبا. (١٩٧١م). المعجم الفلسفي. لبنان: دار الكتب اللبنانية.
- سالم المرعوش. (٢٠١٧م). القيم والاتصال السيكلوجيا والمنهج. مؤسسة الرحاب الحديثة للطباعة والنشر طبعة أولى

- سيد محمد نقيب العطاس. (١٤٢١هـ ٢٠٠١م). مداخلات فلسفية في الإسلام و العلمانية، ترجمة محمد طاهر الميساوي العطاس. المعد العالمي للفكر والحضارة الإسلامية.
- الصائغ عبد الرحمان بن أحمد محمد. (٢٠٠٤). تربية العولمة و عولمة التربية، ندوة العولمة وأولويات التربية. الرياض: جامعة الملك سعود.
- طارق عمر حمد الجهني. (٢٠١٠). القيم الإنسانية في المناهج التربوية بالمملكة العربية السعودية منذ مطلع التسعينات: نموذج مقررات القراءة العربية للمرحلة المتوسطة بالمملكة العربية السعودية. الراب - المغرب: جامعة محمد الخامس.
- عبد السلام الأحمر. (من ٢١ إلى ٢٣ نوفمبر ، ٢٠٠٥م). آليات إدماج القيم في منهاج التعليم. مداخلة في ندوة: القيم الإسلامية ومناهج التربية والتعليم، تم الاسترداد من إيسسكو المعهد العالمي للفكر الإسلامي واشنطن المركز المغربي المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة: www.riyadhalelm.com/researches/14/47w_alyat_edmaj_qiam.doc
- عبد اللطيف محمد خليفة. (١٩٩٢). ارتقاء القيم دراسة نفسية. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون.
- عمر التومي الشيباني. (١٩٨٨). فلسفة التربية الإسلامية. إصدار الدار العربية للكتاب الطبعة الأولى.
- فتحي حسن ملكاوي، وأحمد سليمان عودة. (٢٠١٥). موق القيم في التعليم الجامعي. تم الاسترداد من www.riyadhalelm.com/researches/14/45w_qiam_jamee.doc.
- الفيروز أبادي. (١٩٩٠). القاموس المحيط. بيروت: دار الفكر.
- ماجد عرسان الكيلاني. (١٩٨٧). فلسفة التربية الإسلامية. جدة: دار المنارة.
- د. مانع بن محمد بن علي المانع. (١٤٠٦هـ ٢٠٠٥م). القيم بين الإسلام والغرب دراسة تأصيلية مقارنة: سلسلة الرسائل الجامعية ٤١. الرياض: دار الفضيلة ط: أولى.
- مجموعة من الأساتذة. (٢٠٠٠). المرشد في طرق التدريس العامة. طرابلس: منشورات كلية الدعوة الإسلامية.
- محمد عز الدين توفيق. (١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م). التأصيل الإسلامي للدراسات النفسية البحث في النفس الإنسانية والمنظور الإسلامي. القاهرة: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة لطبعة الثانية.
- محمد عياش الكبيسي. (١٤٣٨هـ - ٢٠١٦م). المنظومة العقدية و القيمية ودورها في ضبط معايير الأداء في الدولة والمجتمع. مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، الصفحات ٢٢٣ - ٢٧٧.

المؤتمر الدولي العاشر

[دور العلوم العربية والإسلامية في تكريس الأمن الفكري وتحقيق السلام المجتمعي]

- محمد المبيض. (١١ يونيو ، ٢٠١٢). دور القيم والأخلاق في تعزيز الأمن في المجتمعات. تم الاسترداد من، nbysalam.blogspot.com/2012/06/blog-post_4819.htm
- محمد مروان. (١٠ نوفمبر، ٢٠١٦). مفهوم القيم الإنسانية. تم الاسترداد من <http://mawdoo3.com>
- مداخلات فلسفية في الإسلام والعلمانية، ص ٢١، مرجع سابق. (بلا تاريخ)
- المهدي المنجرة. (٢٠٠٦). قيمة القيم. الرباط ط الثانية.
- د يوسف القرضاوي. (٢٠٠٠). القيم الإنسانية في الإسلام.
- د يوسف القرضاوي. (بلا تاريخ). القيم الإنسانية في الإسلام. <https://qspace.qu.edu>.

الإعلام العربي ودوره في مواجهة

”التشوهات الداخلية والتحديات الخارجية”

”رؤية نقدية”

المستشار الإعلامي / سليمان عبد الغفار سليمان

تمهيد: الدور الطبيعي للإعلام في مواجهة التحديات

- في ظل التطورات غير المسبوقة في مجالات تكنولوجيا الاتصالات (فضائيات - إنترنت) فإن للإعلام اليوم دوراً خطيراً يجعله دائماً في المقدمة.
- إن عالم اليوم لا يعرف الأسرار إلا في النطاق الذي ينحصر في احتكار المعلومات في المجالات الحيوية (التسلح النووي - الاختراعات والمكتشفات الحديثة) فالمعلومات متاحة اليوم بكل الوسائل في الصحف والمجلات ووكالات الأنباء والإذاعة والتلفزيون والانترنت ومراكز الأبحاث وبنوك المعلومات - إلى غير ذلك. فكانت مشكلة أمس تتمثل في "ندرة المعلومات" وكيفية الوصول إليها معرفتها - بينما المشكلة الأكبر اليوم تتمثل في هذا التعدد الهائل واللا محدود من وسائل " تدفق المعلومات" وكيفية التعامل معها.
- الإعلام الناجح أحد العناصر المهمة لتبني سياسة ناجحة على الصعيدين الداخلي والخارجي، ويتوقف مدى النجاح في قدرته على التنبؤ والاختيار بين البدائل من المعلومات المتاحة.
- إذا كانت الرسالة الإعلامية في الغرب المتقدم تهدف إلى التسلية والترفيه عن مجتمعات تعمل وتبتكر وتقفز خطوات واسعة للأمام في مجالات العلوم والتكنولوجيا لأن من حقها أن تستمتع وتستريح. فالدور المنوط بالإعلام في مجتمعاتنا العربية والإسلامية أخطر بكثير - فلا زالت أماننا قضايا عربية لم نجد حلاً لها (كالأمية - على سبيل المثال -). كما أننا لا زلنا في طور

التطور والنمو ونسعى جاهدين لاجتياز محنة التخلف بأن يكون لنا دور ملموس نشارك به في الإبداع الحضاري.

• لا مانع في أن تكون هناك مساحة للتسلية والترفيه لكن ليست كل المساحة - كما يحدث الآن- ؛ لهذا لا بد أن تحمل الرسالة الإعلامية الموجهة لمجتمعاتنا في طياتها قيما الجادة التي لا يصعب استلهاها من أحداث ووقائع تاريخ حضارتنا العربية الإسلامية وقيمها الثقافية الأصيلة - التي تُعد بمثابة الحصن القوي الذي يقف في وجه طوفان العولمة الذي يسعى إلى فرض قيمه لاقتلاعنا من جذورنا.

• يجب تأكيد أن إعلامنا العربي يواجه الآن تحديين مهمين:

الأول: يتمثل في ظاهرة العولمة ومؤثراتها السلبية على مجتمعاتنا العربية والإسلامية واستقرارها.

الثاني: وهو لا ينفصل عن التحدي الأول بل يرتبط به ويقف في مواجهته ويدور حول: "صورة الإسلام المشوهة في الغرب والشرق على السواء"، ويتمثل التحدي في كيفية مواجهة الادعاءات والافتراءات حول قيم الإسلام وحضارته... تلك التشوهات التي وصلت إلى حد اتهام الإسلام الذي هو (دين الرحمة والسلام) بالإرهاب.

هذان التحديان يتطلبان ضرورة العمل على إيجاد "رؤية تتصف بالتوازن والشمول"، يعبر عنها خطاب إعلامي جديد... يوجه أولاً: إلى "الداخل" لترسيخ قيم العدالة والحرية والمساواة وأهمية الحوار العقلاني وتغليب مصلحة الجماعة وإعلاء شأن العلم في حياتنا كقيمة أساسية- لنتمكن من مواجهة الأفكار الهدامة ومحاولات إشاعة الفوضى وعدم الاستقرار ونشر الأكاذيب التي تُهدد كيان الأسرة وتماسك المجتمع". ثم يوجّه بعد ذلك إلى "الخارج" متضمناً قيم التسامح والتعاون وقبول الآخر، وصولاً إلى تحقيق الأمن والطمأنينة والسلام الذي تنشده البشرية في هذا العصر الذي تسوده العديد من الأفكار الهدامة، الداعية إلى تأجيج الصراعات والمواجهات والحروب اعتماداً على منطق القوة الذي يؤدي إلى إهدار الحقوق وسيادة شريعة الغاب.

وسوف نتناول هذا الدور بمزيد من التفصيل من خلال المحاور التالية:

المحور الأول: دور الإعلام في الحفاظ على الأمن الفكري والسلام المجتمعي ومواجهة

التشوهات

- لوسائل الإعلام دورها المهم في الحفاظ على الأمن الفكري للمجتمع - بمعنى الحفاظ على قيمه وأعرافه وتقاليد البناء - بعيداً عن الصخب والضجيج الفارغ الذي تُثيره الفضائيات العربية وتُصدع به رؤوسنا عشرات الفضائيات بلا معنى ولا هدف سوى هدم ثوابت الأمة والإساءة لقيمها ومقدساتها. فالإعلام الناجح والمسئول هو الإعلام الذي ينتمي لأصول ثقافته وتراثها الإيجابي، ويقوم بدوره في خدمة المجتمع حاملاً قضاياها ومعبراً عن طموحاته وهمومه، ويسعى إلى إلقاء الضوء على أهل الخبرة من المتخصصين القادرين على مواجهة ما يؤثر على أمنه وسلامته، وما يطرأ على الحياة من متغيرات.
- الإعلام المؤثر في قضايا مجتمعه هو الإعلام الذي يقوم بدوره في مواجهة التشوهات التي تضر بأمن المجتمع وسلامته في ظل شيوع الأمراض المجتمعية التي تتمثل مظاهرها في أشكال متعددة من السلبية - بدايةً من النفاق وفساد الذمم وتدني الأخلاق وعدم إتقان العمل والاستخفاف بالقانون ... وصولاً إلى إهمال الشأن العام في ظل انتشار حالة من التواكل التي أفرزت بدورها ظاهرة "التدين المغشوش"، وما أدت إليه من انحراف في الفكر وتشويه للدين وتفريغ من مضمونه بالاختصار على الاهتمام بالشكل البراق على حساب القيم والأخلاق ومن ثم التطرف والجمود الناجم عن الفهم الخاطئ لمقاصد الشريعة وحقيقة الدين... بما يؤدي إلى تخريب العقول وإفساد العلاقات بين الأفراد في داخل الأسرة أو على مستوى المجتمع.
- أننا إذا عملنا الفكر وأمعنا النظر في أحوال مجتمعاتنا وما طرأ عليها من سلبيات تزداد يوماً بعد يوم، في ظل انتشار العشوائيات وما تُفرزه من سلوكيات متدنية - فضلاً عن استخدامنا غير الرشيد لأدوات التكنولوجيا الحديثة - وازدراؤنا للغتنا العربية عبر ما نراه من طوفان المصطلحات الأجنبية الفجة بإعلاناتها الصاخبة على واجهات المتاجر ومشروعات المباني وغيرها - ناهيك

عن المظاهر البائسة في الملابس والمظهر والسلوكيات البعيدة كل البعد عن قيمنا وتقاليدنا. ❖

- أننا - غالباً - ما نُركز على التشوهات القادمة من الخارج - ونتجاهل من يعملون على نشرها في الداخل - إن دور الإعلام في مجتمعاتنا جدٌ خطير - فلا بد للإعلام أن يكون مُكماً لدور التعليم بمشاركة من المثقفين الحقيقيين الواعين بقضايا مجتمعاتهم. إننا في حاجة إلى إعلام يَطَّلِع بدوره في مواجهة الانحراف الفكري وتفنييد الشائعات المغرضة ودحض حملات التشويه. إن مثلث "الأمن الفكري" يتمثل من وجهة نظرنا في "التعليم والثقافة والإعلام"؛ فالإعلام هو الحامل للقيم الثقافية وأداة التوصيل لمضمون العملية التعليمية، الأمر الذي يحتاج إلى تضامُر الجهود كافة لمواجهة التشوهات التي تُهدِّد أمن وسلامة الفكر والمجتمع والأخلاق والدين. إننا في حاجة إلى إعلام يبني ولا يهدم، إعلام يعيد الوعي للمغيبين ويُعلي قيم "الحق والواجب والعلم والعمل والخير والجمال" فالإعلام الحقيقي لا يروج للقبح والعُري والفساد، بل إنه يسعى إلى الارتقاء بالمجتمع والحفاظ على هويته وقيمه وثوابته.

❖ تنويه: أشرنا في كتابنا *العرب والإسلام والغرب الصادر عن مؤسسة دار الهلال المصرية في يناير ٢٠٢٠* - في أكثر من موضع إلى التشوهات التي تضرب المجتمعات العربية جراء التبعية لحضارة الغرب.

المحور الثاني: "مسئوليات الإعلام في زمن العولمة"

للإعلام العربي دور أساسي ومهم في مواجهة ظاهرة العولمة وهجمة التغريب الشرسة التي تتعرض لها المجتمعات العربية والإسلامية، ويتمحور هذا الدور حول ثلاث مهام: الأولى: توجيهِ رسالة إعلامية متكاملة - تحمل مبادئ وقيم ثقافتنا العربية الإسلامية والعمل على ترسيخها في وجدان وعقول أجيالنا الحاضرة " هذه المهمة موجهة إلى الداخل بالدرجة الأولى".

الثانية: الاتفاق على تصور مشترك - لصياغة "خطاب إعلامي عربي متكامل" موجه للآخر في الغرب والشرق على السواء، على أن يتضمن هذا الخطاب وجهة نظرنا تجاه قضايا العالم المعاصر، والحلول التي يمكن تقديمها لها انطلاقاً

من مبادئ ثقافتنا وحضارتنا العربية الإسلامية. كما يتضمن أيضاً شرح مواقفنا تجاه قضايانا الأساسية سياسية واقتصادية كانت أم حضارية، سعياً إلى التأثير في مواقف الآخرين تجاهها، وصولاً إلى تصحيح صورتنا المشوهة لدى الرأي العام العالمي.

الثالثة: وهي أخطر هذه المهام وأكثرها مشقة – وعليها يعتمد نجاحنا في المهمتين الأولى والثانية – وتدور حول ضرورة إعادة تقديم تراثنا الثقافي والحضاري من خلال التعاون بين رجال الفكر والعلم من المتخصصين ورجال الإعلام؛ لأن تراثنا الثقافي على وجه الخصوص يحتل مرتبة عالية باعتباره أعظم ثراث عرفته البشرية عبر تاريخها الطويل.

إن هذا الإنجاز لن يتم إلا من خلال تضافر جهود رجال الفكر والإعلام، فدور رجال الفكر والعلم المتخصصين يتبلور حول العمل على نفض الغبار عن تراثنا الثقافي من خلال إعادة تقييمه، ثم يأتي دور الإعلام في المرحلة التالية بعد هذا التقييم ليتولى التقديم "تقديم ثم تقديم"؛ لأن تقديم هذا التراث الغني بالمبادئ والقيم والأفكار والتجارب بعد تنقيته وبما يليق بمكانته سوف يكون بمثابة "انبعاث جديد للأمة"، ومصباحاً للفكر يهديها في دهاليز عوامة الغرب التي تسعى دون كلل إلى تهميش ما عداها من ثقافات – لاسيما قيم الثقافات الأخرى الفاعلة – وفي مقدمتها ثقافتنا العربية الإسلامية.

ولكن ما هو دور الإعلام في تعريف الآخرين بقيم الإسلام؟ اجابة السؤال هي موضوع المحور التالي:

المحور الثالث: "دور الإعلام في تقديم قيم الثقافة العربية والإسلامية للآخرين" يتمثل هذا التحدي في مدى قدرة الإعلام العربي والإسلامي على كيفية تقديم صورة الإسلام وقيمه الرفيعة للرأي العام الخارجي، ومدى قدرة الإعلام على ترسيخ هذه القيم في الداخل من خلال إعداد البرامج التي تستلهم القيم الإسلامية في صورتها النقية وتقديمها للرأي العام، وأهمية تضافر الجهود في هذا الشأن بين العملية الإعلامية والمؤسسات الثقافية والتعليمية والدينية في إطار التعاون العربي

الأشمل في هذا الاتجاه؛ لأن التحديات الراهنة والاتهامات الموجهة للإسلام والمسلمين بالإرهاب تستدعي استنهاض الهمم للقيام بهذه المهمة الجليلة.

يجب أن نوضح أن التعامل مع محاولات التشويه المستمرة لميراثنا الثقافي والحضاري تتطلب توافر درجة عالية من الفهم والوعي من جانب القائمين على أجهزة الإعلام التي تحتل مكاناً بارزاً في عملية المواجهة، فالتصدي لطوفان الإعلام الغربي الصاحب من السلوكيات والأفكار المصبوغة "بازدواجية العنف والجنس" يتطلب قدرة عالية على الانتقاء، لدعم الذات الحضارية والثوق بها عن طريق بعث وإحياء التراث الثقافي للأمة الذي لا يجب أن يتوقف عند محاولات تقديمه من خلال نشر "النصوص الجامدة"، بقدر ما يعتمد على بذل الجهود المضنية بالاستعانة بالمفكرين المتخصصين لاستقراء خبرة الماضي على ضوء الحاضر سعياً إلى استشراف المستقبل؛ فلا يكفي فقط أن نثق في أهمية تراثنا الثقافي بقدر ما نجتهد في محاولة إقناع غيرنا بأهمية وظيفته التاريخية وقيمه الحضارية.

وإلى جوار رجال الإعلام يتحتم على "النخب المثقفة" القيام بدورها في الدفاع عن قيم الإسلام وإعادة تقديمه في صورته النقية للآخرين وإزالة كل ما علق بها من تشويه في الداخل والخارج على السواء.

خلاصة القول إن أهمية التنسيق والتعاون العربي في مجال الإعلام وغيره من المجالات تنبثق من عدة اعتبارات تؤكد كلها أن القضايا العربية واحدة، والهموم والتحديات واحدة، والثقافة والفكر واحد؛ لهذا يجب تضامناً كل الجهود لتحقيق الهدف الواحد بجهد موحد بعيداً عن الجهود المتناثرة عديمة الفائدة.

المحور الرابع: "هجمة التغريب الشرسة التي تتعرض لها المجتمعات العربية" واجهت الثقافة العربية -ولازالت تواجه- محاولات مستمرة من الغزو والتشوية على نطاق واسع من جانب "العرب الاستعماري" وأدواته الأساسية المتمثلة في "سياسة الاستشراق" التي مهدت الطريق لتبرير الاحتلال وممارسة العدوان على أراضي العرب والمسلمين خلال القرنين الماضيين في محاولة لخلق القناعة بضرورة إعادة تقديم التراث العربي والإسلامي من منظور غربي جديد، يعمل على تأكيد أن الثقافة العربية الإسلامية هي السبب الرئيس لتخلف العرب وتدهور المسلمين؛

ليعطي المبرر بأن الخروج من المأزق لا يكون إلا بالتخلص من الانتماء لهذه الثقافة .
وها نحن نشاهد الضغوط المتزايدة من الغرب التي ترمي إلى اقتلاع العرب والمسلمين
من الجذور، ووصلت الضغوط إلى ذروتها في الوقت الراهن من خلال تداعيات ظاهرة
"العولمة" على اختلاف أشكالها باعتبار العالم على اتساعه مجالاً حيويًا للغرب لا يرى
فيه إلا مجرد " قرية صغيرة وسوقاً مفتوحاً أمامه".

وفي ظل عملية التشويه التي أخذت أشكالاً عدة بدءاً من تهميش العملية التعليمية
وفراغها من مضمونها بالاعتماد على التلقين كمنهج لتحصيل العلم والوقوف عند
الشكل دون الجوهر، مروراً بالغزو المنظم لوسائل الإعلام الجماهيري سعياً لفرض
أنماط سلوك وقيم ثقافة الغرب، وصولاً إلى استقطاب النُخب المثقفة لتُصبح مجرد
أبواق تدعو إلى تبني النموذج الغربي في القيم والسلوك - ربما دون وعي منها - دون
أن تدرك أنها تقوم بدور معاول الهدم والتخريب لجذور الثقافة والهوية.

لهذا فإن الثقافة الغربية تُمثل تحدياً مستمراً في مواجهتنا بإبداعاتها الحضارية في
مجالات العلوم والتكنولوجيا والسياسة والاقتصاد والاجتماع، وفي ظل التهديد الذي
تمثله قوتها العسكرية نجدها تفرض علينا التبعية لأخلاقياتها وسلوكياتها بسبب
تهافتنا الثقافي وعجزنا الحضاري، الأمر الذي أدى إلى توارى قيمنا الثقافية
الأصيلة؛ لتحل محلها عادات وسلوكيات أخرى غريبة علينا.

المحور الخامس: "التحدي الحضاري وكيفية مواجهته"

إن واقع أمتنا العربية الإسلامية في تاريخنا "الحديث والمعاصر" يدور حول الاحتكاك
والتأثر الثقافي والحضاري مع النموذج الغربي على وجه الخصوص، ونظراً لأن
الإسلام هو المكون الحقيقي لهويتنا الثقافية فإنه يمثل بالتالي حجر الزاوية في
علاقة التميز والتفاعل في العلاقة مع الآخر، وليست علاقة " تبعية أو تضاد أو صراع"
كما يراها " هنتنغتون" وغيره من مفكري الغرب المعاصرين، فخلال فترة انفتاح

* خصصنا في كتابنا (العرب.. والإسلام.. والغرب) الصادر عن مؤسسة دار الهلال المصرية في (يناير ٢٠٢٠):

- مبحث خاص بعنوان " التراجع العربي في مواجهة التحدي الغربي".

- ومبحث آخر بعنوان "التشرذم الثقافي... واتساع دوائر التغريب".

النهضة الأوروبية على ثراثنا الإسلامي نقلوا عنه المنهج التجريبي الذي يقوم على الملاحظة والاستقراء لكنهم لم يأخذوا نموذجنا الثقافى الإسلامى بل على العكس قاموا بإحياء النموذج الإغريقي الرومانى فأصبحوا امتداداً له، ولم يقضوا من نموذجنا الثقافى الإسلامى بالتالى موقف المحاكاة، ولعل منهجهم فى التعامل مع فيلسوفنا الكبير "ابن رشد" أكبر دليل على هذا الانتقاء؛ لأنهم تبنا ابن رشد الشارح لأرسطو، ورفضوا بل حرموا ابن رشد الموفق بين الحكمة الإنسانية وبين الشريعة الإسلامية؛ لأن الرشدية الإسلامية كانت بالنسبة لهم مغايرة للرشدية اللاتينية. هذا القانون نجده أيضاً فى بواكير نهضتنا الحديثة خصوصاً تجربة مصر فى النصف الأول من القرن التاسع عشر الميلادى تحت حكم "محمد على"؛ فنجد أن فيلسوف هذه التجربة "رفاعة الطهطاوى" هو الذى دعا إلى التلمذ على أوروبا فى العلوم والمعارف البشرية المدنية، مع إحياء النموذج الثقافى الإسلامى، وبعد انتكاسة التجربة وهيمنة الاستعمار انعكست الآية فقد تم حرماننا من إنجازات العلم وفتوحاته فى الوقت الذى تم فيه إمطارنا بألوان عديدة من "أفكار وفلسفات وآداب وفنون الغرب" التى أدت إلى حالة من الانفصام الثقافى التى تعيشها أمتنا الآن، ويكفى أن نعلم أن المبعوثين الذين أوفدتهم الدولة إبان تجربة "محمد على" إلى أوروبا كانوا يذهبون للتخصص فى العلوم الطبيعية فقط، وفى ظل الاحتلال وجدنا المبعوثين يذهبون للتخصص فى الفنون والآداب ثم يُشكّلون لدى عودتهم نماذج حياة متحركة تحمل قيم الغرب وثقافته.

إن ما نحتاج إليه الآن لتصحيح وضع الصورة المقلوبة يدور حول إيجاد آلية عربية إسلامية تكون مهمتها الأساسية فتح الأبواب أمام الثقافة العربية فى الداخل أولاً عبر مناهج التعليم، ثم تجاوز الحدود الوطنية الضيقة سعياً إلى تكوين فضاء "عربى إسلامى ثقافى" قادر على مواجهة تحديات المنافسة العالمية فى ميادين الفكر والإبداع للوقوف فى وجه طوفان الأفكار القادمة من الغرب بعيداً عن اختلاق أى معارك وهمية بين العروبة والإسلام أو القومية والدين.

خاتمة "كلمة أخيرة"

في مواجهة التحدي الحضاري... ماذا نحن فاعلون؟

التساؤل الذي يفرض نفسه علينا الآن " كمجتمع عربي وإسلامي " يدور حول كيفية مواجهة التحدي بالخروج من هامش التخلف والتبعية إلى قلب دائرة الفعالية والمشاركة بهدف إثراء الثقافة وإبداع الحضارة. هذا التساؤل تتطلب الإجابة عليه ضرورة طرح العديد من الرؤى والتصورات "باعتيارها محاور أساسية لحركة استجابتنا في مواجهة التحدي الحضاري، وتتمثل في الآتي:

أولاً: العمل بدأب ومُثابرة على خلق المناخ الفكري والثقافي الملائم لحرية الحوار والإبداع الملتزم بقيم المجتمع، وقبول الرأي الآخر، وفتح الأبواب أمام النقد البناء، وإعمال العقل بعيداً عن التعصب والتحيز والأنانية وتمجيد الذات.

ثانياً: دعم ميزانيات البحث العلمي لصالح العلم والعلماء لحفزهم على تكوين القواعد العلمية المتطورة التي تُعد بمثابة حجر الزاوية في تحقيق عملية النهوض والتقدم، وتوفير المناخ الملائم لعودة العقول المهاجرة لتقوم بدورها في تطوير مجتمعاتها في عصر المعلوماتية والاكتشافات المتلاحقة.

ثالثاً: مواصلة الإصلاح الجذري للتعليم وتخليص المناهج الدراسية من الحشو الزائد وتطعيمها بالقيم الإيجابية اعتماداً على الفكر والتجريب والملاحظة بدلاً من التلقين، مع ضرورة البدء في إعداد خطة قومية فعالة لمحو الأمية بعيداً عن الجمود البيروقراطي والاستفادة من عوامل الفشل في هذا المضمار خلال العقود الماضية.

رابعاً: دعم وتنشيط حركة الترجمة كرافد مهم من روافد الثقافة ونافذة مهمة نُظِل من خلالها على إبداعات العصر وإنجازاته لاسيما في مجال العلوم والكشوف العلمية، حتى لا تكون الترجمة مجرد أداة ناقلة لأفكار العيب والعدم والتحرر من الأخلاق، وهدم الدين.

خامساً: السعي إلى امتلاك وسائل إنتاج التكنولوجيا الملائمة والمتطورة خصوصا تكنولوجيا المعلومات والإلكترونيات لا تكنولوجيا الصناعة التقليدية التي

تجاوزها العصر، وعدم الاكتفاء باستهلاكها بل وترشيد هذا الاستهلاك بما يعود بالنفع على المجتمع بأكمله بعيداً عن التأثيرات الضارة للاستهلاك غير الرشيد لها - كما هو حادث الآن - .

سادساً: نظراً لأهمية وخطورة الدور الذي تلعبه وسائل الإعلام يجب الاهتمام بمضمون الرسالة الإعلامية لتحمل في طياتها القيم الإيجابية لإرثنا الحضاري المتنوع بهدف العمل على ترسيخ هذه القيم في الوجدان والسلوك، كما أننا في حاجة ماسة إلى التوسع في برامج الإعلام العلمي والثقيفي، وأهمية صياغة خطاب إعلامي عربي متكامل موجه للأخر يحمل ملامح هويتنا وقيم ثقافتنا الثرية.

إعداد

المستشار/ سليمان عبد الغفار سليمان

"ملحق إضافي بالبحث"^(١)

تشوهات التحديث الغربي

تمثل "الحداثة Modernity" حالة تاريخية وحضارية عرفتها القارة الأوروبية منذ بداية "عصر النهضة Renaissance" التي بدأت في إيطاليا، واستمرت طوال أربعة قرون من القرن الرابع عشر إلى القرن السابع عشر، تلاها "عصر التنوير Enlightenment" الذي بدأ في فرنسا واستمر من بداية القرن الثامن عشر حتى اندلاع الثورة الفرنسية سنة ١٧٨٩ هذا الحدث الذي اعتبره المؤرخون الغربيون بداية للعصر الحديث الذي تشابكت معه الحداثة لتستمر إلى نهاية الحرب العالمية الثانية سنة ١٩٤٥ - لتتلوها فترة "ما بعد الحداثة Postmodernism" الممتدة حتى الآن، ويشير مصطلح "الحداثة" إلى التغيرات الكبرى التي شهدتها أوروبا ثقافياً وسياسياً واقتصادياً واجتماعياً، وشملت كافة مجالات البحث العلمي وتطبيقاته التكنولوجية، كما شملت العلوم والأفكار، فضلاً عن التطورات التي لحقت بمؤسسات الحكم السياسية والمدنية والتشريعية، والمعاملات التجارية، في ظل بناء الدولة القومية الحديثة التي تزايدت سلطاتها مع اتساع مساحة الحرية والمسئولية الفردية في ذات الوقت. وتُعبّر الحداثة عن روح الحضارة الغربية المعاصرة وثقافتها المنسجمة معها، كما تعدد معاني كلمة الحداثة - فقد تعني المعاصرة، وقد تعني التغيير والتطور وإعادة النظر بشكلٍ دائمٍ في الأفكار وفي أشكال التنظيم السياسي والاجتماعي. وتترادف عند البعض مع مفهوم "الإصلاح Reform" عندما تتصل بالمجتمع والدولة. وفي ميادين الفن والأدب يتطابق معناها مع الإبداع والابتكار، وتتمثل العلاقة بين الحداثة والتحديث، في أن الحداثة تشمل الفكر النظري أو المقولات الفلسفية والعلمية التي تحكم عملية التحديث وما تؤدي إليه من اقتباس علوم الغرب العصرية المتطورة، وتأتي عملية "التحديث Modernization" في

^(١) هذا الملحق مأخوذ من كتابنا "العرب والإسلام والغرب" الصادر عن دار الهلال المصرية - يناير ٢٠٢٠

المنطقة العربية انعكاساً لمؤثرات الحداثة الأوروبية وهيمنتها؛ لتقف عند حدود المحاكاة والتقليد.

و يشير مفهوم "التحديث" إلى دالتين متناقضتين: تتعلق الأولى بما يعنيه الغربيون بعملية التحديث من قيام المجتمعات غير الغربية باقتباس ما أنتجه المجتمع الصناعي الغربي منذ بداية القرن الثامن عشر، ليس فقط من "نظم عسكرية وإدارية وتعليمية وغيرها - مثلما حدث مع الدولة العثمانية، وإنما يعنون أيضاً قيام غير الغربيين باقتباس أشكال ومضامين الثقافة الغربية في النظم السياسية والفكر الفلسفي والفنون والآداب، فضلاً عن أساليب العيش ومعايير الأخلاق والسلوك، باعتبار أن كل ذلك يمثل نمطاً واحداً، وكلاً متكامللاً لا يمكن تجزئته، أو الاكتفاء بجزء منه دون بقية الأجزاء، وهي النظرة التي روج لها المستشرقون، بينما ترتبط الثانية بمفكرين آخرين يرون أن مفهوم التحديث بهذا المعنى لا يعني سوى تغريب المجتمع غير الغربي عن أصوله الثقافية وتقاليد الحضارية، ويعتقدون إمكانية اقتباس نظم الغرب في المجالات العسكرية والاقتصادية والعلمية والإدارية وحتى التعليمية، لكن وفي الوقت نفسه أن تقوم المجتمعات التي تأخذ عن الغرب بالحفاظ على أصولها الثقافية وهويتها القومية رغم ما تقوم به من اقتباس من حضارة الغرب التي تتمتع بالتفوق والسبق في إطار صورة من صور التفاعل الحضاري الإيجابي.

فالداعون إلى الأخذ بالمنطق الاستشراقي القائل بأن نسق الحضارة الغربية ينبغي أن يؤخذ كله بعلومه ومعارفه وقيمه وأفكاره، أو أن يُترك كله. هذا المنطق إنما يطرح الحضارة الأوروبية الحديثة على أنها "حضارة غربية مسيحية" تندمج في نسيجها الحضاري الواحد التكنولوجيا مع الأفكار التي مهدت لنموها وتقدمها؛ بحيث يترابط الجانبان في وحدة عضوية واحدة لا تقبل التجزئة. فإذا ما أرادت أمة أو شعب ممن لا ينتمون لحضارة الغرب اقتباس التقنيات الغربية، فليس أمامهم للنجاح في مسعاها سوى اقتباس القيم والأفكار كذلك. بينما يؤكد "أصحاب الاتجاه الثاني" أن الحضارة الغربية الحديثة، إنما هي نتاج لكل ما سبقها من حضارات في الشرق والغرب - عبر التفاعل الحضاري الخلاق - وأن المجال يجب أن يُتاح للجميع

في الأخذ بمناهج البحث العلمي وتقنياته الحديثة، ويجتهد في تطويرها دون التخلي عن الثقافة والقيم والتقاليد، فالحضارة إرث إنساني مشترك، بينما الخصوصية الثقافية ترتبط بجماعة محددة دون غيرها. فالقول بأن نسق الحضارة الغربية إما أن يؤخذ كله أو يترك كله "ليس قولاً علمياً؛ لأنه محاولة تعميم ما هو خاص" كما يقول الدكتور "عبد الوهاب المسيري" الذي يؤكد أن من يطالبون بإعادة صياغة "الإنسان العربي" ليتفق مع مقتضيات العصر الحديث وتأهيله لاستيعاب العلم والتكنولوجيا، عليهم أن يضعوا نصب أعينهم "النكبة الحضارية" التي يعاني منها الغرب -حضارة الغرب عند "المسيري" ليست أكثر من حضارة إجراءات لا تكثرث بالأهداف - هذه الحضارة التي أفرزت النازية والصهيونية والتي تتحدث عن فصل الدين عن الدولة، وهي في واقع الأمر تتحدث عن فصل الأخلاق عن الدولة وعن كل شيء.

مأزق التحديث في العالم العربي:

بدأت محاولات التحديث مع العثمانيين خلال القرن الثامن عشر عندما أدركوا أن النظم العسكرية الأوروبية باتت متفوقة على الأساليب العثمانية بهذا الخصوص؛ فقاموا بالعديد من الإجراءات في محاولة لاكتشاف العلم والتنظيم العسكري الأوروبيين، وانحصرت هذه المحاولات في الإطار العثماني فلم تترك أثرها في الولايات العربية التابعة للدولة والتي شهدت بدورها بداية التحديث مع مشروع محمد علي في مصر بعد توليه الحكم في أعقاب انسحاب الحملة الفرنسية. وكان لاستجابات الأنظمة الحاكمة في المنطقة (السلطان في الأستانة، والباشا في القاهرة) تجاه عملية التحديث تأثيرها على النسيج الثقافي والاجتماعي المتمثل في إضعاف سيطرة طبقة علماء الدين على مؤسسات القضاء والتعليم، مثلما أدى تحديث الجيوش إلى تقليص دور فئة المحاربين القدامى من الإنكشارية والمماليك التي كانت تدير شؤون الحكم بمشاركة علماء الدين، لكن البذخ في الإنفاق على الحملات العسكرية، فضلاً عن سوء الإدارة وتضخمها مع الجهل بالمبادئ الأساسية لآليات الاقتصاد الحديث،

أدى إلى الإفلاس المالي والإغراق في الديون الأجنبية التي فتحت أبواب النفوذ للتدخل الأجنبي.

ولما كانت مصر والشام من أكثر مناطق العالم العربي قابلية للتطور والتغيير، وأشدّها صلةً بأوروبا عبر العلاقات التجارية، بالإضافة إلى ما كانت تتمتع به من توسط جغرافي وعراقية حضارية، فقد بدأت مسيرة التحديث مع "محمد علي باشا" الذي شرع في إقامة دولة عصرية اعتماداً على النمط الفرنسي في التحديث، وبينما لم يأخذ "محمد علي" في محاولته هذه سوى بعض مظاهر التحديث الغربي مثل تأسيس الجيش والاهتمام بالصناعة والزراعة والصحة والتعليم المدني العصري، فإن "جوهر التحديث" المتمثل في الدولة القائمة على الدستور وانتهاج الديمقراطية وسيادة القانون لم يأبه له الباشا، ولم يُبدِ اهتماماً به، بل إنه عمد إلى تلافي وتجنب هذه المؤثرات لحرصه على الانفراد بالحكم؛ ومن ثم فقد باتت الدولة التي تمخضت عنها تجربته مجرد دولة مستبدة، تدين بوجودها لفردي واحد، وهكذا أسفرت التجربة عن إحلال الاستبداد الفردي للباشا محل الاستبداد الجماعي للماليك، وبغياب صاحب التجربة تم الانقراض عليها وتقويضها، فبعد رحيله وولاية حفيده "عباس الأول" ارتدّ على مشروع جده يصفيه ويقوضه دون أن يلقي مقاومة من أحد لوقف "مشروع الباشا" عند حدود "تحديث الدولة" ولم يتعداها إلى "تحديث المجتمع" فكانت بمثابة نقطة الضعف التي أفقدته المقاومة في مواجهة الهجمة الخارجية والردة الداخلية.

وعندما واجه "عصر النهضة العربية" مع نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين صدمة الانفتاح على حداثة الغرب التي تمثلت في اتساع الهوية بين واقع العرب والمسلمين وما أحرزته أوروبا من حضارة وتقدم، وشكّلت المرحلة إرهاصات منعطف فكري لمواجهة إشكالية تأخر العرب وتقدم الغرب، ولم يكن التحديث في تلك الفترة يعني الأخذ عن الغرب في محاولة الانتفاض على الشرق، وإنما كان يعني مواجهة الغرب بحداثة خاصة بالإسلام، غير أن العراقيل والعقبات التي أوجدها الاستبداد الداخلي، وهيمنة مراكز الاستعمار في الخارج أعاقت مشروع النهضة وعرقلت تطوره، فالاستعمار الأوروبي العسكري كان أحد أهم المعوقات التي عرقلت

مسيرة النهضة والتحديث الحقيقي في العالم العربي ، فقد تمكن الاحتلال الأجنبي في تلك الفترة من السيطرة على أهم منافذ المنطقة العربية من مصر إلى تونس والجزائر ومن الخليج إلى الشام، وقام بفرض عملية "التحديث المشوه" بصورة تعسفية لتحقيق أهدافه ومصالحه، فمنذ بداية حركة اليقظة العربية في النصف الثاني من القرن الثامن عشر، التي كانت تعتمد على تطوير القوى الذاتية تمهيداً لدخول العصر الحديث، بادرت "أوروبا" التي تمكنت من حيازة السبق الحضاري والتفوق العلمي، إلى إحكام قبضتها على بلدان المشرق لتقطع عليها طريق النمو الذاتي، وتفرض عليها طابعها الحضاري في التطور والتحديث المفروض من الخارج على حساب مصالح الأمة. فالحديث عن "مأزق التحديث" في العالم العربي يبدأ من تجربة "محمد علي باشا" في مصر، بوصفها التجربة التي توضح مدى إعاقة القوى الأوروبية الاستعمارية لمحاولات التحديث في المنطقة، كما تدل على عدم سماح الغرب بأية تجارب للتحديث على حساب مصالحه، بل ودأبه على تعطيل مسارات التحديث وليس مجرد السعي لتأمين المصالح لضمان النفوذ والتبعية، ويؤكد هذا التوجه أن القوى الأوروبية سعت إبان الحقبة الاستعمارية، وفيما بعد الاستقلال إلى عقد تحالفات مع وكلائها في الداخل ومع أكثر القطاعات جموداً للإبقاء على ما هو قائم ومتهالك خلافاً لادعائها الاضطلاع برسالة الحضارة والارتقاء بالشعوب، بينما كانت علاقتها بالمستبدين المحليين تهدف إلى تواصل عمليات ما كانت تقوم به من نهب واستغلال لموارد وثروات المستعمرات.

تشوهات التحديث

لقد تأثرت قيم وأخلاقيات العرب والمسلمين بالعلمانية الغربية، ونمط الثقافة الاستهلاكية، وتمت إعادة تشكيل مؤسسات الدولة في قوالب جديدة، وتبنت المؤسسات التعليمية نماذج غربية كمرجعية لها، وأضيفت مشكلات جديدة من الفوضى الحضرية وزيادة السكان في ظل تدهور البيئة، وانتشار العشوائيات، ناهيك عن التراجع في مجالات الإنتاج الزراعي والصناعي لتأمين متطلبات الحياة، فتم الاعتماد على الخارج في استيراد الغذاء وشهدت أحوال الصحة والتعليم مزيداً من

التدهور المتواصل، وأدى ارتفاع معدل البطالة بين الشباب إلى فقدان الأمل وشيوع مشاعر الإحباط، بينما أدى فشل البيروقراطية الإدارية إلى إهدار الموارد وتراكم الأزمات. في ظل مثل هذا الإخفاق عمدت النخب الثرية إلى النأي بنفسها عن تلك الأوضاع بالانتقال إلى تجمعات سكنية مغلقة محاطة بالأسوار، وهذه التجمعات تزخر بمظاهر مختلفة للحياة تسودها الرفاهية وتُكسر الانفصال بينها وبين المجتمع في العديد من نواحي العمل والتعليم والتمتع بالنفوذ والجاه. كما أقدمت تلك النخب على جلب المزيد من التشوهات إلى المدن العربية والإسلامية من خلال إصرارها على تقليد كل جديد يظهر في الغرب بغض النظر عما إذا كان ملائماً أم لا؛ فباتت عبارة عن خليط مشوش من الطرز المعمارية للمباني، بينما تُعاني من غياب التخطيط والنظام، وتئن تحت وطأة التلوث وتزايد مظاهر الفوضى والزحام، ومع هروب الأثرياء إلى معاقلهم، يتحمل الفقراء وحدهم نتائج الفشل، ويلاقون كل أشكال البؤس في حياة يومية هي أقرب ما تكون إلى تحديث يقوم على التشويه.

فالتحديث الحقيقي لا يعني مجرد استيراد سلعة أو مجموعة من السلع وطرحها للاستهلاك، ومن يريدون تحديث مجتمعاتهم عن طريق استقدام مواد الحضارة، مثلهم مثل من يقومون بشراء أشجار خضراء مثمرة من الغرب، ويعملون على غرسها كما هي في أراضيهم البور التي لا استعداد فيها للزرع والنبت، وكلهم ينظر إلى هذه الطفرة في انبهار ولسان حالهم يقول: انظروا إلى تلك الأرض التي كانت بوراً كيف صارت خلال أيام "حديقة مثمرة" أكثر جمالاً من حدائق أوروبا، وليس لها من نظير حولنا؟ وبعد أيام قليلة تجف الأشجار، فهي أشجار لا جذور، ولكن من وجهة نظر هؤلاء ذلك شيء مقدور عليه، مادامت الأموال متوافرة، والوكلاء يشترون غيرها فالمهم أن تشتري وتغرس، وأن يكون لديك على الدوام أشجار تشتريها من الغرب باستمرار، وفات على هؤلاء من دعاة التحديث الشكلي أن التحديث الحقيقي إنما يتطلب حراثة الأرض وتسميدها، وتزويدها بالمياه والبذور، ثم رعايتها بعد غرسها، وتطعيمها بعد أن تُنبت ليتيسر لها النمو. هذه الأشجار التي تنمو على هذا المنوال قد تستغرق عدة سنوات من المتابعة والجهد والعمل والبذل، وتتطلب استعداداً تدعمه إرادة تتميز بالصبر والفكر – هذا هو سبيل "التحديث الحقيقي" ولا سبيل سواه.

لقد أدى الاستسلام لمحاولات التحديث التي جرت على مدى القرن التاسع عشر إلى نمط مشوه من العلاقات العسكرية والسياسية مع الغرب. وفي بدايات القرن العشرين كانت تنظيمات الإصلاح العثماني، وحكومات الاحتلال الاستعمارية قد أقدمت قبيل الحرب العالمية الأولى على إدخال مستجدات، إدارية بيروقراطية، ومبادئ تشريعية وقانونية أوروبية جديدة في المنطقة العربية، لا تمت بصلة للشريعة الإسلامية، لإدارة المجتمع على الصعيدين الاقتصادي والاجتماعي، بينما أدى الهجوم على التقاليد الموروثة والتراث الثقافي إلى مشكلات خاصة تتعلق بمفهوم الجماعة على الصعيد السياسي، كما برزت مشاعر عميقة من الخوف والقلق والاعتراب في ظل مواجهة النظام الأخلاقي الإسلامي للأفكار الليبرالية والعلمانية الوافدة، وما أدى إليه ذلك من نشوب أزمات فكرية حقيقية، وصراع ثقافي حاد بين التيارين "الإسلامي الأصولي" و"العلماني التغريبي" وتعود بداية "الشيزوفرينيا الثقافية" أو الانشقاق الثقافي بين ما هو تقليدي وما هو حديث إلى تجربة إنشاء الدولة الحديثة في عهد محمد علي باشا في مصر والشام، ومن بعده الاستعمار البريطاني والفرنسي للمنطقة، غير أن السبب في ترسيخ هذه الازدواجية في المجتمعات العربية يرجع إلى تبني النخب الثقافية والقومية لها.

كما أن رواد النهضة في مصر والعالم العربي تمسكوا بالنموذج التنويري العصري الذي لم يعد فقط هدفاً في ذاته، وإنما تحول إلى أيديولوجية لها تأثيرها الكبير على كافة التيارات السياسية من رأسماليين واشتراكيين وماركسيين، ونظر هؤلاء إلى الشخصية التقليدية على أنها نقيض الشخصية العصرية التي تدفع المجتمع للأمام، ومن ثم فقد أدت هذه الفجوة الثقافية إلى ترسيخ الشعور بالاستعلاء والانفصال عن الثقافة المحلية التقليدية وانعكست حالة الازدواجية والانشقاق على المجتمع ففي مصر - على سبيل المثال - ظهرت فكرة الدرجة الأولى والثانية في المواصلات العامة والمستشفيات ودور السينما والمسارح لأول مرة في ذلك الوقت، وكانت تقليداً بريطانياً. بينما ظلت المساجد مستثناءة من ذلك بطبيعة الحال؛ حيث ترمز إلى الأصل الإسلامي في التساوي وعدم الطبقيّة، فكان التقسيم

الطبقي المنظم والمقنن في بداياته وافداً من أوروبا، فالخبرة الاستعمارية الغربية تمثل - بكل ما سبقها من مقدمات وما ترتب عنها من تداعيات- "العامل الرئيس" الذي أوجد ظاهرة الازدواجية والانقسام في المجتمع العربي والمسلم على مستوى القيم والمؤسسات وأنماط العيش.

في أعقاب ذلك شكّلت قضية العلاقة بين "الموروث والوافد" إحدى القضايا العربية الأساسية التي لم يتم حسمها حتى الآن - فقد سادها التوتر والصراع الذي أخذ أشكالاً مختلفة وأساليب متعددة، وعندما جاءت النظم التحديثية الثورية في أعقاب الحرب العالمية الثانية، كرد فعل لهزيمة الجيوش العربية في حرب فلسطين سنة ١٩٤٨ - الذي عرف بعام النكبة - انتهجت هذه الأنظمة سياسة تدخل واسعة في الشؤون الاقتصادية، فقامت بتأميم معظم المشروعات القائمة، وقدمت برامج على قدر من الأهمية لتحسين الأوضاع الاجتماعية المتردية في مجالات العمل والتعليم، وكان من شأن سياسة التدخل هذه أن تمت عملية تفكيك سريعة للنظام المؤسسي القديم، وبينما كانت الحكومات الاستعمارية تتعامل برفق فيما يتعلق "بالمسائل الاجتماعية"؛ حيث اهتمت أساساً بالحفاظ على سلطتها ولم يشغلها تغيير المجتمع.

لكن أنظمة ما بعد الاستقلال أوغلت في عملية التحديث، وانتهج سياسة التغريب بصورة شاملة. لكنها في سعيها إلى التحديث وقعت في تناقضين أساسيين: يبدو "التناقض الأول" واضحاً في محاولة تقليد النموذج الغربي للتقدم في صورته المادية فقط دون الأخذ في الاعتبار بروافده الإنسانية الأخرى في الحرية والعدالة والديمقراطية؛ فتم التركيز على قضية "التنمية الاقتصادية" بشقيها الاشتراكي والرأسمالي، لكنها انتهت إلى فوضى من الحداثة المشوهة، وفشل ذريع في إحداث نهضة حقيقية. بينما يكمن (التناقض الثاني) في الإصرار على تجاهل واستبعاد رافد "الإسلام الحضاري" وحرمان عملية التحديث من دوره الحيوي في تحقيق النهوض والاعتماد على الذات، وأدى فشل أنظمة ما بعد الاستقلال في تجربة التحديث على النمط الغربي إلى تدهور الأوضاع السياسية والاقتصادية في العالم العربي الذي بات نهباً لجشع سماسرة الداخل، وأطماع وكلاء الخارج الذين تمكنوا معاً من جعله مستودعاً لنفايات الغرب، ورُكاماً لمخلفاته الصناعية، في ظل توسع غير مسبوق في

الاستهلاك، وفي إطار التبعية لنظام السوق الغربي، دون التفات إلى تداعيات هذا النظام ومآسيه، وما يجلبه من كوارث وأزمات.

ويبقى الأمل في إمكانية حدوث "إصلاح حقيقي" - إصلاح من الجذور وليس مجرد تغيير للقشور لكن ذلك يتطلب قدرة كبيرة على التمييز والاختيار بين "جديد لا ضرر فيه" وبين قديم يمهّد الطريق ولا يعوق التقدم - فالإصلاح الحقيقي يقوم على الجمع والتضافر بين النافع والمفيد من التراث القديم والوفاة الجديد على حدٍ سواء.

التشرد الثقافي والتحديث الغربي:

مع بداية تفكك الدولة العثمانية وتصاعد حركة التحدي الأوروبي في مواجهة العالم الإسلامي منذ منتصف القرن الثامن عشر عرفت المواجهة الحضارية مع الغرب "مواقف واستجابات ثلاثة" بدأت الاستجابة الأولى بحالة تتسم بـ "الصدمة والانبهار؛" حيث فقد العرب والمسلمون ثقتهم بثقافتهم الموروثة، وباتوا مهينين لاستقبال البديل الغربي في الفكر والثقافة، وشهدت هذه الفترة بداية إرسال المبعوثين من أبناء العرب والمسلمين إلى الجامعات والمعاهد الأوروبية للتزود بالعلوم والمعرفة الحديثة، وتمثلت الاستجابة الثانية في "فترة المراجعة" التي كانت بمثابة محاولة لاسترجاع المواقف والأفكار؛ حيث جرت الموازنة والمقارنة والبحث عن وجوه التشابه بين الثقافتين العربية والغربية، في محاولة للتوفيق بينهما. وتأتي الاستجابة الثالثة التي بدأ فيها "الوعي بالذات" والتأكيد على مزايا الإسلام وتفوقه فكراً وثقافة وقيم وأخلاق ومعايير، فضلاً عن إدراك الكثير من المثقفين - ممن بهرتهم حضارة الغرب - وجود ثغرات كبرى في القيم الليبرالية الغربية، وتيقنهم من حالة الخداع التي مارسها الغرب مع العرب والمسلمين تحت مسمى "الديمقراطية" في ظل حالة الاختراق الثقافي والحضاري التي تعرضت لها المنطقة.

لقد حدث الاحتكاك وتمت المواجهة بين العالم العربي والغرب الأوروبي عبر احتكاك غير مباشر مع الدولة العثمانية، وقبلها احتكاك مباشر مع حملة نابليون على مصر والشام، هذا الاحتكاك الذي كان بمثابة صدمة حضارية كبرى أصابت العرب

بسبب الهوة الحضارية التي تفصل بينهم وبين أوروبا الصاعدة غير أنهم سرعان ما أدركوا أنه لابد لهم من الاقتباس عن حضارة الغرب، وجرى الاقتباس بداية الأمر في الميدان العسكري حتى يتمكنوا من حيازة قوة مماثلة للقوة الأوروبية ومن ثم كانت بداية التحديث عسكرية بالدرجة الأولى، لكن تحديث الجيش لم يكن ليتم دون تحديث باقي مؤسسات الدولة ومرافق الحياة فيها، وكان من أكبر تلك المحاولات وأبعدها أثراً محاولة "محمد علي" في مصر - فكانت تجربة مصر التحديثية هي التي ساعدت على وجود محاولات تحديثية أخرى في المنطقة العربية.

في هذه الفترة ظهر رواد التحديث الذين كان لهم الدور الكبير في تشكيل الفكر العربي الحديث وفي مقدمتهم "رفاعة الطهطاوي" و"خير الدين التونسي" وتركزت محاولة الرجلين في وضع معالم "مركب ثقافي جديد" يجمع بين الثقافتين العربية الإسلامية والأوروبية الحديثة في كل موحد، وإذا كانت القوى الأوروبية الكبرى وعلى رأسها بريطانيا قد تمكنت من إجهاض "تجربة محمد علي" في النهضة لإغفال الدور المنوط بأبناء الأمة في حماية إنجازات الدولة الحديثة، إلا أن إنجازاً كبيراً منها لم تتمكن الجيوش الأوروبية من القضاء عليه وتصفيته، ويتمثل في البنى الأساسية والأفكار التي حملتها تلك التجربة.

وإذا كان هناك من المفكرين المعاصرين من ينتقد محاولة "التوفيق" التي بدأها رفاعة الطهطاوي بين قيم الإسلام من ناحية، ومعارف وعلوم الغرب من ناحية أخرى - فإن مرد ذلك يرجع إلى قناعة الطهطاوي بوحدة الحضارة الإنسانية التي جعلته لا يجد حرجاً في أن يأخذ الشرق عن الغرب، ورفضه استمرار تخلف الشرق، بينما يرجع تقدم الغرب إلى العلم الذي يحتاجه الشرق، فقد كان هم الطهطاوي ألا تظل أمم الشرق راكدة في تخلفها، وأن ترتقي على طريق الحضارة، ولقد أثمرت جهوده حين وجدت دعوة "جمال الدين الأفغاني" لتحرير العالم الإسلامي تربتها الملائمة في مصر؛ حيث لم تثمر دعوته في بلاد فارس أو الأستانة أو غيرها، وإنما أثمرت في مصر بفضل البذور التي بذرها الطهطاوي، فكان رواد الأفغاني هم أنجب أبناء مدرسة الطهطاوي الفكرية (محمد عبده، وسعد زغلول، وطلعت حرب) وقد خرج الأفغاني بتلك المدرسة من الولاء للحاكم والسلطان إلى الولاء للشعب، بعد أن تحررت دعوة

المفكر من أسرها في يد الحاكم؛ حيث كان الطهطاوي يدرك تمام الإدراك أن جهده وعمله متعلقان برضاء ولي الأمر في إطار الظروف التي عاشها، ويعرف أن دعوته للنهضة والعمران لا يمكن أن تسير دون عائق ما لم ينل رضا صاحب السلطان حتى يضمن لدعوته حرية الحركة وسعة الانتشار. بينما كان الأفغاني - الثائر بطبعه - صاحب الفضل في هذا التحول الكبير من ولاء المفكر لشخص الحاكم إلى الولاء للأمة.

تيارات الفكر العربي:

كانت قوة التحدي الغربي على المستويين السياسي والحضاري في ذروة هيمنتها على المنطقة العربية بعد السيطرة الفرنسية على دول المغرب، واحتلال بريطانيا لمصر والعراق، وفي أعقاب الحرب العالمية الأولى، تمت السيطرة البريطانية الفرنسية شبه الكاملة على العالم العربي، وحتى عام ١٩٢٤ الذي ألغيت فيه الخلافة الإسلامية، تمكن الغرب تدريجياً من تصفية الكيان العربي الإسلامي الموحد نهائياً - ولأول مرة في التاريخ - وأن يحكم المنطقة حكماً مباشراً ليفرض أسلوبه في الإدارة والتشريع والتعليم ونمط الاقتصاد، وأن يلحقها بدورته الرأسمالية العالمية كمصدر للمواد الخام وسوقاً لمنتجاته المصنعة، فضلاً عن كونها ممراً استراتيجياً لطرق تجارته، ومن ثم تمكنت مؤثراته الحضارية من إيجاد طريقها إلى المجتمعات العربية بقوة واندفاع، دون أن يتاح لهذه المجتمعات حرية الاختيار أو الرفض، وأسفر كل ذلك عن سوء استيعاب للمؤثرات الغربية، بما أدى إلى حدوث ارتباك واضطراب في تلك المجتمعات التي اختل توازنها إلى حد كبير بين "تراثها الموروث" وبين "الوافد الجديد"؛ فبرزت على الساحة ثلاثة تيارات رئيسية (تقليدي وتغريبي وإصلاحي) ضم كل منها ما لا حصر له من الآراء والتوجهات، وكان لكل تيار من هذه التيارات موقف في مواجهة معضلة الحضارة الغربية.

التيار التقليدي: حيث يعتقد أصحاب هذا التيار أن التمسك بالتراث بكل أبعاده وجوانبه، هو القادر على مواجهة الطغيان الحضاري الغربي؛ فنظروا إلى التراث باعتباره أمراً مقدساً في مواجهة الحداثة، معتقدين أنه بالإمكان العيش في إطار

التقليد الموروث عن سلفهم، وإغلاق الأبواب في وجه حضارة الغرب وثقافته، فلم يتمكنوا من الصمود بعد اجتياح الطوفان الغربي للمجتمعات التقليدية، دون مسعى من جانبهم لمواجهة هذا الاجتياح في ظل حالة عدم التوازن هذه، وعدم تهيئة المجتمع لقبول حضارة الغرب على وجه مدروس، ومن ثم فقد وجد المجتمع التقليدي نفسه في ورطة مضاعفة.

التيار التغريبي: اندفع أصحاب هذا التيار في الترويج لظاهرة "الحضارة الغربية" عبر نظرة سطحية لإنجازات هذه الحضارة، دون تأمل أو تفكير في أساس حضارة الغرب وثقافته، وتسببت تصوراتهم في اتساع الهوة بين التراث والحداثة معتقدين أن معضلة مجتمعاتهم تكمن فقط في قبول الحضارة الغربية، وعمد هؤلاء إلى تحقير التراث والاستهزاء به، بدلاً من تحليله ونقده وفهم دلالاته، متجاهلين نفوذه وسيطرته المتأصلة في حياة الناس؛ ففشلوا في العثور على لغة مشتركة أو قاسم مشترك يربطهم بمجتمعاتهم، وراحوا يطالبون بالأخذ بالثقافة الأوروبية، كما لو كانت أوروبا مجرد نظريات وفلسفات، وليست مجتمعات بشرية وصلت إلى نظرياتها، وحققت فلسفاتها من خلال تجارب بشرية وأزمات معيشية، وحركات إصلاحية وثورات شعبية متعددة.

التيار الإصلاحية: استهدفت "الدعوة الإصلاحية" بالدرجة الأولى؛ تجديد الدين، وفتح باب الاجتهاد من جديد؛ حيث يرى دعاة الإصلاح أن المجتمع الإسلامي الذي يزعم أنه يطبق الشريعة الإسلامية لا يفهم الإسلام كما ينبغي، لما يعانيه من جمود وتخلف، وقد تبنى هذه الدعوة جمال الدين الأفغاني، وتلميذه الشيخ محمد عبده، وينطلق الإصلاحيون في عملهم من مبدأين: الأول: العمل على إحياء الهوية الثقافية والتاريخية للأمة من خلال العودة إلى الذات، والثاني: النظرة الموضوعية في التعامل الإيجابي مع معطيات الحضارة الحديثة والحذر في ذات الوقت من نزعة الغرب الاستعماري التوسعية. فالإصلاحيون يفرقون بين "الغرب الحضاري" الذي يجب الأخذ عنه من علوم وأفكار وبين "الغرب الاستعماري" الذي ينزع إلى الهيمنة والسيطرة وتجب مواجهته، غير أن تيار الإصلاح انقسم على نفسه، وافتقر إلى وحدة الرأي حول "الذات" التي ينبغي العودة إليها، والافتقار كذلك إلى تحديد ماهية

أبعاد الحياة الغربية الحديثة التي يجب اقتباسها وتمثلها، فضلاً عن تضارب الكثير من الآراء المختلفة، بل والمتضادة أحياناً فيما يخص التوجه الإصلاحى الواسع. وتظل جهود الإصلاحيين محل تقدير رغم اضطراب وسطحية أفكار بعض من ينتسبون لهذا التيار؛ فقد كان منهم قادة للفكر تحملوا العنت والمشقة في سبيل إيجاد مخرج من الأزمات التي تواجه مجتمعاتهم، ويحسب لهم أنهم كانوا أكثر وضوحاً عند مقارنة أسلوب عملهم مقارنة بأساليب التقليديين المعادين للغرب، أو الموالين له من المتغربين. وبعد عزلة التقليديين وانضواء كثيرين منهم تحت لواء تيار الإصلاح نظراً لما اتسموا به من جمود، وخروجهم من معادلة كيفية مواجهة مؤثرات الحضارة الغربية بات لدينا تياران أو موقضان رئيسان اشتدت بينهما حدة الصراع، نظراً لتصلب المواقف وانعدام الفهم لمتطلبات النهوض؛ فأنصار التجديد والإصلاح الديني ساروا في طريق، وأنصار الأخذ بالثقافة الأوروبية ذهبوا في طريق آخر؛ فأصيب المجتمع بالازدواج والانشطار الثقافى الذي لا يسمح بتطوير سليم لهذه الثقافة أو تلك، وكان من أخطر وسائل العلاج لهذا الازدواج تلك "الدعوة التوفيقية" للتوفيق بين الثقافتين (ثقافة عربية إسلامية، وثقافة غربية)، وهي دعوة شديدة الغموض لم تفلح في أغلب الأحوال إلا في إيجاد "مثقفين انتهازيين" يستطيعون الحديث بلغة مزدوجة وبوجهين متقابلين: "وجه إسلامي" حيناً، و"وجه أوروبى غربى" حيناً آخر دون أن تكون هناك أصالة حقيقية لهذا الوجه أو ذاك.

الموقف من التراث:

إذا كانت "قراءة التراث" هي بمثابة قراءة للماضى من وجهة نظر الحاضر، فإن "العودة للتراث" يجب أن تهدف إلى التعرف على ما فيه من قيم وأصول فاعلة يمكن الاستفادة منها والبناء عليها في مسيرة التحرر الفكري والنهوض الحضارى، فالغرب الأوروبى انطلق في بناء نهضته الحديثة بالعودة إلى تراث اليونان والرومان، فقد استيقظ الغرب بفضل عودته إلى تراثه القديم؛ إذ عاد مفكرو عصر النهضة إلى "التراث اليونانى الفكرى" وإلى "تراث روما الاجتماعى" حتى تمكنت أوروبا من تشييد صرح "الحضارة الغربية الحديثة" معتمدة في ذلك على تراثها وماضيها التاريخى

والأخذ في الوقت نفسه بأسباب التطور. غير أن التراث لا يمتلك في ذاته قيمة مطلقة، فقد يكون التراث حافزاً على التغيير، أو حائلاً دون ذلك كعامل من عوامل شيوع الجمود والركود، فإذا أجمعت إرادة أمة على إصلاح وتجديد أحوالها، فعليها البدء في التعرف على وجودها وشخصيتها من خلال فهم تراثها الذي يعبر عن هويتها التاريخية لتكون لها بمثابة نقطة الارتكاز والحافز على الانطلاق.

لقد جرت المواجهة بين الثقافة العربية والثقافة الغربية في مرحلة ضعف الأمة العربية الإسلامية، ووقوعها في براثن الغرب الاستعماري بعد سقوط الإمبراطورية العثمانية في الربع الأول من القرن الماضي، وعمد رجال عصر النهضة إلى قراءة التراث العربي الإسلامي وتوظيفه في مسيرة النهوض في ظل تفوق الفكر الغربي والاعتراف بمركزيته التي تجلت في هيمنة القراءة الاستشراقية للتراث؛ فكانت قراءة عصر النهضة للتراث هي قراءة الصدام والمواجهة مع الغرب، ومن ثم كان المثقف خاضعاً للشروط نفسها التي قرأ فيها التراث.

وإذا كانت الذات الثقافية غير قادرة على إدراك حقيقتها إلا في مرآة الآخر بمواجهته والحوار معه، كما كان شأن أسلافنا مع ثقافات وحضارات عصرهم، فتمكنوا من خلال هذا الحوار أن يصوغوا ثقافتهم وحضارتهم، فعندما كان العرب واثقين بأنفسهم نجحوا في صياغة منظومة فكرية قوية متماسكة، وسمحت لهم هذه الثقة بالنفس - على مدى عدة قرون - باستيعاب وهضم وتجاوز غيرهم، وأن يضيفوا لمجمل الحضارة الإنسانية زاداً جديداً أفادت منه أوروبا فيما بعد وقامت عليه نهضتها الحديثة. بينما نجد المشهد الثقافي العربي اليوم مرتبكاً ومأزوماً ليس فقط بخصوص كيفية التعامل مع حضارة الغرب، بل ومنقسماً في نظرته للتراث الثقافي للأمة؛ حيث يسود المشهد الآن تياران متصارعان: الأول: يتعامل مع ثقافة الغرب بوصفها ثقافة التحضر التي ينبغي تقليدها في أبعادها المادية والمعنوية كافة، والأخذ بمنهجها دون حوار أو مناقشة، ودون وعي بحقيقة التمايز الثقافي، والقفز على طبيعة التحديات والأزمات التي تواجه الفكر والثقافة في الواقع العربي. والثاني: على النقيض من التيار الأول؛ فهو يخشى على هويته من الضياع في مواجهة غير متكافئة مع الغرب؛ فيلجأ للتراث محتمياً به حفاظاً على مقومات

وجوده، ويذهب به الأمر إلى حد تبني مفاهيمه واجترار مقولاته دون إدراك أن تلك المفاهيم والمقولات لم تكن إلا تعبيراً عن هموم عصرهم وتحديات واقعهم. غير أن كلا التيارين لا يقفان دائماً موقفاً التضاد والمواجهة، فأحياناً نجد بعض رموز التيار التغريبي "نظرات في التراث" تدعو إلى الإغلاء من شأنه، وكأنها دفاع عن الاتهام الموجه لها بالاغتراب. وفي الجهة المقابلة نجد بعض ممثلي "تيار الأصالة" ينزعمون إلى الظهور بمظهر المتفتحين على تراث الغرب وفهم مقولاته وتصوراتهم معلنين عن اكتشافهم بأن التراث العربي الإسلامي يشتمل على كل ما جاء به الفكر الغربي، ولكن يبقى للتراث العربي الإسلامي فضل السبق، وتؤدي محاولات التلفيق من جانب كلا الاتجاهين إلى إهدار ظروف الواقع الراهن وتجاهل الحاضر إما بالتوجه ناحية الغرب أو الالتفات صوب الماضي حيث تراث الأجداد، ويتجاهلان أن "ثقافة الغرب" المعاصرة تمثل لنا تراثاً مغايراً لا يمكن فهمه دون معايشة الوعي الذي ساهم في تكوينه، والتعرف على الظروف التاريخية التي أدت إلى تشكيله على نحو ما هو عليه الآن.

وإذا كان نقد التراث وإعادة صياغته أمراً ضرورياً لكونه شأنًا إنسانياً عرضة للتغيير نتيجة تأثره بالظروف الاجتماعية والتاريخية، فإنه قابل للنقد بمعنى التخلي عن الفهم المغلوط للتراث من خلال التحرر من الرواسب التراثية في عملية فهمنا له؛ لأنه يجب علينا أن نحتوي التراث عبر فهم وإدراك أبعاده ومرامييه، وإذا كان تراث الماضي شأنه شأن الحاضر ليس خيراً كله ومزيجاً من الخير والشر فإن للتراث "جوانبه الإيجابية" في مجالات الفكر والثقافة والاجتماع والعلوم والفنون والآداب، التي يمكن تطويرها واستلهاها في إعادة بناء الذات للخروج من محنة التخلف، وتحديث المجتمع على قاعدة تراثه الإيجابي الأصيل. بينما تكمن "سلبيته" في "ميراثه السياسي" القائم على الغلبة والاستبداد بالحكم، وممارسات تتصف بالظلم والقهر والفساد، في ظل صراعٍ دامٍ ومتواصلٍ على السلطة، وما صاحب هذا الصراع من قمع ويطش وتنكيل بالمعارضين، فضلاً عن اضطهاد وتهميش المخالفين في الرأي من المفكرين والعلماء والفقهاء المجتهدين، وما أدى إليه كل ذلك من تفكيك

للدولة وإنهاك للأمة، ومن ثم قابلية السقوط في براثن الاحتلال الغربي وفرض التبعية من جانب القوى المهيمنة - ثقافياً وحضارياً.

وتبدو "إشكالية نقد التراث" جليّة في تأكيد الدكتور "عبد الغضار مكاوي" أن الفكر العربي المعاصر لن يستطيع عبور محنته الراهنة ما لم يصبح "فكراً حراً"، ومن مقومات هذه الحرية أن يتجرأ على الكشف عن جذور حرّيته، وأصول أزماته الممتدة في تراثه الماضي، ومظاهرها المختلفة الغالبة على حاضره، والمعوقة لمسيرة مستقبله، ومحدراً من المعاني السلبية لاستلهام التراث، حتى لا يصبح مجرد عملية تسويق للواقع بما فيه من فقر، أو لوناً من ألوان التباهي والتفاخر للهروب من جسامه تبعات الحاضر، وسبيلاً لتخلي الأمة عن زمانها لتتحيا في زمان آخر.

دور الشرطة المجتمعية

في تحقيق الأمن الفكري والسلام المجتمعي

النقيب/ محمد أبو النجا

مقدمة :

نجحت تجارب العديد من دول العالم المختلفة التي أخذت بمفهوم الشرطة المجتمعية وعملت على تطبيقه ونجحت في الوصول إلى نتائج جيدة جعلت من الجميع مشاركاً ومسئولاً عن أمن مجتمعه الذي هو جزء لا يتجزأ من أمنه الشخصي.

وهناك عدة نماذج، أخصها تجربة إنجلترا وأمريكا وأستراليا وفنلندا وانتهاءً بتجربة إمارة دبي، ويوجد آليات متعددة أدت إلى نجاح تلك المنظومة الأمنية مما تدنى معه معدل الجريمة في تلك الدول.

لقد نجحت تلك الدول في ترسيخ وتعزيز الوعي بالقيم الإنسانية والوطنية ومبدأ المواطنة والعمل على تطوير العمل الاجتماعي والإنساني في جهاز الشرطة، وتفعيل الدور الوقائي وسط المجتمع وإشراك المجتمع بكل فئاته في تحمل مسؤوليته لحفظ الأمن وإزالة الحاجز النفسي الواقع بين المواطن وأفراد الشرطة النظامية، وقد نجح أفراد الشرطة في فتح قنوات اتصال بين الشرطة والمجتمع وطوروا آليات عمل أصدقاء الشرطة والعمل التطوعي والخدمي في مجال الأمن، ونجحوا في أن يكون للمجتمع دور بارز ومؤثر في منع الجريمة قبل وقوعها، والتعامل السريع والمباشر مع الجرائم والقضايا التي لا تصل إلى الشرطة (جرائم الظل).

وأيضاً نجحوا في وضع صورة جديدة لجهاز الشرطة النظامية تتيح للمواطنين إبداء الرأي في احتياجات المجتمع من المجهودات الأمنية والخدمات المقدمة منهم ميدانياً.

ونجحوا في رفع كفاءة ومسئولية شبكة الاتصالات لدى الأجهزة الأمنية وهيئات المجتمع لتلقى البلاغات والمعلومات عن الجرائم ومرتكبيها قبل حدوثها.

ونرى أن خلاصة هذه التجارب تحتم علينا الأخذ منها بما يناسب ظروف المجتمع المصري وفقاً لدرجة ثقافته وتركيبته الاجتماعية والاقتصادية بأن تبادر الحكومة المصرية ممثلة في الوزراء المعنيين بهذا الأمر - منهم على سبيل المثال: وزير الدفاع ووزير الداخلية ووزير التعليم ووزير الاتصالات ووزير الشباب ووزير الأوقاف ووزير الحكم المحلي- إلى سرعة العمل على التعاون معاً لتهيئة الجو المناسب للتعاون بين أفراد المجتمع وخاصة في مجال الشرطة المجتمعية.

أوقن بأن الأخذ بتلك التلابيب سوف يؤدي حتماً إلى إدماج الشرطة في المجتمع، واشتراك المجتمع في جهود الشرطة، بما ينعكس حتماً على عمليات مكافحة الجريمة وانخراط أفراد المجتمع في أعمال الأمن، فالشرطة لا يمكنها منفردة تحقيق الأمن لمواطنيها، ولا تستطيع العمل في معزل عن المجتمع، فلا بد أن يعي الجميع أن هناك مصالح مشتركة تتمثل في تحقيق الأمن، فالمواطن له مصلحة أن تستقر الأوضاع الأمنية، والشرطة كذلك، ولا يتأتى هذا إلا عندما تتوافر الثقة بين الطرفين، وعندما يعي كلاهما أنه في حاجة ماسة لمجهودات الآخر.

لا بد أن يعي المجتمع خطورة وضرورة اعتبار الوقاية من الجريمة هدفاً قومياً تركز له الجهود وتُنشأ له المنظمات والهيئات والجمعيات الكفيلة بتحقيقه، خاصة أن عدم توقي الجريمة والحد منها سيسفر حتماً عن عرقلة وتعثر جهود التنمية بكافة أشكالها ويقوض الخطط الاقتصادية والاستثمارية للدولة. أفيقوا يا سادة وخذوا من العالم ما انتهى إليه وحقق به نجاحات كثيرة، فلا عيب علينا إن أخذنا عن الغير ما نجح هو فيه، لكن العيب كل العيب أن نستهزئ بتجارب الآخرين التي أبدعوا في ابتكارها وأثبتت نجاحات كبيرة على أرض الواقع. فتقليد الناجح واقتباس آليات نجاحه أفضل من المكابرة والسير بآليات أثبتت فشلها ولم نجن منها إلا مزيداً من الفشل والخسارة.

في ضوء ما سبق سوف نتناول تلك الدراسة من خلال عدة محاور على النحو التالي:

المحور الأول : التعريف العام للأمن وأقسامه

المؤتمر الدولي العاشر

[دور العلوم العربية والإسلامية في تكريس الأمن الفكري وتحقيق السلام المجتمعي]

المحور الثاني : الشرطة المجتمعية

المحور الثالث : الحريات الأساسية والفكرية

المحور الرابع : العلاقة بين أجهزة الشرطة والرأي العام وسبل توطيدها:

المحور الأول: التعريف العام للأمن وأقسامه

أولاً: تعريف الأمن لغةً :

أ. ما يدل معناه على السكون القلبي والهدوء النفسي:

قال ابن فارس: " الهمزة والميم والنون أصلان متقاربان: أحدهما الأمانة التي هي ضد الخيانة، ومعناها سكون القلب، والآخر التصديق" (١).

وقيل: " الأمان والأمانة بمعنىً وقد أمنتُ فأنا آمن، وأمنت غيري من الأمان والأمان... والأمن ضد الخوف" (٢).

وقيل: " الأمان والأمان: كصاحب، ضد الخوف، أمين كفرح أميناً وأماناً بفتحهما، وأماناً وأمانةً محركتين، وإمناً بالكسر، فهو أمين وأمين كفرح وأمير، ورجل أمانةً كهزمة ويحرك يأمنه كل أحد في كل شيء" (٣).

ب. ما يدل معناه على الثقة والطمأنينة.

قال الزمخشري " فلان أمانةً أي يأمن كل أحد ويثق به، ويأمنه الناس ولا يخافون غائلته" (٤).

وقيل: "إن الأمان والأمانة بمعنى، وقد أمنتُ فأنا أمين، وأمنت غيري من الأمان والأمان. والأمن ضد الخوف، والأمانة ضد الخيانة... والمأمن: موضع الأمان، والأمان: المستجير ليأمن على نفسه" (٥).

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هاروندار الجبل - بيروت - لبنان - ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، الطبعة: الثانية، (١/١٣٣).

(٢) انظر: مختار الصحاح، لمحمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، تحقيق: محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون - بيروت - ١٤١٥ - ١٩٩٥، الطبعة: طبعة جديدة، (٥/٢٠٧١).

(٣) انظر: القاموس المحيط، لمحمد بن يعقوب الفيروزآبادي، مؤسسة الرسالة - بيروت (٤/١٩٧).

(٤) انظر: أساس البلاغة، لأبي القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي الزمخشري، دار الفكر - ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م، ص: ١٠.

(٥) انظر: لسان العرب، لمحمد بن مكرم بن منظور الأفرريقي المصري، دار صادر - بيروت، الطبعة: الأولى، (١/١٠٧).

ومن خلال ما تقدم من معاني لغوية يتضح لنا أن كلمة الأمن لها عدة

إطلاقات:

فهي تعنى الطمأنينة وعدم الخوف، أو الثقة والهدوء النفسي، إضافة إلى راحة القلب وعدم وقوع الغدر أو الخيانة من الغير.

ثانياً: تعريف الأمن اصطلاحاً :

تباينت التعريفات الاصطلاحية للأمن لتباين المشارب السياسية والتنوع في النظرة واختلاف التصورات بين الكتاب والعلماء وخبراء السياسة والأمن، لكنها في المحصلة تصب في معين واحد وتسعى لتحقيق هدف مشترك يتفق عليه جميع الأطراف وهو توفير حياة كريمة هانئة يعيش فيها الفرد بأمن وسلام، وفيما يلي أهم تعريفات الأمن في الاصطلاح:

- هو تأمين سلامة الدولة ضد أخطار خارجية، وداخلية قد تؤدي بها إلى الوقوع تحت سيطرة أجنبية نتيجة ضغوط خارجية أو انهيار داخلي^(١).
- تأمين الدولة من الداخل ودفع التهديد الخارجي عنها، بما يكفل لشعبها حياة مستقرة توفر له استغلال أقصى طاقاته للنهوض والتقدم والازدهار^(٢).
- الإجراءات الأمنية التي تُتخذ لحفظ أسرار الدولة وتأمين أفرادها ومنشأتها ومصالحها الحيوية في الداخل والخارج. والإجراءات الأمنية تتطلب درجة عالية من التدريب واليقظة والحذر والمهارة، للوقاية من نشاط العدو المتربص^(٣).
- هو عكس الخوف مطلقاً، أي حالة الطمأنينة التي تسود المجتمع نتيجة الجهد المبذول من أولي الأمر، في شتى الممارسات الحياتية، لتحقيق الأهداف الإستراتيجية والتكتيكية، ومنع الأعداء من محاولات الاختراق لتلك

(١) موسوعة السياسة، د. عبد الوهاب الكيالي وآخرون ١/٣٣١.

(٢) انظر: الأمن القومي العربي واستراتيجية تحقيقه، اللواء عدلي حسن سعيد، ص: ١١.

الأهداف، أو وسائل تنفيذها وأدواتها، والسيطرة التامة على السياسات الموضوعية، وبالتالي تكريس النجاح تلو النجاح، وإحباط مؤامرات الماكين^(١)

• وقيل: " هو مجموعة القواعد والوسائل الشرعية التي تطبقها الحركة لتكتسب القوة وتحقق لنفسها الحماية الداخلية والخارجية من الأخطار الواقعة والمحتملة"^(٢).

ومن خلال ما تقدم من تعريفات، يمكن الخروج بخلاصة لتعريف الأمن في الاصطلاح: بأنه مجموع الإجراءات والتدابير التي تتخذها الدولة أو التنظيمات لحماية أفرادها من أي خطر يتهدها سواء كان داخلياً أو خارجياً بما يكفل لشعبها حياة حرة كريمة هانئة ومستقره.

أقسام الأمن:

إن أفضل ما وقفت عليه في تقسيمات الأمن ما ذكره محمد نور الدين شحادة؛ حيث فصل القول في ذلك حين قسم الأمن إلى ثلاثة عشر نوعاً^(٣) هي:

الأول- أمن الدولة:

ويعني مجموع الإجراءات التي من شأنها حماية النظام الفكري من جهة، والنظام الاقتصادي من جهة أخرى، باعتبارهما ضمانات قيام الدولة المستقلة، والتي تستطيع بناء مؤسساتها المختلفة والتي تقوم بحماية نظامها العام.

الثاني- الأمن الاقتصادي:

ويعني مجموع الإجراءات (الخطط) التي على الدولة تبنيها لتحقيق القدرة المالية المستقلة الفاعلة، والناجمة عن صناعة متطورة، وتجارة منافسة، وزراعة ملائمة ضمن نظام مالي واستثماري واعد ينطلق من المفاهيم الفكرية السائدة، والمعلومة التقنية المتطورة والمستمرة

(١) انظر: مفاهيم استخبارية قرآنية، لمحمد نور الدين شحادة، مكتبة الرائد العلمية عمان، الأردن ١٩٩٩م ص: ٣٠.

(٢) انظر: كيف نفهم الأمن، لسعيد بن سليم، ص: ٨.

(٣) - انظر: مفاهيم استخبارية قرآنية، ص: (٣١ - ٣٤)

الثالث- الأمن الغذائي:

ويعني مجموع الإجراءات (الخطط) التي على الدولة اتخاذها لتأمين المجتمع بكافة احتياجاته الغذائية الأساسية، وفي كافة الظروف وضمان عدم ربط المجتمع بخطط لا يستطيع السيطرة عليها، أو تأثر تلك الخطط بظروف غير محسوبة.

الرابع- الأمن الاجتماعي:

ويعني مجموع الإجراءات (الخطط) التي على الدولة اتخاذها لتأمين المجتمع، وبكافة أفرادها، بوسائل العمل والإنتاج والمساهمة في استغلال كامل الطاقات المختلفة، لتحقيق القدرة على الحياة بكرامة، وفي الوقت نفسه حماية المجتمع من وسائل عمليات التخريب والتي تؤدي إلى الفساد والإفساد.

الخامس- الأمن المادي:

ويعني مجموع الإجراءات التي من شأنها حماية المجتمع بكل ما فيه من مظاهر محسوسة ومكونات طبيعية أو غير طبيعية، كالأرض والجو والمياه الإقليمية، والدولة ومؤسساتها، كالإنسان ودائرته، ومصادر القوة والإنتاج، والبيئة والصحة والتطوير.

السادس- الأمن المعنوي:

ويعني مجموع الإجراءات التي من شأنها حماية فكر المجتمع وطريقة تفكيره والوصول بالإنسان فيه إلى الالتزام بالفكر والممارسة من منطلقاته، وتكريسه مظهرًا فكرياً واعياً متفانياً في إيمانه وحمله بثقة وقوة.

السابع- الأمن الوقائي:

ويعني مجموع الإجراءات التي تتخذها الدولة - المؤسسات والأفراد- داخل مجتمعها لمنع وقوع الجريمة والداخلية في نطاق الأمن المادي والمعنوي.

الثامن- الأمن الهجومي:

مجموع الإجراءات التي تتخذها الدولة - المؤسسات والأفراد - داخل مجتمعها، أو ضد الأهداف المعادية في الخارج، لإحباط مخططاتها الموجهة ضد أمن المجتمع عن طريق اختراقها، وعدم تمكينها من تنفيذ تلك المخططات.

التاسع- أمن العمليات:

ويعني مجموع الإجراءات التي يتخذها الجهاز الأمني لضمان نجاح العمليات التي يقوم بها، تشمل إجراءات أثناء التنفيذ، أي فيما يتعلق بواجبات كل فرد ودوره في العملية، والإجراءات بعد التنفيذ، أي فيما يتوجب عمله على ضوء نتائج التنفيذ والاحتمالات المتوقعة وكيفية معالجتها

العاشر- الأمن الشخصي:

ويعني مجموع الإجراءات الواجب اتخاذها من قبل الأشخاص العاملين في مجال الأمن لضمان حمايتهم الشخصية، وحماية أجهزتهم وأهدافهم ونشاطاتهم، وفي الوقت نفسه التأكد من عدم الوقوع في ثغرات مسلكية أو مهنية تعرضهم للخطر.

الحادي عشر- أمن المعلومات:

ويعني مجموع الإجراءات الواجب اتخاذها من قبل الأجهزة الأمنية أو غيرها للمحافظة على سرية المعلومات، وضمان وصولها إلى الجهات المختصة فقط، وفي الوقت المناسب، وضمان عدم وقوعها في أيدي الأعداء أو الأصدقاء على حدٍ سواء.

الثاني عشر- الأمن الاستخباري:

ويعني جميع الإجراءات - فعل أو امتناع - التي يجب اتخاذها لحماية العنصر الاستخباري، والجهاز الاستخباري، والعملية الاستخبارية، ويشمل الأمن الشخصي، وأمن الأماكن والعقارات والأدوات والمعلومات والعمليات والجهاز نفسه، واختراق الأجهزة الاستخبارية المعادية والصديقة والوقوف على نشاطاتها واستثمارها.

المحور الثاني الشرطة المجتمعية:

التطورات التي شهدتها العالم في العقود الأخيرة، بفعل ثورتي الاتصالات والمواصلات وتكنولوجيا المعلومات، قد انعكست على كل الأنشطة الإنسانية بإيجابياتها وسلبياتها، ولم تكن الجريمة - كظاهرة اجتماعية - بمنأى عن هذا التطور، بل كان لها نصيب واضح ومؤثر على المجتمعات الإنسانية كافة، وكذلك الثورتين اللتين مرت بهما البلاد أدى ذلك كله لانبعاث البلطجة والخروج عن القانون بكل صوره مما جعل الوضع الأمني والحفاظ عليه من قبل جهاز وزارة الداخلية أمراً مرهقاً للغاية.

فكلمة الحرية لها بريقها وسحرها عندما نسمعها؛ لارتباطها الوثيق بحياة كل إنسان، بحيث أصبحت تؤثر تأثيراً كبيراً على حياته الشخصية، ومن ثم فقد كان لهذه الكلمة دورها الكبير في سقوط كثير من الضحايا، وفي اشتعال كثير من الحروب^(١).

وفي مواجهة هذا التغير وللتعامل مع الاتجاهات الفكرية الجديدة والحرريات، تطورت أجهزة الشرطة - في جميع أنحاء العالم - وتقدمت بالقدرة الذي يسمح لها بمواجهة كل أشكال الجريمة من حولها، مجتهدة في تحقيق سبق في صراعاها الدائم والمستمر مع الجريمة والمجرم، ويات واضحاً لدى الخبراء ورجال الأمن في كل دول العالم أن ظاهرة الجريمة من المستحيل مواجهتها بالجهود الأمنية منفردة مهما كانت قوتها وعددها، وأثبتت التجارب الإنسانية، أن الجريمة قضية يُعنى بها كل أفراد المجتمع ومؤسساته، ومن ثم أصبح من الضروري أن يقف المجتمع كله في مواجهتها، وأن إجراءات الوقاية منها يجب ألا تقف عند الإجراءات التقليدية التي تضطلع بها أجهزة الشرطة والعدالة الجنائية، بل أن الأمر يقتضى استحداث أساليب أخرى مدعمة وفاعلة، تسير مع إجراءات الوقاية التقليدية.

(١) - د. سعاد الشروقاوي: نسبة الحرريات العامة وانعكاساتها على التنظيم القانوني، دار النهضة العربية، طبعة ١٩٧٩م، ص ٣.

وهذا يؤكد أنه كما لرجال الشرطة دور فى الحفاظ على الحالة الأمنية، فإن للجمهور وللمواطنين المقيمين على أرض واحدة وداخل بلدة واحدة دوراً في غاية الأهمية فى رصد وردع الجريمة لا يقل أهمية عن إجراءات الشرطة، ومن ثم أصبحت الدعوة لمشاركة كل أفراد المجتمع وهيئاته ومؤسساته فى مكافحة الجريمة، أمراً تقتضيه طبيعة المرحلة، وتفرضه متطلبات التنمية الداخلية بالبلاد.

ومن هنا ظهرت جلياً فكرة الوصول لمفهوم "الشرطة المجتمعية" للتأكيد على المسئولية المجتمعية فى مساعدة قوات الأمن لمواجهة الجريمة وأعمال البلطجة، ووقاية المواطنين منها بشكل يصل لأعلى مستويات الأمن والأمان، وهذه الفكرة أيضاً تؤدي إلى ما هو أبعد من الحفاظ على الأمن، بل تساعد فى التقارب والتفاهم بين أفراد المجتمع ومؤسساته، مع أجهزة تنفيذ القانون وتحقيق العدالة، انطلاقاً من مبدأ أساسى يجعل من ذلك مسئولية مشتركة بين كل هذه الأطراف، "رجل الشرطة - المواطن - القضاء - الحكومة بأكملها".

والشرطة المجتمعية هى جهاز شرطى يسعى للتواصل والتفاعل مع مختلف عناصر المجتمع وفعالياته ترسيخاً لمفهوم المشاركة بين رجال الشرطة وفئات المجتمع المختلفة، وحل المشاكل من خلال هذه الشراكة البناءة والسعي لتحقيق الأمن الاجتماعى والحد من الجريمة ومواجهتها من خلال البرامج التوعوية والتثقيفية. وتؤكد الاتجاهات البحثية المعاصرة فى مجال مكافحة الجريمة فى المجتمعات المختلفة ضرورة الاهتمام بدور المواطنين فى دعم رسالة أجهزة الشرطة، فالأجهزة الأمنية مهما بلغت من إمكانيات بشرية وتكنولوجية ومالية لا تستطيع بمفردها أن تتحمل مسئولية تحقيق الأمن للمجتمع والأفراد وحمائتهم من الجريمة، وبالتالي يتعاظم دور الأفراد فى تحقيق مشاركة فعالة لأجهزة الشرطة لضمان تحقيق الأمن للمجتمع وأفراده^(١).

(١) مدحت الحموي: الجمهور هو رجل الأمن الأول (القاهرة: معهد القادة - أكاديمية الشرطة، ١٩٩٣)،

ما هي الشرطة المجتمعية؟

هي قوة أمنية شعبية تعتبر وسيطاً بين المؤسسة الأمنية (مراكز الشرطة) وبين مؤسسات ونخب المجتمع، مهمتها التواصل والتفاعل لهدف تحقيق أكبر قدر من المشاركة الحقيقية بين الشرطة والمجتمع في تحمل المسؤوليات الأمنية على وفق مفهوم الأمن الإنساني الشامل. إن الشرطة المجتمعية وسيط تفاعلي وتواصلية بين الشرطة والمجتمع لخلق التعاون الوثيق بين رجال الأمن ورجال الفكر والثقافة والمربين وأفراد وهيئات المجتمع بهدف خلق حالة ثقافية من الأمن الاجتماعي .

أهداف "الشرطة المجتمعية" في مصر:

تشمل فكرة تطبيق "الشرطة المجتمعية" بالبلاد عدة أهداف مهمة على الصعيد الأمني، حيث تؤدي للعمل على احترام القوانين واللوائح المعمول بها في البلاد وترسيخ مبادئ حقوق الإنسان، وتنمية مفهوم الشرطة المجتمعية لدى العاملين في جهاز الشرطة وأفراد المجتمع ومؤسساته، وتعمل على تثبيت ودعم قيم المجتمع الإيجابية، ومحاربة العادات والسلوكيات الضارة فيه، وتحسين الصورة الذهنية للشرطة لدى أفراد المجتمع من أجل الوصول إلى أعلى درجات الثقة بينهما . كما تساعد أيضاً في تنمية روح التعاون والمسئولية المشتركة وزيادة التقارب بين رجال الأمن وأفراد المجتمع، وتنمية الحس الأمني وخلق ثقافة أمنية لدى أفراد المجتمع من خلال توظيف واستثمار الطاقات والقدرات المتاحة في المجتمع، ومعالجة المشكلات والخلافات الأمنية البسيطة التي يمكن حلها بالطرق الودية التي يسمح القانون بها، وتعزيز الجهود المبذولة في مجال مكافحة الجريمة والوقاية منها، وذلك بإشراك أفراد المجتمع في الإبلاغ عن السلوكيات الخاطئة والمخالفات الأمنية.

وتهدف الشرطة المجتمعية إلى التعامل مع مختلف الحريات، فمفهوم حرية التعبير يختلف اختلافاً كبيراً من نظام سياسي إلى آخر بحسب ما يقوم عليه هذا النظام من مبادئ وما يؤمن به من حريات، فالحريات العامة في الديمقراطية الغربية تختلف في مفهومها وحقيقتها عن الحريات العامة في الديمقراطيات الماركسية

حيث لا يوجد في النظام الأخير شئ يتعلق بحقوق الفرد وحياته بعيداً عن تناول سلطان الدولة، بحيث عليها أن تتدخل في جميع جوانب الحياة^(١).

وقد سميت الحريات بمسميات وأوصاف مختلفة، فتارة تسمى بالحقوق والحريات الفردية علي أساس أنها مقررة ليتمتع الفرد بها، وتمييزاً لها عن الحقوق السياسية التي تعني وضع السلطة في يد الشعب وتارة أخرى يطلق علي الحقوق والحريات العامة بالحريات المدنية، وذلك باعتبار أن الفرد عضو في جماعة مدنية منظمة^(٢).

وتهدف - كذلك - الشرطة المجتمعية إلى تأسيس قاعدة بيانات شاملة، لمتابعة ودراسة وتحليل الظواهر والمستجدات الأمنية في المجتمع، وتمكين الأسرة والمؤسسات العامة والخاصة والمجتمع المدني من دورهم الوقائي للحد من الجريمة وانتشارها، والمساهمة في تطوير آليات العمل التطوعي وأصدقاء الشرطة في المجتمع ودعم أعمال مجالس الشرطة لخدمة المناطق، وتقديم النصح والإرشاد وتهئية روع ضحايا العنف الأسرى، وتهيئتهم للحياة الطبيعية والاندماج في المجتمع.

اختصاصات "الشرطة المجتمعية" :

وللشرطة المجتمعية عدة اختصاصات منها التواصل مع كل فئات المجتمع ودور الوزارة في مواجهة المشكلات الاجتماعية بغرض الوقاية من الجريمة، وتوظيف قدرات المجتمع للتعاون مع رجال الشرطة في التصدي للجريمة والمشاركة في مسئوليات الأمن المجتمعي عن طريق وسائل التوعية المختلفة، وتوفير آليات تكوين أصدقاء الشرطة والعمل التطوعي كأحد وسائل تقوية علاقة جهاز الشرطة

(١) راجع في ذلك:

- د. مصطفى أبو زيد فهمي: في الحرية الاشتراكية والوحدة، دار المعارف، الإسكندرية ١٩٦٦م، ص ١.
- د. عبدالحيمد متولى: الحريات العامة نظرات في تطورها وضمادات مستقبلها، منشأة المعارف بالإسكندرية، ١٩٧٥م ص ٢٤ وما بعدها، د. عبدالحكيم العيلي: الحريات العامة في الفكر والنظام السياسي في الإسلام، دار الفكر العربي، ١٩٧٤م، ص ١٨.

(٢) د. ثروت بدوي: النظم السياسية، الجزء الأول، النظرية العامة للنظم السياسية، دار النهضة العربية، ١٩٧٠م، ص ٣٧٦، د. عبدالغني بسيوني عبدالله: النظم السياسية، أسس التنظيم السياسي، منشأة المعارف بالإسكندرية، ١٩٩١م ص ٣٣٧.

المؤتمر الدولي العاشر

[دور العلوم العربية والإسلامية في تكريس الأمن الفكري وتحقيق السلام المجتمعي]

بالمجتمع وآليات التدخل المبكر والتصدي للقضايا والمشاكل الاجتماعية وحلها بالطرق الودية والوفاق الاجتماعي.

ومن اختصاصاتها أيضاً تسيير دوريات لتلبية نداءات المواطنين والمقيمين ومساعدتهم وحل مشكلاتهم، والمشاركة في الفعاليات والمهرجانات والمناسبات العامة مع المواطنين والمقيمين لتعزيز روح التعاون لديهم في التعامل مع أجهزة الشرطة، والعمل على نشر وتثبيت القيم الإيجابية في المجتمع ومحاربة العادات الضارة والخاطئة بالتنسيق مع المؤسسات الاجتماعية والتربوية والدينية.

أقسام "الشرطة المجتمعية" طبقاً للبلدان التي تطبقها:

وتنقسم الشرطة المجتمعية إلى عدة أقسام مهمة، وذلك طبقاً لما يتم العمل به في عدة بلدان عربية وأجنبية تنفذ الفكرة والتي نجحت فيها بصورة كبيرة جداً، وتنقسم إلى:

قسم الدوريات المجتمعية:

يختص بتسيير الدوريات المجتمعية لتعزيز التواصل مع أفراد المجتمع والاستماع إلى مقترحاتهم وآرائهم، وجمع البيانات الميدانية عن الوقائع والأحداث اليومية وتشخيص المتغيرات والحالات الاستثنائية والأحداث الحرجة وأثارها المحتملة، وتلقى البلاغات الواردة مباشرة من المواطنين أو من الدوريات الأمنية وتحويلها إلى الأقسام وفقاً لدوائر الاختصاص، والتواصل مع الجهات المعنية للوقوف على آخر مستجدات الوضع الأمني في نطاق اختصاص الإدارات الأمنية المختصة، وتفعيل وتطوير عمل دوريات الشرطة المجتمعية.

قسم التوعية والتثقيف الأمني:

يختص هذا القسم بالتنسيق والتعاون مع الجهات الحكومية ومؤسسات المجتمع المدني والتجمعات الاجتماعية لتنظيم الزيارات الميدانية لمناقشة المشكلات وإيجاد الحلول لبعض الظواهر السائدة، والتعرف على آراء أفراد المجتمع واتجاهاتهم وتعميق العلاقات المميزة معهم والحصول على تعاونهم للمساهمة في منع المظاهر الضارة، وبناء وترسيخ العلاقات مع المؤسسات المجتمعية وتعزيز الشراكات واعتمادها كعناصر مؤثرة في الأفراد والرأي العام لتطوير الثقافة الأمنية.

كما يختص بتعزيز وتعميق قنوات الاتصال بين أجهزة الشرطة ومؤسسات المجتمع المدني، للمساهمة في تحمل المسؤولية المشتركة تجاه الوقاية من الجرائم وتنمية مفاهيمها، والمشاركة في المناسبات الاجتماعية المختلفة بالحضور المباشر والمساهمة في إدارة الاحتفالات والفعاليات، وتعميق الوعي الأمني إعلامياً ومتابعة الرصد الصحفي والإعلامي في كل الموضوعات ذات الصلة بالشرطة المجتمعية والرد عليها بالتنسيق مع إدارة العلاقات العامة، وإعداد حملات وبرامج التوعية عبر وسائل الإعلام بالتنسيق مع الجهات ذات الصلة، وإعداد المطبوعات والمطويات بمختلف

اللغات وتوزيعها على الجهات المستهدفة بالبرامج والحملات التوعوية وتنسيق الجهود فيما يلى العمل الإعلامي المصاحب.

قسم الدعم الاجتماعي:

أما هذا القسم فيختص بالتعامل مع قضايا العنف الأسرى التي لا تحتاج إلى فتح بلاغات رسمية ومعالجتها بطريقة ودية تعزز من فرص التسامح بين الأطراف المتنازعة دون الإخلال بالقانون، والتدخل المبكر لحل الخلافات والمشاجرات البسيطة والعمل على احتوائها وإزالة مسبباتها حال وقوعها دون الإخلال بالقانون، والتعامل مع قضايا الهرب أو التغييب عن منزل الأسرة واتخاذ الإجراءات الوقائية والعلاجية بالتعاون مع مؤسسات المجتمع المدني، وتقديم الرعاية والدعم النفسي والاجتماعي لضحايا العنف والجريمة خاصة من النساء والأطفال في مختلف القضايا والحوادث والعمل على حمايتهم وتنظيم الرعاية اللاحقة لهم بالتعاون مع مؤسسات المجتمع المدني.

كما يختص بتلقي البلاغات الخاصة بالمشاكل العمالية والمساعدة في إيجاد الحل الودي لها بالتعاون والتنسيق مع الجهات الاجتماعية المختصة ومسئولي سفارات الجاليات المختلفة بالدولة، وعقد وتنظيم الشراكات مع المؤسسات الاجتماعية والتربوية، وإقامة اتفاقيات شراكة ودعم اجتماعي مع المؤسسات الخيرية والقطاع الخاص ومؤسسات المجتمع في إطار تحقيق شعار الشرطة المجتمعية وهو "الشرطي مع المواطن لمجتمع آمن".

قسم الإدارة المجتمعية:

يختص هذا القسم بعمليات القيام بأعمال الشؤون الإدارية بالقسم، والقيام بعمليات المتابعة الإدارية وكتابة تقارير العمل والإحصاء المختلفة، والقيام بكل أعمال الأرشفة والتوثيق الإداري بالقسم.

مجلس الدولة يعدل قانون الشرطة لإدخال "الشرطة المجتمعية":

ومن جانبه تسلم قسم التشريع بمجلس الدولة برئاسة المستشار/ مجدى العجاتي نائب رئيس مجلس الدولة مشروع القانون المقدم من وزارة الداخلية لتعديل

بعض أحكام قانون الشرطة، والخاص بإدخال نظام "الشرطة المجتمعية"، وعلى رأس التعديلات استحداث فئة جديدة من أعضاء هيئة الشرطة بمسمى "معاون الشرطة المجتمعية"، ومنحها صفة الضبطية القضائية، وهو نظام معمول به بعدد من الدول العربية والأجنبية، بهدف تحقيق أكبر قدر من الأمن فى الشارع يخلق نوعاً من الشراكة الأمنية بين الشرطة والمجتمع، وتفعيل دور المواطن فى تدابير الوقاية من الجريمة، وتعميق الوعى الأمنى لدى الجمهور.

وتشمل التعديلات أن تخضع هذه الفئة للاختبارات التى تحددها الوزارة، للتحقق من توافر إمكاناتهم التى تتفق والغرض من إنشائها، والاستفادة منها فى أعمال الشرطة الميدانية، بعد تأهيلهم وتدريبهم على فنون الرماية والقتال ومكافحة أعمال الشغب، والتعامل بوعى أمنى راقٍ مع رجل الشارع والتحديات الأمنية الراهنة، وهو ما سيحد من فرص ارتكاب الجريمة، ويجهض المحاولات التى تسعى إلى زعزعة الاستقرار فى البلاد.

كما تضمنت التعديلات إضافة فصل جديد لقانون هيئة الشرطة، تحت عنوان "معاونو الشرطة المجتمعية"، يبين الشروط والقواعد المنظمة لإلحاق الفئة المستحدثة ضمن أعضاء هيئة الشرطة، وترقياتها وتأهيلها وتأديبها، أما المادتان الثانية والثالثة من المشروع فقد أضافتا فئة معاوني الشرطة المجتمعية إلى أعضاء هيئة الشرطة، وحددتا درجات الترقية الخاصة بهم، وأضافت المادة الرابعة جدول مرتبات هذه الفئة إلى باقى جداول مرتبات أعضاء هيئة الشرطة.

شروط الداخلية للالتحاق بـ"الشرطة المجتمعية":

وضعت وزارة الداخلية عدة شروط للالتحاق بـ"الشرطة المجتمعية"، وهو نظام جديد اقترحه الوزارة، ووضعت شروط تعيين وتأهيل وترقية وتأديب "معاونو الشرطة القضائية".

وجاءت الشروط فى التعديلات المقترحة بقانون الشرطة رقم ١٠٩ لسنة ١٩٧١، بإضافة المادة رقم ٩٤ مكرر، وتنص على أن "يعين معاون الشرطة المجتمعية من الذكور والإناث بقرار من مدير الإدارة العامة لشئون الأفراد، ممن يستوفون الشروط التالية:"

- ١- أن يكون مصرى الجنسية، ومن أبوين يتمتعان بهذه الجنسية عن غير طريق التجنس.
 - ٢- ألا يقل سنه عن ١٨ سنة، وألا يزيد على ٢٢ سنة.
 - ٣- أن يكون حاصلًا على الشهادة الإعدادية أو ما يعادلها.
 - ٤- أن يكون محمود السيرة وحسن السمعة.
 - ٥- ألا يكون سبق الحكم عليه بعقوبة الجنائية أو بعقوبة مقيدة للحرية فى جريمة مخلة بالشرف أو الأمانة، أو تفقده الثقة والاعتبار، ما لم يكن قد رد إليه اعتباره.
 - ٦- ألا يكون سبق فصله من خدمة الحكومة أو القطاع العام أو قطاع الأعمال العام وما فى حكمهم بقرار أو بحكم تأديبي نهائي، ما لم تمض على صدوره أربع سنين على الأقل.
 - ٧- أن يستوفى شروط اللياقة الصحية التي يحددها المجلس الطبي المتخصص بالشرطة.
 - ٨- أن يجتاز اختبارات السمات واللياقة البدنية التي يصدر بتجديدها قرار من وزير الداخلية.
 - ٩- ألا يقل الطول عن ١٧٠ سم، وعرض الصدر عن ٨٥ سم.
- نصت المادة على منح معاون الشرطة المجتمعية صفة الضبطية القضائية من تاريخ تعيينه، ويشترط لاعتبار مدة خدمته بهيئة الشرطة بمثابة مدة خدمة عسكرية أن يمضي عشر سنوات على الأقل فى العمل بها، ويصدر قرار وزير الداخلية بعد أخذ رأى المجلس الأعلى للشرطة فى نظم تأهيل وتدريب "معاونو الشرطة المجتمعية".
- ونصت المادة على منح معاون الشرطة المجتمعية صفة الضبطية القضائية من تاريخ تعيينه، ويكون التعيين تحت الاختبار لمدة سنة ميلادية، يجوز مدها لمن لم تثبت صلاحيته لمدتين لا تتجاوز كل منهما ستة أشهر، ويعتبر تعيين من تثبت صلاحيته نهائيًا من تاريخ التعيين تحت الاختبار، وذلك طبقًا لأقدميته، ويفصل من تثبت عدم صلاحيته.

فيما تنص المادة ٩٤ مكرر "١"، على أنه "يجب أن يحصل معاون الشرطة المجتمعية قبل تعيينه على الدراسات القانونية والمناهج الشرطية النظرية والعملية، التي يصدر بتحديداتها وتنظيمها قرار من وزير الداخلية، وذلك في أحد المعاهد الشرطية، وتكون مدة الدراسة ثمانية عشر شهرا، تشمل التعليم والتأهيل الأساسي والعام والتخصصي".

المحور الثالث: الحريات الأساسية والفكرية:

الحريات الأساسية:

تأخذ هذه الحريات صوراً عديدة؛ لأنها متعلقة بشخص الإنسان ذاته وتمثل ضرورة أساسية له، وأهم هذه الحريات :

- الحريات الشخصية.
- حرية المسكن.
- سرية الاتصالات.

ونوضح فيما يلي :

أولاً - الحرية الشخصية :

تأخذ الحريات الشخصية مكان الصدارة بالنسبة للحريات العامة، ومرد ذلك لسببين: فهي أولاً: أنها لازمة وضرورية لإمكان التمتع بغيرها من الحريات الأخرى. ثانياً: أنها شرط وجود لغيرها من الحريات الفردية والسياسية على حد سواء^(١).

وهي تمثل حق الأمن الذي يمثل الحرية الشخصية في أدق صورها وتمثل في المحافظة علي كرامته ووجوده بوصفه إنساناً داخل المجتمع، فلا تقيد حركته داخل الدولة إلا حيث يقرر المشرع ذلك، وله حرية الانتقال داخل بلاده وخارجها وأن يأمن على نفسه وماله وعرضه.

(١) عبد المنعم محفوظ: علاقة الفرد بالسلطة، الحريات العامة وضمانات ممارستها، الطبعة الأولى،

وقد تضمن إعلان حقوق الإنسان الصادر في فرنسا ١٧٨٩ مبدأ الحرية الشخصية، فنص على عدم جواز اتهام أي شخص أو وقفه أو سجنه إلا في الحالات والأوضاع التي يقرها القانون.

كما نص الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الصادر سنة ١٩٤٨ على الاعتراف بكرامة بني الإنسان المتأصلة وبحقوقهم المتكافئة الثابتة لكونها أساس الحرية والعدالة والسلام في العالم، وأن لكل إنسان الحق في الحياة والحرية والأمن الشخصي، ولا يجوز استعباد أي إنسان أو استرقاقه، ولا يجوز تعذيبه أو تعريضه لنوع من المعاملة أو العقوبة القاسية المهينة المنافية للكرامة الإنسانية.

ولما كان لهذه الحرية أهمية بالغة الأثر في كيان الفرد وبناء المجتمع، نجد أن الدساتير تكفل لها من الضمانات والمكنات ما يكفل لها أمن الممارسة ويوفر الطمأنينة^(١).

وعلى ضوء هذه المكانة المهمة والحساسة في الوقت نفسه نص دستور مصر الصادر في ١١ سبتمبر سنة ١٩٧١ في المادة ٥٧ على اعتبار كل اعتداء يقع على الحرية الشخصية أو الحرية الخاصة للمواطنين وغيرها من الحقوق والحريات العامة التي يكفلها الدستور والقانون جريمة لا تسقط الدعوى الجنائية ولا المدنية عنها بالتقادم^(٢).

(١) وقد تضمن إعلان حقوق الإنسان الصادر في فرنسا ١٧٨٩ مبدأ الحرية الشخصية، فنص على عدم جواز اتهام أي شخص أو وقفه أو سجنه إلا في الحالات والأوضاع التي يقرها القانون.

كما نص الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الصادر سنة ١٩٤٨ على أن: "الاعتراف بكرامة بني الإنسان المتأصلة وبحقوقهم المتكافئة هو أساس الحرية والعدالة والسلام في العالم، وأن لكل إنسان الحق في الحياة والأمن الشخصي ولا يجوز استعباد أي إنسان واسترقاقه، ولا يجوز تعذيبه أو تعرضه لضروب من المعاملة أو العقوبة القاسية المهينة المنافية للكرامة الإنسانية".

(٢) د. ثروت بدوي: **النظم السياسية**، الجزء الأول، النظرية العامة للنظم السياسية، دار النهضة العربية، ١٩٧٠م، ص ٤٢٠.

خلاصة القول وفي عبارة موجزة أن الحريات الشخصية تمثل في حقيقة أمرها وواقع جوهرها ومضمونها بؤرة الارتكاز بالنسبة إلى جميع الحريات الأخرى، ويمكن معالجة ما تشمله الحريات الشخصية من أنواع فيما يلي :

١- حق الأمن :

حق الأمن يمثل الحرية الشخصية في أدق صورها، ويتمثل في حق الإنسان في ألا يقبض عليه أو يحبس إلا في الأحوال المنصوص عليها في القانون، وقد كفله الدستور المصري في المادة ٤١ التي تنص على أنه: "لا يجوز القبض على أحد أو تفتيشه أو حبسه أو تقييد حريته بأي قيد، أو منعه من التنقل إلا بأمر تستلزمه ضرورة التحقيق وصيانة أمن المجتمع بما يحفظ عليه كرامة الإنسان، ويصدر هذا الأمر من القاضي المختص أو النيابة العامة، وفقاً لأحكام القانون"^(١).

٢- حق التنقل :

هذه الحرية تسمح للإنسان بأن ينتقل من مكان إلى آخر داخل بلاده أو خارجه، وهذه الحرية يجب أن تنظم حتى لا تتعارض مصالح الأفراد في استعمالها تعارضاً يجعل هذا الاستعمال مستحيلاً.

كما لا يجوز منع الشخص من التنقل إلا بأمر تستلزمه ضرورة التحقيق وصيانة أمن المجتمع بما يحفظ عليه كرامة الإنسان.

وبذلك قد كفل الدستور المصري حرية التنقل في المادة ٥٠ التي تنص على أنه "لا يجوز أن تحظر على أي مواطن الإقامة في جهة معينة، ولا أن يلزم بالإقامة في مكان معين إلا في الأحوال المبينة في القانون".

ثانياً- حرمة المسكن:

حرمة المسكن من الموضوعات التي تشغل بال أي مواطن لأن من حق أي فرد أن يتوافر له الهدوء داخل مسكنه، فلا يجوز اقتحامه أو الدخول فيه دون استئذان كما لا يجوز التجسس عليه أو إزعاجه فيه، سواء كان المسكن مملوكاً أو مؤجراً،

(١) د. ثروت بدوي، مرجع سابق، ص ٤٢١.

كما أن حرمة المسكن وحرمة استخدامه تشمل ملحقاته المباشرة كالحديقة والسور الذي يحيط بها^(١).

وقد جاءت حرمة المسكن عامة فهي تشمل الكوخ الصغير والعمارات الشاهقة والفيلات والشقق والغرف.
ثالثاً- سرية المراسلات :

إن الإنسان حريٌّ أن يعبر عن أفكاره كما يريد فيما يكتبه من رسائل، فلا يجوز أن تنتهك سرية هذه الخطابات؛ إذ إن ذلك الانتهاك لا يعدو أن يكون خرقاً لحق ملكية الفرد لرسائله، بالإضافة إلى أنه يعد انتهاكاً لحرية الإنسان في التعبير عن مكنونه.

وهذه الحرية لا تحمي الخطابات فقط، بل تمتد إلى كل الوسائل التي تشبهها كالمحادثات التليفونية ووسائل الاستماع وأجهزة الإرسال اللاسلكي، ولا يعد ذلك قيلاً عليها بل تنظيماً لاستخدامها ما دام الفرد حراً في استخدامها على الوجه المكفول لها.

ولقد ورد النص على سرية المراسلات وتحريم فضها والاستيلاء عليها في أغلب دساتير العالم، ومن هذه الدساتير الدستور المصري الصادر في سبتمبر ١٩٧١م الذي نص في المادة (٤٥) منه على أن "لحياة المواطنين الخاصة حرمة يحميها القانون، وللمراسلات البريدية والبرقية والمحادثات التليفونية وغيرها من وسائل الاتصال حرمة، وسريتها مكفولة، ولا يجوز مصادرتها أو الاطلاع عليها أو رقابتها إلا بأمر قضائي مسبب ولمدة محدودة ووفقاً لأحكام القانون".

الحرية الفكرية:

تتعلق الحرية الفكرية بمصالح الأفراد المعنوية المتعلقة بأرائهم وتعليمهم وعقيدتهم واجتماعاتهم.

(١) د. عبدالمنعم محفوظ، مرجع سابق، ص ٧١.

ولهذا فإن أهم أنواع الحريات الفكرية هي حرية الرأي، حرية التعليم، حرية العقيدة، حرية الاجتماع. وسوف نوضح هذه الحريات فيما يلي :

أولاً - حرية الرأي :

تعد حرية الرأي العام من أهم الحريات وأعظمها، لاتصالها بالتعبير عن الأفكار الإنسانية^(١)، وهي تمثل عصب حريات الفكر جميعها، كما أنها المحور الذي تدور حوله تصنيفات ومكونات هذه الحريات.

وانطلاقاً من هذه الفلسفة جرى نص المادة ١٩ من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الصادر عن الجمعية العامة للأمم المتحدة في اليوم العاشر من شهر ديسمبر سنة ١٩٤٨، بأن "لكل إنسان الحق في حرية الرأي والتعبير بما يتضمن ذلك من حرية اعتناق الآراء بمأمن من التدخل، وحرية طلب الحصول على المعلومات والأفكار وتلقيها وإذاعتها دون تقيد بحدود الدولة"^(٢).

كما أننا نجد أن الدساتير كافة تنص في مضمونها على هذه الحرية، وتسير إلى عدم جواز الحجر عليها. أو منع الأفراد من إظهار أفكارهم ومعتقداتهم، أو منعهم من الكتابة أو طبع أو نشر هذه الآراء. مع عدم إخضاع هذه المحررات قبل نشرها لأية رقابة. ولا يسأل شخص عما كتبه أو نشره إلا في الأحوال المنصوص عليها في القانون، وهي كلها بالتالي تتناول استقلال الفكر الإنساني من كل تدخل من جانب السلطة وبأي صورة كانت حيث تتوافر أهلية الفرد في التفكير والاعتقاد كيفما يشاء^(٣).

(١) د. حسن محمد هند: النظام القانوني لحرية التعبير، دار الكتب القانونية، ٢٠٠٥، ص ١١.

(٢) د. أنور أحمد رسلان: الحقوق والحريات العامة في عالم متغير، دون دار نشر، الطبعة الثالثة، ١٩٩٧ م، ص ٢٧٢.

(٣) د. منيب محمد ربيع: ضمانات الحريات في مواجهة سلطات الضبط الإداري، رسالة دكتوراه، كلية الحقوق، جامعة عين شمس، غير موضح دار النشر والتاريخ، ص ١٤٠.

ثانياً - حرية التعليم :

وهي حق كل الأشخاص في المجتمع في تلقي العلم بوسائله المختلفة وعلى أيدي من يريدون وحققهم في تعليم غيرهم وتلقيهم ما يشاءون من وسائل العلم والمعرفة بشرط أن لا يتعارض مع النظام العام والآداب العامة^(١).

ويلزم لحرية التعليم وجود مدارس مختلفة ومتنوعة، وهذا يعطي للفرد الاختيار فيما بينها كما يعطيه حرية اختيار العلم الذي يريد أن يتعلمه واختيار الأساتذة الذين يلقنونه هذا العلم.

ويكون اختيار نوع المدرسة ونوع العلم يرجع إلى أحد الوالدين أو كلاهما في مراحل السن المبكرة، أما في مراحل التعليم المختلفة فيكون الأمر متروكاً للفرد نفسه، ولذا فإن دساتير العالم قد كفلت حرية التعليم وعملت على تنظيمه ودعمه، وتوفير كافة السبل اللازمة لتحقيقه، باعتبار أن التعليم والثقافة هما اللذان يوجهان الشخصية للإحساس بكرامتها، ويزيدان من قوة احترام حقوق الإنسان وحرياته، كما أن التعليم وسيلة من وسائل الاتصال والتفاهم والصدقة بين جميع الأمم والأجناس والجماعات^(٢).

ثالثاً - حرية العقيدة وحرية ممارسة الشعائر الدينية :

حرية العقيدة تعني أن يكون الإنسان حراً في اعتناق الدين الذي يراه وتعني حرية ممارسة الشعائر الدينية أن يكون الإنسان حراً في أن يزاول شعائر الدين الذي يعتنقه في حدود القانون. ولهذا لا يجوز إكراه شخص على عقيدة معينة أو على تغيير ما يعتقد به بأي وسيلة من وسائل الإكراه^(٣).

(١) د. منيب محمد ربيع: ضمانات الحرية العامة في مواجهة سلطات الضبط الإداري، مرجع سابق، ص ١٤٣.

(٢) د. عبد المنعم محفوظ، مرجع سابق، ص ١٣٧. د. أنور أحمد رسلان: الحقوق والحريات العامة في عالم متغير، مرجع سابق، ص ٢٩٤.

(٣) د. عبد المنعم محفوظ: مرجع سابق، ص ١٢١.

ولا يتنافى اعتناق الدولة لدين معين مع هذه الحرية (حرية العقيدة)؛ بحيث يكون ديناً رسمياً لها، فإنه يجب ألا يحول دون ممارسة أصحاب العقائد الأخرى لشعائر دينهم^(١).

ولهذا لا يجوز للدولة إكراه شخص على عقيدة معينة، وإن كان يجوز لها أن تنظمها وتحددها بحدود النظام العام وحسن الآداب، فالدولة تتيح للشخص أن يمارس عبادته، ولكن لا يجوز له أثناء ممارسة العبادة التعرض لأي دين آخر بالنقد والتجريح والتحريض لإثارة فتن طائفية، أو خلافات مذهبية.

لذلك نجد دوماً أن الدساتير تنص على أن تكفل الدولة حرية العقيدة وحرية ممارسة الشعائر الدينية^(٢) ومنها الدستور المصري في المادة (٤٦) التي تنص على أنه "تكفل الدولة حرية العقيدة وحرية ممارسة الشعائر الدينية".

ولقد سبق الإسلام إذن، أدعياء الحرية وفلاسفتها في الغرب، حتى في ممارسة هذه الحرية، فإنه إذا ما تجاوزت الإطار الفردي، وأضرت بالمجتمع، وضع الإسلام حدوداً لهذه الممارسة، وبين ما يعد حقاً للفردي غير المسلم وبين ما يعد تجاوزاً يتعدى إلى محاولة الإضرار بالمجتمع فيقف في وجهه ويمنعه.

رابعاً- حرية الاجتماع:

الاجتماع يعني تجمعاً مؤقتاً لعدد من الأشخاص بناءً على تدبير وتنظيم سابق قصد سماع الأفكار وعرضها وتبادلها من أجل الدفاع عن الآراء أو المصالح المشتركة، وحرية الاجتماع تعني أن يكون للأفراد حق الاجتماع العام بالمعنى المتقدم. لذلك فإن حرية الاجتماع هي من أشد الحريات تعقيداً نتيجة لما تتطلبه من التقييد والتنظيم منعاً لما قد يحدث من تجمعات كثيرة من البشر مختلفي الفكر والمزاج والمعتقدات في مكان واحد، خاصة في الاجتماعات العامة التي تختلف شروطها عن تلك المتطلب توافرها في الاجتماعات الخاصة^(٣).

(١) د. عبد الحكيم العيلي: الحريات العامة في الفكر والنظام السياسي في الإسلام، دار الفكر العربي، ١٩٧٤م، ص ١١٣.

(٢) د. منيب ربيع: ضمانات الحرية، مرجع سابق، ص ١٣٩.

(٣) د. منيب محمد ربيع: ضمانات الحريات في مواجهة سلطات الضبط الإداري، مرجع سابق، ص ١٤٠.

وقد نظمت الدساتير حرية الاجتماع واعتبرتها تابعة لحرية الرأي وهو ما يعبر عن إيمانها بسائر الحريات الأخرى التي نص عليها الدستور^(١).
الحريات العامة وحقوق الإنسان :

بالنظر للاهتمام المتزايد بحقوق الإنسان وحرياته والعناية التي برزت على المستوى الدولي والإقليمي والداخلي نجد أن المجتمع الدولي ممثلاً في الأمم المتحدة وأجهزتها بادرت إلى وضع الاتفاقيات الدولية والإقليمية التي تحدد حقوق الإنسان ووسائل حماية الحقوق والحريات^(٢).

ورغم وجود تلك الاتفاقيات إلا أننا لم نجد تعريفاً لدى فقهاء القانون الدولي والدستوري لحقوق الإنسان وحرياته وإذا وجدت فإنها توصف بالنادرة.

لذلك فإن البعض قد حاول تعريف حقوق الإنسان بأنها الحقوق التي تهدف إلى ضمان وحماية معنى الإنسانية في مختلف المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية^(٣).

ويذهب بعض الفقهاء إلى القول بأن الحقوق أياً كان نوعها تقابلها واجبات، فالإنسان إذا كان يملك الحرية في أن يفعل شيئاً فعلى الآخرين واجب أن لا يتعرضوا له^(٤).

(١) وقد قضت محكمة القضاء الإداري في مصر: أن حق الاجتماع ليس منحة من الإدارة تمنعها أو تمنحها كما نشاء، بل هو حق أصيل للناس اعترف به القانون وأقره الدستور، ولذا فهو لا يقتضي طلباً من صاحب الشأن ولا يلزم لنشوئه صدور قرار الإدارة بالترخيص فيه وإنما هو مستمد من القانون، وفقط يجب عليه إن أراد استعماله أن يخطر الإدارة بزمان ومكان الاجتماع وغير ذلك من البيانات التي نص عليها القانون، انظر حكم محكمة القضاء الإداري بجلسة ١٩٥١/٧/٣١ في القضية رقم ١٣٢٠ مجموعة السنة الخامسة، القاعدة ٣٧١، ص ١١٥.

(٢) د. جابر إبراهيم الراوي: حقوق الإنسان وحرياته في القانون الدولي والشريعة الإسلامية، ط ١، سنة ١٩٩٩، ص ١٦٦.

(٣) المرجع السابق، ص ١٦٦.

(٤) د. عبدالحكيم حسن العيلي، مرجع سابق، ص ١٧٧.

وبالرغم من أهمية الحريات العامة إلا أن الاهتمام بها كان قديماً قدم البشرية نفسها، فالليونانيون في مآثرهم الشهيرة تناولوا حق الإنسان في الحياة وفي حرية التعبير والمساواة أمام السلطة وغير ذلك من الحقوق الطبيعية التي تعمل على تحقيق حرية الفرد.

لا يوجد شعب من الشعوب إلا وقد ناضل في سبيل تحقيق حريته، فالحريات لن تتحقق في عيشه وضحاها ولكن جاءت عبر نضال طويل ومعارك طاحنة بين المطالبين بالحرية والسلطة، ومهما كان الأمر فإن الحرية في أي مكان وفي أي زمان لن تتحقق بصورة كاملة، فعدم الاهتمام بحرية وحقوق الإنسان يؤدي سواء على الصعيد الدولي أو المحلي إلى إشعال كثير من الحروب والثورات في العالم.

كذلك فإن دساتير وقوانين الكثير من الدول قد اهتمت بالحريات العامة وحقوق الإنسان ولم نجد أي دولة إلا وقد ضمنتها في نصوصها ولا يخلو أي تشريع من هذه النصوص إلا وشابه النقص والغموض، ولكن بالرغم من النصوص التي وردت لحماية حقوق الإنسان وحرياته إلا أن التجارب عبر التاريخ قد أكدت عدم فاعليتها في حماية حرية الإنسان والدفاع عن حقوقه كاملة، فنجد هذه النصوص رغم توثيقها إلا أنها لا تطبق التطبيق الصحيح نتيجة دكتاتورية وتسلط بعض الأنظمة وإهدارها لكثير من الحريات، حتى أن القوانين الدولية أصبحت عاجزة عن توفير تلك الحماية نظراً لعدم استطاعة القانون الدولي التدخل في الشؤون الداخلية للدول استناداً إلى مبدأ السيادة الوطنية.

وفيما يلي فإننا سوف نبين انتهاكات الحريات العامة وحقوق الإنسان في بريطانيا وأمريكا والتي مثلتا مثلاً يحتذى به في احترام الحريات وحقوق الإنسان وتقديمها معايير مزدوجة في مسائل الحريات ووقوفهما السافر مع إسرائيل ضد الفلسطينيين، والحرب ضد العراق دون اعتبار لحقوق الإنسان، كل ذلك ولد كراهية حقيقية تجاه تلك الدول.

المحور الرابع: العلاقة بين أجهزة الشرطة والرأي العام وسبل توطيدها:

تعد الوظيفة الشرطة من أهم الوظائف التي يحتاجها مجتمعنا المعاصر، نظراً لأنها تمس أحد الاحتياجات الأساسية لدى الجمهور، حيث تتصل بحاجة

الإنسان إلى العيش في أمان، ولا يمكن تصور حياتنا المعاصرة بدون أجهزة أمنية قادرة على تحقيق الأمن للأفراد والجماعات والوطن بصفة عامة^(١).

وتعد الوظيفة الشرطية إحدى الوظائف الموجودة في المجتمعات المعاصرة كافة، ويصعب أن نجد مجتمعاً معاصراً لا يعتمد على أجهزة شرطية تمكنه من تحقيق الأمن للأفراد على أنفسهم وممتلكاتهم، وتضمن تنفيذ القانون، والتخلص من شريعة الغاب التي يمكن أن تسود في غياب أجهزة الشرطة.

وتسعى دول العالم المختلفة في سبيل تحقيق أهدافها الأمنية وتأمين أفرادها وممتلكاتها ومقدراتها المختلفة إلى بناء أجهزة قوية قادرة على القيام بالوظيفة الأمنية باعتبار أن تحقيق الأمن يعد العمود الفقري والشرط الأساسي لتحقيق كافة مهام الدولة الأخرى على المستوى الداخلي والخارجي^(٢).

وتتفق معظم دول العالم على الغرض من وظيفة الشرطة، فأجهزة الشرطة المعنية بتحقيق أمن الأفراد والجماعات من أي عدوان يتهدها من الداخل، وإن وجدت بعض الاختلافات بين ترتيب أولويات الوظيفة الأمنية باختلاف طبيعة ونوع الأنظمة السياسية، ففي حين تركز الشرطة على الأمن السياسي والاجتماعي في النظم الديمقراطية، تركز الوظيفة الأمنية على الأمن السياسي بالدرجة الأولى في نظم الحكم غير الديمقراطية، كما تتخذ أجهزة الشرطة في هذه النظم جانباً متحيزاً في أحيان كثيرة، حيث تنتسب بالطابع السياسي في عملها، في حين تأخذ الشرطة الطابع المحايد في عملها في النظم الديمقراطية^(٣).

(١) حلمي الحيري: وظيفة البوليس في النظم الديمقراطية، رسالة دكتوراه غير منشورة، (القاهرة: كلية الدراسات العليا، أكاديمية الشرطة، ١٩٨٩) ص ١.

(٢) عمر قدور: شكل الدولة وأثره في تنظيم مرفق الأمن، رسالة دكتوراه غير منشورة (القاهرة: كلية الدراسات العليا، أكاديمية الشرطة، ١٩٩٣)، ص ١٥٧ - ١٥٨.

(٣) محمد صعفور: البوليس والدولة (القاهرة: المؤلف، ١٩٧١) ص ٤٢١ - ٤٢٢.

وتتعدد السمات والخصائص التي يتم بها العمل الشرطي، وجعلت هذه الخصائص من أجهزة الشرطة شرطاً لازماً وضرورياً لوجود الدولة الحديثة^(١).

التأثير والتأثر بين حرية التعبير والأمن:

الرأي العام المسيطر أو القائد :

هو رأي صفوة المجتمع من القادة والمفكرين والعلماء والإعلاميين وهم نسبة قليلة في المجتمع وهم لا يتأثرون بوسائل الإعلام وإنما يؤثرون فيها.

الرأي العام المثقف :

هو رأي المتعلمين والمثقفين ويختلف حسب درجة التعليم والثقافة وهو يؤثر في الأفراد الأقل تعليماً وثقافة ويتأثر بوسائل الإعلام وفقاً لدرجة الوعي والثقافة.

الرأي العام المنقاد :

هو رأي السواد الأعظم من الشعب خاصة من الأميين وهو يتأثر بوسائل الإعلام ويتقبلون ما يعرض دون التفكير فيه.

يتسم الرأي العام بعدد من الخصائص، وفيما يلي نستعرض بعضها على النحو التالي^(٢) :

الشدة :

وتتعلق بمدى عمق إحساس الفرد بقضية معينة أو أمر ما ويمكن أن يكون لدى الفرد آراء عن قضايا عديدة ولكن شدة وعمق الرأي ترتبط بالقليل منها.

عدم الثبات :

بعض الآراء تكون مرنة وقابلة للتغيير من وقت لآخر وهناك بعضها الذي يكون ثابت أو يتغير ببطء وينطبق ذلك على الآراء التي تعتمد على القيم الاجتماعية والثقافية السائدة والراسخة أو التي تعتمد على المعتقدات الدينية.

(١) عمر قدور، مرجع سابق، ص ١٥٨ - ١٥٩.

(٢) جمال مجاهد، مرجع سابق، ص ٤٤ - ٤٧.

البروز والأهمية :

ترتبط هاتين الخاصيتين ببعضهما البعض فحينما يكون الرأي يتعلق بقضية في موضع الاهتمام وبؤرة الانتباه يصبح رأياً مهماً وبارزاً ومن ثم فإن الأشياء التي يحكم عليها بأنها مهمة تشغل حيزاً كبيراً من انتباه الفرد.

التيقن :

ويقصد به مدى ثقة الفرد بأن رأيه صائب ويرتبط التيقن بكمية المعلومات والمعتقدات التي يق بها الفرد وتؤيد رأياً معيناً.

مضمون الرأي العام ومحتواه :

يتعلق بكمية المعلومات المتوافرة لدى الرأي العام عن موضوع أو قضية معينة ويحدد مضمون الرأي العام مدى قيامه على معرفة حقيقية بالموضوعات والقضايا التي يتعلق بها ذلك الرأي.

العوامل المؤثرة في تشكيل الرأي العام :

توجد عدة عوامل تؤثر في تكوين وتشكيل الرأي العام وفيما يلي عرض لها:

(أ) المناخ السياسي :

يؤثر المناخ السياسي السائد ودرجة الحرية المتاحة على تكوين الرأي العام، ففي المجتمعات الديمقراطية التي تسمح بتعدد الأحزاب والنقابات والتنظيمات الشعبية وتعطي مساحة كبيرة للتعبير عن الرأي دون خوف يكون لديها رأي عام أكثر فاعلية وإيجابية نظراً للقدر على المشاركة في مناقضة القضايا المختلفة بين الجماهير بدرجات وساعة من الحرية، أما في الدول الدكتاتورية التي تستبد السلطة فيها بالرأي ولا تعطي الجمهور الفرصة لمناقشة القضايا المصيرية والمشاركة في الحكم وتنعدم فيها الحرية فإن الثقة تنعدم بين الشعب والحكومة وتوجد سلبية من قبل الرأي العام^(١).

(١) محمد منير حجاب، مرجع سابق، ص ١٢٣.

(ب) المناخ الاقتصادي :

تحدد الظروف الاقتصادية آراء الأفراد إلى درجة كبيرة حيث إن معظم المشاكل يكون للعامل الاقتصادي تأثير فيها في الرأي العام وغالباً ما تكون آراء الأفراد تتماشى مع مصالحهم الاقتصادية، وفي الدول النامية يكون الأفراد منشغلين طوال اليوم بالعمل من أجل البقاء أحياء وليس لديهم الوقت لمناقشة القضايا والمشاكل العامة مما ينتج عنه نقص في الوعي وعدم المشاركة في الحياة العامة وهذا يجعلهم عنصراً غير فاعل في تكوين الرأي العام^(١).

(ج) وسائل الاتصال الجماهيرية :

تلعب وسائل الاتصال دوراً مهماً في تكوين الرأي العام وفي تعبئة الجمهور حول أفكار معينة مهما كان هذا الجمهور غير متجانس أو متباعد جغرافياً، وقد أدت التطورات التكنولوجية الهائلة التي شهدتها وسائل الاتصال إلى زيادة فاعليتها وقدرتها على التأثير في الجمهور، وتستغل وسائل الاتصال الإدراك المحدود لجمهورها في إيجاد وتكوين صور ذهنية معينة تخدم أغراض القائمين بالاتصال.

وفي الدول النامية تلعب الحكومات دور الممول لوسائل الإعلام والمنظم لها والرقيب على أدائها، كما تقوم بدور جوهري في تيسير طور إعاقة النشاط الإعلامي مما يجعلها مشاركاً في صنع الرسائل الإعلامية المقدمة للجمهور^(٢).

(د) وسائل الاتصال الشخصي والجمعي :

وتشمل اللقاءات والمناقشات والندوات والاجتماعات والمحاضرات والمعارض والزيارات والمناسبات والاحتفالات حيث يتم من خلال تبادل وجهات النظر حول القضايا المختلفة مما يسهم في تكوين آرائهم واتجاهاتهم نحو تلك القضايا.

(١) عاطف عدلي العبد: الرأي العام وطرق قياسه (القاهرة: دار الفكر العربي، ٢٠٠٠) ص ٥٤ - ٥٥.

(٢) أحمد بدر: الرأي العام: طبيعته وتكوينه وقياسه ودوره في السياسة العامة (القاهرة: دار قباء للنشر والتوزيع، ١٩٩٨)، ص ٢٣٨ - ٢٣٩.

(هـ) الدين :

يلعب عنصر الدين دوراً هاماً في تشكيل الرأي العام في كافة مجالات الحياة نظراً لأنه أحد مقومات النظام الثقافي ولا تقبل أساسياته الجدل أو النقاش مما يجعله عنصراً مؤثراً في حياة الشعوب^(١).

ويزداد تأثير عنصر الدين في القضايا ذات الأبعاد الدينية مما يجعله فعالاً في التأثير على الرأي العام كما تزداد فاعليته في حالة وجود إستراتيجيات مخططة لدى القيادات الدينية في الخطاب الديني الموجه للجمهور^(٢).

(و) مؤسسات التنشئة الاجتماعية :

١- الأسرة :

تقوم الأسرة بدور كبير في غرس القيم المختلفة التي ينشأ عليها الفرد منذ طفولته وتؤثر هذه القيم في تشكيل اتجاهاته وآرائه تجاه الموضوعات والقضايا المختلفة، كما يمتد تأثير الأسرة في رأي الفرد من خلال تماثل أفراد الأسرة الواحدة في الرأي من خلال تأثير شخصية رب الأسرة وتقليد الأبناء للأباء وتعرض أفراد الأسرة لمصادر المعلومات نفسها وتأثير المناقشات التي تجري بينهم في تكوين آرائهم.

٢- المؤسسات التعليمية :

وتشمل المدارس والمعاهد والجامعات ودور العلم المختلفة، وتؤثر هذه المؤسسات في سلوك الأفراد وآرائهم واتجاهاتهم كما أنها تمدهم بالعديد من المعلومات حول القضايا المختلفة ومن ثم فهي تسهم إسهاماً فعالاً في تكوين الرأي العام من حيث مضمونه المعرفي أو من حيث اتجاهه ومعرفته.

(ز) نوع وطبيعة القضية :

يختلف اهتمام الرأي العام حسب نوع وطبيعة القضية ومدى ارتباطها بمصالح الرأي العام، فالقضايا ذات الصلة بالآراء والمعتقدات والاتجاهات والتي

(١)

محمد منير حجاب، مرجع سابق، ص ١٢٠.

(٢)

شاهيناز طلعت: الرأي العام (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨٣)، ص ٢٦٤.

ترتبط بالدين والانتماء القومي تتسم بدرجة كبيرة من الثبات ومقاومة التغيير^(١).

(ح) أثر المتغيرات الديموجرافية :

تؤثر الخصائص الديموجرافية للأفراد عن آرائهم تجاه القضايا المثارة مما يؤثر على تشكيل الرأي العام، وتضم المتغيرات الديموجرافية متغيرات السن والنوع والتعليم والدين والمهنة والحالة الاجتماعية والمستوى الاجتماعي والاقتصادي.

(ط) المتغيرات النفسية الاجتماعية :

يتشكل رأي الفرد وفق الاتجاه السائد في جماعته المرجعية إلا أن ذلك يتوقف على مدى انتماء الفرد لهذه الجماعة وتقديره لها حيث يحدد ذلك إلى أي مدى يحرص الفرد على القبول الاجتماعي من الجماعة له. ومن ثم فإن سعي الأفراد للقبول الاجتماعي من الآخرين وسعيهم نحو التوازن مع جماعاتهم المرجعية وحرصهم على خلق حالة من التوازن وعدم التنافر في معارفهم الخاصة بالقضايا تؤثر بشكل مباشر في تشكيل آرائهم واتجاهاتهم نحو هذه القضايا.

(ي) العامل التاريخي :

ويقصد به الأحداث والتجارب المهمة في حياة الشعوب ويؤثر المتغير التاريخي في تشكيل الرأي العام حيث تستفيد الشعوب من تجارب بعضها البعض كما أن التجارب المختلفة للشعوب يمكنها أن تؤثر في توجيه الرأي العام.

توطيد العلاقة بين أجهزة الشرطة والرأي العام:

ينبغي التطرق إلى العوامل والمتغيرات التي تؤدي إلى توطيد العلاقة بين أجهزة الشرطة والرأي العام، فمن شأن هذه العلاقة الطيبة أن تؤدي إلى تنمية الوعي الأمني بين أفراد المجتمع، وبدون توافر علاقات جيدة بين أجهزة الشرطة والجمهور يصعب إقناع الجمهور بأهداف التوعية الأمنية، ودفع الأفراد إلى المشاركة الإيجابية والفعالة لمعاونة رجال الشرطة في أداء المهام الأمنية المنوطة بهم.

(١) محمد شومان: دور الإعلام في تكوين الرأي العام: حرب الخليج نموذجاً (القاهرة: المنتدى العربي

للدراستات والنشر، ١٩٩٨) ص ٢٠٠.

وتتعدد العوامل والمتغيرات التي تسهم في تفعيل وتوطيد العلاقة بين الشرطة والجماهير، ويمكن رصد هذه العوامل وتحليلها تمهيداً للحديث عن أثرها في تنمية الوعي الأمني بين الأفراد.

١- ترشيد سلوكيات رجال الشرطة في التعامل مع الجمهور :

تشير بحوث ودراسات العلاقات العامة إلى أن الحقائق والأفعال تحدث بصوت أعلى من رنين الكلمات، وتزداد أهمية هذه المقولة حينما يرتبط الأمر برجال الشرطة في إدارة علاقاتهم بأفراد المجتمع، حيث تعد الشرطة في أي مجتمع من أكثر الأجهزة الحكومية اتصالاً بالجمهور، وبالتالي فإن الاحتكاك المباشر لرجال الشرطة بأفراد الجمهور يسهم بشكل مباشر في تكوين انطباعات الجمهور العام عنهم. وتتم معظم الأعمال والوظائف الشرطية على مرأى ومسمع من أفراد المجتمع، فرجل الشرطة ينظم حركة المرور ويضبطها أمام جميع قائدي السيارات، ويتم القبض على مرتكبي الجرائم والمخالفين للقانون أمام الأفراد، ويحصل الأفراد على الخدمات الأمنية مثل استخراج وثيقة السفر أو تحقيق الشخصية أمام الآخرين، ويقدم رجال الشرطة جهود الإنقاذ ومطافئ الحريق والنجدة في ظروف صعبة أمام الآخرين. ويؤكد ذلك أن جهود رجال الشرطة لا تتم بمعزل عن الجماهير، ولكن تتم أمام أعينهم، ويترتب على ذلك أن تسهم سلوكيات رجال الشرطة في أداء مهامهم وكذلك في نمط تعاملهم مع الجمهور في تكوين انطباعات لدى الجمهور عنهم، كما يترتب عليها الحكم من جانب الجمهور بالتعاون مع رجال الشرطة من عدمه^(١).

ونظراً للحساسية الخاصة في العلاقة بين الشرطة والجمهور، فإن هذه العلاقة تتأثر بأي سلوك يؤديه أي فرد من أفراد جهاز الشرطة، وفي ضوء ذلك فإن أساليب التعامل مع الجمهور لا يجب أن تترك واجتهادات الأفراد الشخصية، بل يجب أن تكون هناك لغة مشتركة يتحدث بها ويتقنها كل العاملين بجهاز الشرطة،

(١) علي الباز: الإعلام والإعلام الأمني مع دراسات تطبيقية مقارنة للدول العربية، القاهرة: مكتبة الإشعاع

الفني، ٢٠٠١، ص ١٣٥.

ويتحقق ذلك من خلال برامج ودورات متخصصة في أساليب التعامل والتواصل مع الجمهور العام، والتي يمكن من خلالها تنمية مهارات رجال الشرطة على مهارات التعامل الفاعل مع أفراد الجمهور، على مستوى مهارات مهمة مثل الحديث الجيد، والإنصات الجيد، وتحليل السلوك غير اللفظي للجمهور، وكذلك مهارات الإقناع والتفاوض، حيث يحتاج رجل الشرطة إلى هذه المهارات في تعامله مع رجل الشارع بصفة مستمرة.

(ب) ترشيد سلوك القيادات الأمنية :

يؤثر سلوك القيادات الأمنية بشكل مباشر في نوعية الانطباعات التي يكونها أفراد المجتمع عن أجهزة الشرطة، وتستطيع السلوكيات الخاصة بقيادات الشرطة أن تخلق الحب والاحترام لها وللجهاز بصفة عامة من قبل الجمهور، وبالتالي التأثير على تعاونه مع أجهزة الشرطة في تحقيق المهام الأمنية المنوطة بها.

فجهاز الشرطة هيئة نظامية مدنية يغلب على أدائها الطابع العسكري ضمناً لتحقيق أهداف الجهاز في حفظ الأمن والاستقرار، ومن هنا ينبغي على القيادات الأمنية أن تكون نموذجاً يحتذى من قبل بقية أفراد الجهاز من جهة ومن أفراد المجتمع من جهة أخرى. وبالتالي فإن احترام قوانين وأعراف وقواعد المجتمع من ناحية وقوانين وقواعد الجهاز من ناحية أخرى يبدو أمراً حتمياً يجب أن تترجمه سلوكيات هذه القيادات من حيث الحفاظ على كرامة رجل الشرطة واحترامه وهيبته بين الجماهير، فتتسم الشخصية بالحزم في غير بطش أو عنف، واللين في غير ضعف^(١). ويتصل بالسلوكيات السابقة لقيادات الشرطة سلوكياتهم في الشارع حيث الاحتكاك بأفراد الجمهور، فاحترام قيادات الشرطة لقواعد المرور، واحترامهم للنظام العام في المجتمع، واحترامهم للغير يعد من العوامل الأساسية التي تخلق لهم الاحترام والتقدير من جانب أفراد المجتمع، وتجعلهم على استعداد للتعاون مع أجهزة الشرطة.

(١) محمود يوسف: دور القيادات الأمنية في تكوين الصورة الذهنية لجهاز الشرطة، مجلة بحوث الاتصال، كلية الإعلام، جامعة القاهرة، العدد الثامن، ١٩٩٢، ص ٢٢٨.

(ج) المشاركة الاجتماعية للجمهور :

من الضروري أن يلحظ أفراد المجتمع رجال الشرطة وعلى رأسهم القادة وقد انفعلوا مع المجتمع، بحيث لا ينحصر دورهم داخل الأبنية التي يقدمون خدماتهم من خلالها. ويقصد بذلك أن يشعر المجتمع برجال الشرطة بالمشاركة له في مناسباته وأعياده سواء كانت دينية أو وطنية أو حتى لمجرد أداء بعض الواجبات الاجتماعية كالمشاركة في تقديم النهائي أو التعازي، عندئذ يظهر رجل الشرطة جزءاً يتفاعل مع مجتمعه ويحس بنبضه، وهذا من شأنه أن يعكس انطباعاً إيجابياً عن أجهزة الشرطة^(١).

والعائد من تفاعل رجال الشرطة مع أفراد المجتمع في مناسباتهم السعيدة والحزينة، والمشاركة في كافة الاجتماعيات من شأنه أن يزيل أي توتر في العلاقة بين الشرطة والجماهير، والتي يمكن أن تنشأ بسبب قيام رجال الشرطة بواجباتهم، أو بسبب ناتج عن استعمال العنف أثناء تأدية الواجب الشرطي، أو بسبب إساءة أحد رجال الشرطة لأحد الأفراد أو الجماعات في موقف يجمع بين الطرفين. كما تخلق مشاركة رجال الشرطة مع أفراد المجتمع في المناسبات الاجتماعية كافة إحساساً لدى الجماهير بأن رجل الشرطة هو أحد أفراد الأسرة، يفرح لفرحهم ويحزن لحزنهم، وبالتالي تزيد دوافع التعاون مع رجال الشرطة في تأدية واجباتهم من جانب أفراد المجتمع.

(د) تطبيق سياسة الانفتاح في التعامل مع الجماهير:

من الضروري أن يطبق رجال الشرطة سياسة الباب المفتوح في التعامل مع الجمهور، وتتاح الفرصة لأفراد الجمهور لمقابلة القيادات الأمنية، حتى تتاح لهم فرص عرض مشكلاتهم والتعبير عنها، ويتم ذلك من خلال تخصيص أوقات ثابتة لمقابلة الجماهير والاستماع إلى شكاواها. فمن شأن ذلك أن يشعر الجمهور بالرضا، ويخلق لديه إدراكاً سليماً بالجوانب الإنسانية في شخصية رجال الشرطة، كما يعقد ذلك

(١)

محمود يوسف: دور القيادات الأمنية في تكوين الصورة الذهنية لجهاز الشرطة، مرجع سابق، ص ٢٢٩.

جهاز الشرطة بأن يكون لديه رد فعل دائم من قبل الجماهير نحو الأحداث المختلفة من خلال رصد آرائهم واقتراحاتهم بشأن العمل الشرطي، ورصد كيفية تطوير الأداء بما يحقق استجابة لاحتياجات واهتمامات الجمهور.

(هـ) التزام أجهزة الشرطة بمسئوليتها الاجتماعية تجاه الجماهير :

إن توطيد العلاقة بين أجهزة الشرطة والجماهير لا يتوقف فقط على كفاءة أجهزة الشرطة في أداء أنشطتها ومهامها الأمنية في المجتمع، ولكن الأمر يتطلب قيام أجهزة الشرطة بمسئولياتها الاجتماعية أمام الجماهير، وذلك من خلال تنفيذها للعديد من الأنشطة الاجتماعية ذات العائد الإيجابي على صورتها أمام الجماهير.

ويتأتى ذلك من خلال تفعيل أجهزة الشرطة لعلاقتها الجيدة مع كافة مؤسسات المجتمع مثل مؤسسات التعليم كالمدارس والجامعات والنوادي والجمعيات، وذلك من خلال الزيارات المتبادلة، إضافة إلى تنفيذ الأنشطة المشتركة التي تعكس اهتماماً واضحاً لدى أجهزة الشرطة بمشكلات المجتمع والانخراط فيها، وكذلك المساهمة في حل مشكلاته قدر المستطاع.

وتنظم العديد من مؤسسات المجتمع الزيارات الميدانية لأبنائها إلى المؤسسات الشرطية المختلفة للتعرف عن قرب على ما تؤديه هذه المؤسسات من واجب وطني يتمثل في حماية أمن واستقرار الأفراد والجماعات والوطن، وتثمر الحوارات التي تجري بين العاملين في هذه المؤسسات ورجال الشرطة عن حوارات إنسانية بناءة تسهم في توثيق العلاقة بين أفراد المجتمع والشرطة^(١).

(و) احترام حقوق الإنسان في التفاعل اليومي مع أفراد الجمهور :

وتعد هذه الخطوة أحد المتغيرات الأساسية التي تحقق توطيداً حقيقياً للعلاقة بين الشرطة والجماهير، فكثرة شكاوي الجماهير من سوء معاملة رجال الشرطة لهم في العديد من دول العالم، خاصة في المواقف التي يعبر فيها أفراد المجتمع عن آرائهم واتجاهاتهم إزاء قضايا المجتمع أو الأحداث الجارية المهمة، أو

(١) المرجع السابق نفسه، ص ٢٣١.

الإساءة إليه أثناء تقديم الخدمة الأمنية، أو التعامل معه بشكل غير لائق عند ارتكابه لمخالفة أمنية. ولعل هذا المسلك السلبي من جانب بعض رجال الشرطة في استخدام العنف في التعامل مع الجماهير دعا البعض إلى اقتراح ضرورة وجود كود مبادئ أخلاقية ينظم علاقة الشرطة بالجماهير، بحيث تدار هذه العلاقة في ضوء مجموعة من الأخلاقيات التي لا ينبغي لرجال الشرطة العمل بدونها في احتكاكهم بأفراد الجمهور وتقديم الخدمات الأمنية اليومية إليهم وفي حالة تخطي هذه الأخلاقيات، فإن ذلك من شأنه أن يعرض بعض رجال الشرطة للمساءلة.

(ز) الكفاءة الشرطية في أداء المهام الأمنية :

تعد كفاءة الأجهزة الشرطية أحد العوامل الأساسية التي تسهم في توطيد علاقة الشرطة بالجمهور. فوجود أجهزة الشرطة القوية التي تعمل بكفاءة وتحقيق مهامها الأمنية في حماية الأفراد والجماعات وأمن الوطن من شأنه أن يؤدي إلى تكوين انطباعات إيجابية عن أجهزة الشرطة، ويؤدي أيضاً إلى قبول الأفراد بدافع ذاتي إلى التعاون مع رجال الشرطة وتسهيل مهمتهم في تقديم الخدمات الأمنية.

(ح) الإعلام عن الخدمات الأمنية المقدمة للجمهور :

ينبغي الاهتمام بدور الإعلام في توعية الجمهور بما تقدمه أجهزة الشرطة من خدمات أمنية تتمثل في التصدي لكل صور الخروج على القانون والشرعية، ومواجهة كافة أساليب الانحراف والإجرام، وهذا جوهر مهمتها وصميم رسالتها. ويمكن لأجهزة العلاقات العامة بوزارة الداخلية أن تقوم بدور بارز في هذا المجال من خلال إخبار الجماهير وإشعارها بقدرة الجهاز الأمني على تحقيق الأمن ومواجهة جميع الخارجين على القانون، وذلك انطلاقاً من مبدأ أساسي في العلاقات العامة يقول: "لا يكفي أن تفعل الخير وإنما لابد أن تعلم الناس بما تفعله من خير".

وتنعكس آثار العوامل السابقة على وجود علاقة قوية بين أجهزة الشرطة والجماهير، ويمكن لهذه العلاقة الجيدة أن تستثمر على مستوى تنمية الوعي الأمني بين أفراد الجمهور من جانب رجال الشرطة.

ويمكن تحقيق ذلك من خلال قنوات الاتصال المباشرة الآتية :

- الاحتكاك اليومي المباشر برجال الشرطة أثناء الحصول على خدمة أمنية.
- الاحتكاك المباشر برجال الشرطة أثناء قيامهم بواجباتهم اليومية في ضبط الحركة المرورية.
- الاحتكاك المباشر برجال الشرطة من خلال قيامهم بتطبيق مبادئ المسؤولية الاجتماعية في تنفيذ العديد من المشروعات الاجتماعية في المجتمع المحلي.
- الاحتكاك المباشر برجال الشرطة في المناسبات الاجتماعية المختلفة.
- الاحتكاك المباشر بقيادات ورجال الشرطة من خلال المواعيد الثابتة التي يحددها رجال الشرطة لمقابلة الجماهير والاستماع إلى شكاوهم، والاستجابة لمقترحاتهم وآرائهم.
- الدافع الذاتي لدى الأفراد للقيام بمعاونة رجال الشرطة، والتبليغ عن الجريمة والتعدي على حقوق الأفراد والجماعات.
- الاستجابة الجماهيرية للحملات الشرطية التي تستهدف تنمية الوعي الأمني.
- متابعة وسائل الإعلام الجماهيرية (راديو، تليفزيون، صحف) لمعرفة ومتابعة جهود وأنشطة جهاز الشرطة في مختلف المجالات.
- دور أجهزة العلاقات العامة بوزارة الداخلية في تبصير الجماهير بجهود وأنشطة وإنجازات الأجهزة الأمنية في مجال مكافحة الجريمة وتحقيق الخدمات الأمنية.

التوصيات

- ١- تطوير مناهج التعليم باستحداث مادة إلزامية تسمى مادة الشرطة المجتمعية والثقافة الأمنية تطبق على كل المدارس الابتدائية والإعدادية والثانوية.
- ٢- خلق كيانات جديدة من منظمات المجتمع الأهلي والمدنى يكون غرضها الأساسى مشاركة الشرطة النظامية فى المناسبات الاجتماعية والاحتفالات القومية والدينية وعقد الدورات وورش العمل لشرح فكرة الثقافة الأمنية والشرطة المجتمعية لدى كافة شرائح المجتمع فى المدن والريف.
- ٣- تعديل قانون الخدمة العسكرية والوطنية رقم ١٢٧ لسنة ١٩٨٠ وتعديلاته بإضافة مادتين إليه تنص المادة الأولى بضرورة تأهيل المجند - قبل انتهاء خدمته الإلزامية بالقوات المسلحة- بمفهوم الأمن الاجتماعى والشرطة المجتمعية وإعطائه الدورات التدريبية والثقافية وتدريبه على هذا الأمر وخضوعه لاختبار يؤكد اجتيازه ونجاحه فى استيعاب ذلك المفهوم والمادة الثانية تتعلق باشتراط أن من يعفى من أداء الخدمة العسكرية - لأى سبب من أسباب الإعفاء المنصوص عليها فى القانون- بضرورة خضوعه لذات الدورات والتدريبات التى يلتزم بها من أدى الخدمة وذلك قبل حصوله على شهادة الإعفاء من الخدمة وكشروط لاستلامه لها وهو الأمر الذى سيؤدى إلى تأهيل وتدريب ما لا يقل عن نصف مليون فرد سنوياً على مفهوم الشرطة المجتمعية والشراكة الأمنية.
- ٤- استحداث النصوص التشريعية والقانونية التى تتيح إنشاء كيانات وجمعيات ونوادٍ تعمل على خلق روح جديدة لدى المواطن تيسر له طريقة التعامل الأمنى الصحيح مع المعلومة التى يستطيع بها منع الجريمة قبل وقوعها، وإعطاء تلك المنظمات الأهلية الصلاحيات اللازمة لهذا الدور.
- ٥- خلق روح التعاون وإقامة جسور الثقة بين وجهاء العائلات وأعضاء مجالس المحليات فى القرى والمراكز والمحافظات وجهاز الشرطة النظامية وترسيخ مفهوم الشراكة الأمنية بينهما.

- ٦- تأهيل وتدريب أفراد الشرطة النظامية على طريقة جديدة للتعامل مع المواطن ورسم صورة صحيحة عن ذلك الجهاز ودوره الحقيقي في حفظ أمن المجتمع، مع إضافة مواد دراسية تناسب ذلك الأمر ضمن المواد التي تُدرّس بكلية الشرطة.
- ٧- تفعيل نص المادة ٥٩ من الدستور التي تنص على أن الحياة الآمنة حق لكل إنسان وتلتزم الدولة بتوفير الأمن والطمأنينة لمواطنيها ولكل مقيم على أرضها.

العمق الأخلاقي للسلام المجتمعي،

من خلال المقاربة الأخلاقية للعلاقة بين المنتج والمستهلك

دكتور / مصطفى داحسو

المملكة المغربية

المقدمة:

الحمد لله الذي خلق الناس شعوباً وقبائل، وفطرهم على الاجتماع وحب الأوطان، وبث فيهم روح رسالته الخالدة، فتجسدت قيماً وأخلاقاً تنتظم المؤمنين في سلك الأخوة الدينية، وتنسلك بها البشرية في مسلك الإنسانية، وأصلي وأسلم على سيدنا محمد خير من قعد للاجتماع الإنساني، وأجرى العلاقات فيه على مقتضى العدل والإحسان، وعلى آله الطيبين، وصحبه أجمعين.

وبعد:

يروم الإسلام بمختلف مكوناته الأساسية: عقيدة وشريعة، وأخلاقاً، تنظيم العلاقات الإنسانية في مختلف أبعادها السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية، على أساس متين مأثّل بمثل وقيم كلية كالعدل، والحرية، والإحسان، والأمانة...، وهي قيم تتعاضد وتتكاثر لبلورة الشخصية الإسلامية الواعية بوظائفها تجاه خالقها من جهة، وتجاه نفسها والآخر من جهة ثانية. وهي وظائف في مجموعها متكاملة تنتهي واقعاً إلى بلورة فرد متزن ومعتدل في فكره، وتصوره العقدي، مؤهلاً ليكون لبنة صالحة في بناء صرح المجتمع، مجتمع يسوده السلم والأمن في ضميره الجمعي، وسلوكه الاجتماعي.

وباعتبار المكون الأخلاقي في الإسلام من أوسع مكونات منظومته الفكرية، وأصدقها تعبيراً عن جوهره، وأمثلها تمثيلاً لمقاصده التربوية، فسأعمد إلى جعله مدخلاً إلى التنظير لمجال حيوي من مجالات الحياة المعاصرة التي يناط بها السلم الاجتماعي، وهو المجال الاقتصادي. خصوصاً، ما يتعلق فيه بالعلاقة بين المنتج والمستهلك، تلك العلاقة التي من طبعها الماحلة والمشاحة، وطغيان النزعة المادية

التي قد تنجح بصاحبها نحو الاستغلال، أو الظلم، كلما تجرد من القيم والأخلاق الدينية الضابطة للتصور والسلوك.

وإجلاء لبعض الجوانب المتعلقة بالعلاقة التبادلية بين المنتج والمستهلك، وعلاقتها بالسلم المجتمعي، ارتأيت أن أعنون هذا البحث ب"العمق الأخلاقي للسلم المجتمعي، من خلال المقاربة الأخلاقية للعلاقة بين المنتج والمستهلك"; إيماناً مني بأهمية البعد الأخلاقي على المستوى الفردي والجماعي في معالجة الاضطرابات الاقتصادية والاجتماعية. خصوصاً، في عصرنا الحالي الذي طغت فيه النزعة المادية في بناء وتحليل العلاقات الاقتصادية، وهو ما أدى إلى تكريس النزعات الانتقامية لدى المتأثرين سلباً بمآلات تلك النزعة المادية، وبالتالي التأسيس لعلاقات اقتصادية واجتماعية قائمة على الصراع. ولا يعدم الملاحظ ما ينتج عن ذلك من زعزعة وتقويض للسلم المجتمعي. ويزداد هذا الخطر مع ما يعرفه الواقع المعاصر من تقدم تقني، يسمح بفضاءات مفتوحة للتواصل يمكن تسخيرها في تأجيج تلك النزعات الاستغلالية لدى بعض المنتجين، والنزعات الانتقامية لدى بعض المستهلكين، وهو ما صار واقعاً بالفعل. خصوصاً، في ظل الانقسامات السياسية، والاصطفافات المجتمعية من ورائها في أكثر من بلد إسلامي، فكم من مرة نرى فيها تعثراً في توفير الحاجيات الأساسية للمواطن، أو رفحاً مجحفاً في أسعارها؛ إذكاءً لأجواء الاحتقان، وتوجيه مخرجاتها نحو تحقيق أهداف سياسية ضيقة الأفق. وهي نفس القوة الغضبية التي يمكن توجيهها سهماً قاتلاً إلى صدر جهة منتجة أريد الانتقام منها، وذلك عن طريق آلية المقاطعة التي باتت اليوم سلاحاً اقتصادياً ذا أثر بالغ قد يصل إلى الإفلاس، والإضرار بالمصالح القومية للوطن إذا استعمل المستهلك هذا السلاح ضد الإنتاج الوطني.

ومن منطلق هذه المفارقات، والتعارضات المصلحية. بين المنتج والمستهلك. ذات الآثار الوخيمة على العلاقات الاجتماعية، ومنها السلم المجتمعي، تكتسي المقاربة الأخلاقية لمثل هكذا موضوع أهمية بالغة لطبيعتها الجذرية في المعالجة وتقديم الحلول الناجعة.

يضاف إلى ذلك نقاط أخرى مجسدة لتلك الأهمية يمكن إجمالها فيما

يلي:

. ما يمثله ثنائي المنتج والمستهلك من مناهل لديناميكا الاقتصادية، وما تمثله من عامل حاسم في تعزيز السلم المجتمعي أو تقويضه، بناء على علاقتها بالمرجعية القيمية والأخلاقية التي يجسدها المنتج والمستهلك.

. طبيعة المقاربة الأخلاقية التي تستهدف بناء الإنسان وإصلاحه من أعماق ذاته، مما يؤهله للانتظام في سلوك المجتمع، واحترام نظامه العام.

. ما تشمله الدراسة من مجالات مختلفة ومتكاملة، وهي الأخلاق، والاقتصاد، والاجتماع الانساني، وهي خاصية تفتح آفاقاً معرفية ومنهجية واسعة للبحث وتنويع مداخله.

وفيما يخص مشكلة البحث، فقد بلورتها في شكل تساؤلات أرى الجواب عنها فيما سيأتي من مطالب بالبحث كفيلة بتحقيق الغرض المتوخى من هذه الورقة البحثية، وتتجلى فيما يلي:

إلى أي حد تسهم المقاربة الأخلاقية للعلاقة التداغية بين المنتج والمستهلك في بناء السلم المجتمعي؟ وكيف يسهم التأسيس للعلاقة السلمية بين المنتج والمستهلك. من منظور أخلاقي. في توطيد دعائم السلم المجتمعي؟

أما المنهج الذي سأعتمده فهو المنهج التحليلي الاستنباطي؛ لئلا يمتد طبعه البحث.

وفيما يتعلق بخطة البحث فجعلتها في مقدمة، ومطلبين اثنين، ثم خاتمة، وهي بالتفصيل على الشكل التالي:

المقدمة.

المطلب الأول: مفاهيم ومصطلحات البحث: السلم الاجتماعي، والمنتج والمستهلك، والأخلاق.

أولاً: مفهوم الأخلاق.

ثانياً: مفهوم السلم الاجتماعي.

ثالثاً: مفهوم المنتج والمستهلك.

المطلب الثاني: المقاربة الأخلاقية للعلاقة بين المنتج والمستهلك، وأثرها في بناء السلم الاجتماعي.

أولاً: دور القيم، والمبادئ العقدية

ثانياً: دور القيم الأخلاقية الضابطة للسلوك (نموذج العدل)

الخاتمة:

المطلب الأول: مفاهيم ومصطلحات البحث: الأخلاق، والسلم المجتمعي، والمنتج
والمستهلك

أولاً: مفهوم الأخلاق.

١). تعريف الأخلاق، ومركزية مفهوم الفطرة فيها:

جاء في اللسان لابن منظور: "إن "الخلق" الطبيعة، وجمعها أخلاق، وحقيقته أنه وصف لصورة الإنسان الباطنة وهي نفسه وأوصافها ومعانيها المختصة بها بمنزلة الخلق لصورته الظاهرة وأوصافها ومعانيها ولهما أوصاف حسنة وقبيحة"^(١) توشي الدلالة اللغوية لكلمة "الخلق" إلى أن الأخلاق هي جوهر الإنسان، وفي نفس الوقت هي تلك الأوصاف التي تنطبع بها النفس الإنسانية؛ وهذا يعني أن جانباً منها أصل أصيل في خلق الإنسان، وهو المعبر عنه بالفطرة، وجزء آخر أوصاف مكتسبة قد تكون حسنة وقد تكون قبيحة.

أما من الناحية الاصطلاحية فقد وردت عدة تعريفات سأقتصر على بعض منها مما يفي بالغرض، من بين هذه التعاريف:

" أنها حال للنفس داعية لها إلى أفعالها من غير فكر ولا روية، وهذه الحال تنقسم إلى قسمين: منها ما يكون طبيعياً من أصل المزاج كالإنسان الذي يحركه أدنى شيء نحو الغضب، ومنها ما يكون مستفاداً بالعادة والتدرب وربما كان مبدؤه بالروية والفكر ثم يستمر عليه أولاً فأولاً حتى يصير ملكة وخلقاً"^(٢)

وقريب من هذا التعريف عرفها الغزالي بقوله: "الخلق عبارة عن هيئة في النفس راسخة، عنها تصدر الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية، فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة المحمودة عقلاً وشرعاً سميت تلك الهيئة خلقاً حسناً، وإن كانت المصادر والأفعال القبيحة سميت الهيئة التي هي المصدر خلقاً سيئاً"^(٣)

بعد إمعان النظر في هذين التعريفين نخلص إلى ما يلي:

(١) لسان العرب لابن منظور، فصل الخاء، مادة "خلق"، دار صادر بيروت، ط: الثالثة، ١٤١٤هـ.

(٢) تهذيب الأخلاق لابن مسكويه، مطبعة صبيح، القاهرة، ١٩٥٩م، ص ٣١.

(٣) إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي، ج ٣، ص: ٥٣.

- أن الأخلاق تتصف بالعضوية في الظهور على سلوك الإنسان.
- أنها حال وهيئة للنفس، وتتخذ هذه الحال شكلين: شكل طبيعي مرتبط بالمزاج والثاني مكتسب، مبناه على التدريب والعادة.

ويضيف الإمام الغزالي تقلب تلك الهيئة أو الحال . كما عبر عنها ابن مسكويه . بين الحسن والقبح، حسب طبيعة ما يصدر عنها من أخلاق، جاعلاً معياري العقل والشرع محددتين حاسمين في التمييز فيها بين الحسن والسيء .

ويلحظ على هذه الإفادات الاستفادة من تعريفي ابن مسكويه والغزالي . رحمهما الله ، إقرارهما بتأرجح المصدر الأخلاقي في ذات الإنسان بين صفتي الخير والشر، وأنه ينطبع بما يحدثه الإنسان باختياراته الذاتية عن إرادة، وبالتالي فتلك الهيئة أو الحال بمثابة المرآة العاكسة لما يقرر الإنسان من أوصاف حسنة أو سيئة، كما تضمننا الإشارة إلى بعدين متكاملين في مفهوم الأخلاق هما: البعد النفسي المعبر عنه بـ"حال النفس"، و"بهية في النفس"، وبعد آخر هو البعد السلوكي الذي يترجم فيه المتخلق تلك الخصال النفسية إلى أعمال وأفعال في تعامله مع الغير .

وبالرجوع إلى الدلالات اللغوية السابقة نجد مفهوماً متميزاً سيق مرادفاً للخلق، هو مفهوم "الفطرة"، وهو الذي لم يستثمر في تعريفي ابن مسكويه والغزالي، خصوصاً وأنه من المفاهيم القرآنية ذات الدلالات الشرعية المخصوصة، التي تفتح آفاقاً معرفية ومنهجية معتبرة في موضوع الأخلاق في بعده: النظري، والعملية المرتبط بالتدين والسلوك الديني .

ولاستكناه العمق النظري للأخلاق، لابد من وقفة ولو يسيرة مع هذا المفهوم . الفطرة . ذي الطابع المعياري، وعلاقته بكل من مفهومي: "العقل" و"الدين" . وقد اخترنا أن نؤسس لتحليلنا ومناقشتنا له من خلال تعاريف أوردها الشيخ الطاهر بن عاشور في معرض تفسيره لقوله تعالى: (وَطَرَبَ اللَّهُ الَّذِينَ بَطَرَتِ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الَّذِينَ الْفَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾)^(١)، أول تلك التعاريف منسوب لابن سينا في كتابه "النجاة"، وقد خلصنا من مادته . التي لا يسع المقام إيرادها لطولها . أن الفطرة: "مجموع أوليات

(١) . سورة الروم الآية ٣٠ .

عقلية، بعضها أصلي ولد به الإنسان، وبعضها مكتسب، تتبلور في بعدها الوظيفي معياراً أخلاقياً كلياً شائعاً بين الناس".^(١)

أما التعريف الثاني فهو لابن عاشور الذي عرفه بقوله: "النظام الذي أوجده الله في كل مخلوق، والفطرة التي تخص نوع الإنسان هي: ما خلقه الله عليه جسداً وعقلاً، فمشي الإنسان برجليه فطرة جسدية، ومحاولته أن يتناول الأشياء برجليه خلاف الفطرة الجسدية، واستنتاج المسببات من أسبابها والنتائج من مقدماتها فطرة عقلية، ومحاولة استنتاج أمر من غير سببه خلاف الفطرة العقلية، وهو المسمى في علم الاستدلال بفساد الوضع".^(٢)

وبالرجوع إلى التعريف المنسوب معنى لابن سينا نجد أنه ينزع الفصل بين الدين والأخلاق، لما اعتبر الفطرة ملكة عقلية، ومعياراً، ومصدراً أولياً لأهميات الأخلاق المتفق عليها بين العقلاء على اختلاف مشاربهم الدينية ومستوياتهم العلمية، كالصدق، والعدل، وأداء الأمانة، والإحسان إلى الناس بالمال والمنافع، والعلم... وهو ما أوماً إليه شيخ الإسلام ابن تيمية بالطاعات العقلية^(٣).

لكن ما طبيعة العلاقة بين الفطرة بهذه السمة العقلانية ومفهوم الدين؟ وهل وصف الفطرة بالمشترك العقلي الأولي بين الناس يمنحها الاستقلال عن الدين؟ يمكن القول: إن العلاقة بين الدين والأخلاق من خلال مفهوم الفطرة تتخذ شكلين:

أحدهما يظهر الفصل بينهما ظاهرياً لما يحصر مفهوم الدين في ذلك الجانب التصوري العقدي المختزل في معرفة الحق الأعلى وتوقيره بتعبير الدكتور عبد الله دراز رحمه الله^(٤).

والشكل الثاني ينحو منحى الوصل والتعاقد إذا نظر إلى مفهوم الدين على أنه تعبير عن مستوى ناضج للفكرة الدينية التي تخرج مبدأ الألوهية من مجرد التدبير

(١) - التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن عاشور، ج ٢١ ص: ٩١.

(٢) - التحرير والتنوير لابن عاشور ج ٢١ ص: ٩٠.

(٣) - ينظر مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية ج ٢٠ ص: ٦٨.

(٤) - الدين، للدكتور عبد الله دراز، ص: ٥٨.

الفعال إلى مصدر حكم وتشريع في الوقت نفسه، وممتداً إلى وجوه النشاط المختلفة في الحياة العملية.^(١)

وفي كلتا الحالتين، فمنطوق ومفهوم كلام الدكتور عبد الله دراز يوحي إلى الصفة الاستقلالية لكل من الدين والأخلاق، فحتى الصورة الثانية التي أكد فيها على وجود العلاقة لم يخرج بها عن نطاق التعاضد والمساندة وهو ما يؤسس لنقطتي انطلاق مختلفتين، وبالتالي لمسارين قد يتقاطعان وقد يختلفان، وإن كان الغالب التعاضد، حيث شبههما بشجرتين متجاورتين تمتد فروعهما وتتعاقد أغصانهما حتى تظلل إحداهما الأخرى.

وإذا رجعنا إلى التعريف الثاني للفطرة المنسوب لابن عاشور. لما قال بأنها الخلة الأصل، أو النظام الأولي الذي خلق عليه الإنسان، نجده موظفاً لمصطلح "النظام"، وقد وسم به مفهوم الفطرة؛ لأنه ينتظم مختلف العناصر الفاعلة في الإنسان، كالعقل الذي يشتغل وفق قوانين مركوزة فيه ابتداء كقانون السببية، والوجدان وما ينطوي عليه من مشاعر وعواطف، والنفوس وما تومئ إليه من غرائز، والجوارح وما جبلت عليه من السلوك، ثم الروح. وهي بيت القصيد عندنا. وما صقلت عليه من التطلع إلى المثل والقيم العليا الغيبية المانحة للمعنى، المكملة لنواقص الوجود الإنساني^(٢). وعلى رأس تلك القيم والحقائق الغيبية "التوحيد" الذي يعتبر محور الأخلاق الدينية، تنبثق عنه، ويتحقق بها إذا كان القصد منها تعبدياً.

وعليه، لن نكون مجانبين للصواب إذا قلنا: إن مصدر الأخلاق هو هذا الجانب الغيبي، الحاضر فينا (الروح) الذي أفصح عن مقتضياته الأخلاقية التفصيلية في ثنايا الوحي الإلهي كتاباً وسنة.

ومن هذا المنطلق العميق من كياننا الإنساني يمكن أن نقول. كذلك. بأن لتلك الفطرة سمة أخرى أكثر عمقاً وأصالة من سمة العقلانية هي السمة

(١). الدين، للدكتور عبد الله دراز، ص: ٥٨.

(٢). ينظر: ابن باديس، حياته وآثاره، إعداد وتصنيف: د. عمار السالبي، ج ١. ص: ٥٠٥. دار الكتب المكتبة،

الشركة الجزائرية ١٣٨٨هـ ١٩٦٨م.

الدينية؛ إذ ليس من المستبعد . في أبعد الاحتمالات . كما يقول الدكتور طه عبد الرحمن_ أن تكون تلك الملكات (الفضرة) قد أشربت بالروح الدينية إلى حد بعيد، معللاً ذلك باستبعاد وجود فعل من الأفعال يخلو من الأثر القريب أو البعيد لتلك الروح.^(١)

(٢). أهمية الأخلاق:

يتبين مما سبق، أن الأخلاق بما هي معاني وقيم صادرة عن الفطرة الإنسانية المتشربة بالوحي، ذات أهمية بالغة في التعبير والحفاظ على إنسانية الإنسان، بحيث تقترب من تمثل كمالتها أو نبتعد عنه بقدر تمثلنا وتجسيدنا لتلك الأخلاق الفطرية. وعلى هذا تكون صفة الأخلاقية من الصفات المحورية التي يجب أن يتفاعل معها السلوك الإنساني . بمختلف أبعاده التصورية والواقعية . أخذاً وعطاءً في علاقته بالآخر، خصوصاً عندما يتعلق الأمر بتبادل المصالح المادية. وبذلك تتعزز خصوصية الإنسان وتتمايز عن وضع بقية كائنات هذا الوجود. يقول ابن خلدون: " إذا فسد الإنسان في قدرته على أخلاقه ودينه، فقد فسدت إنسانيته وصار مسخاً على الحقيقة، وبها الاعتبار".^(٢)

وتتبدى هذه الأهمية بشكل أكد عندما يتعلق الأمر بالمجال الاقتصادي، وخاصة في الديناميكا الاقتصادية^(٣) بين المنتج والمستهلك، لطبيعة التعاملات التي تجري بينهما، وما تتسم به من التدافع وتقصد المنفعة والريح وإشباع الحاجات، وقد حتمت عليه هذه الطبيعة أن يكون مجالاً لمجموعة من الانفعالات التي تقودها الشهوات وتتحكم فيها المطامع والأغراض، أقل ما تكون خضوعاً لمحكمة الضمير.^(٤)

(١) . سؤال الأخلاق، للدكتور طه عبد الرحمن، ط: الأولى، ٢٠٠٠م، ص: ٢٥.

(٢) . مقدمة ابن خلدون، تحقيق خليل شحادو، نشر دار الفكر، بيروت - ط: الثانية ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، ص: ٤٦٨.

(٣) . يقصد بالديناميكا الاقتصادية: " التفاعل بين المنتجين والمستهلكين: (مشكلات الحضارة - المسلم في عالم الاقتصاد، للمالك بن نبي، بإشراف ندوة مالك بن نبي، دار الفكر دمشق، سورية، ط: العاشرة ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م، ص: ٧٩).

(٤) . فلسفة اللذة والألم، للدكتور إسماعيل مظهر، ص: ٣٩، (نقلا عن كتاب: ضوابط المصلحة للبوطي ص: ٣٧).

ومجال التعاملات المالية بين المنتج والمستهلك . كما هو معلوم . منظم بتشريعات وأحكام ذات صبغة قانونية، لكنها في نسبتها إلى الأخلاق كالوسيلة بالنسبة إلى المقصد، حيث تأتي بصورة متدرجة ومتنامية، تدرج تفرضه ضرورة انتقال المجتمع من أوضاعه العادية إلى الصورة المثالية التي يسعى إليها.^(١) فالتشريعات وسيلة عملية لتغيير الحياة ونقلها من صورتها الفوضوية إلى الصورة المثالية الكاملة، وفي هذا التغيير لا بد من التدرج وقطع المراحل، ومن دون شك فإن غرض الشارع ليس الوقوف عند هذه المراحل في حد ذاتها؛ لأنها ليست إلا وسائل تصحيحية في طريق المضي نحو إرساء النظام الأخلاقي المنشود.^(٢)

وعلى هذا الأساس يمكن القول: إن ظاهر التشريع الإسلامي تعبير عن الحد الأدنى والضروري من الأخلاق الإسلامية، وأن هذه الأخيرة بالنسبة إليه أفق واسع ترنو إليه المعاملة الاقتصادية وتحقق فيه كمالها، وتعصمها من كل مظاهر الاستغلال والنكايّة والنزعات الانتقامية..، وتحل محلها التسامح والعدل..

وعلى هذا يجب . ونحن نقارب العلاقة بين كل من المنتج والمستهلك اقتصادياً . أن نضع نصب أعيننا على هذه النظرة المتميزة لعلاقة التشريعي بالأخلاقي في التصور الإسلامي؛ حتى تغرس وجدانياً، ويصير الوعي بها متفشياً، في أفق أن تصير ثقافة مجتمعية ضابطة وموجهة للعقل والسلوك الاقتصادي الجمعي. فالوقوف أحياناً عند حرفية ما يستوجب القانون ويقره حقاً ثابتاً لأحدهما قد يكون فيه اعتساف وتعد معنوي على حق الآخر، أو تخلف لمصلحة عظمى تتعلق بالسواد الأعظم، وهنا تتدخل سلطة تلك المرجعية الأخلاقية العليا لتفعل فعلها، وتكسر

(١) - من النصوص الشرعية الدالة على هذه المقاصد الأخلاقية السامية: قوله تعالى (لَس تَنَالُوا الْبِرَّ

حَتَّىٰ فُؤَاتِنِهِ مِمَّا تُحِبُّونَ ﴿٥١﴾ (سورة آل عمران الآية ٩١) . قول النبي صلى الله عليه وسلم: " لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه" (صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، حديث رقم: ١٣) - قول النبي صلى الله عليه وسلم: " ما يؤمن من بات شبعاً وجاره طاو إلى جنبه" (مصنف بن أبي شيبة، حديث رقم: ٣٠٣٥٩)


(٢) . انظر مجلة: "في الاقتصاد الإسلامي"، لمجموعة مؤلفين، جامعة محمد الخامس، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة ندوات ومناظرات رقم: ١٥، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م/مقالة بعنوان: "ملامح النظام الاقتصادي في الإسلام، للأستاذ عبد الله عاصم، كلية الحقوق - الرباط . ص: ٨٨.

غلاء النزعة الأنانية بتأبيرها بشيء من الإيثار، وإسقاط شيء من الحظ المادي أو المعنوي ليحل محله التضامن والتكافل.

ثانياً: مفهوم السلم الاجتماعي وأصوله الشرعية.

قال ابن منظور: السلم والسلم: الصلح، وتسالما: تصالحو، والخيل إذا تسالمت تسالمت لا تهيج بعضها بعضاً^(١). وهو ما يعني انتظامها في حالة من الوئام والانسجام، وفي المقابل ابتعادها عن حالة التهاجر والانظام، والاحتقان..

وفي علاقة هذه المعاني بالمجتمع الإنساني نقول: إن السلم الاجتماعي هو حالة الوئام داخل المجتمع نفسه في العلاقة بين شرائحه وقواه، مما يعني توصيفاً إيجابياً لعلاقاته الداخلية، إذ إن سلامتها علامة على صحة المجتمع وإمكانية نهوضه، بينما اهتراؤها دلالة سوء وتخلف.^(٢)

وهو ما عززه الإسلام من خلال مجموعة من النصوص الشرعية التي ترغب في السلم قال تعالى: (يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ۖ دَخَلُوا فِي السَّلْمِ كَأَقْبَةِ^(٣))، وفي المقابل نجد تنديداً بالإخلال بمبادئ السلم، واعتبر ذلك نزوعاً مشيئاً إلى الشر، وسيراً على خطوات الشيطان، فذيل نداء الدخول في السلم العام بقوله تعالى: (وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ) ^(٤)، وقد جسد النبي . صلى الله عليه وسلم . هذه القيمة (السلم) واقعاً ملموساً كما يتضح ذلك في سيرته، لما بادر في بدايات الاستقرار السياسي في يثرب إلى بلورة أرضية مشتركة للتعايش بين مختلف الفئات: من مسلمين، ويهود، ومشركي العرب.. وهو ما أطر بمضامين وثيقة المدينة^(٥). وإن كانت هذه الوثيقة بمثابة دستور

(١) . لسان العرب لابن منظور، مادة "سلم"

(٢) . ينظر: السلم الاجتماعي.. مقوماته وحمايته لحسن الصفار، جريدة الشرق الأوسط، الجمعة ٢٤ ربيع

الأول ١٤٢٢ هـ ١٥ يونيو ٢٠٠١م، العدد ٨٢٣.

(٣) . سورة البقرة، جزء من الآية ٢٠٦.

(٤) . المصدر نفسه.

(٥) . ينظر في هذا الصدد بنود الوثيقة المضمنة في العدد العاشر بعد المائة من كتاب الأمة المعنون بـ"وثيقة

المدينة المضمون والدلالة"، لأحمد قائد الشعبي - ذو القعدة ١٤٢٦، السنة الخامسة والعشرون، من ص: ٤١

إلى ٤٦.

منظم وواضع للأساس الدستوري للسلم الاجتماعي في المراحل الأولى من مراحل التأسيس الفعلي للدولة الإسلامية ذات الصبغة المدنية، فإن خطبة حجة الوداع بعد ذلك بكثير، تأكيد لدعوة السلم، وترسيخ مقوماتها في النفوس، ليس فقط في نفوس السامعين المتلقين لها بالمباشرة من عند رسول الله، بل هي دعوة سارية عبر الأجيال، كما يفهم ذلك من إلهام النبي - صلى الله عليه وسلم - على التبليغ^(١).

وإلى جانب المقومات السياسية والاجتماعية للسلم الاجتماعي في كلتا المحطتين نجد كذلك المقوم الاقتصادي الذي أشير إليه بمادته ومحوره الأساس الذي هو "المال"، حيث أوماً إلى حرمة الاعتداء عليه، أو تداوله بالطرق غير المشروعة كالربا^(٢).

ثالثاً: مفهوم: "المنتج" و"المستهلك"

(١) - مفهوم المنتج:

المنتج في اللغة اسم فاعل من الفعل الرباعي " أنتج "، وقد تناولت المعاجم العربية هذا الفعل تحت الأصل (نتج)، وقد ورد هذا الجذر اللغوي، ومعه الفعل الرباعي " أنتج " بمعاني الوضع والحمل، والتكثير والتوليد^(٣). ويرتبط في الاستعمال اللغوي العربي بمجال هذه المعاني المذكورة الذي هو البهائم وأحوالها في الحمل والوضع.

ولا يخفى ما بين هذه المعاني والاستعمالات المعاصرة في وقتنا الحاضر لفعل " أنتج"، حيث نجد تلك المعاني حاضرة بشكل جلي. فاسم الفاعل المستخرج من الفعل الرباعي (أنتج) هو "المنتج" ويحمل هذا اللفظ في طياته معاني: التوليد والتكثير لكن بنوع من الإرسال، حيث لم يقتصر توظيفه في مجال البهائم، بل أصبح مفهوماً أساسياً في المجال الاقتصادي كله.

(١). ينظر حجة الوداع لابن حزم، ص: ١٢٠.

(٢). المصدر نفسه، ص: ١١٩.

(٣). لسان العرب لابن منظور، فصل النون، ٣٧٣/٢ / تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي، ج ٦ ص: ٢٣٠.

وقبل الخوض في التعريف الاصطلاحي يبدو لي أن أمهد له بنص للإمام علي . رضي الله عنه . كان موجهاً إلى واليه في مصر (مالك الأشر) - فيه كثير من الدلالات المفيدة في هذا المقام، حيث تضمن إطلاقاتهم على مفهوم المنتج، وأهميته في الدورة الاقتصادية. يقول رضي الله عنه: " ثم استوص بالتجار وذوي الصناعات وأوصي بهم خيراً، المقيم منهم والمضطرب بماله، والمترفق ببدنه، فإنهم مواد المنافع، وأسباب المرافق، وجلابها من المباعد والمطارح في برك وبحرك وسهلک وجبلک، وحيث لا يلتئم الناس لمواضعها ولا يجترونها عليها" (١)

فالمنتج حسب هذا النص، يشمل ذوي الصناعات كما يشمل التجار، وهذا كسبه معنا غير منضبط؛ حيث يختلط فيه المنتج حقيقة (الصانع) والوسيط (التاجر) الذي يتوسط المنتج والمستهلك. كما أن النص يبين بأن هاتين الفئتين مما تستجلب به المصالح وتدرؤ به المفسد؛ نظراً لامتلاكهم للأموال، وقدرتهم على تداولها. وعليه، فالمنتج والإنتاج عامة مما يجب أن يسترعي اهتمام السلطان ومعه أفراد الأمة؛ لأنه مادة تطورها وازدهارها.

وإذا ما أضيفت هذه المعاني إلى حصيلة التعريف اللغوي، فلا شك أكون قد أحرزت تصوراً أولياً لمفهوم المنتج أخطو به الخطوة الأولى في الطريق إلى صياغة تعريف جامع.

ولتقديم الصورة المتكاملة لهذا التعريف أرى أنه من اللازم استحضار ما جاء به الفقه القانوني الوضعي، خصوصاً مع وجود فراغ فقهي شرعي في هذا المضمار- الذي قدم مجموعة من التعاريف الصادرة من جهات متخصصة ومتعددة (٢).

(١) اقتصادنا لباقر الصدر: ٦٤٦ - ٦٤٧.

(٢) - مثلاً: مفهومه في اتفاقية المجلس الأوروبي . (الاتفاقية المنعقدة في ١٩٧٦/٠٩/٠٩)، التي عرفته في المادة: ٢/٢ بأنه: " صانع السلعة في شكلها النهائي، وصانع المادة الأولية والأجزاء التي يتكون منها، وكل شخص يقدم نفسه كصانع بأن يضع اسمه أو علامته التجارية، أو أية علامة أخرى مميزة له على السلعة. وجاء في اتفاقية المجموعة الأوروبية . (التوجيه الأوروبي الصادر في ٢٥ يوليو بخصوص مسؤولية المنتج عن فعل المنتجات المعيبة) ، في المادة الثالثة من الاتفاقية أن المنتج هو: " صانع السلعة في شكلها النهائي، وصانع المادة الأولية والأجزاء التي يتكون منها، وكل شخص يقدم نفسه كصانع بأن يضع اسمه أو علامته التجارية أو أية علامة أخرى مميزة له على السلعة.

وبناء على ما سبق، يمكن أن أعرف المنتج بأنه: "كل شخص يوجد أو يولد منفعة أو سلعة جزئية أو نهائية".

ولتوضيح هذا التعريف وتعليل تركيبته أقول: إن المنتج شخص مادي أو معنوي ذو فعل إنتاجي موجد أو مولد. وهما وصفان مختلفان يعبران على عمليتين إنتاجيتين مختلفتين. فالإيجاد استثمارته في هذا التعريف على سبيل المجاز لأنه خاص بالله تعالى في حقيقته، وأقصد به هنا مجهود وعمل المنتج الفلاح الذي يثمر الثمرة سواء أكانت زرعاً أم حيواناً، وأرى أنه يناسب المقام، لأن الفلاح في الغالب منتج للمواد الأولية التي توظف في التصنيع.

أما التوليد فيكون من خلال شيء موجود أصلاً، لكن المنتج بفضل مجهوده أو خبرته يستكثر منه، ويولد منه سلعةً أخرى، وهذا محلل الصناعة، حيث يعتمد الصانع على شيء مصنوع كي يولد من خلاله سلعةً مثيلة أو مختلفة..، أما المنافع فهي أشياء معنوية غير محسوسة، تؤدي في الغالب في شكل خدمات يقدمها الصانع، أو المعبر عنه في الفقه الإسلامي بالأجير المشترك. وفيما يخص تقييد السلعة المنتجة بالجزئية أو النهائية، ففيه إشارة إلى نوع السلعة المنتجة، فالجزئية يعاد توظيفها في الإنتاج، بينما النهائية تكون موجهة نحو الاستهلاك.

إن هذين التعريفين ينطلقان من واقع التصنيع والإنتاج الذي بلغته الحضارة الأوروبية، حيث لم تقتصر الجهة المنتجة على فرد بعينه، بل أصبحنا نرى مجموعة منتجين أسهموا بشكل أو بآخر في إنتاج السلعة، بأن يعد كل واحد منهم جزءاً منها إلى أن تنتهي إلى آخر منتج يطبعها. في الغالب. بعلامته التجارية. ويعتبر هذا الأخير الطرف المباشر المتعامل مع المستهلك.

والتعريفان. في نظري. يجسدان علاقيتين اثنتين هما:

- علاقة المنتج بالمنتج، وتتمثل في العلاقة بين منتج المواد الأولية أو منتج أجزاء السلعة، والمنتج النهائي للسلعة. وعلاقة أخرى تظهر شخص المنتج في موضعه طرفاً مباشراً في التعامل مع المستهلك. وعليه، يمكن القول: إن ثمة فهماً أعم للمنتج وهو الذي يشمل هذه العلاقات كلها، وفهماً أخص هو الذي يقتصر على المنتج النهائي للسلعة، ولعل هذه التعاريف التي قدمتها تلك الاتفاقيات المشار إليها أنفاً تجد عمقها النظري في تعاريف فقهاء القانون الذين صاغوا مجموعة من التعاريف يمكن التمييز فيها بين ما هو عام وبين ما هو خاص.

٢- مفهوم الاستهلاك والمستهلك.

إن الحديث عن اسم الفاعل (المستهلك) يقتضي توضيح المصدر (الاستهلاك) وأصل الفعل (هلك)، أولاً من الناحيتين اللغوية والاصطلاحية، وهما سيحيلاني. ضمناً - إلى استوضح مفهوم المستهلك وحمائيته.

أما الأصل اللغوي لهذا الفعل كما تشير إلى ذلك المصادر اللغوية فهو: " هلك " يهلك، هلكاً، وهلاكاً، بمعنى: مات..، واستهلك المال أنفقه وأنفذه..، وأهلك المال باعه^(١). والهلك جيفة الشيء الهالك^(٢)

ويقال أيضاً: استهلك الرجل في كذا، إذا جهد نفسه، واهتلك معه.. وطريق مستهلك الورد أي يجهد من سلكه..، والهلكى الشرهون من النساء والرجال..، والهالكة: النفس الشرهة، يقال هلك يهلك هلاكاً إذا شره^(٣)، والمهتلك: الهالك من لاهم له إلا أن يتضيفه الناس يظل نهاره فإذا جاء الليل أسرع إلى من يكفله خوف الهلاك. ومن المجاز، الهلاك: الذين ينتابون الناس ابتغاء معروفهم لسوء حالهم. وقال الزمخشري هم الصعاليك^(٤).

أستشف مما سبق أن الأصل اللغوي (هلك) واشتقاقاته الأخرى، يفيد معاني كثيرة أهمها: معنى الموت والفضاء، ومعنى الإنفاق، والبيع، وإبلاغ الجهد، ومعنى الشره..، ولاستقصاء مدلولات مفهوم (المستهلك)، سأعمد إلى تعريفه في المجالات المعرفية التي تداول فيها، وأعني بها: الفقه الإسلامي، والقانون الوضعي الاقتصادي.

(١) - لسان العرب لابن منظور، فصل الهاء، ج ١٠، ص: ٥٠٣. أساس البلاغة للزمخشري. مادة (هلك) ج ٢

ص: ٣٧٨. تاج العروس للزبيدي مادة (هلك). ج ٢٧، ص: ٤٠٢

(٢) . تاج العروس للزبيدي مادة (هلك). ج ٢٧، ص: ٤٠٣

(٣) . لسان العرب لابن منظور. فصل الهاء، ج ١٠، ص: ٥٠٧

(٤) - أساس البلاغة للزمخشري. مادة (هلك) ج ٢، ص: ٣٧٩ . تاج العروس للزبيدي مادة (هلك) ج ٢٧

ص: ٤٠٦.

ففيما يخص المجال المعرفي الفقهي فقد وجد معنى هذا المصطلح بشكل ضمني في المصادر الفقهية الإسلامية لكن تحت مسميات أخرى أهمها: المشتري^(١) والعاقد.

وعلى وفق لفظ المشتري صاغ الدكتور رمضان الشرنباصي من المعاصرين تعريفه له بقوله: "المستهلك هو كل من يؤول إليه الشيء بطريق الشراء بقصد الاستهلاك أو الاستعمال"^(٢).

أما في العرف القانوني الاقتصادي فهو الذي يستعمل السلع والخدمات ليفي بحاجاته ورغباته، وليس بهدف تصنيع السلع الأخرى التي اشتراها، وهو الفرد الذي يمارس حق التملك والاستخدام للسلع والخدمات المعروضة للبيع في المؤسسات التسويقية.^(٣)

وعلى جهة الإجمال فالتعريفان على اختلاف مجاليهما المعرفيين فإنهما متقاربان؛ حيث يتفقان على كون المستهلك شخص مستعمل للسلع والخدمات قصد الوفاء برغباته وحاجياته، وذلك احترازاً من الشخص الذي يشتري قصد الإنتاج. أما اختلافهما، ففي بعض أوجه التفصيل والإجمال في العبارات المستثمرة في كل تعريف على حدة.

لكن بالرغم من هذا التقارب بينهما فإن الأجدر بالأخذ - في رأيي - هو تعريف الشرنباصي؛ نظراً لشرعية منطلقاته، وقلّة عبارته، و لتحديد الدقيق الذي يجلي لنا مفهوم المستهلك ويميزه عن المنتج.

(١). مما يدل على هذا ما ذكره الونشريسي في المعيار جواباً على سؤال أحد السائلين حول: من اشترى طعاماً ليس في السوق غيره هل يجبر على اشتراك غيره فيه؟. فقال: "الشركة في مثل هذا على مجموع مسائل المذهب ومقتضاه، وعلى طريق العلم لمن فهم معناه، إنما تجب بأحد أربعة شروط، إما بين أهل السوق الواحدة لتعاونهم على معاشهم، أو في معظم إبان الشيء ليغتم رخصه، أو عبادة جارية بين الناس تقوم مقام الشرط، أو بتواطئ مع المشتري على ذلك. فهذا الرجل .. إن كان واحداً من هؤلاء فله الشركة وإلا فلا شركة له وبالله التوفيق". (المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل أفريقية والأندلس والمغرب. تأليف: أبي العباس أحمد بن يحيى الونشريسي المتوفى بفاس سنة ٩١٤ هـ. خرجه جماعة من الفقهاء بإشراف الدكتور محمد حجي. نشر وزارة الأوقاف، المملكة المغربية ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م) الجزء ٨ ص: ٧٣.

(٢). حماية المستهلك في الفقه الاسلامي لرمضان علي السيد الشرنباصي ص: ٢٥.

(٣). حماية المستهلك لمحمد بودالي، ص: ٢١.

المطلب الثاني: المقاربة الأخلاقية للعلاقة بين المنتج والمستهلك، وأثرها في بناء السلم الاجتماعي:

يعد المدخل الأخلاقي من أهم المداخل وأعمقها، وأشملها، في معالجة إشكال التعارض على مستوى المصالح بين المنتج والمستهلك عامة، وتدافع الأضرار بينهما بصفة خاصة، حيث نجد هذا المسلك في منتهاه نافذاً إلى عمق الكيان الإنساني حيث ملكاته العليا وفطرته التي تصدر عنها القيم، وعلى وفقها تتبلور معايير وموازن موجهة للسلوك من معاقده، فيجري بعد ذلك على مجرى الاستقامة في ظاهره وتجلياته الواقعية، وبذلك يتجنب صاحبه الوقوع في قبائح الأعمال كالظلم والخيانة...، ويرتقي. في المقابل. مقامات النبل والتحضر، كما إذا قصد صاحبه إثارة مصلحة الآخر على مصلحته، متحملاً لكل الضرر، أو جزءاً منه، ومبعداً إياه عن آحاد الناس أو عمومهم، لا لشيء إلا ابتغاء ما عند الله تعالى من الأجر والثواب.

بهذا التصور يمكن اعتبار المقاربة الأخلاقية من المقاربات الفعالة التي نحن في مسيس الحاجة إليها. خصوصاً، في مجال مثل مجال الاقتصاد والمال الذي يعد مظنة للنزعة المادية والسلوكات الأنانية للأفراد. ولا يخفى وجه مناسبة هذه المقاربة لمجال تلك ميزته، باعتبار أن الأخلاق في مقاصدها ذات أبعاد تربية واجتماعية وإنسانية، لذلك فهي مهذبة لغواء تلك النزعات المادية في النفوس، وعاصمة للسلوكات والتصرفات الاقتصادية المالية من الجنوح بصاحبها إلى التسلط والاستغلال الفاحش للضعفاء.

وتتعزز هذه الدعوى بأحوال واقعا الاقتصادي المعاصر الذي استحكمت في مفاصله القيم الليبرالية الرأسمالية التي أسهمت في نشر البؤس الاجتماعي، وبث الخوف والأحقاد في النفوس، والتأسيس لعلاقة الصراع بين المنتج والمستهلك..

وإذ نحن نؤكد على أهمية هذه المقاربة، والحاجة إليها، فإننا لا نرمي من وراء ذلك إلى وضع العربة أمام الحصان، حيث تصير تلك السلطة الأخلاقية حجر عثرة أمام عجلة الاقتصاد، بقدر ما نرثها إلى وضعها في نصابها ومنحها دورها الطبيعي في ترشيد الديناميكا الاقتصادية بين المنتج والمستهلك. وبذلك نسهم بوجه ما في التأسيس لعلاقة متوازنة بين عناصر أساسية هي أس النهوض بالدولة

الحديثة، وهي الأخلاق ، والسياسة، والاقتصاد. ونزولاً عند هذا الغرض، سأعمد إلى معالجة هذا المطلب في نقطتين:

أولهما: سيبرز ويبحث في بعض القيم والمبادئ ذات الخلفية العقدية الموجهة للبواعث الباطنية لدى كل من المنتج والمستهلك، والتي تبلور في حقيقتها للرؤية الإسلامية الخاصة بالإنتاج والاستهلاك عموماً، حيث نجدها حاضرة بتأثيراتها الوجدانية والنظرية، من خلال تأطير التصور العام الذي يجب أن ينضبط له المنتج والمستهلك في تصرفه الاقتصادي. وقد بدا لي أن أحصرها في مبدئين اثنين بينهما ترابط هما: "الإيمان" و "الاستخلاف" .

والثاني : الذي سيكون فرعاً عن الأول ، سأخصه للقيم الأخلاقية في بعدها السلوكي، باعتبارها نواظم تنظم وتوجه تصرفهما الاقتصادي مع ذاتيهما من جهة وتجاه بعضهما البعض من جهة ثانية. والقيم في هذا الشطر متشعبة وكثيرة، لكن سأقتصر على بعض من كلياتها التي تبدو لي وافية بالغرض وهي: العدل، ثم الإحسان، ويندرج تحتهما مظاهر وقيم فرعية متفرعة عنهما كحظر الغرر والجهالة، وإقرار السماحة، وحسن الظن، والتثبت..

أولاً: تحقيق السلم من خلال القيم والمبادئ العقدية.

❖ الإيمان:

الإيمان بما هو تصديق قلبي بوجود الله تعالى، وسريان إرادته الكونية، ولزوم إرادته التشريعية في حق الخلق، والمكلفين، يعد نقطة ارتكاز صلبة تمنح لصاحبها طاقة وقوة للتحرك الإيجابي، ولجم النزعة النفعية والأنانية التي يبديها المنتج والمستهلك في تصرفاتهما الاقتصادية.

فانعقاد القلب، وتشريه بمعاني الربوبية والألوهية ينيط الإنسان في وجدانه وسلوكه بالله تعالى، ويوجهه نحو الاستقامة في السلوك، وخشية الله عز وجل فيما يصدر عنه من تصرفات. ونظراً للبعد الإضافي الذي تضيفه فكرة الإيمان والمتمثل في اليوم الآخر وما يمثله من دار جزاء على ما يصدر من الإنسان في هذه الدنيا، فإن المؤمن . منتجاً أو مستهلكاً . سيتحرك في واقعه، وفي تدافعه، بنفس مهذبة تستشرف آفاقاً واسعة من آفاق النفعية بأبعادها الدنيوية والغيبية، آفاق تكتسي كمالها بما

يلقاه في اليوم الآخر من جزاء، وهو تصور ولا شك بالغ الأهمية، خصوصاً في ظل غياب المعنى في حياة الكثيرين بالرغم من الوفرة المالية، وبلوغ مراتب عليا من الرفاه. وفي إيماءة بالغة إلى أهمية الإيمان بالنسبة للإنسان نجد القرآن الكريم يصف هذا الأخير بأوصاف متعددة ومتنوعة، يمكن أن نميز فيها بين وضعين مختلفين: وضع أولي قبل الإيمان، ووضع ثان بعده. وقد اقترن في الوضع الأول بأوصاف تتسم بالسلبية، سواء كانت أوصافاً جبلية أو مذمومة أخلاقياً لرجعيتها الغريزية التي يتصف بها الإنسان ككائن حي، ومن هذه الأوصاف ما يلي:

. الضعف، قال تعالى: (يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفاً) (٢٨).^(١)

. العجلة، قال تعالى: (وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولاً) (١١).^(٢)

. الهلع، قال تعالى: (إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً) (٨) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً) (٩) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً) (١٠).^(٣)

. اليأس، قال تعالى: (وَلَيْسَ آذِنَا لِلْإِنْسَانِ مِثْلَ رَحْمَةِ رَبِّهِ ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَكَيْفُوسٌ كَبُورٌ) (٦).^(٤)

. البخل، قال تعالى: (فَلَوْ أَن تَمَّ تَمْلِكُونَ خَزَائِينَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْبِاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ فَتُوراً) (١٠).^(٥)

. الاغترار، قال تعالى: (يَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ مَا عَرَكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ) (٦).^(٦)

(١). سورة النساء، الآية ٢٨.

(٢). سورة الإسراء، الآية ١١.

(٣). سورة المعارج، الآية ١٩.

(٤). سورة هود، الآية ٩.

(٥). سورة الإسراء، الآية ١٠٠.

(٦). سورة الانفطار، الآية ٦.

. الظلم، قال تعالى (وَأَتَيْنَكُم مِّن كُلِّ مَآ سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَبَّارٌ ﴿٦٦﴾) ^(١) .

. الطغيان، قال تعالى (إِفْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيْطَغِي ﴿٦﴾) ^(٢) (العلق ٦).

. الخسر، قال تعالى (وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَخِيسِرٍ خُسْرٍ ﴿١﴾) (سورة العصر الآية ١) .

فتجرد الإنسان من الإيمان، أو ضعف الاستمساك بمقتضياته، . خصوصاً المنتج والمستهلك الذي يتعامل ويتدافع في مجال طبيعته الانفلات الأخلاقي، ^(٣) والنزوع إلى الجوانب المادية في التعامل، وما يترتب عليها من الطابع الفردي الأناي المؤدي إلى الاستغلال والظلم... مدعاة لتأكيد وتعزيز تلك الأوصاف التي أومات إليها تلك الآيات السالفة الذكر، بل وجعلها عادة ينطبع بها التصرف الاقتصادي للمنتج والمستهلك. ولا يخفى ما في ذلك من عواقب اقتصادية واجتماعية مزلزة للنظم الاقتصادية والاجتماعية على المستوى العالمي، كما حدث في الأزمة المالية لسنة ٢٠٠٨م.

أما المورد الثاني المقابل، والذي ورد فيه الخطاب ب"المؤمنين" فقد وردت فيه آيات كثيرة يبشر فيها عز وجل الإنسان بالتمكين والمغفرة، بعد أن يحقق شرطي: الإيمان والعمل الصالح اللذان جاءا مقترنين ومتلازمين لاستحقاق تلك العاقبة المحمودة. ومن الآيات الواردة في هذا الصدد أذكر:

^(١) . سورة إبراهيم، الآية ٣٦.

^(٢) . سورة العصر، الآية ١.

^(٣) . وفي إشارة إلى الأخلاق السلبية التي تميز غالبية التجار يقول ابن خلدون: "التاجر مدفوع إلى معاناة البيع والشراء وجلب الفوائد والأرباح ولا بد في ذلك من المكايسة والمحاكة والتحدلق، وممارسة الخصومات واللجاج، وهي عوارض هذه الحرفة.. وتتفاوت هذه الآثار بتفاوت أصناف التجار في أطوارهم، فمن كان منهم سافل الطور محالفاً لأشرار الباعة أهل الغش والخلاية والخديعة والفجور في الأثمان إقراراً وإنكاراً، كانت رداءة تلك الخلق عنه أشد، وغلبت عليه السفسفة، وبعد عن المروءة واكتسابها في الجملة..". (المقدمة، ص: ٥٠٠).

قول الله تعالى: (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٠﴾).^(١)

قوله تعالى: (وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ؕ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢١﴾).^(٢)

قوله تعالى: (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ؕ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوَٰلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٣٧﴾).^(٣)

ولما كان الصلاح وصفاً جامعاً لكل خير، وله مراتب غير متناهية، ومرتبة الكمال فيه مرتبة عليا، ولذا طلبها الأنبياء . عليهم السلام . كما قال تعالى على لسان النبي سليمان: (وَأَدْخَلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴿٤١﴾)^(٤) ، لما كان كذلك، فهو ينتظم كل قيم الفضيلة والبر والتقوى: من عفة وتسامح، ورحمة، ومحبة، وتعاون... وفي المقابل، ينادى بصاحبه عن الإثم والبغي والعدوان على الأُنفس والأعراض، والأموال.

واستبطان المنتج والمستهلك لهذا التصور المتكامل لمفهومي: "الإيمان" و"العمل الصالح" قمين بإصلاح سلوكيهما الاقتصادي، وتوجيهه الوجهة الصائبة في عده القانوني والحقوقى. خصوصاً، وأن من معاني "الصلاح" أداء الحقوق، سواء كانت حقوقاً لله، أو للعباد^(٥) ، وفي بعده الدياني الإحساني كذلك، إذ يفتح لهما

(١) . سورة المائدة الآية ١٠ .

(٢) . سورة الأعراف الآية ٤١ .

(٣) . سورة النور الآية ٥٣ .

(٤) . سورة النمل، الآية ١٩ .

(٥) . روح المعاني للألوسي، تحقيق علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى، ١٤١٥هـ ،

ج ١٠ ص: ٣٤٥ .

(٦) . المصدر نفسه، ج ١٠ ص: ١٧٧ .

آفاق الارتقاء بسلوكيهما المدني تجاه بعضهما البعض. بل إن مقتضيات هذا التلازم بين الإيمان والعمل الصالح تتجاوز المستوى الفردي إلى المستوى الجماعي حيث التأسيس للروح الجماعية الإيجابية التي ستنهض بالشأن الاقتصادي للأمة. خصوصاً وأن عموم تلك النصوص الشرعية موجهة لعموم الأمة لما وردت بصيغ العموم، فالإيمان يمنحها التصور المشترك، وإيراد وصف الصلاح بصيغة الجمع يوحي بأن نهضة الأمة تتحقق بمجموع أعمال، وليست نتيجة عمل واحد^(١). وبحكم تبعية أحوال الاجتماع لأحوال الاقتصاد فإن لاستثمار تلك الثنائية على مستوى الوجدان والسلوك الاجتماعي للجماعة له آثار إيجابية في بناء العلاقات الاجتماعية على الثقة والمصالح المتبادلة العادلة، المؤدية إلى سيادة الأمن والسلم الاجتماعي.

ويكتمل الفهم الشمولي لهذه الخلفية العقدية باستحضار مفهوم آخر له وشائج وطيدة بمفهومي الإيمان والعمل الصالح، هو مفهوم "الاستخلاف"، وهو الذي سيكون مدار حديثنا في الفقرة الموالية.

❖ الاستخلاف.

مفهوم الاستخلاف من المفاهيم القرآنية ذات الخلفية العقدية المرتكزة على الاعتقاد بأن الله تعالى هو الخالق الموجد لهذا الوجود بما فيه من مخلوقات والتي على رأسها الإنسان. هذا الكائن الذي شرفه تعالى وخصه بخلافة الأرض فصيده مستخلفاً نائباً عنه تعالى مختاراً من بين الخلائق. قال تعالى: (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكِئِكَةِ إِنَّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً)^(٢).

ولما كانت أفعال الله تعالى منزهة عن العبث، بل يجريها على مقتضى العدل، فقد قرن تعالى تلك الخلافة بشرطها الموضوعي المتمثل في مبدأ التسخير وما يستلزمه من تطويع المخلوقات الأرضية الأخرى من ثروات حيوانية ومعدنية ... قال تعالى: (أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَهْرَةَ وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَنْ

(١) مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية، المجلد ٢٧، العدد الثالث، ٢٠١١م، عنوان المقال: "اقتران الإيمان بالعمل الصالح في القرآن الكريم ودلالاته الحضارية"، لصاحبه الدكتور عبد الرحمن حلي. كلية الشريعة. جامعة حلب، ص: ٤٥٤. ٤٥٥.

(٢) سورة البقرة جزء من الآية ٢٩.

يُجَدِّدُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ ﴿١١﴾^(١). وفي المقابل مكنه (الإنسان) من أداة استغلالها وإخضاعها المتمثلة في العقل، الذي به يدرك منطق تلك الأشياء ونواميسها، وأوجه الانتفاع منها، وبذلك تكتمل سيادته.

لكن، ومع تلك السيادة أنباه . عز وجل . أنها ستتحول حتماً إلى طغيان وفساد واستعلاء في الأرض عندما تمارس بمعزل عن عبوديته تعالى، بحيث يصير الإنسان إذاك خصيماً لله تعالى، منازعاً إياه في ربوبيته وألوهيته، والخطاب القرآني حافل بتلك النماذج التي مارست تلك السيادة بكثير من الشطط والاعتساف، وكيف كانت عاقبتهم في الدنيا والآخرة نتيجة تحويلهم لتلك السيادة إلى مطية من المطايا نحو الاستعلاء والتسلط، فصارت بذلك مظهراً من مظاهر الفساد، وعنواناً لتجريد الانسان من كرامته وآدميته، وبالتالي تعطيل وظيفته الاستخلافية، وهو ما يجعل صاحب هذه النزعة في مناقضة تامة لسنة من سنن الله في الخلق. وأضرب هنا مثلاً بفرعون الذي علا في الأرض واستكبر واستعبد بني إسرائيل. قال تعالى: (إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ) ﴿٦٠﴾^(٢).

وهذا يعني أنه لا بد للسيادة من توحيد الله تعالى حتى تثمر إعماراً مادياً معنوياً تحفظ به كرامة الإنسان حاضراً ومستقبلاً. ولما كان الإعمار في جانبه المادي قائماً . أساساً . على العلاقة الديناميكية بين المنتج والمستهلك، فهما مطالبان بضبط سلوكيهما الاقتصادي بمقتضيات تلك الرؤية الاستخلافية، وهو الكفيل بإخراج ذلك السلوك من النزعة المادية المحضة إلى رحاب التعامل الإنساني الأخوي الذي ينعكس بالإيجاب على رؤيتيهما إلى بعضهما البعض، وإلى المال . عامة . باعتباره محوراً وفاعلاً في العملية الاقتصادية.

ونظراً لهذه الأهمية التي يكتسبها عنصر "المال"، فقد خص بنظر متميز في ديننا الإسلامي، نظر هو في حقيقته امتداد لهذا المفهوم الذي نحن بصدده)

(١) . سورة لقمان الآية ٢٠ .

(٢) . سورة القصص الآية ٣ .

الاستخلاف)، والذي يناقش تحت مسمى: "الاستخلاف في المال". قال تعالى: (عَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْقِبُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ قَالِذِينَ عَامِنُوا مِنْكُمْ وَأَنْقِبُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ۝) (١) يقول الزمخشري . رحمه الله . في تفسيره لهذه الآية: "يعني أن الأموال التي في أيديكم إنما هي أموال الله بخلقه وإنشائه لها، وإنما موكم إياها، وخولكم الاستمتاع بها، وجعلكم خلفاء بالتصرف فيها، فليست هي بأموالكم في الحقيقة، وما أنتم فيها إلا بمنزلة الوكلاء والنواب، فأنفقوا منها في حقوق الله، ولهن عليكم الإنفاق منها كما يهون على الرجل الإنفاق من مال غيره إذا أذن له فيه". (٢)

فالذي وجب أن يستبطنه كل من المنتج والمستهلك بمقتضى هذه الآية الكريمة، أن تملكه للمال ليس على الحقيقة، وإنما على سبيل المجاز، وأنه بمثابة ودیعة في يده سمح له بالتصرف فيها إلى حين.

ومن ثمرات هذا التصور كما يذكرها الدكتور يوسف القرضاوي ما يلي (٣):

- أن يتقيد الإنسان بمشيئة المالك الحقيقي للمال، فإن الوكيل ما هو إلا ممثل لإرادة الموكل، ومنفذ لما يطلبه وليس له حق الانفراد بالتصرف حسبما يهوى ويشتهي، وإلا بطلت وكالته ولم يعد جديراً بحق الاستخلاف الذي أساء استعماله . أنه يسهل على من بيده المال قبول الأوامر والتوجيهات والقوانين الشرعية المتعلقة بتنظيم المال، فيقبلها بقبول حسن، لأنها توجيهات رب المال ومالكة الأصلي، ولا يتمرد عليها كما يتمرد الآخرون على التشريعات الوضعية، ويحتالون على التهرب منها.

ومما يمكن إفادته من هذه الثمرات بالنسبة للمنتج والمستهلك ضبط إرادتهما بإرادة الله تعالى، بحيث تكون الفاعلية التي منحها بمقتضى السيادة الاستخلافية منضبطة بمقصود الشارع من المال، وهو كونه وسيلة لتحقيق المنافع ومبادلتها بشكل عادل، لا أن يكون مقصداً في ذاته. والاعتباران مختلفان من حيث مخرجاتهما وآثارها على المنتج والمستهلك في الدنيا والآخرة، فتعاطيهما . المنتج

(١) . سورة الحديد الآية ٧ .

(٢) . الكشاف للزمخشري، دار الكتاب العربي، ط: الثالثة ١٤٠٧ هـ، ج٤، ص: ٤٧٣ .

(٣) . دور القيم والأخلاق في الاقتصاد للدكتور يوسف القرضاوي، ص: ٤٧ . ٤٨ . ٥٠ .

والمستهلك . معه باعتباره مقصداً، يعني استرخا ص كل شيء ثمين، واستصغار كل الجرائم والمفاسد من أجله، ولو كان ذلك على حساب الدين، أو النفس، أو العقل، أو العرض. وأخطر من ذلك، أن يصل الأمر إلى حد التقديس وإحلاله محل الإله المعبود من دون الله كما حصل مع عباد العجل من بني إسرائيل، وهو موقف . ولا شك . أوصلهم إلى حمأة الانحطاط الأخلاقي لما جعلهم حب المال في مناقضة صارخة مع التوحيد .

ومن الإفادات كذلك، أن هذا التصور . الاستخلاف في المال . من شأنه أن يمنحهما الوعي بحدود تصرفاتهما المالية من خلال الضوابط الأخلاقية، والقواعد الشرعية التي وضعها المستخلف (الله تعالى) بمقتضى شريعته ومبادئها الأخلاقية الضابطة للسلوك.

ولبسط الكلام في هذه الجزئية المتعلقة بالقيم والمبادئ الضابطة للسلوك الاقتصادي للمنتج والمستهلك ارتأيت أن أخصص الفقرة الموالية للحديث عن تلك القيم الأخلاقية التي يجب أن ينسلك في قنواتها التصرف الاقتصادي لهما، سواء الخاص بكل منهما، أو المتعلق ببعضهما البعض.

ثانياً: السلم الاجتماعي من خلال القيم الأخلاقية الضابطة للسلوك (نموذج العدل).

١). التعريف بالعدل، وأهميته:

يعد مصطلح "العدل" من المصطلحات الواضحة المعنى التي لا يحتاج معها إلى مزيد بيان، فهي تدل على معناها بوضوح؛ لكونها من الألفاظ ذات المعاني الحقيقية التي تدركها الفطرة، لا من المعاني العرفية التي تواضعت عليها الناس واستحسنوها استحساناً ناشئاً عن تجربة ملائمتها لصلاحهم.

ولذلك يمكن فهم ورود هذا اللفظ في القرآن الكريم من غير تفسير . كما يقول الشيخ رشيد رضا . معللاً ذلك بكون العدل كالثور^(١) .

وبالرغم من ذلك، أرى أن من الأنسب في هذا المقام نظراً للقيمة المعرفية لهذه القيمة وما يبني عليها من جزئيات تخص الموضوع أن أعرج على معناها وأقول:

(١). تفسير المنار للشيخ محمد رشيد رضا، ج٥ص: ١٤٠.

إن العدل نقيض الجور. وهو الحكم بالحق، وهو ما قام في النفوس أنه مستقيم، ورجل عدل بين العدل والعدالة^(١).

وفي محاولة لفهم سياق استعمال هذا المصطلح نجد الشيخ ابن عاشور يقرر أن العدل " شاع إطلاقه على إيصال الحق إلى أهله ودفح المعتدي على الحق عن مستحقه، إطلاقاً ناشئاً عما اعتاده الناس أن الجور يصدر من الطغاة الذين لا يعدون أنفسهم سواء عموم الناس فهم إن شاؤوا عدلوا وأنصفوا، وإن شاؤوا جاروا وظلموا... فأطلق لفظ العدل. الذي هو التسوية. على تسوية نافعة يحصل بها الصلاح والأمن، وذلك فك الشيء من يد المعتدي، لأنه تظهر فيه التسوية بين المتنازعين... ثم توسعوا في هذا الإطلاق حتى صار يطلق على إبلاغ الحق إلى ربه ولو لم يحصل اعتداء ولا نزاع"^(٢).

فلفظ "العدل". حسب ابن عاشور رحمه الله. عرف تطوراً في إطلاقاته المتواضع عليها، فالأصل فيه أنه يرد في محل المماحلة والتنازع لحيازة الحقوق، ودفح الأضرار عنها، ثم استقر بعد ذلك على صورة أقرب ما تكون إلى معنى من معاني الإحسان، وهو إبلاغ الحق إلى ربه، ولو لم يحصل اعتداء ولا نزاع، بل يمكن القول: إن من الصور الراقية التي صارت مقررة في سياق الحديث عن حقوق المستهلك، تنبيه المنتج له وإعلامه بحقيقة السلعة التي هي محل العقد، فلا يكفي عرضها أمامه مجهولة وإناطة اختياره بإرادته ورضاه، بل يجب على المنتج البائع. عدلاً. التزام الصدق والأمانة نحوه (المستهلك)، وهو ما يسميه بعض الفقه القانوني التزاماً إيجابياً بالتعاون مع المتعاقد الآخر، وذلك من خلال إحاطته علماً بكافة تفاصيل العقد المراد إبرامه، وقد حل هذا الالتزام محل الحياد السلبي الذي كان يتمثل في عدم الغش أو الخداع^(٣).

(١). العين للخليل بن أحمد الفراهيدي، باب العين والبدال واللام، ج ٢ ص: ٣٨. ٣٩ / لسان العرب لابن منظور،

فصل العين المهملة، مادة "عدل"، ج ١١ ص: ٤٣٠.

(٢). التحرير والتنوير للشيخ ابن عاشور، ج ٥ ص: ٩٤.

(٣). المجلة المغربية لقانون واقتصاد التنمية، عدد خاص بندوة: "الأسعار والمنافسة، بين حرية المقاول وحماية

المستهلك"، ٤٩٤. ٢٠٠٤ م. ص: ٨٣.

ولزيد بيان لهذا المصطلح ألفت العز بن عبد السلام يوماً إمارة لطيفة للتفريق بينه وبين المساواة بمعناها المجرد، فيقول: "تقدير النفقات بالحاجات مع تفاوتها عدل وتسوية، من جهة أنه سوى بين المنفق عليهم في دفع حاجاتهم لا في مقادير ما وصل إليهم، لأن دفع الحاجات هو المقصود الأعظم في النفقات وغيرها من أموال المصالح"^(١).

فتحقق العدل . حسب العز بن عبد السلام . لا يجب أن يناط بالتسوية المماثلة في العطاء والنفقة، بغض النظر عن حال المنفق عليهم من حيث حاجاتهم وعوزهم، وإنما يتحقق بإعطاء كل مستحق ما يناسب حاله وظرفه. ويكتسي هذا الفهم للعدل أهميته من السياق الذي وظفه فيه العز بن عبد السلام، وهو سياق إنفاق الدولة على المحتاجين، وفي ذلك إشارة إلى الدور الوظيفي للدولة في إحلال العدل، وتبديد التعارض الضروري بين المنتج والمستهلك عن طريق سياساتها الاقتصادية، وإجراءاتها الإدارية، وهو ما يعني الإسهام المباشر في بناء السلم الاجتماعي بين مختلف فئات المجتمع.

وتكتسي هذه القيمة في النسق القيمي الإسلامي أهمية بالغة، لكونها من كليات^(٢) وأمهات القيم والفضائل التي اتخذ الله . تعالى . منها اسماً من أسمائه، ووصفاً من أوصافه حتى صارت أفعاله تعالى واقعة على بديع الانتظام^(٣) ، وهو ما انعكس جلياً في الوجود، وما أودعه فيه من مخلوقات تنطق إتقاناً وحكمة في نواميسها وأعراضها. وفي موقف دال على تمام الانسجام والانتظام في أفعاله تعالى فقد جعله مقصداً للرسائل السماوية^(٤)، ومظنة لمصلحة العالم^(٥).

(١) قواعد الأحكام في مصالح الأنام للعز بن عبد السلام، ج ١ ص: ٦١.

(٢) ينظر: الكليات الأساسية للشريعة الإسلامية للدكتور أحمد الريسوني، دار الكلمة للنشر، ط: الأولى ١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣ م، ص: ٣٤.

(٣) ينظر: الذريعة إلى مكارم الشريعة للإمام أبي القاسم الحسين بن محمد (المعروف بالرابع الأصفهاني)، تحقيق: د. أبو اليزيد أبو زيد العجمي، نشر: دار السلام - القاهرة ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م، ص: ٢٤٩.

(٤) ينظر: الرد على المنطقيين لابن تيمية، ص: ٤٢٧.

(٥) المصدر نفسه، ينظر كذلك: الذريعة في مكارم الشريعة، ص: ٢٤٩.

ويبنى على ذلك " أن العدل نظام كل شيء، فإذا أقيم أمر الدنيا بالعدل قامت، وإن لم يكن لصاحبها في الآخرة من خلاق، ومتى لم تقم بالعدل لم تقم، وإن كان لصاحبها من الإيمان ما يجزى به في الآخرة".^(١)

فتحقيق المصالح الدنيوية للناس . على اختلاف أديانهم وحظوظهم من الإيمان . السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، متوقف على مدى إقامتهم واحتكامهم إلى العدل، لا إلى الإيمان فحسب. فالتفاوت بين الأمم في تحقيق تلك المصالح يقوم أساساً عليه، من حيث قربهم أو بعدهم منه، ومن حيث درجة حضوره كأصل معياري ضابط لتصرفاتهم في بعدها الشمولي، التي تنسحب على الجوانب الفردية والجماعية. وهو ما يبدو جلياً لما نطالع تاريخ الأمم . قديماً وحديثاً . بشيء من الاعتبار.^(٢)

وما يميز الإسلام في خطابه الأخلاقي كما سبق وأن أشرت في بداية هذا المطلب هو ذلك التماهي بين الأخلاقي والديني في شخص الإنسان المسلم مشكلاً ما يسمى الفطرة، فبالإضافة إلى الإملاءات الخيرة لهذه الفطرة خوطب المسلم منتجاً ومستهلكاً بنصوص شرعية تستحثه على انتهاج طريق العدل في جميع تصرفاته التي تصدر عنه في مختلف الوضعيات، قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُوَدُّوا الْأَمَانَتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً)^(٣).

ومن الأبواب الفاعلة، والحيوية، في مجال المصالح الدنيوية باب الاقتصاد، وما يرتبط به من تعاملات مالية، وتدافع من أجل نيل المصالح المادية. ولما كان المنتج والمستهلك هما مدار تلك التعاملات صح الادعاء بتحملهما حظاً وافراً من المسؤولية على ما تؤول إليه أحوال الأمم من حيث الازدهار، والتقهقر. وتحقيق إحدى المآلین يتوقف على مدى التزامهما بالعدل ومقتضياته في تصرفاتهما الاقتصادية.

(١). الاستقامة، لشيخ الإسلام ابن تيمية، ج ٢، ص: ٢٤٧ - ٢٤٨.

(٢). ينظر مقدمة ابن خلدون، ص: ٣٨٣.

(٣). سورة النساء الآية ٥٧.

لذلك، لا غرو أن نجد الشريعة الإسلامية في أحكامها المختلفة تتغشاها مسحة من العدل والرحمة، هي السر في الحفاظ على مصالح العباد في مختلف الأحوال، والبيئات، والأزمان. يقول ابن القيم. رحمه الله .: ".وهي عدل كلها، ورحمة كلها، ومصالح كلها، وحكمة كلها، فكل مسألة خرجت عن العدل إلى الجور، وعن الرحمة إلى ضدها وعن المصلحة إلى المفسدة، وعن الحكمة إلى العبث فليست من الشريعة وإن أدخلت فيها بالتأويل".^(١)

وتعنى هذه الصفة للشريعة الإسلامية بشكل جلي ومخصوص في الأحكام التي يتوجه فيها الشارع إلى العباد بصفاتهم الاقتصادية، حيث يصدر عنهم التصرف المالي بمختلف صيغه وأشكاله، كالبيع والشراء، والمقايضة، والاستصناع والسلم... وقد اطردت تلك الصفة حتى صارت مقصدًا كلياً من مقاصد الشرع في باب المعاملات المالية^(٢). فأينما وجد العدل وأسفر عن وجهه فثم شرع الله، وهو عدل يقوم على إعطاء كل ذي حق حقه كما بينته الشريعة الإسلامية نصاً وروحاً، أحكاماً ومقاصداً، وهو العدل الذي يحقق الوسطية التي تقوم على الجمع والتوفيق في توازن بين العناصر المختلفة ذات العلاقة^(٣). ومن بين هذه العناصر ذات العلاقة المنتج والمستهلك اللذان بمقدورهما أن يجسدا العدل من خلال الانضباط لأصول الاستحقاق المستحقة لهما عقب إبرامهم العقود. يقول الطاهر بن عاشور: "وذلك إما أن تحصل بعمل مكتسبها، وإما بعوض مع مالكةا أو تبرع، وإما بإرث. ومن مراعاة العدل حفظ المصالح العامة ودفع الأضرار، وذلك فيما يكون من الأموال تتعلق به حاجة طوائف من الأمة لإقامة حياتها".^(٤)

(١) - اعلام الموقعين لابن القيم، تحقيق محمد عبد السلام ابراهيم دار الكتب العلمية، بيروت. ط: الأولى

١٤١١هـ-١٩٩١م، ج ٣ ص: ١٢.

(٢) - مقاصد الشريعة الإسلامية لابن عاشور، تحقيق ودراسة محمد الطاهر الميساوي، دار النفائس،

ط: الثانية ١٤٢١ - ٢٠٠١م، ص: ٤٦٤

(٣) - الاقتصاد الإسلامي النظام والنظرية لنجاح عبد العليم عبد الوهاب أبو الفتوح، جامعة الأزهر، عالم

الكتب الحديثة، إريد أ الأردن، ٢٠١١م، ط: الأولى ١٤٣٢هـ، ٢٠١١م، ص: ٤٦ - ٤٧.

(٤) - مقاصد الشريعة الإسلامية لابن عاشور ص: ٤٧٧.

٢). الأساس النظري لإقامة العدل، وتحقيق السلم الاقتصادي والاجتماعي:

قال تعالى في محكم التنزيل: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ)^(١)،
ففي هذه الآية كما يقول الشاطبي دعوة إلى أن يزن كل مكلف نفسه في ميزان
العدل، ويتخذ هذا الميزان بعدين متكاملين هما:

العدل مع الله تعالى، ويتم بالإقرار بالنعمة، وردها إليه ثم شكره عليها، وهو أقصى
العدل كما يشير الشاطبي .

أما البعد الثاني، فهو أكثر تفصيلاً من سابقه، وهو العدل في الخلق إن كان
حاكماً، والعدل في أهله وولده ونفسه.^(٢)

تتخذ تجليات قيمة العدل بعدان متكاملان، الأول: . كما أشار الشاطبي .
متعلق بالعدل مع الله تعالى، ويكون بشكر النعم، وهو بهذا المعنى ذو طابع تعبدي
إيماني، لكنه لا يخلو من آثار إيجابية تجاه بقية الخلق، حيث إن تقدير أنعم الله
تعالى حق التقدير، وإرجاع نعمة إيجادها إلى مالكتها الحقيقي يهذب النفس ويخفف
من شدة تعلقها بالمال، فتنبسط بذلك يده في الإنفاق، ويكون أميل إلى تحري العدل
وحفظ حقوق الغير.

أما البعد الثاني: فهو ذو طابع حقوقي يتخذ فيه العدل شكل معيار كلي
ضامن للحقوق المستحقة للغير، ومنتظم لها إذا كانت متبادلة. ويشمل هذا البعد
ما إذا كان كل من المنتج والمستهلك مسؤولين عن نفسيهما أو على الغير. ومحورية
هذا البعد الثاني فسأقصر الكلام في متعلقاته مما له علاقة بالمنتج والمستهلك. لكن
قبل الحديث عن ذلك لابد من الإشارة إلى بعض المقدمات التي سننظر من خلالها
إلى العلاقة التبادلية بين المنتج والمستهلك، وما يرتبط بهما من إنتاج واستهلاك،
والتي ستمكننا من الوعي بالأسس النظرية العميقة المفسرة للسلوك الاقتصادي لكل
من المنتج والمستهلك، وبالتالي تفسير حالات المجتمع من حيث الاستقرار أو
الاضطراب والاحتراب.

(١). جزء من الآية ٩٠ من سورة النحل.

(٢). الموافقات للشاطبي، دار المعرفة بيروت، تحقيق عبد الله دراز، ج ٣ ص ١٤٢

❖ تعلق الإنسان بالمنفعة ودرء المفسدة:

وهو ما يندرج ضمن مفهوم المصلحة بمعناها اللغوي المتبادر، حيث تميل نفس الإنسان إلى استجلاب كل ما فيه نفع، كاستحصال الفوائد واللذائذ، أو دفع واستبعاد المضار والآلام^(١).

ولا تتجلى النزعة الفطرية لدى الإنسان في شيء كما تتجلى في نزوعه - من وراء جميع تصرفاته وأعماله - إلى تحصيل المنفعة لنفسه في الجملة^(٢).

والمصلحة بهذا المعنى الذي ينطوي على معنى دفع الضرر، باعث قوي على الاختلاف وتعارض المصالح بين الناس، وبالتالي اضطراب أحوالهم الاجتماعية، ومنه حصول تدافع الضرر فيما بينهم. وهي حال - ولا شك - إذا كانت بمنأى عن توجيه الشارع ستثمر نزعة أنانية مستبدة بالحقوق، بل ومتعدية لها إلى النيل من حقوق الآخرين. وبهذه العلاقة بين المصلحة والحق يمكن للمصلحة أن تكتسي ميزة طبيعية خالصة، تستجلب للإنسان المضار بدل المنافع. يقول فتحي الدريني: " قد يتبادر إلى الذهن أن المراد بالمصلحة التي شرع الحق من أجلها في الحقوق الشخصية بوجه خاص، مجرد المنفعة أو الفائدة الشخصية المحضة المشروعة التي يجنيها صاحب الحق كثمرة لاستعمال حقه - دائماً وفي جميع الأحوال - ولكن هذا النظر مبتسر وخاطئ؛ لأنه مؤذن بكون الحق ميزة طبيعية خالصة، ومصدراً للسلطات المطلقة، وهو ما لا تقره الشريعة بحال^(٣).

فالحق إذا، سواء كان شخصياً أو عاماً، وبهذا المنطق المصلحي الموسع وغير المنضبط سيكون مدعاة للضرر والضرار، مما يستلزم الأخذ بالمفهوم الشرعي للمصلحة الذي يرى من تقييدها بعدم مناقضة مقاصد الشرع^(٤)، قيدياً ضرورياً يعصمها من ترتب المفساد عنها.

(١) - المستصفي للغزالي ص: ١٧٤ - المحصول للرازي ج ٥ ص: ١٥٧ - ١٥٨ - قواعد الأحكام للعرزبن عبد السلام، ج ١ ص: ١٦٤.

(٢) - ضوابط المصلحة لمحمد سعيد رمضان البوطي، ص: ٢٧.

(٣) - نظرية التعسف في استعمال الحق لفتحي الدريني ص: ٣٩

(٤) - المستصفي للغزالي ص: ١٧٤. المحصول للرازي ج ٥ ص: ١٦٠. ١٦١. ١٦٢.

ومن مناسبة التصرف المصلحي . لدى الشخص . لمقاصد الشريعة، أن يكف عن التصرف في حقه عندما يجزم بمآل فعله إلى ضرر تجاه الغير أخذاً بمبدأ " درء المفسد مقدم على جلب المصالح " . ومنها كذلك " أن يتحمل الضرر الخاص دفعاً للضرر العام"، وغير ذلك من الصور الدالة على تقييد المصلحة بمقاصد الشريعة . وبناء على هذا التصور المبني على اعتبار مقاصد الشارع في ضبط العلاقة بين الحق والمصلحة الشخصية، يمكن أن نحصل توصيفاً مزدوجاً للمصلحة يجمع بين النزعة الفردية والالتفات إلى ضمان حق الغير، وهو الذي عبر عنه الدريني بالمصلحة الاجتماعية المؤكدة لروح التضامن والتكافل الاجتماعي^(١) .

❖ الحق في التملك والتصرف:

مما تنزع إليه فطرة الإنسان أن يملك الأشياء، ويكون له فيها حق التصرف، وهو أمر أثبته الشرع الحكيم بأن جعل الإنسان خليفة له في الأرض، وأرسل يده في تملك ما استخلفه الله عليه من مال، تملكاً يجعل ما في يده ملكاً له على سبيل العارية، وليس تملكاً حقيقياً، قال تعالى: ﴿ ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ءَ وَأَنْهِفُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ءَ بِالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْقَبُوا لَهُمْ ءَ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾^(٢) .

وتأسيساً على هذا النظر، جاء تصرف الإنسان فيما يملكه تبعاً لذلك المبدأ، وأضحى صاحب المال لا يملك الخيار في التصرف فيه بما يخالف ضوابط المستخلف كسباً وإنفاقاً . هذا من حيث المبدأ الشرعي، أما واقعاً، فالغالب خلاف ذلك، حيث أصبح المالك للمال مستبداً وأنانياً في التملك والتصرف، فتعارضت بذلك المصالح وتصارعت بمنأى عن توجيهات الشارع .

ولما كان الإنسان وتصرفاته - سواء في دائرة حقه الشرعي أو خارجها - ذا تأثير وتأثر بمحيطه الاجتماعي، فإنه لا يفتأ يلحقه الضرر، أو يلحقه بغيره بقصد، أو بغير قصد . وحيث إن تصرفه خارج دائرة حقه بالوجه غير المشروع مجمع على تحريمه ومنعه، لكونه من باب التعدي، فإن المجال الآخر لتصرفه الذي اعتبرته من حقه الذي يبدو فيه لأول وهلة أنه صاحب السلطان فيه، قد اختلفت فيه آراء

(١) - نظرية التعسف في استعمال الحق لفتحي الدريني ص: ٤١ .

(٢) - سورة الحديد الآية: ٧ .

الفقهاء، فمنهم من استصحب الحكم الأولي القاضي بتسلط الإنسان على ما يملك، وأرسل له اليد في التصرف من غير قيد، ولو آل تصرفه إلى الإضرار بالغير، وعلى رأس هؤلاء ابن حزم الظاهري^(١). وفريق آخر^(٢) فصل في المسألة.

❖ الشرط الموضوعي الحاضن للعلاقة التدافعية:

أما ثالث مقدمة، فتتعلق بعدالة البيئة الاقتصادية الحاضنة للعلاقة التدافعية بين المنتج والمستهلك، وهي بمثابة الشرط الموضوعي الواجب توفره لضمان جريان تصرفاتهما على مقتضيات العدل، ويعصمهم في المقابل من استمراء التعدي على حقوق الغير. ولما كانت الجهة التي يناط بها إيجاد ذلك الشرط هو الدولة صار من اللازم أن تكون هذه الأخيرة عادلة، ليس فقط في وظيفتها، لكن في بنيتها كذلك. وبذلك يحترز من التدخل غير العادل في الاقتصاد عموماً، ومن تنظيم العلاقة التدافعية بين المنتج والمستهلك خصوصاً. وقد أوماً ابن خلدون إلى مثل هذا التدخل الجائر للدولة في التجارة (الاقتصاد) مبيئاً آثاره السلبية على المنتجين والمستهلكين، يقول: " واعلم أن السلطان لا ينمي ماله، ولا يدر موجوده إلا الجباية، وإدارها إنما يكون بالعدل في أهل الأموال... وأما غير ذلك من تجارة أو فلاح فإنما هو مضرة عاجلة للرعايا، وفساد للجباية ونقص للعمارة، وقد ينتهي الحال بهؤلاء المنسلخين للتجارة والفلاحة من الأمراء والمتغلبين في البلدان أنهم يتعرضون لشراء الغلات والسلع من أربابها الواردين على بلدهم، ويفرضون لذلك من الثمن ما يشاءون ويبيعونها في وقتها لمن تحت أيديهم من الرعايا بما يفرضون من الثمن، وهذه أشد من الأولى وأقرب إلى فساد الرعية واختلاف أحوالهم^(٣).

وقبل بسط القول في العلاقة التدافعية بين المنتج والمستهلك، وتلمس أوجه العدل فيها، أرى من الأنسب استهلاله بالحديث عن العدل في الإنتاج والاستهلاك

(١) - المحلى لابن حزم. ج ٧ ص: ٨٥.

(٢) - منهم: الإمام الشافعي في كتابه " الأم " تحقيق وتخريج الدكتور رفعت فوزي عبد المطلب الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م دار الوفاء المنصورة، ج ٣ ص: ٢٢٢ - والكاساني من الحنفية في كتابه البدائع ج ٦ ص: ٢٦٣ - ٢٦٤.

(٣) - مقدمة ابن خلدون، ص: ٣٤٨. ٣٤٩.

نظراً للتلازم بين هذين المصدرين وسلوكي كل من المنتج والمستهلك تجاه بعضهما البعض.

❖ العدل في الإنتاج

يجدر التنبيه في هذا الصدد إلى أن السلوك الإنتاجي للمنتج لا ينفصل عن الخلفية العقدية الباعثة على الفعل، وقد أشرت سابقاً في بداية هذا المطلب إلى أهمية هذه الخلفية ودورها في تشكيل الرؤية الكلية لدى المنتج المسلم، فمن خلالها يجيب عن الأسئلة الكبرى التي تعترض كل منتج في فعله الإنتاجي، وهي لماذا أنتج؟ وماذا أنتج؟

فالسؤال الأول: يرمي إلى البحث في الغاية من إنتاج الثروة، وهي الإعمار في الأرض المحقق لعبودية الخالق. أما السؤال الثاني: فيحيلنا على طبيعة السلعة التي يبذل المنتج من أجلها الجهد والوقت والمال، ثم الصفة الشرعية لذلك من حيث حكمها الشرعي، وهو ما يعني تأطير الفعل الإنتاجي وما ينتج عنه من سلع وخدمات بضابط الحلال والحرام.

ويتأسس على تلك الغائية، وهذا الضابط في الإنتاج فلسفة خاصة ومتميزة في إنتاج الثروة وكيفية التعامل معها كسباً، واستثماراً وتنمية. فهي كما يقول (باقر الصدر) هدف طريق لا هدف غاية، وبالتالي فهي وسيلة يؤدي بها الإنسان الإسلامي دور الخلافة، ويستخدمها في سبيل تنمية جميع الطاقات البشرية والتسامي بإنسانية الإنسان في مجالاتها المعنوية والمادية.^(١)

فاستصحاب المنتج لهذه الرؤية العادلة خليق بأن يجعل سلوكه متسماً بالعدل في علاقته بمختلف عناصر العملية الإنتاجية، وأخص منها بالذكر عنصري المواد الأولية، والأجراء. فالمواد الأولية ومصادرها الأساسية^(٢) في العرف الإسلامي نعم

(١). ينظر اقتصادنا لباقر الصدر، ص: ٦٣٢-٦٣٣.

(٢). وأقصد هنا ما أشير إليه في كثير من النصوص الشرعية، كما في الآيات التالية:

قال تعالى: (أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرَثُونَ ﴿٦٦﴾ ءَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ) (الواقعة، الآيتان: ٦٦، ٦٧)

قال تعالى: (أَفَرَأَيْتُمْ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ

الْمُنزِلُونَ ﴿٧٢﴾) (الواقعة، الآيتان: ٧١، ٧٢) =

استخلف عليها المنتج، تصرفه فيها مرسل ما أجراه على مقتضى العدل، وابتعد فيه عن سبل الهوى والطغيان، ومدخل ذلك شكر الله تعالى والامتنان له، وهو ما تنبئ به تنمة آيات سورة الواقعة، قال تعالى: (أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ ﴿٧٢﴾ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أَجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾).^(١)

وإن كان أداء الشكر والامتنان حقاً من الحقوق الخالصة لله تعالى، فإن الحديث عن الأجراء حديث عن حقوق العباد، وهي الأولى بالتوفية وإخلاء الذمة منها. لذلك، فالعدل فيها أوكد لابتنائها على الماحلة، بخلاف حقوق الله تعالى القائمة على العفو والتسامح^(٢)

ويأتي على رأس تلك الحقوق التي في ذمة المنتج . والتي كفلها الإسلام للأجراء . الحق في الكرامة، وهو من الحقوق المعنوية المحققة لإنسانية الإنسان في ذاته، قبل أن يحمل أي وصف انتمائي آخر، دينياً كان، أو عرقياً، أو مهنياً. ويعد المساس بهذا الحق خرمًا وقدحاً في ذات الإنسان، بل سوء أدب مع خالق وموجد تلك الذات الذي هو الله تعالى المقرر في محكم تنزيله بكرامتها لما قال عز من قائل: (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا

= قال تعالى (أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ﴿٧٤﴾ ءَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ رَتَّهَا شَجَآءَ أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ ﴿٧٥﴾) (سورة الواقعة، الآيتان: ٧٤. ٧٥)

قال صلى الله عليه وسلم: " ثلاثة لا يمنعن: الماء والكأ والنار" (سنن ابن ماجه، كتاب الرهون، باب المسلمون شركاء في ثلاث، حديث رقم: ٢٤٧٣ .

فهذه النصوص وغيرها تشير إلى المصادر الأولية للثروة، وتمثل في الأرض، وأشير إليها في النص الأول بفعل الحرث، والزرع، ثم الماء، والنار وهي رمز مصادر الطاقة.

(١) سورة الواقعة الآيات: ٧١ . ٧٢ . ٧٣ .

(٢) وهذا بناء على من يقدم حقوق العباد على حقوق الله تعالى عند التعارض كما هو الحال عند الإمام الرازي (ينظر المحصول، دراسة وتحقيق: الدكتور طه جابر فياض العلواني، مؤسسة الرسالة، الطبعة:

الثالثة، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م، ج٥ص: ١١٤)

تَفْضِيلًا ﴿٧﴾^(١)؛ ولذلك عدت الكرامة جزءاً لا يتجزأ من الإيمان^(٢). وإحياء لهذا الحق الإنساني المشاع، نجد الإسلام في مراحلهُ الأولى لم يتجاوز الدعوة إلى التوحيد لما يحمله من أبعاد تحريرية تكريمية للإنسان خلخلت مختلف البنيات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية للمجتمع الجاهلي، ومن أهم المجالات الحساسة التي ظهر فيها ذلك التأثير مجال العمل وما يقوم عليه من استعباد وتسلط، ومهانة اضمحلت معها كرامة العامل (العبد) حتى صار شيئاً غير مذكور.

وإحياء لهذا الحق الإنساني المشاع سعى الإسلام إلى إفشاء القيم المشتركة بين بني آدم، وعلى رأسها الحرية والكرامة والعدل من خلال شعار: "كلكم لأدم وأدم من تراب"^(٣)، فدعى بذلك إلى قواعد جديدة للاجتماع الإنساني، للتوحيد فيها قيمة مركزية مؤسسة للتصور، وموجهة للسلوك، كما سن معاير أخرى للتفاضل هي في عمقها بواعث على الارتقاء بالتعامل مع الآخر.

وبناء على ذلك أعيد تنظيم العلاقة بين السيد والعبد، والأجير والمستأجر، فصارت الأطراف المستضعفة قبل أن كانت لا تملك من أمرها شيئاً عزيزة موهوبة الجانب، محفوزة الكرامة.

وعليه، فكل منتج ينتج خارج هذه الرؤية، فهو إنتاج واستغلال على حساب الكرامة الأدمية، وضرب من ضروب الظلم التي وجب رفعه شرعاً وقانوناً.

- حقه في الأجر :

تضافرت النصوص الشرعية التي يستفاد منها الإقرار المتكرر للإسلام بالحقوق المادية للأجير، وعلى رأسها الأجر. ويعد إقرار الله تعالى بمبدأ ربط الجزاء بالعمل أمارة من الأمارات الدالة على العدل في فعله، قال تعالى (فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْفَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٨﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْفَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ

(١) . سورة الإسراء، الآية ٧٠.

(٢) . حقوق الإنسان والقضايا الكبرى (مقالة) للأستاذ كامل إسماعيل الشريف، عن ندوة حقوق الإنسان في الإسلام (عرض وثائقي)، رابطة العالم الإسلامي، الأمانة العامة، مكة المكرمة ١٩ - ٢١ ذو القعدة ١٤٢٠هـ - ٢٥ - ٢٧ فبراير ٢٠٠٠م، ص: ٩١.

(٣) . أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، لأبي الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن الوليد بن عقبة بن الأزرق الغساني المكي المعروف بالأزرق، تحقيق رشدي الصالح ملحس، نشر دار الأندلس للنشر - بيروت، ج٢ ص ١٢١.

﴿١﴾. (١) ولما كان شرعه المنزل على الرسل فعلاً من أفعاله فقد انطبع بتلك الصفة (العدل) وصارت وصفاً ذاتياً له، تجلت فيما تجلت في إقرار حق الأجير في الأجر بعد العمل، واعتباره أمانة في عنق المستأجر وجب دفعها إليه، قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ) (٢).

وفي الحديث القدسي: " ثلاث أنا خصمهم يوم القيامة ومن كنت خصمه خصمته، منهم: رجل استأجر أجيراً فاستوفى منه ولم يعطه أجره (٣).

ولا يقتصر وجه العدل في إقرار الحق في الأجر، بل يتجاوز ذلك إلى تحقيق معانيه ومقتضياته التي منها:

. تحقيق معاني العدل في ماهية الأجر، وهو أن يكون على قدر طاقة الأجير، وعدم تكليفه ما لا يطيق، قال تعالى: (لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا) (٤)، وقال صلى الله عليه وسلم في جزء من حديثه: " ولا تكلفوهم ما لا يطيقون" (٥).

. أن يكون الأجر معلوماً، فالإسلام يكره الجهالة (٦) في كل المعاملات، ولذلك يطلب أن يكون تحديد الأجر من البداية معلوماً من الطرفين العامل ورب العمل ليقوم العامل بما كلف به مطمئناً إلى أنه لم يظلم، أو أن يحيف عليه صاحب العمل بعد أن أخذ منه جهده ووقته، واطمئنان العامل يفسح المجال أمامه ليعمل بإخلاص وليجود ويبتكر وليكون حريصاً على كثرة الإنتاج وبذلك يعم الخير فيشمل العامل وصاحب العمل والمجتمع (٧).

(١) .سورة الزلزلة، الآيتان ٨ - ٩ .

(٢) .سورة النساء، جزء من الآية ٥٧ .

(٣) . سنن ابن ماجه، باب أجر الأجراء، حديث رقم: ٢٤٤٢ .

(٤) .سورة البقرة، جزء من الآية ٢٨٥ .

(٥) .مصنف عبد الرزاق الصنعاني، باب ما ينال الرجل من مملوكه، حديث رقم ١٧٩٣٤ .

(٦) .المقصود بالجهالة ما علم حصوله جهلت صفته، كبيع الإنسان ما في كفه، فهو يحصل قطعاً لكن لا يدري أي شيء هو" (أنوار البروق في أنواء الفروق) للقرافي نشر: عالم الكتب، الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ، ج٣ص: ٢٧٢ .

(٧) .العمال في رعاية الإسلام للدكتور محمد الطويل، ١٩٩٧ . ١٩٩٨م، مكتبة ومطبعة الغد، ص: ٨٣ .

ومن الصور المهمة التي حرصت الشريعة الإسلامية على إجرائها على العدل ما يتعلق بطبيعة العلاقة التشاركية بينهما من حيث الربح أو الخسارة. فالربح بينهما عائد احتمالي يقابله غرم احتمالي، ويرتكز ذلك على حديث الرسول - صلى الله عليه وسلم - "الخراج بالضمنان"^(١)، ويقسم هذا الربح بين رأس المال والعمل المضارب أو العمل المشارك، فكلاهما شريك في تحمل الغرم الاحتمالي، فصاحب رأس المال النقدي قد يتعرض لخسارة رأس ماله كله أو بعضه فضلاً عن عدم تحقق الربح، والعامل قد يتعرض لخسارة عمله المبذول عندما لا تتحقق أرباح أو تتحقق خسائر فإذا انتفت المشاركة في تحمل الغرم ينتفي حق المشاركة في الربح.^(٢)

❖ العدل في الاستهلاك:

أما الاستهلاك في التصور الإسلامي فمنوط هو الآخر برؤية متميزة قوامها اعتبار الاستهلاك وسيلة إلى قيام الشخص بما وكل إليه من أعمال، وعلى رأسها تحمل أمانة الاستخلاف وشكر المنعم عز وجل، يقول ابن القيم: "وأما المطاعم والمشارب والملابس والمناكح فهي داخلة فيما يقيم الأبدان ويحفظها من الفساد والهلاك وفيما يعود ببقاء النوع الإنساني؛ ليتم بذلك قوام الأجساد وحفظ النوع فيتحمل الأمانة التي عرضت على السماوات والأرض ويقوى على حملها وأدائها، ويتمكن من شكر مولى النعم ومسديه"^(٣)

فتحقيق عين العدل في السلوك الاستهلاكي مبدؤه: تشرب واستبطان معاني هذا التصور، لتأتي بعد ذلك بقية الأهداف الجزئية التي يحصلها المستهلك عند إشباع حاجاته، كاللذة والسعادة^(٤). ويتساق مع هذا التصور وضع الشرع

(١) سنن الترمذي، باب ما جاء فيمن يشتري العبد، حديث رقم: ١٢٨٥.

(٢) الاقتصاد الإسلامي، النظام والنظرية لنجاح عبد العليم عبد الوهاب أبو الفتوح، جامعة الأزهر، عالم الكتب الحديثة إريد، الأردن ط الأولى ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م، ص: ٧١.

(٣) مفتاح السعادة لابن القيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت. د.ت، ج ٢ ص: ٥٠.

(٤) - يجدر التنبيه في هذا إلى الاختلاف الحاصل بين النظرة الإسلامية للاستهلاك والنظرة الاقتصادية الوضعية من حيث الأهداف المتوخاة، فهذه الأخيرة تختزلها كاللذة والسعادة الدنيوية، بل أحياناً يختزل الوجود عندهم في الاستهلاك.

يقول عالم الاجتماع "بوديار": "أنا أستهلك إذن أنا سعيد" ("وظيفة الاستهلاك في المجتمعات الرأسمالية مقدمة لدراسة تحليلية" مجلة دراسات عربية بيروت، ع، ٥٤، س ٢١، مارس ١٩٨٥، ص: ٥٧). ويقول "إيريك =

الحكيم منهجاً عادلاً في الاستهلاك ينم عن عدل الشريعة الإسلامية ومعقوليتها، وهو ما تضمنته النصوص الشرعية الواردة في هذا الباب، قال تعالى: (يَبْنِ عَادِمَ خَذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ) (١).

قال تعالى: (وَالَّذِينَ إِذَا أَنْبَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يُفْتِرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً) (٢).

قال تعالى: (وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا) (٣).

وقال - صلى الله عليه وسلم -: "كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا في غير إسراف ولا مخيلة" (٤).

فالاستهلاك الوارد في هذه النصوص بمعاني: الأكل والشرب، والإنفاق، والصدقة جاء منضبطاً بعد إطلاق حكم الإباحة، يقول الرازي في معرض تفسيره لآية الأعراف: "واعلم أن قوله: (وكلوا واشربوا) مطلق يتناول الأوقات والأحوال ويتناول جميع الأطعمة والمشروبات إلا ما خصه الدليل المنفصل، والعقل أيضاً مؤكداً له؛ لأن الأصل في المنافع الحل والإباحة" (٥).

وفي تقييد لحكم الإباحة المشار إليه من قبل الرازي ألفت نصاً للإمام محمد بن الحسن الشيباني يفصل فيه أهم حالاته فيقول: "المسألة (الإشباع) على أربعة أوجه ففي مقدار ما يسد به ريقه ويتقوى على الطاعة هو مثاب غير معاقب، وفيما

=فروم: "أنا موجود بقدر ما أملك وما أستهلك"، وذهب أحد الباحثين إلى اختزال الاستهلاك عندهم في اللذة والفائدة. ("في نقد الذات وفلسفة التغيير" لعادل حسون مجلة البلاغ، الكويت، ع ٩٦٠، الأحد ١٤ صفر ١٤٠٩هـ، ص: ٢٠٠. نقلا عن كتاب المفاهيم الاستهلاكية في ضوء القرآن والسنة النبوية (الجزء الثاني)، زيد بن محمد الرماني. السنة ١٣. رمضان ١٤١٥، ع ١٥٣، ص: ٣٧).

(١). سورة الأعراف، الآية ٣١.

(٢). سورة الفرقان، الآية ٦٧.

(٣). سورة الاسراء، ٢٩.

(٤). صحيح البخاري، كتاب اللباس، باب البس ما شئت ما أخطأك سرف..

(٥). مفاتيح الغيب للرازي، دار إحياء التراث العربي. بيروت، ط: الثالثة ١٤٢٠هـ ج ١٤ ص: ٢٣٠.

زاد على ذلك إلى حد الشبع فهو مباح له محاسب على ذلك حساباً يسيراً.. وفي قضاء الشهوات ونيل اللذات من الحلال هو مرخص له محاسب على ذلك مطالب بشكر النعمة وحق الجائعين وفيما زاد على الشبع فإن الأكل فوق الشبع حرام".^(١)

فالاستهلاك ليس مجرد قضاء حاجة، وبأي طريقة كانت، وإنما هو فعل وعمل محاسب عليه من قبل الله تعالى ولو كان في نطاق المباح، وبناء على هذا وجب على المستهلك تحري العدل بينه وبين المنعم (الله تعالى)، وذلك بشكر الله تعالى على النعمة والإنفاق على المحتاجين، واستتباع ذلك بالعدل مع النفس بالزامها الاعتدال والرشد^(٢) في الإنفاق وهو ما يأتي وسطاً بين التقتير والسرف. وبهذا المنهج الرشيد يمكن الحد من مجموعة من السلوكات الآيلة إلى الإضرار بالنفس والغير كهدر الجهد الإنساني عند السرف، أو حبسه دون استغلال عند التقتير^(٣)، والسفه^(٤)، والإنفاق الذي فيه اعتداء على ذوي الحقوق كالتوصية بأكثر من الثلث^(٥).

٣. العدل ضابطاً للتدافع، وأثره في إحلال السلم.

لاشك أن استبطان كل من المنتج والمستهلك لذلك التصور العقدي الصائغ لرؤيتهم للحياة عموماً، وللمال خاصة، بالإضافة إلى تحكيم العدل بمعناه

(١). الكسب لمحمد بن الحسن الشيباني، نشر وتوزيع عبد الهادي حرصوني، دمشق ١٤٠٥هـ، ص: ١٠٤.

(٢). يقصد بالرشد هنا "الصلاح في المال والحفظ له عن التبذير" (القاموس الفقهي، سعدي أبو جيب، دار الفكر دمشق، ١٤٠٢هـ، ص: ١٤٨).

(٣). ينظر المفاهيم الاستهلاكية في ضوء القرآن والسنة، لزيد بن محمد الرماني، السنة ١٣، رمضان ١٤١٥هـ، ص: ١٥٣.

(٤). والسفه لغة: الخفة، وسافه الشراب شربه جزافاً بغير تقدير (لسان العرب لابن منظور، مادة "سفه")، وهو من العوارض المكتسبة، لأن السفه يقوم بالتصرف باختياره على خلاف ما يتطلبه العقل السليم (محددات سلوك المستهلك المسلم، د. حسين الزبود، د. ابراهيم البطاينة، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، المجلد التاسع، ع ٤، ١٣٣٥هـ - ٢٠١٣م، ص: ٢٧٢)، ولخطورته رتب الشارع عليه حكم الحجر حفاظاً على المال، قال تعالى: (وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ فِيهَا) (سورة النساء، جزء من الآية ٥)

وفي المقابل جعل وصف الرشيد في اليتيم أمانة تستلزم دفع ماله إليه. قال تعالى في جزء من الآية من سورة النساء: (فَإِنْ - أَنْتُمْ مِنْهُمْ رُشِدًا فَادْبِعُوا إِلَيْهِمْ؛ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا

وَبِدَارًا

(٥). ينظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، ج ١٠، ص: ٢٥١.

الشامل في سلوكيهما الاقتصادي، لا شك أنه سيمهد لحضور خلق العدل في التدافع بينهما، وينأى بهما . في المقابل . عن أكل أموال بعضهما البعض بالباطل بمختلف صورته المعبرة عن الظلم، والجشع والطمع، والغش، والانتقام...، وهي تعبيرات وأوصاف تنتظم أنواعاً من المعاملات المالية المنهي عنها شرعاً. يقول ابن تيمية مبيناً أوجه العدل في تلك العلاقة التدافعية: " فمن العدل فيها . (في المعاملات) . ما هو ظاهر يعرفه كل أحد بعقله كوجوب تسليم الثمن على المشتري وتسليم المبيع على البائع المشتري، وتحريم تطفيف المكيال والميزان، ووجوب الصدق والبيان، وتحريم الكذب والخيانة والغش، وأن جزاء القرض الوفاء والحمد. ومنها ما هو خفي جاءت به الشرائع أو شريعتنا أهل الإسلام، فإن عامة ما نهى عنه الكتاب والسنة من المعاملات يعود إلى تحقيق العدل والنهي عن الظلم دقه وجله، مثل أكثر المال الباطل وجنسه من الربا.."^(١)

ومن الأحكام في النظرية الإسلامية المنظمة لهذه العلاقة: عدم الاكتفاء باصطحاب العدل خلقاً في المعاملة الاقتصادية؛ بل يجب أن يحضر مقصداً، ومعياراً كلياً يوزن به التعامل. يقول الشيخ رشيد رضا: " إن ما ورد في الشرع بشأن ما يصح من المعاملات المالية ونحوها، وما لا يصح، لا يراد به أن ذلك من حقوق الله على العبد كالعبادات، وترك الفواحش، وإنما المراد بذلك منع التظالم والتغابن بين الناس، فكل معاملة لا ظلم فيها فهي جائزة."^(٢)

وقد ألفت الخطاب الشرعي في بعض عموماته تارة أمراً صراحة بالعدل، وتارة ناهياً عن أضداده. قال تعالى: ((إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ)^(٣) وقال عز من قائل: (وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ)^(٤) ، يقول الفخر الرازي في تفسيره للفظ "الباطل": " ذكروا في تفسير الباطل وجهين:

(١). السياسة الشرعية لابن تيمية، ص: ٢١١.

(٢). مجلة المنار، المجلد التاسع، ج٧ص: ٥٣٨.

(٣). سورة النساء، جزء من الآية ٥٧.

(٤). سورة البقرة، جزء من الآية ١٨٧.

الأول: أنه اسم لكل ما لا يحل في الشرع، كالربا والغصب والسرقة والخيانة وشهادة الزور وأخذ المال باليمين الكاذبة وجحد الحق..، والثاني: ما روي عن ابن عباس والحسن . رضي الله عنهم . : " إن الباطل هو كل ما يؤخذ من الإنسان بغير عوض.." (١). وبناء على هذه المعاني فالآية تنظم لعلاقة عادلة بين المنتج والمستهلك، فلا يعتدي البائع (المنتج) على المشتري (المستهلك) بالغش أو التديليس في المنتج، ولا المستهلك على المنتج بالسرقة والغصب أو الثمن المغشوش..، يقول الشيخ أبو زهرة: " وذكر كلمة (بينكم) للإشارة إلى أن التبادل بين الأحاد يكون على أساس من الحق ولا يكون بالباطل، والباطل هو الطرق المحرمة لجمع المال كالربا والرشوة والسرقة والغصب والنصب والتزوير والغش والتديليس والاحتكار الآثم.." (٢).

ونظراً للتأثير البالغ للشأن الاقتصادي في العلاقات الاجتماعية من حيث استقرارها، أو اضطرابها، فإن قيام السلم الاجتماعي، وبناء العلاقات الاجتماعية على التسالم والمصالحة، والتبادل العادل للمصالح، سيكون رهيناً بمدى استقرار العلاقة التدايفية بين المنتج والمستهلك. ولا استقرار لها إلا في كنف العدل الضامن للحقوق، والنصفة من النفس والغير.

(١). تفسير الفخر الرازي، ج ١٠، ص: ٥٦.

(٢). زهرة التفاسير، للشيخ أبي زهرة، ص: ١٦٥٦.

الخاتمة:

ختاماً لهذه الورقة البحثية سنعمد إلى ذكر بعض ما جادت به تلك المباحث والفقرات، ومما أسفر التحليل وبناء الموضوع عنه من نتائج وخلاصات، لأختم بعد ذلك بذكر بعض التوصيات والآفاق العلمية المحتملة.

وفيما يخص الخلاصات أذكر ما يلي:

- أهمية المدخل الأخلاقي في إحلال السلم الاجتماعي؛ نظراً لما يفتحه من آفاق تغييرية على مستويات عميقة في النفس الإنسانية، حيث تقوية الضمير الأخلاقي في صورته الفردية والجمعية، ثم الارتقاء بالسلوكيات الاقتصادية والسياسية..
- للقيم الأخلاقية في بعدها التصوري العقدي دور مهم في تشكيل التمثلات لدى المنتج والمستهلك في علاقة أحدهما بالآخر، وحول بعض القضايا والمفاهيم المحورية في المجال الاقتصادي كمفهوم المال، والمصلحة، والخسارة..، وهو ما يؤسس بالتبع لثقافة سلم اجتماعي ذي عمق عقدي.
- القيم الأخلاقية عامل مضاعف لإصلاح الذات الإنسانية وتهذيبها، خصوصاً إذا ارتبطت ببعدها الديني الذي يمنحها أبعاداً أخروية باعثة على احترام حقوق الغير..
- تحقق السلم الاقتصادي من خلال الضبط الأخلاقي لسلوكي المنتج والمستهلك معبر مهم وحاسم إلى تشييد العلاقات الاجتماعية على أساس من السلم والأمن؛ حيث إن القيم والأخلاق الإسلامية لها القدرة على الحسم الوقائي في كثير من الظواهر الاقتصادية السلبية ذات الأبعاد الاجتماعية كالاحتكار، والاستغلال، والانتقام..
- تعد قيمة العدل من القيم الأخلاقية الكلية في النظام القيمي الأخلاقي الإسلامي التي لها كبير أثر في بناء العلاقات الإنسانية . سواء في شقها السياسي، أو الاقتصادي، أو الاجتماعي . على أساس التوازن والاعتدال، وضمان الحقوق المتبادلة، وهو ما يسمح بالقول: إن العدل مناط من مناطات السلم الاجتماعي.

- تحقق العدل في العلاقة التدايفية بين المنتج والمستهلك مرهون بالعدل في الإنتاج والاستهلاك، نظراً للتداخل والتكامل الحاصل بين وظائف المنتج والمستهلك.
- إجراء العلاقة التدايفية بين المنتج والمستهلك وفق مقتضيات العدل، كفيل بمنع كثير من التعاملات المالية المبنية على الغرر والجهالة والغبن والربا... وهو ما سيجنب العلاقات الاجتماعية بين الأفراد الكثير من الاضطرابات والقلق..
- أما التوصيات فأجملها في: لفت الانتباه إلى ضرورة العناية بالتربية الأخلاقية، وجعلها أساساً لبناء السلم الاجتماعي. من خلال تأسيس الفعل والسلوك الاقتصادي للمستهلكين والمنتجين على أسس قيمة أخلاقية عادلة، توازن بين مختلف مصالح الفئات المؤثرة والمتأثرة بمآلات التعاملات المالية والاقتصادية. ولتحقيق هذا، لابد من توجيه مؤسسات التنشئة والتأهيل في الدولة إلى استثمار المعطى الأخلاقي في موادها ومناهجها التكوينية والتعليمية.. هذا بالإضافة إلى تشجيع الأعمال العلمية الموجهة نحو البناء التربوي للإنسان عامة، والمنتج والمستهلك خاصة، والعمل على مدارس سبل تعزيز التربية القيمية والأخلاقية لمختلف الفاعلين في المجال الاقتصادي.
- وفي الختام، لا يسعني إلا أن أحمد الله تعالى أن وفقني للإسهام في هذا الموضوع الذي أحسبه من المواضيع الحية المسهمة في صياغة اللبنة الأساس للعمران لدى أي أمة تبتغي النهوض والتقدم. ولما كان الجهد البشري معترياً بالنقص، وهذا البحث جزء منه، فأني ألتمس من قارئه ومقومه أن ينظر إلى نواقصه بعين الرضى المغلبة للمحاسن على المساوي..

لائحة المصادر والمراجع:

- . أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، لأبي الوليد محمد بن عبد الله الأزرق، تحقيق رشدي الصالح ملحس، نشر دار الأندلس للنشر - بيروت.
- الاقتصاد الإسلامي، النظام والنظرية لنجاح عبد العليم عبد الوهاب أبو الفتوح، جامعة الأزهر، عالم الكتب الحديثة إريد، الأردن ط الأولى ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.
- ابن باديس، حياته وآثاره، إعداد وتصنيف: د. عمار السالبي، دار الكتب المكتبة، الشركة الجزائرية ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م.
- إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي، دار المعرفة - بيروت، ط: بدون، وبدون تاريخ.
- . أساس البلاغة للزمخشري. تحقيق: محمد باسل عيون السود. الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان. الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.
- . أعلام الموقعين لابن القيم، تحقيق: محمد عبد السلام ابراهيم. دار الكتب العلمية، بيروت. ط: الأولى ١٤١١هـ - ١٩٩١م.
- اقتصادنا، لباقر الصدر. دراسة موضوعية تتناول بالنقد والبحث المذاهب الاقتصادية الماركسية والرأسمالية والإسلام في أسسها الفكرية..، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ط: السابعة عشرة.
- . الاستقامة، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق الدكتور محمد رشاد سالم، ط: الثانية، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.
- الأم للشافعي، تحقيق وتخريج الدكتور رفعت فوزي عبد المطلب الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١م دار الوفاء المنصورة.
- . التحرير والتنوير للشيخ الطاهر بن عاشور التونسي (ت: ١٣٩٣هـ). الناشر: الدار التونسية للنشر - تونس. سنة النشر: ١٩٨٤ هـ، ط: بدون.
- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش. نشر: دار الكتب المصرية - القاهرة. الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤.
- . الدين، للدكتور عبد الله دراز. بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان. مؤسسة هنداوي، ط: بدون.
- الذريعة إلى مكارم الشريعة للإمام أبي القاسم الحسين بن محمد (المعروف بالراغب الأصفهاني)، تحقيق: د. أبو اليزيد أبو زيد العجمي، نشر: دار السلام - القاهرة ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م
- . الرد على المنطقيين لابن تيمية، تحقيق الشيخ عبد الصمد شرف الدين الكتبي، مؤسسة الريان، ط: الأولى ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
- . السياسة الشرعية لابن تيمية، نشر وزارة الأوقاف والدعوة والإرشاد - السعودية، ط الأولى: ١٤١٨هـ.

- . سنن الترمذي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت. تحقيق: أحمد محمد شاعر وآخرون الأحدث مذيبة بأحكام الألباني عليها.
- . العمال في رعاية الإسلام للدكتور محمد الطويل، ١٩٩٧. ١٩٩٨م، مكتبة ومطبعة الغد.
- . العين لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري. تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي. ناشر: دار ومكتبة الهلال.
- الفروق (أنوار البروق في أنواع الفروق) للقرا في نشر: عالم الكتب، الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ.
- القاموس الفقهي، سعدي أبو جيب، دار الفكر دمشق، ١٤٠٢هـ.
- . الكسب لمحمد بن الحسن الشيباني، نشر وتوزيع عبد الهادي حرصوني، دمشق ١٤٠٥هـ.
- . الكشاف للزمخشري، دار الكتاب العربي، ط: الثالثة ١٤٠٧هـ.
- الكليات الأساسية للشريعة الإسلامية، للدكتور أحمد الريسوني، دار الكلمة للنشر، ط: الأولى ١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣م.
- المحصول للرازي، دراسة وتحقيق: الدكتور طه جابر فياض العلواني، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثالثة، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.
- المحلى، لابن حزم. الناشر: دار الفكر - بيروت. الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ.
- . المستصفى الغزالي أبي حامد محمد بن محمد الطوسي (ت: ٥٠٥هـ). تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي. الناشر: دار الكتب العلمية. الطبعة: الأولى، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
- المعيار العرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل أفريقية والأندلس والمغرب. تأليف أبي العباس أحمد بن يحيى الونشريسي، خرجه جماعة من الفقهاء بإشراف الدكتور محمد حجي. نشر وزارة الأوقاف، المملكة المغربية ١٤٠١ هـ - ١٩٨١م.
- المفاهيم الاستهلاكية في ضوء القرآن والسنة النبوية (الجزء الثاني)، زيد بن محمد الرماني. السنة ١٣. رمضان ١٤١٥، ١٥٣ع.
- . الموافقات للشاطبي، دار المعرفة بيروت، تحقيق عبد الله دراز.
- بدائع الصنائع للكاساني. الناشر: دار الكتب العلمية. الطبعة: الثانية، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
- تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي. تحقيق: مجموعة من المحققين. دار الهداية. ط: بدون.
- . تفسير المنار للشيخ محمد رشيد رضا. الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب. سنة النشر: ١٩٩٠ م.
- تهذيب الأخلاق لابن مسكويه، مطبعة صبيح، القاهرة، ١٩٥٩م.
- حجة الوداع، لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، تحقيق: أبو صهيب الكرمي - بيت الأفكار الدولية للنشر ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

المؤتمر الدولي العاشر

[دور العلوم العربية والإسلامية في تكريس الأمن الفكري وتحقيق السلام المجتمعي]

- حماية المستهلك في الفقه الاسلامي لرمضان علي السيد الشرنباصي . دراسة مقارنة . ط: الأولى ١٤٠٤هـ ، مطبعة الأمانة.
- حماية المستهلك لمحمد بودالي . دراسة مقارنة مع القانون الفرنسي، دار الكتاب الحديث، ط: بدون، وبدون تاريخ.
- دور القيم والأخلاق في الاقتصاد، للدكتور يوسف القرضاوي، ط: الأولى ١٤١٥هـ . ١٩٩٥م، نشر مكتبة وهيبة.
- روح المعاني للألوسي، تحقيق علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى، ١٤١٥هـ .
- سنن ابن ماجه، الناشر : دار الفكر - بيروت . تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي . مع الكتاب: تعليق محمد فؤاد عبد الباقي، والأحاديث منيذة بأحكام الألباني عليها، ط: بدون.
- سؤال الأخلاق، للدكتور طه عبد الرحمان، ط: الأولى، ٢٠٠٠م.
- صحيح البخاري، المحقق : محمد فؤاد عبد الباقي . الناشر: دارالسلام - الرياض . الطبعة : الأولى ١٤١٩هـ .
- ضوابط المصلحة، لمحمد سعيد رمضان البوطي، مؤسسة الرسالة، الطبعة السادسة - ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م .
- قواعد الأحكام في مصالح الأنام، راجعه وعلق عليه: طه عبد الرؤوف سعد . الناشر: مكتبة الكليات الأزهرية - القاهرة . (دار الكتب العلمية - بيروت، ودار أم القرى - القاهرة) . طبعة: جديدة مضبوطة منقحة، ١٤١٤ هـ - ١٩٩١ م.
- لسان العرب لابن منظور، دار صادر بيروت، ط: الثالثة، ١٤١٤هـ.
- مجموع الفتاوى لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن تیمية الحراني، تحقيق : أنور الباز - عامر الجزائر . الناشر: دار الوفاء . الطبعة : الثالثة ، ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م
- مشكلات الحضارة - المسلم في عالم الاقتصاد، للمالك بن نبي، بإشراف ندوة مالك بن نبي، دار الفكر دمشق، سورية، ط: العاشرة ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م.
- مصنف عبد الرزاق الصنعاني، نشر : المكتب الإسلامي بيروت: ط الثانية ١٤٠٣ تحقيق : حبيب الرحمان الأعظمي
- مفاتيح الغيب للرازي، دار إحياء التراث العربي . بيروت، ط: الثالثة ١٤٢٠هـ .
- مفتاح السعادة لابن القيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت. د.ت.
- مقدمة ابن خلدون، تحقيق خليل شحادة، نشر دار الفكر، بيروت - ط: الثانية ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م
- نظرية التعسف في استعمال الحق لفتحي الدريني . الطبعة الثالثة ١٤٠١هـ . ١٩٨١م . مؤسسة الرسالة.

.. مقاصد الشريعة الإسلامية لابن عاشور، تحقيق ودراسة محمد الطاهر الميساوي، دار النفائس، ط: الثانية ١٤٢١ - ٢٠٠١م، ص: ٤٦٤

- زهرة التفاسير لمحمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (ت: ١٣٩٤هـ) . دار النشر: دار الفكر العربي.

- مفاتيح الغيب = التفسير الكبير لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت: ٦٠٦هـ) . الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط: بدون.

مجلات ومواد قانونية:

. مجلة المنار، المجلد التاسع، ج٧ص: ٥٣٨.

. مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية، المجلد ٢٧، العدد الثالث، ٢٠١١م، عنوان المقال: "اقتران الإيمان بالعمل الصالح في القرآن الكريم ودلالاته الحضارية"، لصاحبه الدكتور عبد الرحمان حللي . كلية الشريعة . جامعة حلب.

- في الاقتصاد الإسلامي"، لمجموعة مؤلفين، جامعة محمد الخامس، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة ندوات ومناظرات رقم: ١٥ ، ١٤١٠هـ / ١٩٨٩م / مقالة بعنوان: "ملامح النظام الاقتصادي في الإسلام، للأستاذ عبد الله عاصم، كلية الحقوق . الرباط .

- المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، المجلد التاسع، "محددات سلوك المستهلك المسلم"، د.حسين الزيود . د.ابراهيم البطاينة، ع ٤٤ ١٣٣٥هـ - ٢٠١٣م،

. المجلة المغربية لقانون واقتصاد التنمية، عدد خاص بندوة: "الأسعار والمنافسة، بين حرية المقاول وحماية المستهلك"، ع ٤٩٤ - ٢٠٠٤م

. ندوة حقوق الإنسان في الإسلام (عرض وثائقي)، رابطة العالم الإسلامي، الأمانة العامة، مكة المكرمة ١٩ . ٢١ . ذو القعدة ١٤٢٠هـ . ٢٥ . ٢٧ فبراير ٢٠٠٠م، مقالة: "حقوق الإنسان والقضايا الكبرى" للأستاذ كامل إسماعيل الشريف.

- كتاب الأمة، ع ١١٠، ذو القعدة ١٤٢٦ السنة الخامسة والعشرون، "وثيقة المدينة المضمون والدلالة" لأحمد قائد الشعبي.

. جريدة الشرق الأوسط، الجمعة ٢٤ ربيع الأول ١٤٢٢هـ ١٥ يونيو ٢٠٠١م، العدد ٨٢٣٥.

. اتفاقية المجلس الأوروبي . (الاتفاقية المنعقدة في ١٩٧٦/٠٩/٠٩) .، المادة: ٢/٢

. التوجيه الأوروبي الصادر في ٢٥ يوليو بخصوص مسؤولية المنتج عن فعل المنتجات المعيبة، المادة الثالثة من الاتفاقية.

الأمن الفكري

في المدينة الفاضلة عند الفارابي

دكتور / محمد عبد الصبور عبدالجليل

دكتوراه في العلوم الإسلامية - قسم الفلسفة الإسلامية

المقدمة :

الحمد لله رب العالمين و الصلاة و السلام علي النبي الأمين - وعلي آله الطيبين الطاهرين - وصحبه الكرام المهتدين .

وبعد :

يحتل الأمن مكاناً بارزاً بين المهتمين، والمسئولين، والمواطنين في المجتمع المعاصر لاتصاله بالحياة الأمنية بما يوفره من طمأنينة النفوس، وسلامة التصرف والتعامل وكذلك أصبح الأمن من أهم المطالب الرئيسية لأي مجتمع يريد التقدم ، فهو ركيزته استقراره .

وإذا كان الأمن علي تعدد أنواعه مطلباً رئيسياً لكل أمة - فإن الأمن الفكري يعد أهم تلك الأنواع وأقواها ، لكونه يستمد جذوره من عقيدة الأمة ومسلماتها ، ويحدد هويتها ، ويحقق ذاتيتها ، ويراعي مميزاتا وخصائصها .

ولهذا يتبوأ الأمن الفكري قمة الهرم بين أنواع الأمن المختلفة ، نظراً لأهميته التي تبثدي في انطلاق تصرفات الفرد من قناعته المستمدة من الوعاء الثقافى للمجتمع ، والمسندة إلي رصيده الفكري والاعتقادي .

ويرتبط الأمن الفكري ارتباطاً وثيقاً بصور الأمن الأخرى؛ فإن تحققه يؤمن تحقيقاً تلقائياً لأنواع الأمن الأخرى ، فالإنسان أسير فكره ومعتقدده، فأى إخلال بالأمن المادي يسبقه إخلال بالأمن الفكري .

لقد كان للفلسفة دوراً كبيراً في تحقيق الأمن الفكري قديماً ، ومن أهم الفلاسفة المسلمين الذين قدموا جانباً تطبيقياً لتكوين مجتمع بشري علي أسس من العدالة والفضيلة هو أبو نصر الفارابي ، من خلال فلسفته الفيضية .

إن هذه الفلسفة الفيضية حاول فيها الفارابي أن يحل المسائل الكونية والأخلاقية والاجتماعية والسياسية والروحانية لبلوغ الهدف الأساسي وهو تكوين

مجتمع بشري علي أسس من العدالة والفضيلة، و لما كان النبي أو الفيلسوف يدرك الحقائق فيحقق له أن يؤسس المدينة الفاضلة .

لذا جاء موضوع البحث بعنوان : (الأمن الفكري في المدينة الفاضلة عن الفارابي)

والفارابي من أشهر الفلاسفة الذين حاولوا التعرض في مصنفاته لتكوين مجتمع على أسس الفضيلة، لذا نجده يقسم العلوم إلي قسمين :

١- علوم نظرية أو فلسفة نظرية : وهي التي تحصل بها معرفة الموجودات التي ليس للإنسان فعلها، وتشتمل علي التعاليم، والعلم الطبيعي، وعلم ما بعد الطبيعة .

٢ - علوم عملية أو فلسفة عملية : وهي التي تحصل بها معرفة الأشياء التي شأنها أن تفعل، وقسم الفلسفة العملية إلي : علم الأخلاق : وهو الذي تحصل به الأفعال الجميلة وبها تصير الأفعال جميلة ،وعلم السياسة : وهو يشتمل علي معرفة الأمور التي تحصل بها الأشياء الجميلة لأهل المدن والقدرة علي تحصيلها. (١)

منهج البحث:

اتبعت في بحثي هذا المنهج التحليلي، الذي يقوم علي تحليل آراء الفارابي في المسائل المتعلقة بالأمن في المدينة الفاضلة من المصادر المعتمدة .

حاول الفارابي أن يقدم جانباً تطبيقياً من خلال الفلسفة الفيضية لتحل المسائل الأخلاقية والاجتماعية والسياسية والروحانية - مسترشداً بنظرية أفلاطون الخاصة بالفيلسوف الملك وأضاف إليها نظرية النبي الملك ،في تكوين المدينة الفاضلة - فالفيلسوف عنده يتأمل الحقائق الأزلية في العقل الفعال الموجود في فلك القمر ، كما أن النبي يوحى إليه بها من نفس المصدر - وكل مدينة قائمة علي خلاف هذه الأسس مصيرها الهلاك والزوال، وكل مدينة عرفت هذه الأسس وتجاهلتها هي مدينة فاسقة مصير أهلها العذاب .

لذا جاء البحث مشتملاً علي ثلاثة مباحث، كل مبحث ينقسم إلي عدة

محاوور على النحو التالي:-

(١) - الفارابي : إحصاء العلوم ، (ص: ١٣٢) - دار المعارف المصرية . ط/ الأولي ١٩٧١م.

المبحث الأول: مصطلحات الدراسة: ويشتمل علي :

- أولاً : مفهوم الأمن .
- ثانياً : مفهوم الفكر .
- ثالثاً : مفهوم الأمن الفكري .

المبحث الثاني : المدينة الفاضلة عند الفارابي

- أولاً : المدينة الفاضلة .
- ثانياً : رئيس المدينة الفاضلة .
- ثالثاً : خصال رئيس المدينة الفاضلة .

المبحث الثالث: مضادات المدينة الفاضلة:

- أولاً : المدينة الجاهلة عند الفارابي .
- ثانيا : المدينة الفاسقة عند الفارابي .
- ثالثا : المدينة المبدلة عند الفارابي .
- رابعاً : المدينة الضالة عند الفارابي .

الخاتمة : وقد تضمنت أهم نتائج البحث وأخيراً ثبت المصادر والمراجع .

فما كان في هذا العمل البشري من صواب فمحض توفيق ربي وله الحمد والمنة،
وما كان فيه من خطأ فمني ومن الشيطان .
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

أولاً : مفهوم الأمن

- الأمن لغة :

للأمن تعاريف عدة في لغة العرب فمن ذلك :

ورد في المعجم الوسيط : أمن وأماناً وأمنة بمعنى اطمأن ولم يخف .^(١)
كما ورد في لسان العرب: أن الأمن بمعنى الأمان والأمانة ، وقد أمنت فأنا آمن ،
والأمن ضد الخوف ، فأما أمنت المتعدي فهو ضد أخفته^(١) وجاء في القرآن (وآمنهم
من خوف)^(٢)

وقال الجوهري : الأمن والأمان بمعنى وقد أمنت فأنا آمن ، وأمنت غيري من الأمن
والأمان ، وأصل أمن : آمن بهمزتين ، لينت الثانية ، والأمن ضد الخوف .^(٣)

- ويعرف قاموس ويستر الأمن (Security) الآتي :

حالة من الشعور بالأمن، والتحرر من الخوف والقلق والخطر والشك ،وما إلي ذلك
الحالة من الشعور بالسلامة واليقين .

- ويضيف القاموس تعريفاً آخر للأمن :

هو الحماية ضد أي هجوم أو الدفاع ، والتدخل ، والتجسس ، إلخ^(٤)

- أما الأمن في الاصطلاح :

للأمن تعريفات عدة في اصطلاح العلماء والكتاب وذلك لتنوع النظرة واختلاف
التصور ، وتباين المشارب ، وإن اتفقت علي بعض وظائفه وأهدافه فهو: الاستقرار
والأمان والطمأنينة التي يشعر بها الفرد والمجتمع ، وفي ظله تستطيع الأمة أن تتفرغ
للبناء والتطوير في مختلف مجالات الحياة .^(٥)

^١ - ابن منظور، لسان العرب، (ص: ٦٤٥) دار المعارف - ط الاولى ١٩٨١م

^٢ - سورة قريش، آية: ٤

^٣ - الجوهري ، الصحاح ، تحقيق ، أحمد عبد الغفور عطار - ح ١، (ص : ٥) دار العلم للملايين بيروت -
الطبعة الاولى ١٩٧٩م - ١٣٩٩هـ.

web ster ،ency clopedia unabrid ، dictionary of the English language ، ewyork
portlant house . ١٩٩٨٩ - ٥٢٨.

^٥ - سالم بن سهيل ، دراسات في علم النفس والصحة النفسية (رؤية معاصرة) شبين الكوم - دار الكتب
الجامعية الحديثة - ٢٠٠٣ م -

(ص : ٦٠،٥٩)

- ومن هذا يتضح أن الأمن يعني : الطمأنينة وعدم الخوف والثقة وعدم الخيانة .
- **ثانياً : مفهوم الفكر :**
- **الفكر لغة :** إعمال الخاطر في الشئ ^(١) ويشير لجمع اللغة العربية إلي أن :
فكر في الأمر ليصل به إلي المجهول : (٢)
- ويعرف قاموس وبستر الفكري (entellectual) علي النحو الآتي :
- الفكر :** اسم القدرة علي فهم أو إدراك العلاقات والخلافات ، وما إلي ذلك قوة الأفكار للعقل .
- أما الفكر صفة : عملية لاستخدام الذكاء ، التفكير ، الإدراك .
- أما التفكير به : intel ectualis مبدأ المعرفة التي تأتي نقيية من السببية وبدون معونة من الحواس : ^(١)
- **والفكر اصطلاحاً :**
- تعددت التعريفات للفكر عند الباحثين ومن أبرز هذه التعريفات:
- الفكر بالمعني العام : يطلق علي كل ظاهرة من ظواهر الحياة العقلية ، وهو مرادف للنظر العقلي والتأمل ومقابل للحدث . ^(٢)
- الفكر هو صيغة العقل الإنساني ومسرح نشاطه الذهني وعطاؤه الفكري فيما يعرض له من قضايا الوجود والحياة . ^(٣)
- ويقال الفكر (thought) هو ظاهرة عقلية تتبع عن عمليات التفكير القائم علي الإدراك والتحليل والتعميم ويتميز الفكر عن العاطفة التي تصدر عن ميل انفعالي لا تستند علي التجربة وتدور حول فكرة أو موضوع ، كما الفكر عن الإدارة التي ترمي إلي ترجيح كفة الميول القائمة علي أحكام تقويمية . ^(٤)

(١) - WEBESTERS . ١٩٨٢ . ٧٣٢ PP .

(٢) - جميل صليب : المعجم الفلسفي : ج٢ ، (ص : ١٥٤ - ١٥٥) دار الكتاب اللبناني - بيروت - ١٩٨٢ م .

(٣) - جمعة الخولي : الاتجاهات الفكرية المعاصرة وموقف الإسلام منها - (ص : ١١) الجامعة الإسلامية - المدينة المنورة - الطبعة الاولى ١٩٨٦ م - ١٤٠٧ هـ

(٤) - احمد زكي بدوي : معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية ، بيروت - مكتبة لبنان - ١٩٧٨ م

- والفكر هو : نتاج التفكير الذي يمثل ضرباً تجريبياً من الفعل، ويتم بإنفاق جزء بسيط من الطاقة ، ويرتبط بعناصر مدركة في الزمان ولهذا فإن التفكير يستبقي الإفراغ الحركي متأخراً ، ويتحكم في الحركة ، ويعد التفكير شيئاً ضرورياً لاختيار الواقع .^(١)
- يمكننا القول من خلال التعريفات السابقة للفكر أن الفكر إما أن يراد به الكيفية التي يدرك بها الإنسان حقائق الأمور التي تعمل فيها عقله ، فيكون الفكر عندئذ بمثابة الأداة أو الآلية في عملية التفكير ، وما يلحق بها من طاقات وملكات عقلية ونفسية .

وإما أن يراد به ما نتج عن ذلك من تصورات وأحكام ورؤى حول القضايا المطروحة ، ثم تتسع دائرة مفهوم الفكر أو تضيق تبعاً للمنطلقات المحددة لمفهوم الفكر ، فإذا اتسع مفهوم الفكر اشتمل علي الموروث الفكري للإنسان في جميع ميادين المعرفة والعلوم ، واشتمل علي النشاط الإنساني عامة، بما يخرج مفهوم الفكر حتي تنحصر في مجرد النظر العقلي في أمر ما ، فيكون الفكر عندئذ منسوباً إلي مذهب أو طائفة أو أمة أو دين أو عصر.

- ثالثاً : مفهوم الأمن الفكري :

علي الرغم من الأهمية القصوى لمفهوم الأمن الفكري ، وشيوع استخدامه ، إلا أنه مفهوم حديث ، وقد أدى ذلك إلي اتسامه بالغموض مما أثار عدة مشكلات . ولكن إذا كان الأمن الفكري مستحدثاً كلفظ مركب إلا أن مضمونه قديم قدم المجتمع الإنساني ، والمتتبع لما كُتب عن مفهوم الأمن الفكري يجد أن معظم تعريفاته تدور حول سلامة فكر الإنسان وعقله ، وفهمه من الانحراف والخروج عن الوسيطة والاعتدال في فهمه للأمور الدينية والسياسية وتصوره للكون بما يؤول به إما إلي الغلو أو إلي الإلحاد والعلمانية الشاملة .^(٢)

(١) - عبد المنعم الحفني : موسوعة علم النفس والتحليل النفسي ، (ص: ٦ ، ٨) مكتبة مدبولي القاهرة - الطبعة الأولى ١٩٩٤م.

(٢) - سعيد بن مسفر الوادعي : الأمن الفكري والإسلامي ، مجلة الأمن والحياة - ع (١٨٧) جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية ، ١٩٩٧ م - (ص ٥١١)

وقيل هو : النشاط والتدابير المشتركة بين الدولة والمجتمع لتجنب الأفراد والجماعات شوائب عقدية أو فكرية أو نفسية تكون سبباً في انحراف السلوك والأفكار والأخلاق عن جادة الصواب أو سبباً للإيقاع في المهالك .^(١)

- وعرفه آخر بأنه : الوسائل الدفاعية التي يؤمن بها الفرد نفسه ومعتقداته وقناعاته من الانسياق خلف التيارات المنحرفة ، وعدم تأثر الضرورات الخمس للفرد المسلم وللمستأمن و للفتن الاجتماعية المختلفة بطريق مباشر أو غير مباشر .^(٢)

من خلال المفاهيم السابقة الأمر يتطلب الحفاظ علي أفكارنا ومعتقداتنا وتراثنا الحضاري وذاتيتنا الثقافية حتي لا يكون هناك انحراف أو خروج عن الوسطية في فهم الأمور الدينية والسياسية و الاجتماعية والاقتصادية ،ولكن لابد أن يكون هناك نوع من التفاعل الثقافي والفكري والحضاري مع كل الثقافات الأخرى بمزيد من الادراك والتمعن والوعي ، وأن يميز الفرد بين ما يتناسب مع عاداتنا وطبيعنا وقيمنا الدينية وبين ما لا يتناسب^(٣)

وهنا يمكننا أن نعطي تعريفاً للأمن الفكري في مفهوم الإسلام فنقول بأنه يعني : السلامة الحسية و المعنوية و الفكرية ،والطمأنينة الداخلية والخارجية ، وكفالة الحياة السعيدة للفرد والمجتمع والدولة .

ولمعرفة مدى توفر الأمن في مجتمع ما، يجب النظر إلي عقيدة ذلك المجتمع ،و قيمه التي يعتنقها ، ومبادئه التي يؤمن بها ، وما يحمله من التصور المشترك للرأي العام حيال قضاياها الكبرى المصيرية ، فإذا كانت هذه الموضوعات الكلية مستقرة ثابتة تحظى بالاحترام الجماعي محصنة برأي عام لايسمح بالمساومة علي شيء منها فإن هذا المجتمع يكون آمناً أمناً فكرياً، أما إن غدت هذه الموضوعات أو بعض

(١) - محمد بن أحمد النضير : الأمن والتنمية ، (ص : ١٢) مكتبة العيكن - الرياض - الطبعة الأولى

(١٤١٣هـ - ١٩٩٢م)

(٢) - محمد بن أحمد المويشير : دور الأسرة في تحقيق الأمن الفكري - دراسة تطبيقية علي مدينة سكاكا رسالة ماجستير - جامعة نايف للعلوم الأمنية - عام ٢٠٠٦ م - (ص : ١٨) .

(٣) - علي بنفايز الحجني : الإعلام الأمني والوقاية من الجريمة- (ص ٢٥١) - أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية - مركز الدراسات والبحوث - ط - الأولى ٢٠٠٠ م .

منها محلاً للمساومات والمزايدات عبر حوارات تضع قضايا الأمة ومسلماتها موضوع البحث والمراجعة والنقد والمناقشة، وتنبري الأقلام وترتفع الأصوات عبر الصحف ووسائل الإعلام بالانقلاب عليها، وزحزحة مكانتها في نفوس الأجيال وكيان المجتمع والأمة فعند ذلك يحصل الخوف المعنوي والخلل في أمن الأمة الفكري.^(١)

وبناء علي هذا فإن مفهوم الأمن الفكري يختلف باختلاف المجتمعات، ففي الغرب الرأسمالي مثلاً تقتصر الحماية علي الفكر السياسي (الديمقراطية).

والفكر الاقتصادي (الرأسمالية) دون الفكر الاجتماعي والعقيدة الدينية التي اعتبرت من الحقوق الفردية الخالصة التي يجوز للفرد أن يستخدمها كيفما شاء دون تدخل من المجتمع، أما في الاتحاد السوفيتي ودول أوروبا الشرقية والدول الشيوعية عموماً فإن مفهوم الأمن الفكري والعقائدي يأخذ معني واسعاً، بحيث يشمل النظم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية فيضرب حولها نطاقاً قوياً لحمايتها، بل يعمل في الوقت نفسه علي انتشارها وتغليظها في المجتمعات الخاضعة للحكم الشيوعي، بل وفي المجتمعات الأخرى بعد أن أصبحت الشيوعية فكراً وعقيدة.^(٢)

ويري أحد الباحثين، أن الباحثين في تعريفهم للأمن الفكري ودراستهم له قد ركزوا علي ثلاثة اتجاهات بارزة هي:

(أ) الأمن الفكري في علاقته بالممارسة السياسية: وتظهر هذه العلاقة من ضرورة توفر الحرية والديمقراطية كشرط أساسي لاطلاق الفكر المبدع والبناء من خلال توفير حد أدنى من حرية الرأي والتعبير.

(ب) الأمن الفكري في بعده الديني: أي أن مستقبل الأمن والاستقرار والتنمية في العالم يبقي رهين تكريس الحوار بين كل الثقافات والحضارات والأديان، وتكريس التفاهم والتسامح بين كافة الدول والشعوب.

(١) - جبير الحربي: دور منهج العلوم الشرعية في تعزيز الأمن الفكري لدي طلاب الصف الثالث الثانوي

- رسالة دكتوراه - عام ٢٠٠٨ - (ص: ٢٥)

(٢) - أحمد علي المجدوب: الأمن الفكري والعقائدي - مفاهيمه وخصائصه وكيفية تحقيقه - ضمن

مادة كتاب استراتيجية عربية للتدريب في الميادين الأمنية - (ص: ٥٤ - ٥٥) الرياض - الطبعة الأولى

- (١٩٨٧ - ١٩٨٨ م)

(ج) الأمن الفكري وتحقيق التنمية الاقتصادية للمواطنين :

ويري أصحاب هذا الاتجاه أنه كلما توفرت أسباب الرقي الاقتصادي والتنمية الشاملة لكافة الشرائح تدعمت أسس الأمن الفكري^(١) كما يري أن هذه الاتجاهات تتداخل وتتكامل فيما بينها لتساعد علي وضع رؤية واضحة واستراتيجية شاملة لمسئلة الأمن الفكري الذي تنشده المجتمعات العربية التي هي في حاجة ماسة اليوم إلي بلورة فكر عربي يلائم بين البعدين الخصوصي و الكوني، ويعزز أداء الذات العربية وحضورها في صناعة التاريخ و في التعامل الإيجابي مع الحضارة الكونية ويحول دون بعض الداعية إلي الانغلاق ورفض الفكر العصري.^(٢)

رابعاً: مفهوم الأمن الاجتماعي، والقومي، والأخلاقي :

يرتبط الأمن الفكري ارتباطاً كبيراً بأنواع الأمن الأخرى

فالأمن الاجتماعي :

يعني الحفاظ علي النظم الاجتماعية وتحقيق التكيف للفرد مع الجماعة التي يعيش فيها، أما الأمن العقائدي فهو يرتبط بالعقيدة السليمة الراسخة.^(٣)

والأمن القومي يعني في مفهومه الشامل : توفير الحماية لكيان الدولة ونظامها الاجتماعي و أراضيها وحدودها وشعبها من أي عدوان مباشر أو غير مباشر سواء في الداخل أو الخارج سياسياً كان أو معنوياً.^(٤)

وهناك نوع آخر من الأمن يرتبط بمظاهر السلوك والأخلاق التي يتميز بها مجتمع عن آخر وهو الأمن الأخلاقي أو العاطفي .

(١) - محمد الحبيب حريزة: الأمن الفكري ، مركز الدراسات والبحوث - جامعة نايف العربية للعلوم

الأمنية - الرياض - (ص : ٨٢، ٨٣)

(٢) - المرجع نفسه، (ص - ٨٤)

(٣) - فيليب فينكس : فلسفة التربية - ترجمة : محمد لبيب النجيجي - (ص : ٨٤٠) ، مؤسسة

فرانكلين للطباعة والنشر - الطبعة الأولى (١٩٩٨م) .

(٤) - محمد علي محمد : المجتمع والثقافة والشخصية - مدخل في علم الاجتماع - (ص : ٢٠١ - ٢٠٢)

دار المعارف الجامعية ، ١٩٨٥ م.

- فالأمن الأخلاقي : يعني زيادة الثقة في الذات والاحتفاظ بصورتها الطبيعية والمحافظة علي أنماط السلوك المختلفة ، كما يُعد الأمن الاقتصادي من أهم المؤثرات الرئيسية للأمن القومي وما يترتب عليه من تحقيق الاستقرار لمجتمع ما علي حساب مجتمع آخر وبخاصة في الظروف الراهنة .^(١)

إضافة إلي ما سبق فلا يمكن إغفال نوع مهم جداً من أنواع الأمن وهو الأمن العسكري : وهو الذي يختص بعملية الحماية الخارجية لحماية حدود أي مجتمع من التهديدات المستمرة - ورغم أهميته، إلا أن التهديدات التي توجه إلينا في الداخل بطرق خفية أو بصورة غير خفية تكون أكثر خطورة من التهديدات الخارجية المعروف اتجاهها ومصدرها والتي تتمثل في التحديات الثقافية بجميع أشكالها .^(٢)

المبحث الثاني : المدينة الفاضلة عند الفارابي :

لا يستطيع الإنسان أن يبلغ أفضل كمالاته إلا بالمجتمع ، فهو مدني بالطبع أي لا بد له من الاجتماع الذي هو المدينة .^(٣)

ويري الفارابي أن الانسان مفضول علي أنه محتاج في قوامه، وفي أن يبلغ الكمال، ولا يستطيع أن يبلغ هذا الكمال وحده، بل يحتاج إلي قوم يقوم له كل واحد منهم بشئ مما يحتاج إليه ، وكل واحد من كل واحد بهذه الحال .^(٤)

ثم يقرر الفارابي أن تحقيق الإنسان الكمال لا يكون إلا بالاجتماع والتعاون فيقول :

لا يمكن أن يكون الإنسان ينال الكمال الذي لأجله جعلت الفطرة الطبيعية إلا بالاجتماعات، جماعة كثيرة متعاونين يقوم كل واحد لكل واحد ببعض ما يحتاج

(١) - يوسف ميخائيل أسعد: الثقافة والمستقبل الاقتصادي للشباب ، (ص: ١٦٥ ، ١٩٦) - الهيئة المصرية العامة للكتاب - الطبعة الثانية - ١٩٨٤م.

(٢) - ممدوح حامد عطية : البرنامج النووي الإسرائيلي والأمن القومي ، (ص : ١٩) - الهيئة المصرية للكتاب - القاهرة - ١٩٧٧م.

(٣) - ابن خلدون : المقدمة ، ص (ص : ٥٤) ، مراجعة الدكتور / سهيل زكار ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - ١٤٣١ هـ ٢٠٠١م.

(٤) - الفارابي : آراء أهل المدينة الفاضلة ، (ص : ١١٧٠) ، تحقيق الدكتور / ألبير نصري ، دار الشرق ، بيروت - لبنان الطبعة الثانية ١٩٨٦م .

إليه قوامه ، فيجتمع ويبلغ الكمال ... ولهذا كثرت أشخاص الإنسان ، فحصلوا في المعمورة من الأرض ، فحصلت منها الاجتماعات الإنسانية.^(١)
والاجتماعات الإنسانية منها ما هو كامل ومنها ما هو غير كامل فالكامل منها ثلاثة :

العظمي وهي (المعمورة) ، والوسطى وهي (الأمة) ، والصغرى هي (المدينة) وغير الكاملة : اجتماع أهل القرية ، واجتماع أهل المحلة ثم اجتماع سكة ، ثم اجتماع في منزل وأصغرها منزلة ، والخير الأفضل ، والكمال الأقصى ينال بالمدينة لا بالاجتماع الذي هو أنقص منها .

والمدينة الفاصلة عند الفارابي شبيهه بالجسم الكامل التام الذي تتعاون أجزائه لتحقيق الحياة والمحافظة عليها .

وكما أن أجزاء الجسم الواحد مرتب بعضها لبعض ، وتخضع لرئيس واحد هو القلب ، كذلك الحال يجب أن يكون في المدينة الفاضلة .

وكما أن القلب هو أول ما يكون في الجسم ، ومن ثم تتكون باقي الأعضاء فيديرها القلب ، كذلك رئيس المدينة يجب أن يكون أتم أعضائها و أن يوجد هو أولاً لينظم المدينة ويديرها .^(٢)

ثانياً : رئيس المدينة الفاضلة :

رئيس المدينة الفاضلة عند الفارابي هو إنسان أسمى الناس ، فوق مستوي الناس وقد هدف الفارابي إلي التصوف العقلي وهو تصوف يعني الاتصال بالعقل الفعال عن طريقة الادراك .

يقول الفارابي :

" ورئيس المدينة الفاضلة ليس يمكن أن يكون أي إنسان ، لأن الرئاسة إنما تكون بشيئين :

أحدهما : أن يكون بالفطرة والطبع معداً لها .

والثاني : بالهيئة و الملكة الإدارية .

(١) - المصدر نفسه ، (ص : ١١٨)

(٢) - المصدر نفسه ، (ص : ١١٩ ، ١٢٠)

والرياسة التي تحصل لمن فطر بالطبع معداً لها ، فليس كل صناعة يمكن أن يرأس بها ، بل أكثر الصنائع صنائع يخدم بها في المدينة .
فكذلك ليس يمكن أن تكون صناعة رئيس المدينة الفاضلة أب صناعة ما اتفقت ، ولا أي ملكة ما اتفقت .^(١)

إن رئيس المدينة الفاضلة عند الفارابي هو إنسان تحققت فيه الإنسانية عليأكملها ، اكتسب عقله جميع المعقولات وأصبح عقلاً مستفاداً ، وهو العقل الوسط بين العقل الفعال والعقل الهولاني الذي هو عقل بالقوة ، خال من أي معقول .

يقول الفارابي :

فأي إنسان استكمل عقله المنفعل بالمعقولات كلها ، وصار عقلاً بالفعل ومعقولاً بالفعل ، وصار المعقول منه هو الذي يعقل ، حصل له حينئذ عقل ما بالفعل رتبته فوق العقل المنفعل ، وأتم وأشد مفارقة للمادة ، ومقاربة من الفعل الفعال ، ويسمي العقل المستفاد ، ويصير متوسطاً بين العقل المنفعل وبين العقل الفعال ، ولا يكون بينه وبين العقل الفعال شيء آخر . فيكون العقل المنفعل كالمادة والموضوع للعقل المستفاد ، والعقل المستفاد كالمادة والموضوع للعقل الفعال ، والقوة الناطقة ، التي هي هيئة طبيعية ، وتكون مادة موضوعة للعقل الفعال الذي هو عقل .

وأول الرتبة التي بها الإنسان إنسان هو أن تحصل الهيئة الطبيعية القابلة المعدة لأن يصير عقلاً بالفعل ، وهذه هي المشتركة للجميع .

وأول رتبة الإنسانية وبين العقل الفعال رتبتان ، وإذا جعل العقل المنفعل والهيئة الطبيعية كشيء واحد علي مثال ما يكون المؤتلف من المادة والصورة شيئاً واحداً ، إذا أخذ هذا الإنسان صورة إنسانية ، هو العقل المنفعل .

الحاصل بالفعل ، كان بينه وبين العقل الفعال رتبة واحدة فقط ، وإذا جعلت المادة الطبيعية مادة العقل ، والمنفعل مادة المستفاد ، والمستفاد مادة العقل الفعال ، وأخذت جملة ذلك كشيء واحد ، كان هذا الإنسان هو الإنسان الذي حل فيه العقل الفعال .^(٢)

أما مخيلة الرئيس عند الفارابي يجب أن تتقبل كل ما يشرقه عليها العقل الفعال وتعبر عنه بلغه محسوسة .

(١) - الفارابي ، آراء أهل المدينة الفاضلة ، (ص : ١٢٣ ، ١٢٤)

(٢) - الفارابي : المدينة الفاضلة ، (ص : ١٢٥)

هذا الرجل عند الفارابي هو فيلسوف بما يتقبله في عقله المنفعل ، وهو بني بما يتقبله بواسطة مخيلته وبما يعبر عنه مما يحدث في الحال والاستقبال بأي لغة .
يقول الفارابي :

وإذا حصل ذلك في كلا جزئي قوته الناطقة ، وهما النظرية والعملية ، ثم في قوته المتخيلة ، كان هذا الإنسان الذي يوجه إليه فيكون الله عز وجل يوصي إليه بتوسط العقل الفعال ، فيكون ما يفيض من الله تبارك وتعالى إلى العقل الفعال يفيضه العقل الفعال إلى عقله المنفعل بتوسط العقل المستفاد ، ثم إلى قوته المتخيلة، فيكون بما يفيض منه إلى عقله المنفعل حكيماً و فيلسوفاً و متعقلاً علي التمام وبما يفيض منه إلى قوته المتخيلة نبياً منذراً بما سيكون ومخبراً بما هو الآن من الجزئيات بوجود يعقل فيها الإلهي ، وهذا الإنسان هو في أكمل مراتب الإنسانية وفي أعلى درجات السعادة وتكون نفسه كاملة .^(١)

هكذا كان تصور الفارابي في رئيس المدينة الفاضلة ، فمثل هذا الرجل يكون رئيس المدينة و الأمة والمعمورة الفاضلة .

ثالثاً: خصال رئيس المدينة الفاضلة :

رئيس المدينة الفاضلة عند الفارابي هو الرئيس الذي لا يرأسه إنسان آخر وهو الإمام ، وهو الرئيس الأول للمدينة الفاضلة ، وهو رئيس الأمة الفاضلة، ورئيس المدينة الفاضلة عند الفارابي لا بد أن يتصف باثنتا عشرة خصلة ، ونستطيع أن نقسمها إلى ما يخص الجسم وما يخص العقل ، ومنها ما يخص الأخلاق .

أما ما يخص الجسم فهي :

أن يكون تام الأعضاء يقوم كل عضو بوظيفته^(٢)

أما ما يخص العقل فهي :

أن يكون جيد الفهم ، وأن يكون جيد الحفظ ، ذكياً ، حسن العبارة ، محباً للتعليم^(٣)

وأما ما يخص الأخلاق وهي :

(١) - المصدر نفسه ، (ص : ١٢٦)

(٢) - الفارابي : المدينة الفاضلة ، (ص : ٢٨)

(٣) - المصدر نفسه ، (ص : ١٢٩)

أن يكون غير شره ، محباً للصدق ، كبير النفس ، غير متمسك بأعراض الدنيا ، محباً للعدل ، قوي العزيمة .^(١)

واجتماع مثل هذه الخصال في شخص واحد أمر عسير عند الفارابي ، ولا يحدث إلا قليلاً .

يقرر الفارابي أنه إذا اتفق أن لا يوجد مثله في الأوقات أخذت الشرائع والسنن التي شرعها هذا الرئيس الأول ، ويكون الرئيس الثاني الذي يخلف الأول ، فيقول : واجتماع هذه كلها في إنسان واحد عسر ، فلذلك لا يوجد من فطر علي هذه الفطرة إلا الواحد بعد الواحد ، و الأقل من الناس ، فإن وجد مثل هذا في المدينة الفاضلة .

وإن اتفق أن لا يوجد مثله في وقت من الأوقات ، أخذت الشرائع و السنن التي شرعها هذا الرئيس و أمثاله ، إن كانوا توالوا في المدينة ، فأثبتت ويكون الرئيس الثاني الذي يخلف الأول .^(٢)

- وقد حدد الفارابي ستة شروط يجب أن يتصف بها الرئيس الثاني وهي :
- أحدهما : أن يكون حكيماً .
- والثاني : أن يكون عالماً حافظاً للشرائع .
- والثالث : أن يكون له جودة استنباط فيما لا يحفظ عن السلف فيه شريعة ، ويكون فيما يستنبطه من ذلك محتدياً حذو الأئمة الأولين .
- والرابع : أن يكون له جودة روية وقوة استنباط لما سبيله أن يعرف في وقت من الأوقات الحاضرة من الأمور والحوادث التي تحدث مما ليس سبيلها أن يسير فيه الأولون ويكون متحرياً بما يستنبطه من ذلك صلاح حال المدينة .
- والخامس : أن يكون له جودة إرشاد بالقول إلي شرائع الأولين التي استنبط بعدهم مما احتذي فيه حذوهم .
- والسادس : أن يكون له جودة ثبات في مباشرة أعمال الحرب .^(٣)

(١) - المصدر نفسه ، (ص : ١٢٩)

(٢) - المصدر نفسه ، (ص : ١٣٠)

(٣) - الفارابي : المدينة الفاضلة ، (ص : ١٣٠)

فإذا لم يجد إنسان واحد اجتمعت فيه هذه الخصال، في جماعة من ستة أشخاص كل خصلة في واحد منهم كانوا هم الرؤساء، علي شرط أن توجد الحكمة في أحدهم، فإن لم يتفق أن يوجد حكيم لم تلبث المدينة بعد مدة أن تهلك.^(١)

المبحث الثالث : مضادات المدينة الفاضلة عند الفارابي :

- أجمل الفارابي تضاد المدينة الفاضلة في أربعة أقسام هي :

- المدينة الجاهلة، والمدينة الفاسقة، والمدينة المبدلة، والمدينة الضالة .

أولاً : المدينة الجاهلة عند الفارابي :

المدينة الجاهلة عند الفارابي هي التي لم يعرف أهلها السعادة الحقيقية، واعتقدوا أن غاية الحياة في سلامة البدن، والتمتع بالذات، والانقياد إلي الشهوات، وأن يكون الإنسان مكرماً معظماً .

يقول الفارابي :

" و المدينة الجاهلة هي التي لم يعرف أهلها السعادة ولا خطرت ببائهم، وإنما عرفوا من الخيرات بعض هذه التي هي مظنونة في الظاهر أنها خيرات من التي تظن أنها هي الغايات في الحياة وهي سلامة الأبدان واليسار والتمتع بالذات، وأن يكون محلي هواه، وأن يكون مكرماً معظماً.^(٢)

ثم يقرر الفارابي أنها تنقسم إلي جماعة مدن، منها :

أ- **المدينة الضرورية :** وهي التي قصد أهلها الاقتصار علي الضروري مما به قوام الأبدان من المأكول والمشروب .

ب- **المدينة البدالة :** وهي التي قصد أهلها أن يتعاونوا علي بلوغ اليسار والثروة ولا ينتفعوا باليسار في شيء آخر، لكن علي أن اليسار هو الغاية في الحياة .

ج- **مدينة الخسة والسقوط :** وهي التي قصد أهلها التمتع باللذة من المأكول والمشروب والمنكوح .

د- **مدينة التغلب :** وهي التي قصد أهلها أن يكونوا القاهرين لغيرهم الممتنعين أن يقهرهم غيرهم، ويكون كدهم اللذة التي تنالهم من الغلبة فقط، وملوك الجاهلية

(١) - المصدر، نفسه، (ص: ١٣١)

(٢) - الفارابي: المدينة الفاضلة، (ص: ١٣٢)

أن يكون كل واحد منهم إنما يدبر المدينة التي هو مسلط عليها ليحصل هواه وميله. ^(١)

أما أهل المدن الجاهلية فإن أنفسهم تبقي غير مستكملة ، ومحتاجة في قيامها إلى المادة ضرورة ، إذ لم يرسم فيها رسم حقيقه بشيء من المعقولات الأول أصلاً ^(٢)
أما آراء أهل المدينة الجاهلة إنما تحدث متي كانت الملة مبنية علي بعض الآراء القديمة الفاسدة. ^(٣)

- ثانياً: المدينة الفاسقة عند الفارابي :

وهي التي أراؤها الآراء الفاضلة ، وهي التي تعلم السعادة، والله عز وجل والعقل الضعال ، وكل شيء سبيله أن يعمله أهل المدينة الفاضلة ويعتقدونها ، ولكن تكون أفعال أهلها أفعال أهل المدن الجاهلية. ^(٤)

أما أهل المدينة الفاسقة فإن الهيئات النفسانية التي اكتسبوها من الآراء الفاضلة ، فهي تخلص أنفسهم من المادة ، والهيئات النفسانية الرديئة التي اكتسبوها من الأفعال الرديئة ، فتقترن إلي الهيئات الأولى ، فتكرر الأولى وتضادها ، فيخلق النفس من مضادة هذه لتلك أذي عظيم ، وتضاد تلك الهيئات هذه ، فيخلق هذه من تلك أيضاً أذي عظيم ، فيجتمع من هذين أذيان عظيمان للنفس ، وزن هذه الهيئات المستفادة من أفعال الجاهلية هي بالحقيقة يتبعها أذي عظيم في الجزء الناطق من النفس ، وإنما صار الجزء الناطق لا يشعر بأذى هذه لتشاغله بما تورد عليه الحواس ، فإذا انفرد دون الحواس ، شعر بما يتبع هذه الهيئات من الأذى ، ويخلصها من المادة ، ويفردها عن الحواس وعن جميع الأشياء الواردة عليها من خارج. ^(٥)

كما أن الإنسان المغتم ، متي أورد الحواس عليه ما يشغله ، لم يتأذ بما يغمه ولم يشعر به ، حتي إذا انفرد دون الحواس ، عاد الأذى عليه.

كذلك الجزء الناطق، ما دام متشاغلاً بما تورده الحواس عليه ، لم يشعر بأذى ما يقترن به من الهيئات الرديئة ، حتي إذا انفرد انفراداً تاماً دون الحواس شعر بالأذى

(١) - المصدر نفسه ، (ص : ١٣٣ ، ١٣٤)

(٢) - المصدر نفسه ، (ص : ١٤١)

(٣) - المصدر نفسه ، (ص : ١٥١)

(٤) - الفارابي : المدينة الفاضلة ، (ص : ١٣٣)

(٥) - المصدر نفسه ، (ص : ١٤٣ ، ١٤٤)

، وظهر له أذى هذه الهيئات ، فبقي الدهر كله في أذى كل واحد منهم بصاحبه ، لأن المتلاحقين بلا نهاية تكون زيادات أذاهم في غابر الزمان بلا نهاية .
فهذا هو الشقاء المضاد للسعادة .^(١)

- ثالثاً: المدينة المبدلة عند الفارابي :

المدينة المبدلة: هي التي كانت آراؤها و أفعالها في القديم آراء المدينة الفاضلة و أفعالها ، غير أنها تبديت فدخلت فيها آراء غير تلك ، واستحالت أفعالها إلي غير تلك .^(٢)

و أما أهل المدن المبدلة ، فإن الذي يدل عليهم الأمر وعدل بهم أن كان من أهل المدن الفاسقة شقي هو وحده ، فأما الآخرون فإنهم يهلكون وينحلون أيضاً مثل أهل الجاهلية ، وكذلك كل من عدل عن السعادة بسهو وغلط .

وأما المضطرون والمقهورون من أهل المدينة الفاضلة علي أفعال الجاهلية ، فإن المقهور علي فعل شيء ، لما كان يتأذى بما يفعله من ذلك صارت مواظبته علي قسر عليه لا تكسبه هيئة نفسانية مضادة للهيئات الفاضلة ذلك متي كان المتسلط عليه أحد أهل المدن المضادة للمدينة الفاضلة ، واضطر إلى أن يسكن في مساكن المضادين .^(٣)

وبذلك يعتبر الفارابي الخلود كسباً للنفس التي أدركت المعقولات ، حتي وإن كانت فاسقة ، يعني: لم تفعل حسب هذه المعقولات التي أدركتها ، أما الأنفس التي لم تدرك المعقولات فمصيرها الهلاك في رأي الفارابي .

ففي الفصل الثاني والعشرون من مدينته الفاضلة (القول في القوة الناطقة)^(٤)

ميز الفارابي ثلاث طبقات في الأنفس :

(أ) الأنفس التي تكون في هذه الحياة قد أدركت المعقولات إدراكاً واضحاً جلياً وعملت الفضيلة ، فيما أن مثل هذه الأنفس شاركت المعقولات المفارقة فإنها تبقى بعد الموت - أي تخلد -

(١) - المصدر نفسه ، (ص : ١٤٤)

(٢) - الفارابي : المدينة الفاضلة ، (ص : ١٣٥)

(٣) - المصدر نفسه ، (ص : ١٤٥)

(٤) - المصدر نفسه ، (ص : ١٠١)

فالخلود عند الفارابي ، يكتسب ، وهو ليس من جوهر النفس .

(ب) الأنفس التي تكون في هذه الحياة ، قد أدركت المعقولة ، ولكنها لم تحيي حياة فاضلة : فمثل هذه الأنفس اكتسبت الخلود جزاء إدراكها للمعقولات ولكنها تشعر بألم وعذاب لا تباعدها عن الفضيلة

(ج) الأنفس التي لم تدرك المعقولات ، فمصيرها الهلاك والفناء

- رابعاً : المدينة الضالة عند الفارابي :

• المدينة الضالة هي التي تظن بعد حياتها هذه السعادة ، ولكن غيرت هذه ، وتعتقد أن الله تعالي وفي الثواني وفي العقل الفعال آراء فاسدة لا يصلح عليها حتي ولا إن أخذت علي أنها تمثيلات وتخيلات لها .

ويكون رئيسها الأول ممن أوهم أنه يوحي إليه من غير أن يكون كذلك ، ويكون قد استعمل في ذلك التمويهات والمخادعات والغرور .^(١)

أما أهل المدن الضالة، فإن الذي أضلهم وعدل بهم عن السعادة لأجل شيء من أغراض أهل الجاهلية وقد عرف السعادة ، فهو من أهل المدن الفاسقة ، فذلك هو وحده دون أهل المدينة شقي ، فأما أهل المدينة أنفسهم فإنهم يهلكون وينحلون ، علي مثال ما يصير إليه حال أهل الجاهلية .^(٢)

هكذا أجمل الفارابي المدن المضادة للمدينة الفاضلة في هذه الأقسام الأربعة مقررًا مصير سكان هذه المدن وهو أن كل نفس أدركت الحقيقة أي : عملت الأول والفيض ، والعقول الثواني ، والعقل الفعال ، تكون قد اكتسبت الخلود ، فإذا فعلت حسب هذه الآراء كانت من الأنفس الفاضلة وخلدت السعادة ، أما إذا جهلت هذه الحقيقة فيكون مصيرها الزوال والعدم .

فأنفس أهل المدن الجاهلة صائرة إلي الزوال ، و أنفس أهل المدن الفاسقة تخلد في الشقاء، وأنفس أهل المدن الفاسقة تخلد في الشقاء ، و أنفس أهل المدن المبدلة تزول ، غير أن من بدل عليهم الأمر وكان يعلم الحقيقة فنفسه تخلد في الشقاء ، وكذلك نفس من أوهم أنه ممن أوحى إليه، أما أهل المدن الضالة فمصيرها الزوال . أما سعادة الأنفس فتكون بتأملها الحقائق الأزلية في العقل الفعال ، فهي سعادة عقلية محض وفي رأي الفارابي تتصل أنفس كل طائفة من طبقات أهل المدن

(١) - الفارابي : المدينة الفاضلة ، (ص : ١٣٤)

(٢) - المصدر نفسه ، (ص : ١٤٤)

المؤتمر الدولي العاشر

[دور العلوم العربية والإسلامية في تكريس الأمن الفكري وتحقيق السلام المجتمعي]

الفاضلة بعضها ببعض ، وتصير كنفس واحدة ، وكلما كثرت الأنفس المتشابهة واتصل بعضها ببعض زادت سعادتها وكذلك الأمر بأنفس أهل المدن الفاسقة، كلما أتت طائفة جديدة أتحدث بمن سبقها من الأنفس و أصبحت كنفس و زاد شقائها ، أما البدن فينحل إلي عناصره ويدخل تكوين أبدان أخرى وبهذا ينكر الفارابي ، بعث الأجساد .

ولما كانت الفلسفة الفيضية هي الفلسفة الحقيقية ، في رأي الفارابي، فلا ينال السعادة إلا من أدرك هذه الفلسفة وعمل بمقتضاها .

الخاتمة :

ملخص لأهم نتائج البحث :

- أولاً : يرتبط الأمن الفكري ارتباطاً وثيقاً بـصـور الأمن الأخرى ، فإن تحققه يؤمن تحققاً تلقائياً لأنواع الأمن الأخرى ، فإن الإنسان أسير فكره ومعتقده .
- ثانياً: الأمن بأنواعه مطلباً رئيسياً لكل أمة، والأمن الفكري يعد أهم تلك الأنواع وأقواها - لكونه يستمد ضرورة من عقيدة الأمة ومسلماتها ، ويحدد هويتها ، ويحقق ذاتيتها ، ويراعي مميزاتها وخصائصها .
- ثالثاً : الأمن الفكري في مفهوم الإسلام يعني السلامة الحسية والمعنوية والفكرية و الطمأنينة الداخلية والخارجية ، وكفالة الحياه السعيدة للفرد والمجتمع والدولة .
- رابعاً : المجتمعات العربية في حاجة ماسة اليوم إلي رؤية استراتيجية شاملة لمسألة الأمن الفكري الذي تنشده المجتمعات العربية من خلال بلورة فكر عربي يلائم البعدين الخصوصي والكوني، ويعزز آراء الذات العربية وحضورها في صناعة التاريخ وفي التعامل الايجابي مع الحضارة الكونية .
- خامساً : للفلسفة دوراً كبيراً في تحقيق الأمن الفكري وتكوين مجتمع بشري قائم علي الفضيلة .
- سادساً : حاول الفارابي أن يحل المسائل الكونية والأخلاقية والاجتماعية والسياسية من خلال فلسفته الفيضانية في المدينة الفاضلة .
- سابعاً : لا يستطيع الإنسان أن يبلغ أفضل كمالاته إلا في المجتمع ، والمجتمعات البشرية منها ما هو كامل ومنها ما هو غير كامل والخبر الأفضل و الكمال الأقصى ينال بالمدينة عند الفارابي .
- ثامناً : المدينة الفاضلة شبيهة بالجسم الكامل التام الذي تتعاون أجزاؤه لتحقيق الحياة والمحافظة عليها .
- تاسعاً : رئيس المدينة هو إنسان تحققت فيه الإنسانية علي أكملها ، اكتسب عقله جميع المعقولات و أصبح عقلاً بالفعل ، عقلاً مستفاداً
- عاشرأ : تضاد المدينة الفاضلة مدن غير فاضلة هي المدينة الجاهلة والفاسقة والمبدلة والضالة ، ومصير هذه المدن الزوال والعدم و أنفس أهل هذه المدن الشقاء .

- الحادي عشر : سعادة الأنفس تكون بتأملها الحقائق الأزلية في العقل الفعال ، فهي سعادة عقلية محض ، ففي رأي الفارابي تتصل أنفس كل طائفة من طبقات أهل المدن الفاضلة بعضها ببعض وتصير كنفس واحدة .
أما البدن فينحل إلي عناصره ويدخل في تكوين أبدان أخرى ، فلا بعث للأجساد عند الفارابي
- الثاني عشر: انتهى الفارابي - رغم محاولته هذه - إلي نتائج تخالف تعاليم الإسلام كنفي القول ببعث الأجساد ، وجعل مرتبة الفيلسوف أعلي من النبي ، ووحى النبي لا يتلقاه من الله بل بتخيله من خلال العقل الفعال .

المصادر والمراجع :

- الفارابي : (أبو نصر محمد بن محمد بن طرخان الفارابي -ت: ٣٣٩ هـ) ، آراء أهل المدينة الفاضلة تحقيق / الدكتور ألبير نصري نادر- دار المشرق- بيروت - لبنان - ط/الثانية ١٩٨٦/.
- إحصاء العلوم- تحقيق/الحسن مهدي- دار المشرق- بيروت- لبنان- الطبعة الثانية .
- ابن خلدون : محمد بن عمر- ت : ٦٠٧ هـ - المقدمة - مراجعه الدكتور / سهيل زكار - دار الفكر للطباعة - ١٤٣١ هـ - ٢٠٠١ م .
- مجمع اللغة العربية - المعجم الوسيط - مكتبة الشروق الدولية .
- أحمد ذكي بدوي : معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية - مكتبة لبنان - بيروت - ط الأولى (١٩٧٨م).
- أحمد علي المجروب :الأمن الفكري والعقائدي - مفاهيمه وخصائصه وكيفية تحقيقه - الرياض - الطبعة الأولى (١٩٨٧ م - ١٩٨٨ م).
- جبير الحربي : دور منهج العلوم الشرعية في تعزيز الأمن الفكري لدي طلاب الصف الثالث الثانوي - رسالة دكتوراه - جامعة نايف للعلوم الشرعية - عام ٢٠٠٨ م -
- الجوهري : إسماعيل حماد الجوهري ، ت : ٦٦٥ ، الصحاح ، تحقيق / أحمد عبد الغفور عطار - دار العلم للملايين - بيروت - ط الأولى (١٩٧٩ م - ١٣٩٩ هـ)
- جميل صليبا : المعجم الفلسفي - دار الكتاب اللبناني - بيروت - ط الأولى ١٩٨٢ م .
- جمعية الخولي : الاتجاهات الفكرية المعاصرة وموقف الإسلام منها - الجامعة الإسلامية المدينة المنورة - ط الأولى (١٩٨٦ م - ١٤٠٧ هـ)
- سالم بن سهيل : دراسات في علم النفس والصحة النفسية - رؤية معاصرة - دار الكتب الجامعية الحديثة - شبين الكوم - ط الأولى ٢٠٠٣ م
- سعيد بن مسفر الوادعي ، الأمن الفكري و الإسلامي - مجلة الأمن والحياة (١٨٧٠) جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية - ١٩٩٧ م .
- عبد المنعم الحفني ، موسوعة علم النفس والتحليل النفسي - مكتبة مدبولي - القاهرة - ط الأولى ١٩٩٤ م .
- علي فايز الجحني : الإعلام الأمني والوقاية من الجريمة - أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية - مركز الدراسات والبحوث - ط الأولى ٢٠٠٠ م
- فيليب فينكس : فلسفة التربية - ترجمة / محمد لبيب النجيمي - مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر - ط / الأولى ١٩٩٨ م .

المؤتمر الدولي العاشر

[دور العلوم العربية والإسلامية في تكريس الأمن الفكري وتحقيق السلام المجتمعي]

- ابن منظور : (محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل ابن منظور لسان العرب - دار المعارف ط / الأولي ١٩٨١ م .
- محمد بن احمد آل نصير : الأمن والتنمية - مكتبة العبيكان - الرياض - ط / الأولي (١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م)
- محمد بن احمد المويشير ، دور الأسرة في تحقيق الأمن الفكري - دراسة تطبيقية علي مدينة سكاكا - رسالة ماجستير - جامعة نايف للعلوم الأمنية - عام ٢٠٠٦ م .
- محمد الحبيب حريز - الأمن الفكري - مركز الدراسات والبحوث - جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية - الرياض .
- محمد علي محمد : المجتمع والثقافة الشخصية - مدخل في علم الاجتماع - دار المعارف الجامعية - ط / الاولي ١٩٨٥ م .
- ممدوح حامد عطية : البرنامج النووي الإسرائيلي و الأمن القومي - الهيئة المصرية للكتاب - القاهرة ط / الثانية - ١٩٧٧ م .
- يوسف ميخائيل أسعد : الثقافة و المستقبل الاقتصادي للشباب - الهيئة المصرية العامة للكتاب - ط / الثانية ١٩٨٤ م .

الإحباط المجتمعي وصفه وأسبابه وأساليبه علاجه في سورة الحج

(دراسة قرآنية تحليلية)

أ.م.د. بتول محمد حسين

دكتوراه في علوم القرآن والتربية الإسلامية،

وزارة التربية – معهد الفنون الجميلة/ مديرية تربية الكرخ الثالثة

الملخص

كتبت الدراسة التي تعدّ من البحوث النفسية والتربوية فضلا عن كونها بحثا قرآنيا تحليلياً بمقدمة ضمّت دوافع اختيار الموضوع وجدواه، ومشكلة البحث التي تم تحديدها بسؤال عام (هل بالإمكان تجاوز الشعور بالإحباط؟). ثم توضيح أهمية الدراسة في الدعوة إلى التفكّر في آيات القرآن الكريم وتوظيف معانيها السامية لإيجاد الحلول المثالية لمشكلاتنا المعاصرة، واقتصرت فقرة تحديد المصطلحات على تفصيل معنى الإحباط لغة واصطلاحاً، ومعنى سورة الحج التي عدّت آيات متفرقة منها حدوداً للبحث والدراسة، ثم تحليل وموازنة ثلاث دراسات سابقة اشتركت مع موضوع الدراسة في الغاية والهدف واختلفت معه في جزئيات المشكلات المطروحة؛ إذ إن هذه الدراسة أضافت تحليلاً وتعليلاً لمشكلة اجتماعية معاصرة هي الإحباط المجتمعي وكيفية نجاة المؤمن من مشاعر الإحباط المؤلمة. وكانت إجراءات البحث ومنهجيته تحليلية وصفية أشبه بمنهج التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، فقد قسمت الدراسة إلى ثلاثة مباحث:

- المبحث الأول: في وصف الإحباط ومراحل أفعال المحبطين .

- المبحث الثاني: أسباب الإحباط .

- المبحث الثالث : أساليب علاجه، وفيه مطلبان:

الأول : أساليب نجاة الأنبياء والرسل (عليهم السلام) من الإحباط .

الثاني : أساليب نجاة المؤمنين من الإحباط .

ثم النتائج والتوصيات التي كان من أبرزها: الإجابة على سؤال مشكلة البحث، هل بالإمكان تجاوز الشعور بالإحباط؟ نعم بإمكان أي فرد محبط تجاوز حالة الإحباط. وأهم التوصيات: إقامة دراسات قرآنية تحليلية مماثلة لحلّ مشكلات معاصرة أخرى كالإدمان والإسراف واحترام الرأي المخالف .

والحمد لله رب العالمين

Abstract

The research 's title: Frustration / its description , its reasons and its treatment methods in Surah (al-Hajj) (Analytical Quranic Study) .

By Asst. Prof. Dr. Batool Mohammed Hussein

The current study includes motivations of selecting this subject, the problem of the research that has been defined by a general question (Is it possible to override feeling of frustration) , then explaining the importance of the study calling for deeply thinking in the Quran Ayats and to functionalize its sublime meanings to find out the ideal solutions for our contemporary problems. The terms definition item has been specified to give the meaning of frustration as both linguistically and terminologically. The meaning of Surat (al-Hajj) is the core of our current research , then it has been analyzed three former studies in the end , and goal. This study has added analysis and interpretation to a contemporary social problem that is frustration and how the believer is saved from the painful feeling of frustration .

The research procedures and its methodology are similar to the objective interpretation method for Quran. The study has been divided into three parts :

- The 1st part/ description of frustration and stages of the frustrated .

-The 2nd part: Reasons of frustration

-The 3rd part" Methods of frustration treatment and it has two sections:

The 1st one: Methods of the prophets rescue from frustration

The 2nd : Methods of believer 's rescue from frustration.

Then results and recommendations ,most importantly, the reply to the problem of the research , Is it possible to override feeling of frustration ? Yes , it is possible for any person to do that in case of frustration.

Recommendations: Establishing analytic Quran studies courses to solve the contemporary problems as addiction, extravagance, and respecting the other opinion.

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين .

وبعد؛

فعندما يشعر المسلم بمشاعر الحزن والألم والإحباط وخيبة الأمل ، يسعى جاهداً لإيجاد الحلول المثالية العملية لمشكلاته الخاصة ، فتجده يسعى الى التغلب على تلك المشاعر المؤلمة بشتى الوسائل الدفاعية أو الهجومية الممكنة ، وحينما يعجز تراه يلجأ الى الإكثار من الدعاء والتوسل وقراءة القرآن الكريم والتدبر والتأمل في معانيه الخالدة المتجددة على مر العصور والأزمنة التي تثبت أنه قرآن مجيد (لا تنقضي عجائبه ولا يخلق من كثرة الرد) آملاً أن يجد شيئاً من الراحة والاطمئنان فيه ، وذلك ما حدا بي إلى إعمال الفكر والجد والاجتهاد في محاولة النجاة من مشاعر مؤلمة أصبت بها في يوم من الأيام، وعندما بلغت مشاعر الألم والحسرة والإحباط ذروتها عند قراءة سورة الحج من القرآن الكريم ، بدأ لدي استشعار بعض المعاني القرآنية المطمئنة؛ فكانت كأنها تحاور ما بداخلي من ألم وحسرة ، فتفتح لي آفاقاً من الأمل والتفاؤل ، وبوادر جادة للنجاة من حالة الإحباط التي تملكنتني شطراً من الزمان، ثم بدأت مرحلة الدراسة والعمل والتحقيق لتوثيق تلك المعاني القرآنية السامية بتحليل عبارات آيات سورة "الحج" تحليلاً لفظياً معنوياً ، بالوقوف على تجارب الأولين الذين كانوا معرضين للوقوع على مثل تلك المشاعر المؤلمة التي شعرت بها ، وكيف أنجاهم الله - تعالى- وساعدهم في تخطي الصعاب وتجديد الأمل والعمل. وبمنة الله وفضله تمت كتابة هذا البحث المتواضع الذي قدمت فيه ثمار تجربة شخصية صعبة، علّه ينفع القارئ بفكرة جادة عند اللجوء إلى كتاب الله العزيز في الشدائد والمحن، ومن الله التوفيق.

• مشكلة البحث:

لما كانت الدراسة تتناول شعوراً إنسانياً سلبياً، كان بالإمكان تحديد مشكلة البحث بالإجابة عن سؤال عام (هل بالإمكان تجاوز الشعور بالإحباط؟) على أن تكون الإجابة مسبقة بأمرين هما:

- ١- أن الشعور بالإحباط أهم معوق من معوقات الإبداع^(١).
- ٢- أن البعد عن قراءة القرآن الكريم وقلة التدبّر في معانيه يؤديان إلى استبعاد إمكانية إيجاد الحلول المناسبة فيه لمشكلاتنا النفسية أو العضوية، وواحدة من أهم تلك المشكلات هي مشكلة الإحباط المجتمعي التي قد يتعرض لها كل منّا على مختلف الظروف والمستويات .

ويتضرع من هذين الأمرين:

- أن الشعور بالإحباط قد يأتي من تفكير المحبّط نفسه .
- قد يسببه له الآخرون، فقد يتعرض الشخص المبدع للإحباط أو تثبيط الهمم من الآخرين؛ بهدف قتل روح الإبداع والابتكار فيه ، فالمعروف أن المثبطين يحاولون التعبير دائماً عمّا يناسب أفكارهم ورغباتهم وليس عمّا يناسب الآخرين .

في الأحوال كلّها على المحبّط أن يسعى جاهداً لمعالجة نفسه بنفسه، ثم يستعين بالآخرين وبهيئ الظروف المناسبة لشفائه، ولاسيما تلك التي تجدد روح الإبداع والعطاء لديه، فقد تقوده أية فكرة الى البحث عن المحضّر الأنشط لخروجه من حالة الإحباط. وأحسب أن ذلك السبب هو ما دعا للكتابة في هذا الموضوع.

• أهمية البحث:

قد يفيد هذا البحث الذي يعدُّ من البحوث النفسية والتربوية فضلاً عن كونه بحثاً قرآنياً تحليلاً الدعوة إلى التدبّر في آيات القرآن الكريم مصداقاً لقوله

(١) الإبداع : يعرف الإبداع كأسلوب للحياة بأنه قدرة الأفراد على تحقيق الذات ، ونجاحهم في التعامل مع الآخرين ، وعدم الخوف من سخرتهم. فضلاً على امكانية الاستجابة للتحديات والعقبات التي تواجههم في الحياة فالإبداع عملية تتركز بشكل أساسي على العقل البشري ، مع توفر بيئة مناسبة ومشجعة وسمات شخصية معينة ، وقد حدد ديفيز نوعين من الإبداع هما:

- ١- الانتاج الإبداعي: وهو الإبداع في المجالات المختلفة كالأدب والفنون والاختراعات .
 - ٢- الإبداع الكامن: وهو قدرة المبدع على إنتاج وابتكار أفكار جديدة ومفيدة .
- ينظر: مهارات الإبداع والابتكار ، عبد الله عمر زين كاف ، ط١ ، مكتبة القانون والاقتصاد - السعودية ، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣ م : ١٢٥ وما بعدها بتصرف .

تعالى: "أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا"^(١). والإسهام في خلق الأفكار الجديدة لإيجاد الحلول الفعالة لمشكلاتنا النفسية والتربوية بتوظيف المعاني القرآنية الدالة على ملامح المشكلة ثم استنتاج أساليب معالجتها؛ لالتماس الراحة والاطمئنان، "وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ"^(٢). الشفاء^(٣) مصطلح عام يشمل التعافي من الأمراض العضوية والنفسية على حد سواء، وقد وصف القرآن الكريم العلاج الشافي لكثير من تلك الأمراض التي قد تصيب الإنسان منها الشعور بالإحباط، مدار هذا البحث، الذي سلط الضوء على بعض القراءات المعنوية في سورة الحج ثم توجيه بعضها لوصف مراحل أفعال المحبطين، وأسباب الإحباط ثم إلحاقها بالأساليب القرآنية الداعية للنجاة من تلك الأفعال.

قد يساعد ذلك على فتح آفاق جديدة للتفكير والتأمل في آيات قرآنية أخرى تحمل المعاني نفسها وربما تحمل معاني ودلالات أخرى أعمق منها وأدق، مما يبعث التفاؤل والأمل ثم الرضا والعمل على طلب السعادة في الدارين، على ألا يدخل ذلك في إطار التفسير بالرأي، بل هو محاولة للحث والتشجيع على التدبر والتأمل في معاني آيات القرآن الكريم والإفادة منها لتحقيق الأمن والطمأنينة بذكر الله "أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ"^(٤).

(١) سورة محمد / الآية ٢٤

(٢) سورة الإسراء / من الآية ٨٢ .

(٣) الشفاء: بكسر الشين مصدر شفى، برء المريض مما كان فيه من المرض. معجم لغة الفقهاء ، محمد

قلعجي ، ط ٢ ، دار النفائس للطباعة والنشر. بيروت ، ١٤٨٠ هـ - ١٩٨٨ م : ٢٦٤ .

(٤) الرعد / من الآية ٢٨ .

• تحديد المصطلحات:

(الإحباط ، سورة الحج)

الإحباط لغة: من حبط: إذا عمل الرجل عملاً ثم أفسده قيل حبطَ عمله، وأحبطه صاحبه، وهو من قولهم حبطت الدابة حبطاً، بالتحريك، إذا أصابت مرعى طيباً فأفرطت في الأكل حتى تنتفخ فتموت^(١).

الإحباط بمفهومه العصري يعني مجموعة من المشاعر المؤلمة تنتج عن عجز الإنسان عن الوصول إلى هدف ضروري لإشباع حاجة ملحة عنده، وقد شاع استعمال لفظ الإحباط اليوم بمعنى شعور الإنسان بالخيبة لفساد عمله والبعد عن تحقيق الغرض المقصود منه، ويعقب ذلك النوع من الإحباط حالة يأس ربما تؤدي لترك العمل بالكلية^(٢). وعرف الإحباط في معجم اللغة العربية المعاصرة بأنه: إعاقة النشاط المتجه نحو هدف إما بإيقافه أو التهديد بإيقافه أو الإيحاء بأن مآله إلى الهزيمة والخيبة، ويصعبه شعور بالحزن واليأس والعجز نتيجة للفشل في تحقيق هدف كان يرجى تحقيقه^(٣).

كثيراً ما يحدث الإحباط عندما يكون الشخص متهيئ التحقيق هدف ما ومستعداً لعمل ما يوصله إليه ، ثم يجد عائقاً يمنعه من أداء ذلك العمل أو يعوقه عن تحقيق هدفه .. فإن ذلك يؤدي إلى التوتر والضييق والشعور بالألم والحسرة ونحو ذلك من المشاعر المؤلمة الناجمة عن هذا الإخفاق وذلك الإحباط^(٤).

مما يضطر الإنسان إلى أن يتعلم كيف يستجيب لتلك المشاعر المؤلمة التي يولدها الإحباط ، فيستجيب بعضهم للإحباط بالسلوك العدوانى ، ويستجيب

(١) ينظر: لسان العرب: ابن منظور، نشر أدب الحوزة، ١٤٠٥هـ: ٧: ٢٧٢

(٢) ينظر: الصحة النفسية في ضوء علم النفس والإسلام ، محمد عودة محمد وكمال إبراهيم مرسى، دار

القلم - الكويت : ١٢٦ وموقع <http://www.kw.gov.alwaei.net> مجلة الوعي الإسلامى د.آندى حجازى .

(٣) ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عمر، ط١، المجلد الأول، عالم الكتب - القاهرة،

١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م : ٤٣٧ .

(٤) مقال الإحباط موقع <https://net.islamway.ar/>

غيرهم بالانسحاب والانطواء، أو طلب العون والمساعدة من الآخرين ، أو قد يتعلم أن يستجيب له بالتفكير فيما يعترضه من عقبات محاولاً التغلب عليها بتعلم استجابات جديدة تكون أكثر ملاءمة للتغلب على تلك العقبات^(١) .

لما كانت الدراسة هنا قرآنية تحليلية تأملية كان لابد من التحدث عن معنى الإحباط عند مفسري القرآن الكريم والعلماء المسلمين ومتكلميهم ، فقد أجمع مفسرو القرآن الكريم على أن الحبط هو بطلان العمل وسقوطه عن التأثير ، ولم يُنسب في القرآن إلا إلى العمل كقوله تعالى : (حبطت أعمالهم ❖ ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون ❖ لئن أشركت ليحبطن عملك ❖ لن يضروا الله شيئاً وسيحبط أعمالهم ❖ وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون ❖ ليحبطن عملك)^(٢) .

أما علماء العقائد والمتكلمين فقد ذهب بعضهم إلى أن الإحباط يعني إبطال ثواب الأعمال السابقة بسبب ارتكاب الذنوب اللاحقة .. ويقابله التكفير بمعنى زوال العقوبات وأثار الذنوب السابقة بسبب الأعمال الصالحة بعد ذلك^(٣) . ثم اختلفوا في صحة الإحباط والتكفير بالنسبة لثواب الأعمال الصالحة وعقاب الأعمال الطالحة ، فقال بعضهم^(٤) بجواز وقوعه : أي أن المؤمن المطيع يسقط ثوابه المتقدم بكامله ، إذا صدرت منه معصية متأخرة ، ولو عبد الله طوال عمره ، ثم شرب جرعة من خمر فهو كمن لم يعبد الله قط .. وكذا الطاعة المتأخرة تسقط الذنوب المتقدمة، وذلك هو معنى الإحباط ، واتفق آخرون^(٥) على بطلان الإحباط ، وقالوا لكل عمل حسابه الخاص ولا ترتبط الطاعات بالمعاصي ، ولا المعاصي بالطاعات .. بل

(١) ينظر: القرآن وعلم النفس ، محمد عثمان نجاتي ، ط ٧ ، دار الشروق - مصر ، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م : ٤٨

(٢) ينظر: مصطلحات قرآنية ، صالح عضيمة ، ط ١ ، الجامعة العالمية للعلوم الإسلامية - لندن ، دار النصر - بيروت ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م : ١٣٨ .

(٣) ينظر: تفسير الأمل، ناصر مكارم الشيرازي ، ط ١ ، الأميرة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت - لبنان ، ١٤٢٦ - ٢٠٠٥ م : ٢٠٠ : ١١٣ .

(٤) وهو قول المعتزلة، ينظر: التفسير الكاشف : محمد جواد مغنية ، ط ٣ ، دار العلم للملايين . لبنان ، ١٩٨١ م : ١ : ٣٢٧ .

(٥) وهو المشهور عند علماء الشيعة الإمامية والأشاعرة ، ينظر : المصدر السابق نفسه .

(فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ)^(١). فمن أحسن وأساء، وهو مؤمن بالله يوازن بين حسناته وسيئاته.

أخيراً لا بد من التأكيد على أن تلك المعاني كلها ليست المقصودة من الإحباط هنا، إنما المقصود هو ما شاع استعماله في لفظ الإحباط في العصر الحديث، وهو شعور الإنسان بالخيبة والألم نتيجة البعد عن تحقيق الأهداف المخطط لها، كما بيّنا في مطلع الحديث.

سورة الحج :

مدنية إلا الآيات ٥٢ ٥٣ ٥٤ ٥٥ فبين مكة والمدينة ومجموع آياتها (٧٨) نزلت بعد سورة "النور"، وهي من أعاجيب القرآن الكريم فيها مكي ومدني وحضري وسفري وليلي ونهاري وحربي وسلمي وناسخ ومنسوخ^(٢).

• حدود البحث:

انحصرت الدراسة بتحليل بعض الآيات المتفرقة من سورة الحج مع تأكيدها بآيات من سور قرآنية أخرى إن استلزم الأمر.

• الدراسات السابقة :

كل ما كتب في تفسير سورة الحج يمكن عدّه دراسات سابقة يمكن الاستفادة منها فضلاً عن الكثير من الدراسات الاجتماعية المعاصرة التي ربطت الإنسان بالقرآن الكريم، وقد وقع الاختيار على ثلاثة منها للدراسة والموازنة هي :

• الإنسان في القرآن الكريم، عباس محمود العقاد^(٣).

(١) سورة الزلزلة / الأيتان ٨٠٧ .

(٢) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل، الغرناطي الكليبي، تحقيق: عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن الأرقم - لبنان، ٢٠٠٢.

٣٢ والإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، تحقيق: سعيد المندوب، دار الفكر - لبنان، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م، ٢: ٤٣١ .

(٣) سيرته : أديب ومفكر وصحفي وشاعر مصري ولد في أسوان سنة ١٨٨٩ م ساهم في الحياة الأدبية والسياسية، أضاف للمكتبة العربية أكثر من مئة كتاب في مختلف المجالات منها: خلاصة اليومية والشذور، والتفكير فريضة إسلامية، وعبقورية محمد (ص). توفّي في القاهرة ١٩٦٤ م .
<https://ar.wikipedia.org/wiki/> ويكيبيديا الموسوعة الحرة.

• الإنسان بين شريعتين (رؤية قرآنية في معرفة الذات ومعرفة الآخر)، عبد الحميد أحمد أبو سليمان.

• القرآن أصل التربية وعلم النفس، أحمد جهان الفورتيه.

١- الإنسان في القرآن الكريم، عباس محمود العقاد:

حاول العقاد في دراسته كلها التي قسمها إلى جزئين؛ (الكتاب الأول: الإنسان في القرآن، والكتاب الثاني: الإنسان في مذاهب العلم والفكر). وتوظيف المعاني القرآنية في فهم النفس الإنسانية ومشكلاتها بالبحث عن أسباب تلك المشكلات ثم محاولة وضع الحلول السليمة لها على ما جاء في القرآن الكريم؛ فبدأ الحديث عن الذات الإنسانية المكونة من النفس والعقل والروح قائلاً: وقد ذكرت النفس في القرآن بجميع قواها التي يدرسها اليوم علماء النفس المختصون لهذه الدراسات في موضوعاتها الحديثة، فقوة الدوافع الغريزية تقابل النفس الأمانة بالسوء "وَمَا أُبْرِيءُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ" سورة يوسف / الآية ٥٣. وقوة النفس الواعية تقابل النفس الملهمة "وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ، فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا" الشمس / ٧- ٨، وقوة الضمير تقابل النفس اللوامة ، وهي النفس التي يقع منها الحساب كما يقع عليها، وجاء ذكرها من أجل ذلك مقرونا بيوم القيامة "لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ" سورة القيامة/ ١- ٢^(١) ثم عرض المذاهب والآراء عن الإنسان حتى ختم كتابه بسؤال فرض الثقة التامة في الجواب عليه وهو (هل صحيح أن القرآن يلقي بالإنسان غربياً في القرن العشرين ؟) وكان الجواب الذي لا تردد فيه كما وصفه العقاد : أن القرآن على النقيض من ذلك يضع الإنسان في موضعه الذي يتطلبه فلا تسعه عقيدة أخرى أصح له وأصلح من عقيدة القرآن ؛ لأن آيات القرآن الكريم تفسح للعقل الإنساني كلَّ طريق من طرق البحث والتأمل ، فلا تصده عن طريق قط يترقب منه معرفة نافعة توافق المعارف الشائعة أو تناقضها^(٢) .

(١) ينظر: الإنسان في القرآن الكريم ، عباس محمود العقاد ، دار العلوم للطباعة . مصر ، رقم الإيداع بدار

الكتب : ١٨١٤ / ١٩٧٣ : ٨٣ .

(٢) ينظر: المصدر السابق نفسه : ١٧٥ - ١٧٦ .

٢- الإنسان بين شريعتين (رؤية قرآنية في معرفة الذات ومعرفة الآخر) ، عبد الحميد أحمد أبو سليمان :

لعل خير مستخلص لتلك الدراسة هو ما كتبه المؤلف نفسه في صفحة الغلاف آخر الكتاب قائلاً : يستمد هذا الكتاب أهميته - على الرغم من صغر حجمه ولعل ذلك من محاسنه- من أنه تلتقي فيه وتمتزج المعارف الدينية والفلسفية والإنسانية والاجتماعية ، في محاولة استلهام الرؤية القرآنية للغوص في لب وجود الأمة وتصحيح مسارها وتجديد طاقتها ، إذ البحث في طبيعة الكون والإنسان والغاية من وجود الإنسان ؛ ليحدد تلك الغاية ويعيد بناء كيان أمته الذي تهدم ويصحح مسيرة حضارته بفاعلية وتصميم ، ومن خلال فهم الذات يقدم هذا الكتاب فهم الآخر الغربي، وفهم طبيعة منطلقاته، ويقدم دليل التعامل الحضاري الفعال معه، مما يعين على تحرير الأمة من روح الوهن والانهازم والمحاكاة والتقليد الأعمى، وتحريرها من الانبهار بقدرات الآخر الغربي المادية وجبروت قوة التكنولوجيا . فعلى الرغم من وضوح الهدف العام للدراسة وهو توظيف المعاني القرآنية لحل المشكلات الاجتماعية في المجتمعات الإسلامية، إلا أنه لم يغفل التفصيل والشرح في أحوال الفرد المسلم نفسه الذي فرض حيرته (بين شريعتين) (شريعة النور وشريعة الغاب) ، فإنه يرى أن الإنسان المتكون من لقاء الروح والنور مع المادة والطين هو ما يجعله مساحة صراع بين النور والظلمة وبين الهدى والضلال وبين الخير والشر وبين الطاعة والمعصية وبين الروح والمادة وبين الطهارة والقذار^(١) .. ثم توصل إلى أن كتاب النور- القرآن الكريم - ومتواتر السنة المطهرة ، هما مصدر العلم وهما المرجع والقول الفصل ، ومصدر هذه التأملات التي غايتها والقصد منها الإسهام في هداية الإنسان المسلم وترشيد مساره وخطوه: "قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي"^(٢) .

(١) ينظر: الإنسان بين شريعتين (رؤية قرآنية في معرفة الذات ومعرفة الآخر) ، عبد الحميد أحمد أبو سليمان ، دار السلام للطباعة ، ط ١ ، المعهد العالمي الإسلامي . القاهرة ، ١٤٢٣ هـ . ٢٠٠٣ م : ٩٦ .

(٢) سورة البقرة / من الآية ٢٦٠ وينظر: المصدر السابق نفسه : ١٠١ .

٣- القرآن أصل التربية وعلم النفس، أحمد جهان الفورتية :

هذا الكتاب يحاول بأسلوب علمي تأكيد أن مقومات وأساس علم التربية والنفس تنبع من القرآن الكريم وهو أصل هذا العلم ، معللاً بأن كثيراً ممن تناولوا علم التربية والنفس بالدراسة والبحث كانوا مقتنعين بأن وضع قواعده قد تم على يد علماء الغرب ، فعمد المؤلف تأكيداً لرؤيته إلى توضيح خصائص المنهج القرآني في تناوله لتلك القضايا منها^(١) :

- ١- أن المنهج عندما يسوق الأمثلة يسوقها في ثوب يثير الإعجاب ، ليوظ في النفس غريزة(حب الاطلاع).
- ٢- أن المنهج يؤثر أن تكون الوسيلة التعليمية - في الغالب- خارجة عن محيط ذات المتعلم لكي تتاح له فرصة التمكن من المشاهدة والإلمام بالكليات.
- ٣- يستخدم المنهج عناصر البيئة لإبراز المعاني وتشخيصها لينبه العقل إلى أن منافذه الكاشفة لتلك الحقائق إنما هي الحواس.

هكذا يحاول المقارنة بين ما جاء في القرآن الكريم من دلالات على مواقف تربوية محددة وما يقابلها في علم النفس الحديث حتى يصل إلى نهاية كتابه . الذي قسمه إلى عنوانات موضوعات تربوية مختلفة . فيختمه بالحديث عن صفات الشفاء التي يعزيها إلى الاعتدال في التزام العبادات وإنفاق الصدقات وخشية الله تعالى ثم المحافظة على كيان الأسرة ومحيطها؛ لأنها الملجأ الذي يزخر بعبير الاستقرار والأمن والمساعد على المسير في قافلة الإيمان التي تحدد معالم الطريق فتفضي من غير مشقة ولا عنت إلى مغام كثيرة يجد في رحابها المؤمن أرقى ألوان النفع والفائدة^(٢) .

اتفقت الدراسات الثلاث على أن القرآن الكريم أصل العلوم والمعارف الإنسانية وقد حاول مؤلفوها توظيف المعاني القرآنية التي تتحدث عن الإنسان ومشكلاته النفسية والتربوية في كيفية حلها بأسلوب معاصر ، وأحسب أن هذا الأمر هو جوهر الاتفاق

(١) ينظر: القرآن أصل التربية وعلم النفس ، أحمد جهان الفورتية ، دار الملتقى للطباعة والنشر ، ط ١ ،

قبرص . ١٩٩٤ م : مقدمة الكتاب ٧ - ٩ .

(٢) ينظر: المصدر السابق نفسه : ١٤٤ - ١٨٥ بتصرف .

مع موضوع الدراسة هنا، غير أن اختلاف التفاصيل التي تناولتها الدراسات المختارة جعل لكل منها خصوصية ومحور نفع محدد ، فدراسة العقاد تناولت مشكلات الإنسان في القرن العشرين ودراسة الدكتور عبد الحميد أحمد خصصت لبحث المشكلات الاجتماعية في المجتمعات الإسلامية ونظرتها للغرب بشكل عام ، أما دراسة الفوريه فقد أثبت فيها أن نظريات علم النفس والتربية الحديثة لها أصل في القرآن الكريم وعلينا الرجوع إليه للاعتراف من معينه واستخراج كنوزه التي لا ينفد لها مدد .

قد لا يختلف الهدف العام للدراسة هنا عن تلك الدراسات السابقة غير أنها خصصت لدراسة جزئية مشكلة نفسية اجتماعية معاصرة هي مشكلة الشعور بالإحباط الذي يسببه الآخرون للمبدعين. تلك المشكلة التي يعانها الأفراد والشعوب العربية بشكل عام نتيجة ما نعيشه اليوم في عالم الواقع من خلافات ونزاعات وأخبار يومية مؤلمة يثير الكثير من مشاعر الحيرة والإحباط وفقدان الأمل، إلا أن علينا التطلع للمستقبل بعين الأمل والتفاؤل بغد أفضل حتى لا نصل الى مرحلة اليأس والتقنوط من واقع مرير.

• إجراءات البحث ومنهجيته:

بعد قراءة آيات سورة "الحج" والتدبر فيها، كان تحديد ما حسبناه متعلقاً بموضوع البحث إذ اعتمد منهج التحليل اللفظي والمعنوي لمفردات آيات تلك السورة على الرجوع إلى كتب اللغة والتفسير والعقائد فضلاً على الدراسات القرآنية التربوية والنفسية ، فكان أشبه بمحاولة التوجيه الموضوعي لآيات سورة الحج ، وأقول التوجيه : لأنني لا أجرؤ على نعتي بالتفسير الموضوعي الذي عرفه السيد محمد باقر الحكيم : بمعنى أن يبدأ في البحث من الموضوع الذي هو (الواقع الخارجي) ويعود إلى القرآن الكريم لمعرفة الموقف تجاه ذلك الموضوع الخارجي ، فيركز المفسر في منهج التفسير الموضوعي على موضوع من موضوعات الحياة العقائدية أو الاجتماعية أو الكونية ويستوعب ما أثارته تجارب الفكر الإنساني من حلول ، وما طرحه التطبيق التاريخي من أسئلة ومن نقاط فراغ ، ثم يأخذ النص القرآني ويبدأ معه حواراً فالمفسر يسأل

والقران يجيب وهو يستهدف من ذلك أن يكتشف موقف القرآن الكريم من الموضوع المطروح^(١) . فكانت تلك محاولة مني لتقريب المعاني التي حسبتها تدور حول موضوع الإحباط ووصف مراحل أفعال المحبطين والأساليب القرآنية للنجاة منه، والله من وراء الغاية والمقصود، وقد قسمت الدراسة على مباحث ثلاثة هي الآتي:

(١) ينظر: علوم القرآن ، محمد باقر الحكيم ، ط ٣ ، مجمع الفكر الإسلامي ، مؤسسة الهادي . قم ، ١٤١٧ هـ :

المبحث الأول: وصف الإحباط ومراحل أفعال المحبطين

لو أردنا وصف الإحباط شعوراً سلبياً يصاب به المحبط، لوجدنا أن ظهور علامات التوتر والضييق والألم والحسرة ونحو ذلك من المشاعر المؤلمة أصدق وصف للإحباط، فقد تظهر على المحبط علامات عدة منها:

- تغير في حالته النفسية كتحويل الإصرار لديه إلى اللامبالاة في تحقيق الشيء الذي يسعى للوصول إليه .
- الشعور بالخمول وانخفاض مستوى النشاط مع الميل إلى الكسل .
- قلة القدرة على القيام بالأفعال اليومية مصحوبة بالشعور بالتعب .
- الإصابة بالأرق وقلة القدرة على النوم بشكل صحيح .
- ظهور علامات القلق على المصاب بالإحباط كالشعور بالذنب بسبب الفشل في تحقيق الفرد لهدفه .

وفي حالات متقدمة من الإحباط تبدأ علامات الاكتئاب بالظهور على الفرد^(١) .
ولما كان القرآن الكريم خطاباً إلهياً عاماً موجهاً لنفع البشرية جمعاء وهدايتها، فقد نزلت جل آياته واصفة للمشاعر الإنسانية على مستوياتها المختلفة بين الفرح والحزن والخوف والأمن والألم والراحة، كان بالإمكان تلمس ووصف شيء من تلك المشاعر المؤلمة التي يصاب بها الأشخاص المتعرضون لمحاولة الإحباط ، وقد غصت آيات القرآن الكريم بتلك المعاني منها قوله تعالى :

"فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ"^(٢)
وقوله تعالى: "وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ"^(٣) .

(١) ينظر : مقال إلكتروني (كيف تخرج من الإحباط) <https://mco.3mawdoo/>

(٢) سورة هود / الآية ١٢ .

(٣) سورة الحجر / الآية ٩٧ .

من الطبيعي أن يحزن النبي - صلى الله عليه وآله وسلم- ويتألم إذا استهزأ به المشركون ، وقالوا عنه:مجنون ومفتر على الله ، من الطبيعي أن يضيق صدره بما يقول عنه الكافرون لأنه إنسان من لحم ودم يفرح بما يفرح به الناس ، ويحزن مما يحزنون ، ولكن ما العلاقة بين الحزن والعبادة ، حتى أمره الله تعالى بأن يلجأ إليها إذا حزن وضاق صدره ؟ الجواب، أن الله سبحانه لم يأمر نبيه بالعبادة هنا ليبين له أن ضيق الصدر سبب للأمر بالعبادة، لا.. فإن الأمر بعبادة الله غير مقيد بفرح ولا بحزن. وإنما الأمر بالعبادة هنا كناية عن الاتكال على الله والفرع إليه وحده إذا ألم بالنبي - صلى الله عليه وآله وسلم- ما يؤلمه ويزعجه (١).

في المقابل نجد أن القرآن الكريم يصف مراحل أفعال المحبطين الذين يتسببون في ظهور علامات الإحباط على الآخرين - سواء أكان ذلك عن قصد منهم أم دون قصد - وقد حاولت ترتيب المعاني الواصفة لتلك الأفعال الواردة في سورة "الحج" على مراحل ستة هي:

المرحلة الأولى- المراء (٢) والشك :

يدلّ عليه قوله تعالى: "وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مَرِيَّةٍ مِنْهُ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ" الحج / ٥٥. فالواضح الجلي وصف حال المراء والعناد الذي يصاب به الكافرون وهم يحاولون تكذيب وإحباط الرسل والأنبياء ثم استمرار أولئك الضالين وإصرارهم على ذلك العناد حتى قيام الساعة محاولة منهم إضعاف الأنبياء والرسل وإحباطهم وتثبيط همهم عن تبليغ ما أرسلوا به من أمر الله - تعالى - .

المرحلة الثانية- السعي لمعاجزة الخصم:

يتجلى معنى معاجزة المحبطين بقوله تعالى: "وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ" الحج / ٥١ فالسعي الإسراع في المشي، وهو كناية عن بذل

(١) ينظر: التفسير الكاشف : ٤ : ٤٩١ .

(٢) المراء: المماراة والجدل ، والمراء أيضا من الامتراء والشك . وأصله في اللغة الجدل وأن يستخرج الرجل من مناظره كلاما ومعاني الخصومة وغيرها، من مريت الشاة إذا حلبتها واستخرجت لبنها. التحقيق في كلمات القرآن الكريم، حسن مصطفى ، ط ١ ، مؤسسة الطباعة والنشر وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي - طهران، ١٤١٧ هـ : ١١ : ٨٢ .

الجهد في أمر آيات الله لإبطالها وإطفاء نورها^(١). والمعاجزة؛ بمعنى معجزين، أي مشيطين، مضافا إلى أن نيتهم في هذا السعي هي المعاجزة وتضعيف الآيات وتحقيروها. فكلمة معاجزين: حال^(٢) يختصر معاني كل ما يقوم به أولئك المحبطين وكل ما يفكرون به.

المرحلة الثالثة- المجادلة بغير علم :

عند التأمل في قوله تعالى (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ) الحج / ٣ وقوله : "وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ ، ثَانِي عَطْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ" الحج / ٨ - ٩ وبعد معرفة ما قيل أنها نزلت في أمية بن خلف وأبي بن خلف وأبي جهل بن هشام والنضر بن الحارث وأشباههم ؛ كانوا يجادلون النبي بالباطل في الله وفي صفاته^(٣) ، لاتضح لنا ان المجادلة بغير علم صفة ملازمة للمحبطين الذين كانوا لا يتوانون في إيذاء رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم- فضلا عن وضوح قصدهم في الاضلال عن سبيل الله .

المرحلة الرابعة- محاولة السطو بالمبدع :

في قوله تعالى: "وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا" الحج / ٧٢ أي : يكادون يقعون بمحمد - صلى الله عليه وآله وسلم- من كراهيتهم للقرآن ، وقالوا : ما شأن محمد وأصحابه أحق بهذا الأمر منا^(٤) . فوصفهم الله تعالى بالسطو وهو الصول والحملة

(١) ينظر: الميزان في تفسير القرآن ، محمد حسين الطباطبائي، مؤسسة النشر التابعة لجماعة المدرسين . قم: ١٤: ٣٩٠ .

(٢) ينظر: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ١٣: ٣٩٠. والتحقيق في كلمات القرآن: ٥: ١٣٢ .

(٣) ينظر: تفسير السمعاني ، تحقيق: ياسر بن ابراهيم وغنيم بن عباس ، ط ١ ، دار الوطن - الرياض ، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م .
٤ : ٢٣٥ .

(٤) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان، تحقيق: أحمد فريد، ط ١، دار الكتب العلمية. بيروت، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م : ٢: ٣٩٠ .

بالقهر^(١). ويبدأ لي أن تلك اللفظة تغني عن وصف كل ما كان يقوم المحبطين به من إيذاء وشر.

المرحلة الخامسة- العزوف والتوقف عن التفكير :

وصف الله - تعالى- حال المحبطين بالعزوف والتوقف عن التفكير في قوله تعالى: "أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ" الحج / ٤٦ . فبعد أن حاججهم الله تعالى ببديع خلق الأرض وصفهم بعمى القلوب التي في الصدور ، وهي استعارة حسنة إذ العمى حقيقة هو فقدان ملكة البصر بالعين، ووجه المشابهة أن الأعمى كما لا يهتدى لمقاصده المحسوسة بالبصر لعدمه كذلك أعمى البصيرة لا يهتدى لمقاصده المعقولة لاختلال بصيرته وعدم عقله لوجوه رشده^(٢).

المرحلة السادسة- السخرية بعد الانهيار والعجز التام عن تحقيق المنى :

قال تعالى: "وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ" الحج / ٤٧. كان القوم يكذبون النبي - صلى الله عليه وآله وسلم- إذا أخبرهم أن الله سبحانه وعده أن يعذبهم إن لم يؤمنوا به ، فكانوا يستعجلونه بالعذاب استهزاء به وتعجيزا له قائلين : متى هذا الوعد ؟ فرد الله عليهم بقوله : " ولن يخلف الله وعده "^(٣) . ومثله قوله تعالى : "وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ" الذي تكرر في ستة مواضع في القرآن الكريم^(٤) ، وفي ذلك دلالة واضحة على تكرار السخرية والاستهزاء من المعاندين، ومما يؤكد نتائج السخرية وأثرها في رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم- باللفظ الصريح أن تلك الآية الدالة على السخرية سبقت في سورة النمل بقوله تعالى : "وَلَا تَحْزَنْ

(١) ينظر: التحقيق في كلمات القرآن : ٥ : ١٢٦ .

(٢) ينظر : شرح نهج البلاغة : ابن ميثم البحراني ، ط ١ ، مركز النشر مكتب الإعلام الإسلامي - إيران ،

١٣٦٢ ش : ١ : ٢٤٢ .

(٣) الميزان في تفسير القرآن : ١٤ : ٣٨٩ .

(٤) سورة يونس / الآية ٢٨ ، سورة الأنبياء / الآية : ٣٨ ، سورة النمل / الآية ٧١ ، سورة سبأ / الآية ٢٩ ، وسورة

يس / الآية ٤٨ ، وسورة الملك / الآية ٢٥ .

عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ^(١). فالله تعالى يطمئن رسوله الكريم - صلى الله عليه وآله وسلم- بعد أن بدت عليه علامات الحزن والضيق من مكرهم واستهزائهم بالوعد.

المبحث الثاني: أسباب الإحباط

قد يتعرّض أي منا إلى مجموعة من الأسباب التي تؤدي إلى الإحباط منها على سبيل التمثيل: أن يتوقع النجاح في امتحان ما، ولكن عند صدور النتائج يصدم الفرد بأنه لم ينجح على الرغم من المجهود الكبير الذي بذله لدراسة المادة المقررة للامتحان. ومنها سكن الفرد وحده لمدة زمنية طويلة مما ينتج عنه الشعور بالإحباط. أو وفاة شخص عزيز كأحد الوالدين، أو الإصابة بمرض مزمن، ترافقه أعراض مستمرة مما يؤدي إلى شعور الفرد بالإحباط بسبب عدم شفائه من المرض^(٢). وغير ذلك من الأسباب المادية المتوقعة الحدوث في حياة أي شخص، غير أن القرآن الكريم وبمنهجه السامي الفريد أرجع أسباب الإحباط إلى مفاهيم معنوية أكثر عمقاً في النفس الإنسانية وأبعد تأثيراً من تلك الأسباب المادية الدنيوية، ومنها المفاهيم القرآنية الجليلة التي حسبنا وتأمّلنا وجودها في سورة الحج كما يأتي:

١- الظن السيء:

في قوله تعالى: "مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لِيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدَهُ مَا يَغِيظُ" الحج / ١٥ يبدو أن مطلع الآية هنا يشير إلى الشخص المحبط الذي يظن أنه بعيد عن نصرة الله له في الدنيا والآخرة، وقد يعمل ذلك الإحساس بالبعد على تعطيل القوة الروحية الكامنة في كلّ فرد منا. بغض النظر عن دينه ومعتقده. ففطرة الإنسان تدفعه دائماً إلى الإيمان بأن هنالك قوة خفية ترعاه وتنصره وتشدّ من عزمه وقت الشدائد،

(١) سورة النمل / الآية ٧٠.

(٢) ينظر: مقال) كيف تخرج من الإحباط) <https://www.mawdoo.com>

فتدفعه إلى إعادة تجديد نشاطه ومواصلة الحياة من جديد ، وحينما يصل الشخص إلى أقصى درجات الضعف والوهن فيعتقد أنه بعيد عن نصره الله ومعونته ، يكون قد وقع بالإحباط الشديد الذي يؤدي إلى ترك أسباب النجاح والديمومة ، أما المفسرون فقد جمع صاحب التفسير الأمثل آراءهم في تفسير تلك الآية، ورجح منها رأيين مهمين هما^(١) :

١ - أن السماء يقصد بها السماء الحقيقية، وبناء على هذا الرأي: فإن الأشخاص الذين يظنون أن الله لا ينصر نبيه، ليذهبوا إلى السماء وليشدوا بها حبلا ويعلقوا أنفسهم بينها وبين الأرض حتى تنقطع أنفاسهم. (أو يقطعوا الحبل الذي تعلقوا به كي يسقطوا) ولينظروا إلى أنفسهم هل انتهى غضبهم؟!

٢ - أن عود الضمير المذكور إلى هؤلاء الأشخاص، وليس إلى النبي - صلى الله عليه وآله وسلم- أي أن الذين يظنون عدم نصر الله لهم، وأنه يقطع رزقهم، عليهم أن يعملوا ما شاءوا، وليذهبوا إلى السماء ويعلقوا أنفسهم بحبل، ثم ليقطعوا هذا الحبل حتى يقعوا على الأرض، فهل ينتهي غضبهم؟

ثم قال: وجميع تلك التفاسير تركز على ملاحظة نفسية تخص الأشخاص ذوي المزاج الحاد، وضعيفي الإيمان الذين يصابون بالهلع ويرتكبون أعمالاً جنونية كلما بلغت أمورهم طريقاً مسدوداً في الظاهر، فيضربون الأبواب والحيطان تارة، وأخرى يودون أن تبتلعهم الأرض. وقد يصممون على الانتحار لإخماد نيران غضبهم. في وقت لا تحلّ فيه هذه الأعمال الجنونية مشاكلهم، ولو تريثوا قليلاً، والتزموا الصبر وسعة الصدر، ونهضوا بعد التوكل على الله والاعتماد على النفس في مواجهة مشاكلهم؛ لأصبح حلها مؤكداً.

٢- إلقاء الشيطان في الأمانى:

قال تعالى : (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكُمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) الحج ٢٥.

(١) ينظر: التفسير الأمثل: ١٠: ٣٠٢.

ذكر الله تعالى إمكان تعرض الأنبياء والرسل الى إلقاء الشيطان في أمانهم وإحباط همهم ، فكيف لنا نحن البشر الضعاف أُلّا نتعرض لمثل ذلك الإلقاء الشيطاني الذي يحبط الهمم ويعطل الجهود عن السعي والعمل ، على الرغم من أن الله تعالى أكد أنه يحمي رسله وأنبياءه بنسخ ذلك الإلقاء المحبط لأنهم رسله المعصومون الذين انتخبهم وخصهم بالرسالة. أما نحن البشر فما علينا إلّا الاقتداء بالرسل والابتعاد عن إلقاء الشيطان في أمانينا، فبعد أن تناولت الآيات السابقة من سورة "الحج" محاولات المشركين والكفرة محو التعاليم الإلهية والاستهزاء بها ، جاءت الآية موضع البحث متضمنة تحذيرا مهما إذ قالت: إن هذه المؤامرات الشيطانية ليست جديدة ، فالشياطين دأبوا منذ البداية على إلقاء وساوسهم ضد الأنبياء .

وبعبارة أخرى ، في البداية كأن معنى الآية هو : وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى أمرا لصالح الدين والمجتمع وفكر في خطة لتطوير العمل ، ألقى الشيطان في أمنيته إلا أن الله لم يترك نبيه وحده إزاء إلقاءات الشياطين فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته .

إن هذا العمل يسير على الله تعالى ، لأنه عليم بجميع هذه المؤامرات الدنيئة ، ويعرف كيف يحبطها والله عليم حكيم ^(١) .

٣- مرض القلب وقساوته :

قوله تعالى : "لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةَ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ، وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادٍ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ" الحج/ ٥٣ - ٥٤ .

بعد أن تحدثت الآية السابقة عن إلقاء الشيطان في الأمان، جاءت هذه الآية لتؤكد أن ذلك الإلقاء هو فتنة واختبار للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم

(١) ينظر: المصدر السابق نفسه: ١٠ : ٣٧٤ .

عن ذكر الله الذين ظلموا أنفسهم بذلك الشقاق والبعد عن ذكر الله؛ فتبين أن المؤامرات الشيطانية التي كان يحيكها المشركون والكفرة، كانت تؤلف ساحة لامتحان المؤمنين والمتأمرين في آن واحد، وأن الظالمين في شقاق بعيد فهم بعيدون عن الحق لشدة عداوتهم وعنادهم. وكذلك الهدف من هذا البرنامج: وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ريبك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم. وأن الله لا يترك المؤمنين الواعين المطالبين بحقوقهم والمدافعين عن الحق وحدهم في هذا الطريق الوعر. وإن الله لهادي الذين آمنوا إلى صراط مستقيم^(١).

المبحث الثالث: الأساليب القرآنية لمعالجة الإحباط

وفيه مطلبان :

المطلب الأول: أساليب نجاة الأنبياء والرسل من الإحباط

لقد خصّ الله تعالى أنبياءه ورسله بعناية خاصة تؤهلهم للقيام بمهامهم التبليغية الشاقة؛ منها: مخاطبتهم بخطابات تعزيزية تهوّن عليهم مشاق التبليغ وتشدّ أزرهم وتقوّي عزائمهم منها :

١- التذكير بتجارب الأولين:

ورد في القرآن الكريم آيات تذكّر رسول الله محمد - صلى الله عليه وآله وسلم- بتجارب غيره من الأنبياء والمرسلين ، كيف عانوا من أقوامهم وتحملوا الصعاب ، منها قوله تعالى: "وإن يكذبوك فقد كذبت قبلكم قوم نوح وعاد وثمود ، وقوم إبراهيم وقوم لوط ، وأصحاب مدائن وكذب موسى فأمليت للكافرين ثم أخذتهم فكيف كان تكبير الحج / ٤٢ - ٤٤ .

أسلوب التذكير بتجارب الآخرين يمكن عدّه وسيلة من وسائل تهوين الصعاب، وسبيلا من سبل النجاة من الإحباط، لما له من أثر نفسي إيجابي في متلقيه، فتراه يحثّ ويشجّع على تجاوز الشدائد كما تجاوزها الآخرون ، مما يؤدي إلى النجاة من شعور الإحباط الذي قد يتعرّض له رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم- ، فقد ذكره الله تعالى مسلّيا نبيه محمدا - صلى الله عليه وآله وسلم- عما يناله من

(١) ينظر: المصدر السابق نفسه: ١٠: ٣٧٥ .

أذى المشركين بالله ، وحاضا له على الصبر على ما يلحقه منهم من السب والتكذيب . وإن يكذبك يا محمد هؤلاء المشركون بالله على ما أتيتهم به من الحق والبرهان ، وما تعدهم من العذاب على كفرهم بالله ، فذلك سنة إخوانهم من الأمم الخالية المكذبة رسل الله المشركة بالله ومنهاجهم من قبلهم ، فلا يصدنك ذلك ، فإن العذاب المهين من ورائهم ، ونصري إياك واتباعك عليهم آتيهم من وراء ذلك ، كما أتى عذابي على أسلافهم من الأمم الذين من قبلهم بعد الإمهال إلى بلوغ الآجال . فقد كذبت قبلهم . يعني مشركي قريش . قوم نوح ، وقوم عاد وثمود ، وقوم إبراهيم ، وقوم لوط ، وأصحاب مدين ، وهم قوم شعيب . يقول : كذب كل هؤلاء رسلهم . وكذب موسى فقيل : وكذب موسى ولم يقل : وقوم موسى ؛ لأن قوم موسى بنو إسرائيل ، كانت قد استجابت له ولم تكذبه ، وإنما كذبه فرعون وقومه من القبط . وقد قيل : إنما قيل ذلك كذلك لأنه ولد فيهم كما ولد نبينا - صلى الله عليه وآله وسلم - في أهل مكة^(١) .

٢- الإملاء والحلم:

قوله تعالى: "وَكَايْنٌ مِنْ قَرْيَةٍ أَمَلِيَتْ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْنَاهَا وَالْيَّ الْمَصِيرُ" الحج / ٤٨ .

لقد أوحى الله تعالى لرسوله الأعظم - صلى الله عليه وآله وسلم - في هذه الآية الكريمة بأنه يملي للظالمين ويمهلهم حتى يأتيهم العذاب العظيم ، وما على الرسول الكريم والمؤمنين إلّا الحلم والانتظار لتحقيق الوعد الالهي ، فذلك المعنى الضمني للإملاء والحلم واحد من الأساليب القرآنية البلاغية اللطيفة التي توحى للقارئ أو السامع أن الله - تعالى - ربما أراد تذليل الصعاب أمام رسوله الأعظم ، ونقله إلى حالة إيمانية قائمة على الحلم والتفكر والإيمان المطلق بحكمة الله فيما يشاء ، ولا سيما أنه - صلى الله عليه وآله وسلم - كان كثير الرحمة بقومه وأمته ، لما روي عنه - صلى الله عليه وآله وسلم - أنه يقول : أمتي ، أمتي . حينما يقال له : يا محمد

(١) ينظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، الطبري ، تحقيق : خليل الميس ، تخريج : صدقي جميل العطار ، دار الفكر للطباعة والنشر - بيروت ، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م : ١٧ : ٢٣٥ .

ارفع رأسك وقل يسمع لك وسل تعطط واشفع تشفع. فيقول: أمتي، أمتي^(١). وقد يقترب هذا المعنى من الأسلوب السابق الذي وصفناه في التذكير بتجارب الآخرين أكثر من كونه دالاً على الإملاء والحلم، إلا أن ما أجمع عليه المفسرون في تفسير الآية يفيد أنحلم الله واسع، فهو حلِيم لا يعجل، ومن حلمه: أن يوماً واحداً عند الله تعالى كآلف سنة مما تعدون، أي أن يوماً من أيام العذاب الأخروي بمثابة ألف سنة، لشدة عذابه وطول مقامه، فأين هم من عذاب ربك؟! وكثير من القرى؛ أي أهلها أمهلها الله، وأخر عنها العذاب والهلاك، مع أنها قائمة على الظلم، مستمرة على الكفر والعصيان، فاعتروا بذلك التأخير، ثم أخذها الله فأنزل العذاب بأهلها، ثم كان المرجع النهائي إلى الله تعالى، فيكون تأخير العذاب من قبيل الإهمال لا الإهمال^(٢).

٣- تخفيف المهمات على المحبط:

قوله تعالى: "قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ" الحج / ٤٩ الخطاب الموجه للرسول محمد - صلى الله عليه وآله وسلم- هنا واضح يفيد أن الله تعالى يأمره أن يقول للناس: أنه إنما بعث للناس نذير مبين يندرهم بالعذاب في الدنيا والآخرة بوضوح ظاهر فيندرهم بصريح العبارة ويبلغهم رسالة الله وليس عليه هدايتهم، ويبدو في ذلك ما يخفف عليه المهام ويدعوه إلى التركيز في ما مطلوب منه وهو التبليغ المبين.

المطلب الثاني: أساليب نجات المؤمنين من الإحباط

بعدهما عرفنا شيئاً من الأسباب المؤدية إلى الشعور بالإحباط، كان لزاماً علينا وضع تلك الأسباب بالحسبان، ومحاولة الابتعاد عنها وتجنبها لأن ذلك سيساعدنا كثيراً على إيجاد الحلول السليمة للنجاة من الإحباط. وبالاعتماد على ما جاء في القرآن الكريم في سورة "الحج" وغيرها من السور، نحاول توظيف بعض المعاني والأساليب القرآنية البليغة التي تخاطب الروح والمشاعر الإنسانية فتبعث فيها

(١) ينظر: صحيح البخاري، دار الفكر للطباعة والنشر، طبعة الأوفست من طبعة دار الطباعة العامرة

بإستانبول، ١٤٠١ - ١٩٨١ م: ٨: ٢٠١.

(٢) ينظر: التفسير الوسيط، وهبة الزحيلي، ط ٢، دار الفكر - دمشق، ١٤٢٧ - ٢٠٠٦ م: ٢: ١٦٥٤.

الراحة والاطمئنان والتوجه السريع لعمل الخير والمعروف بهمة ونشاط وتفاؤل، ولما كان الإحباط قرين اليأس والقنوط، كان الأجدربنا البحث والتركيز على المعاني الدالة على التفاؤل والأمل، ومنها ما يأتي:

١- التفكير بضرورة استمرار الحياة:

مما يبعث الأمل والتفاؤل في نفس الإنسان استشعار الأمل وتجدد الحياة، ثم تسخير المواقف الحيوية كلها؛ لتحقيق الغاية العظمى من هذا الخلق، وهي إعمار الأرض ونشر الخير والسلام فيها، فلو تأملنا ما جاء في سورة "الحج" من قوله تعالى: "ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ" الآية ٦١؛ لاستشعرنا ذلك التصوير القرآني الرائع في إيلاج الليل بالنهار وإيلاج النهار في الليل وجعلناه دليلاً عقلياً ثابتاً على ضرورة تجدد الحياة واستمرارها مع التركيز على مظاهر الجمال والابداع فيها، فقد يساعدنا ذلك الابتعاد عن الأفكار السلبية الهدامة المؤلمة كالأحباط واليأس والقنوط، ولاسيما حينما نتأمل مظاهر الجمال والإبداع- كما قلنا سابقاً- .

٢- زرع الأمل في تصوير مراحل خلق الإنسان وإنبات الأرض:

في قوله تعالى: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِّنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِّنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِّنْ مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُّخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقَرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ آجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَّنْ يُتَوَفَّىٰ وَمِنْكُمْ مَّنْ يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَىٰ الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأُنْبِتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ" سورة الحج /الآية ٥ ، على الرغم من أن تلك الآية جاءت لتثبت أن يوم البعث حق لا ريب فيه، إلّا أن التفكير في عظمة مراحل خلق الإنسان ودقتها قد يبعث في نفس المتدبر شيئاً من الأمل عند تأمله مراحل خلقه، كيف أنه خلق من تراب حتى كان ما كان عليه اليوم، حينها يحاول إقناع نفسه أنه قد يصل إلى محصلة نهائية تقول: (إنك قادر على تحقيق ما تريد ما دمت حيا ترزق، ومهما صعبت الظروف فلن تكون بصعوبة مراحل خلقك). أما الجزء الأخير من الآية الذي يتحدث عن إنبات الأرض، فإنها

تدلّ على المعنى السابق نفسه في بعث الأمل والطموح بتصوير اخضرار الأرض بعد نزول الماء من السماء .

٣- تقوية الشعور بالرضا بالتذكير بنعم الله تعالى:

في قوله تعالى: "أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُءُوفٌ رَحِيمٌ" الآية/ ٦٥ .

لو أيقن الانسان يقينا تاما أن كلّ ما في السماوات والارض مسخر له بأمر الله تعالى ونعمته وفضله لكان في غاية الرضا والقناعة والسعادة بأن الله تعالى وهبه تلك النعم ليحيا سعيداً كريماً قانعاً راضياً، مبتعداً عن مشاعر الحزن والغيض والأسى. وأحسب أن لذلك الشعور أثراً كبيراً في خروج المؤمن من حالة الإحباط عند تعرضه لها. فصورة الفلك التي تجري في البحر بأمن وأمل الوصول بسلام، وصورة السماء المرفوعة بقدرة الله - تعالى- كضيلتان يخلق مشاعر الأمان والهدوء في نفس المؤمن .

٤- استشعار قوة تفويض الأمر لله والتفاؤل:

في قوله تعالى: "يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ" الحج/ ٧٦ قد يعطي معنى تفويض الأمر إلى الله - تعالى- في تيسير الأمور نوعا من الضعف لدى الإنسان، غير أن ذلك الضعف الحقيقي الفطري الذي حكم الله إيداعه في الإنسان خلق بجانبه قوة عظيمة تعوض ذلك الضعف، بل تعمل على تعطيله في بعض الأحيان، هي قوة الإيمان بأن الله يفعل ما يريد وأن كل ما يعمله الإنسان مآله إلى الله تعالى، حينها ينبغي على الإنسان محاولة التجرد من أفكار القلق والخوف التي ربما تولد لديه نوعا من الإحباط والشعور بالخذلان .

وقد جاء في مواضع أخرى من سورة "الحج" معان توجه الإنسان إلى النشاط الفعلي المحسوس الذي ينبغي المبادرة إليه لمساعدة النفس على التخلص من مشاعر الإحباط واليأس منها :

٥- ترك المجادلة العقيمة مع الخصم:

في قوله تعالى: "وَأِنْ جَادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ" الحج / الآية ٦٨ .
المجادلة: المناظرة لإفحام الخصم وإسكاته^(١) ، وغالبا ما يمارسها الشخص لإثبات أمر يرى أنه صحيح ويريد إقناع الآخرين به ، فحينما يشعر الإنسان أن ذلك الجدل لايجدي نفعاً مع خصمه فعليه الابتعاد عنه؛ بغية تحصيل الراحة والاطمئنان، وذلك الأسلوب ما وصّى الله تعالى به نبيه الأعظم- صلى الله عليه وآله وسلم- حينما أمره في هذه الآية بترك المجادلة العقيمة غير المجدية مع خصمه وتوجيه العلم بالأمر لله - تعالى- .

٦- الانتصار بالتحدي وإقامة الحجج:

على النقيض تماما من ترك المجادلة غير النافعة، يوصي الله - تعالى- بالبحث عن الحجج العقلية الدامغة التي تؤدي الى التحدي والانتصار للذين يبعثان في الفرد الجد والنشاط والسعي لتحقيق الأهداف ففي قوله تعالى: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاستَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ" الحج / ٧٣ .
يضرب الله تعالى مثلا يتحدى به الناس ثم ينتصر بالحجة التي عرضها بان الذين تدعون من دون الله غير قادرين على خلق ذبابة وذلك ما يؤكد ضعفهم التام؛ فيكون الانتصار لله وحده ولعباده المؤمنين بنصره ، فالخروج من التحدي بالانتصار القاطع يجدد في المؤمن روح الأمل والاطمئنان والجد والعمل والايمان بقدرته - تعالى- على نصره وتأييده.

٧- الإكثار من فعل الخير بترجي الفلاح:

قال تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَعِبُدُوا رَبَّكُمْ وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ" الحج/٧٧. يقرن الله - تعالى- هنا فعل الخير مع الافعال العبادية المأمور بها كالركوع والسجود وإقامة العبادات الأخرى، وفي ذلك دلالة على اشتراك عمل

(١) ينظر: معجم لغة الفقهاء، محمد قلعجي، ط ٢، دار النفائس للطباعة والنشر- لبنان، ١٤٠٨ هـ -

الخير مع تلك الأفعال العبادية بالأثر والنتائج، فمثلما تؤدي إقامة العبادات الى الراحة والفلاح في الدنيا والآخرة، كذلك كان لفعل الخير والمعروف أثر إيجابي في نفس فاعله، فيكون فعل الخير لديه سببا لترجي الفلاح في الدنيا والآخرة. ما أجمله من شعور يرفع الإنسان من مواقع الأنانية والضييق والاستئثار إلى مدارج المحبة والإيثار والرفعة في الله - تعالى - .

٨- توجيه الجد والاجتهاد لله - تعالى - .

٩- تهوين المصاعب ونفي الحرج .

١٠- التناصر والتأزر والإشهاد والاعتصام بالله جميعاً :

اجتمعت تلك المفاهيم جميعاً في آخر سورة الحج في قوله تعالى: "وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ" الحج / الآية ٧٨. فالجهاد مفهوم مطلق يدل على الجهاد في كل عمل يقوم به المؤمن قاصدا وجه الله - تعالى - . ومثلما نزل الوحي القرآني المجيد بمعان تهون المصاعب الرسالية على أنبياء الله ورسله وتخفف من مهماتهم في التبليغ والإنذار، نزل الوحي الإلهي العظيم بمعان أعظم وفي مواضع عدة، تراعي فطرة الإنسان وقدرته المحدودة بنفي الحرج عن المؤمنين والإفادة من الرخص الشرعية لغير القادرين على القيام بالواجبات ثم توجيه كل ما يقوم به الإنسان لطلب رضا الله ورحمته، ومن واقعية الإسلام أن جعل الإشهاد - من الملائكة والأنبياء والصالحين -

على تلك الأعمال جميعاً؛ كي يشعر المؤمن بقيمة أعماله، وأنها لن تذهب سدى، وأن هنالك رباً عادلاً كريماً سيجزي الإنسان خير الجزاء، فإنه نعم المولى ونعم النصير. ولا يختلف العقلاء على ما في تلك المعاني السامية من أثر تشجيعي عظيم للمؤمن الحريص في مواصلة الجد والاجتهاد وترك مظاهر الخمول والكسل والتراخي الآتية من الشعور بالإحباط واليأس والقنوط. فأيات سورة "الحج" إجمالاً تأمره - صلى الله عليه وآله وسلم - بالدعوة، وتبين أموراً من حقائق الدعوة

المؤتمر الدولي العاشر

[دور العلوم العربية والإسلامية في تكريس الأمن الفكري وتحقيق السلام المجتمعي]

وأباطيل الشرك، ثم تأمر المؤمنين بإجمال الشريعة وهو عبادة الله وفعل الخير، وتختتم بالأمر بحق الجهاد في الله وبذلك تختتم السورة^(١).

(١) ينظر: الميزان في تفسير القرآن : ١٤ : ٤٠٥ .

النتائج والتوصيات.

لعل أبرز نتيجة تم التوصل إليها من هذا البحث اليسير هي الإجابة عن مشكلة البحث الأساسية التي تقول: (هل بالإمكان تجاوز الشعور بالإحباط؟)

- نعم بإمكان أي فرد محبب تجاوز الحالة المؤلمة التي يعانها إن أراد هو تجاوز ذلك الحال، ثم سعى سعياً جاداً للنجاة من الإحباط بالعمل والإبداع، فالإبداع يؤدي دوراً مهماً في حياة الفرد والمجتمعات، فهو يمنح الفرد القدرة على تطوير ذاته وقدراته، ثم استخدام تلك القدرات وتوظيفها في مختلف النتائج والمجالات المادية النفعية والعبادية. كذلك إن صدق في النية والإخلاص فيها.
- حينما يركز المحبط على مصادر قوته لا مصادر ضعفه كان من اليسير عليه تجاوز الإحباط الذي هو فيه إن كان ذلك الإحباط قد أتى من المحيط نفسه.
- أما إن كان الإحباط قد أتى من الآخرين، فمحاولة تصحيح التفكير وتوجيهه نحو الجزء المملوء من الكأس، كالتفكير دائماً في أن من يتعرض للنقد والمحاربة ومحاولات الإحباط والتدمير هم الناجحون فقط، كفيلاً بأن يخفف من أثر الشعور بالإحباط.
- تجديد الأهداف ووضع الخطط الإبداعية الجديدة، والابتعاد عن الأفكار السلبية نحو الذات والقدرات، يساعد المحبط على تجاوز المرحلة المؤلمة، بالعمل الدءوب على تنفيذ تلك الخطط الجديدة ومتابعة تحقيق ما أمكن منها.
- عند اجتياح الفرد مشاعر الإحباط المؤلمة فما عليه إلّا التضرع لله - عز وجل - بالدعاء والصلاة وقراءة القرآن الكريم ، حينها سيجد حتماً ما يسليه ويخفف عنه ويعينه على الخروج من واقعه المؤلم ويوصله لحياة أفضل وأفكار أجمل .

أما التوصيات:

- ١- إقامة دراسات قرآنية تحليلية مماثلة تعالج مشكلات معاصرة أخرى كالإدمان والإسراف، واحترام اختلاف الرأي الآخر وغيرها.
 - ٢- إنشاء بحوث ودراسات تحليلية للسنة النبوية المطهرة التي تنهى نهيا شديدا عن الوقوع في الإحباط واليأس والقنوط.
 - ٣- عقد ندوات ومحاضرات ودورات توعية في التنمية البشرية تؤكد على سبل التخلص والنجاة من الإحباط على مختلف المستويات (طلبة وموظفين وعاملين شرائح المجتمع الأخرى) .
- وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين.

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم

- ١- الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي ، تحقيق: سعيد المنذوب ، دار الفكر - لبنان ، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م .
- ٢- الإنسان بين شريعتين (رؤية قرآنية في معرفة الذات ومعرفة الآخر) ، عبد الحميد أحمد أبو سليمان ، دار السلام للطباعة ، ط ١ ، المعهد العالمي الإسلامي . القاهرة ، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م .
- ٣- الإنسان في القرآن الكريم ، عباس محمود العقاد ، دار العلوم للطباعة . مصر ، رقم الإيداع بدار الكتب : ١٨١٤ / ١٩٧٣ .
- ٤- التحقيق في كلمات القرآن الكريم، حسن مصطفى ، ط ١ ، مؤسسة الطباعة والنشر وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي - طهران ، ١٤١٧ هـ .
- ٥- التسهيل لعلوم التنزيل، الغرناطي الكلبى، تحقيق: عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بنا لأرقم . لبنان .
- ٦- تفسير الأمثل ، ناصر مكارم الشيرازي ، ط ١ ، الأميرة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت - لبنان ، ١٤٢٦ - ٢٠٠٥ م .
- ٧- تفسير السمعاني ، تحقيق : ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس ، ط ١ ، دار الوطن - الرياض ، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م .
- ٨- التفسير الكاشف، محمد جواد مغنية ، ط ٣ ، دار العلم للملايين . لبنان ، ١٩٨١ م .
- ٩- التفسير الوسيط، وهبة الزحيلي ، ط ٢ ، دار الفكر - دمشق ، ١٤٢٧ - ٢٠٠٦ م .
- ١٠- تفسير مقاتل بن سليمان، تحقيق: أحمد فريد، ط ١ ، دار الكتب العلمية . بيروت، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م .
- ١١- جامع البيان عن تأويل آيات القرآن، الطبري ، تحقيق : خليل الميس ، تخريج : صدقي جميل العطار ، دار الفكر للطباعة والنشر - بيروت ، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م .
- ١٢- شرح نهج البلاغة: ابن ميثم البحراني، ط ١ ، مركز النشر مكتب الإعلام الإسلامي - ايران ، ١٣٦٢ ش .
- ١٣- الصحة النفسية في ضوء علم النفس والإسلام ، محمد عودة محمد وكمال إبراهيم مرسى، دار القلم - الكويت .

المؤتمر الدولي العاشر

[دور العلوم العربية والإسلامية في تكريس الأمن الفكري وتحقيق السلام المجتمعي]

- ١٤- صحيح البخاري ، دار الفكر للطباعة والنشر ، طبعة الأوفست من طبعة دار الطباعة العامرة بإستانبول ، ١٤٠١ - ١٩٨١ م .
 - ١٥- علوم القرآن ، محمد باقر الحكيم ، ط٣ ، مجمع الفكر الإسلامي ، مؤسسة الهادي - قم ، ١٤١٧ هـ .
 - ١٦- القرآن أصل التربية وعلم النفس، أحمد جهان الفورتية، دار الملتقى للطباعة والنشر ، ط ١ ، قبرص . ١٩٩٤ م .
 - ١٧- القرآن وعلم النفس ، محمد عثمان نجاتي ، ط ٧ ، دار الشروق - مصر ، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م .
 - ١٨- لسان العرب : ابن منظور ، نشر أدب الحوزة ، ١٤٠٥ هـ .
 - ١٩- مصطلحات قرآنية ، صالح عضيمة ، ط ١ ، الجامعة العالمية للعلوم الإسلامية . لندن ، دار النصر . بيروت ، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م .
 - ٢٠- معجم اللغة العربية المعاصرة ، أحمد مختار عمر ، ط ١ ، المجلد الاول ، عالم الكتب - القاهرة ، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م .
 - ٢١- معجم لغة الفقهاء ، محمد قلججي ، ط ٢ ، دار النفائس للطباعة والنشر . بيروت ، ١٤٨٠ هـ - ١٩٨٨ م .
 - ٢٢- مهارات الإبداع والابتكار، عبد الله عمر زين كاف، ط ١ ، مكتبة القانون والاقتصاد - السعودية ، ١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣ م .
 - ٢٣- الميزان في تفسير القرآن ، محمد حسين الطباطبائي ، مؤسسة النشر التابعة لجماعة المدرسين . قم .
- ١- مقال (كيف تخرج من الإحباط) <https://mawdoo3.com>
 - ٢- <https://ar.wikipedia.org/wiki>
 - ٣- <https://ar.islamway.net> / الإحباط
 - ٤- <http://www.alwaei.gov.kw> مجلة الوعي الإسلامي د. أندي حجازي .

